

صَبْحُ الْأَسْبَحِ

الجزء التاسع

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

نالتف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء التاسع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
س ١٣٣٤ هـ
م ١٩١٦



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثاني

من مقاصد المكاتبات، الإخوانيات

(مما يَكُتَبُ به الرئيسُ إلى المرءوس والمرءوسُ إلى الرئيس والنظيرُ إلى النظير)
قال في "موادّ البيان" : ولها مَوْقعٌ خَطِيرٌ من حيثُ تشتركُ الكافّةُ في الحاجةِ إليها . قال : والكاتبُ إذا كان ماهراً، أغربَ معانيها، ولطّفَ مبانيها، وتسهّلَ له فيها ما لا يكادُ أن يتسهّلَ في الكُتُبِ التي لها أمثلةٌ ورسومٌ لا تتغيّرُ ولا تُتجاوزُ، وهي على سبعةٍ عشرَ نوعاً :

النوع الأول

(التّهاني)

قال في "موادّ البيان" : كُتِبَ التّهاني من الكُتُبِ التي تظهرُ فيها مقاديرُ أفهامِ الجُلبِ، ومنازلُهم من الصّناعة، ومواقِعُهم من البلاغة . وهي من ضروبِ الكتابةِ الجليّةِ النفيسةِ، لما في التّهنةِ البليغةِ من الإفصاحِ بقدرِ النعمة، والإبانةِ عن مَوْقعِ الموهبة، وتضاعُفِ الشُّرورُ بالعطية . وأغراضُها ومعانيها متشعبةٌ لا تنقِفُ عندَ حدٍّ، وإنما نذكرُ منها الأصولَ التي تفرّعتُ منها فروعٌ رجعتُ إليها، وحملتُ عليها .

قال : ويجب على الكاتب أن يراعى فيها مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه في الرسالة اللاتقة بهما مما لا يتسأح بمثله .
ثم التهانى على أحد عشر ضربا :

الضرب الأول

(التهنئة بالولايات ، وهى على تسعة أصناف)

الصنف الأول — التهنئة بولاية الوزارة :

قد تقدم فى المقالة الثانية فى الكلام على ترتيب الملكة أن الوزارة كانت فى الزمن المتقدم هى أرفع وظائف الملكة وأعلاها رتبة ، وأنها الرتبة الثانية بعد الخلافة . وكانت فى زمن الخلفاء تكاد أن تكون كالسلطنة الآن ، ^(١) فهى من الأتباع ومن فى معانهم على نحو ما كانت فى الزمن المتقدم بين الرؤساء والأكابر ، ومن الرؤساء والأكابر بحسب ما تقتضيه رتبة المهنة .

وهذه تسخ تهاى من ذلك على ما كان عليه الحال فى الزمن القديم .

تهنئة بوزارة : من إنشاء أبى الحسين بن سعد ، كتب بها إلى الوزير محمد بن القاسم بن عبید رحمه الله ، وهى :

من كانت النعمة — أيد الله الوزير — نافرة عنه وبغنائيه غريبة ، فهى تأوى من الوزير إلى مثنوى معهود ، وكنتف محمود ، وتجاوز منه من يوفىها حقها ، ويقابلها بحسن الصحبة لها ، ويجرى فى الشكر ما يولاه ، والرعاية لما يستترعاه ، على شاكلة مضى عليها السلف من أهله ، ونشأ فى مثلها الخلف ، مقتدياً بالأول الآخر ، وبالماضى

(١) أى التهنئة من الأتباع الخ .

الغابر؛ تشابهاً في كرم الأفعال ، ورعايةً لحقوق الآمال ؛ وأعتاداً للرفقة والرحمة ، وعموماً بالإنصاف والمعدلة ؛ إلى ما خصَّ الله به أهل البيت رضى الله عن الماضين منهم وأقام عزَّ الباقيين وحِراسَتهم : من العلم بالسياسة والدِّرابة بتدبير المملكة ورعاية الأُمّة ؛ والهداية فيهم لطرق الحِيطة ونهج المصلحة .

والحمد لله على ما خصَّ به الوزير من فضله الذى رفع قدره فيه عن مُساماة ومشكلة المُقادر^(٢) والشَّيْبه ، وجعله فيما حباه به نسيج وحده ، وقريع دهره ؛ وجمع له من مَوَاهِب الخير ، وخصائص الفضل ما أبان به موقعه في الدين ، وأعطاه معه الولاية من جميع المسلمين .

والحمد لله حمداً مجدداً على ما جَدَّده له من رأى أمير المؤمنين وأجبتائه ، ومَحَلَّه من آخِيارِه وأصِطِفائه .

والحمد لله على ما منَّحه من كرامته ، وجدَّد له من نعمته ، فيما أعاد إلى تدبيره من وزارته ، وأشركه فيه من أمانته ؛ احتياطاً منه للملكة ، ونظراً للخاصة والعامة ؛ فإنَّ عائدة رأيه سَوَتْ بين الضَّعيف والقَوِيّ ، ووصلت إلى الدَّانِي والقَصِيّ ؛ وأعادت إلى المُلْك بهاءه ، وإلى الإسلام نُورَه وضياءه ؛ فاكتست الدنيا من الحِلَّة بعد الإخلاص ، والنَّضارة بعد الإنهاج^(٣) ، ما لم يكن يوجد مثله إلا بالوزير في شرف منصبه ، وكرم مُرَكَّبِه ؛ فهنَّا الله الوزير ما آتاه وتابَع له قَسْمه ، ووصل له ما جدَّد له بالسَّعادة ؛ وأمَّده فيه بالزَّيادة ؛ وأعطاه من كلِّ مأمول أعظم حظٍّ وأوفر نصيبٍ وقِسْم ؛ تراخياً

(١) في الأصل والورائة لتدبير وهو تصحيف سخيف .

(٢) في القاموس "قادرته قايسته وفعلت مثل فعله" .

(٣) الإنهاج الحى ، أظفر القاموس في مادة (ن ه ج) .

في مُدَّة العُمُر، وتناهِياً في دَرَجَةِ العِزِّ، وأَحْتِياطاً بِالْمَوْهِبَةِ في العَاجِلِه ، وفَوْزاً بِالكَرَامَةِ في الآجِلِه ؛ إِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُشَاء .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذَلِكَ : أوردَها في ترسله ، وهى :

التهنئةُ بِالْوَزِيرِ لِلزَّمانِ وأَهْلِهِ بِمَا جَمَّلَهُمْ بِهِ ، وَجَدَّدَ لَهُمْ مِنْ مِيسَمِ العِزِّ ، وَسَرَّ لَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ حُلَّةِ الأَمْنِ بِوَلَايَتِهِ ، وَالنِّعْمَةُ عَلَى أَوْلِيائِهِ وَرَعَايَاهُ عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهِمْ مِنْ مِشَارِكَتِهِ وَخُطُوطِهِمْ مِنْ مَعْدَلَتِهِ ظَاهِرَةً ، وَلِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ الْفَاضِلُ ، وَالشُّكْرُ الْكَامِلُ . وَلِلْوَزِيرِ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالِدَوْلَةِ السَّعِيدَةِ ؛ أَهْنَاهَا مَوْقِعاً ، وَأَسْرَاهَا مَلْبَساً ، وَأَدْوَمُهَا مُدَّةً ، وَأَجْمَلُهَا نَفْسَهُ ؛ وَأَثَرُهَا مُبَوَّأً ، وَأَسْلَمُهَا عُقْبَى ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ بِالْمُعُونَةِ وَالْحِرَاسَةِ ، وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِالنَّصْرِ وَالْكَفَايَةِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِمَا قَلَّدَهُ وَأَسْتَرْعَاهُ ، وَبَلَّغَهُ مَحَابَّهُ وَمُنَاهُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَوْقِعِي مِنْ ثِقَةِ الْوَزِيرِ يُلْحِقُنِي عِنْدَهُ بِمَنْ مَكَّنْتَهُ الْإِيَّامُ مِنْ قَضَاءِ الْحَقِّ فِي التَّلَقِّيِّ وَالْإِنْعَادِ ، وَيُعَوِّضُنِي بِتَفْضِيلِهِ مِمَّا حُرِمْتُهُ مِنْهَا مَحَلَّ ذَوَى الْإِخْلَاصِ وَالْإِعْتِدَادِ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذَلِكَ : أوردَها في ترسله أيضاً ، وهى :

وهذا أَوَّلُ يَتْلُوهُ مَابَعْدَهُ بِلَا تَنَاهٍ وَلَا نَقْصٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمِشِيتُهُ ، بَلْ يَكُونُ مَوْصُولاً لَا يُتْبَعُ مِنْهُ غَايَةٌ إِلَّا شَفَعَتْهَا دَرَجَةُ تَرْقِي ، تُكْنِفُ ذَلِكَ كِفَايَةً مِنَ اللَّهِ شَامِلَةً كَامِلَةً ، وَغِبْطَةً فِي الْبَدَنِ وَالْعَاقِبَةَ بِلَا انْقِطَاعٍ ، وَلَا أَرْتِجَاجٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ الْمُنْقَلَبُ مِنْهُ يَعْدُ بُلُوغَ الْعُمُرِ مَمْتَنَاهُ ، إِلَى فَوْزٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ . فَهَنِيئًا لِلْوَزِيرِ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْعِيَ فِيهِ مُسَاعَفَةَ الْمِقْدَارِ ، وَلَا يَنَالَهُ بَغِيرُ اسْتِحْقَاقٍ ؛ إِذْ لَا مِثْلَ وَلَا نَظِيرَ لِلْوَزِيرِ : فَضْلاً ظَاهِراً ، وَعِلْماً عَلَى الْعُلُومِ مُوَفِّياً ، وَسَابِقَةً فِي تَقْلِيدِ الْخِلَافَةِ ظَهْراً لِبَطْنٍ ، وَحَلَبَ الدَّهْرِ شَطْراً بَعْدَ شَطْرٍ ؛ وَجَمْعاً مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ لِمَا كَانَ مُتَفَرِّقاً ، وَحِفْظاً

لما كَانَ ضَائِعًا ؛ وَحَمَايَةَ لَبِيْضَةِ الْمُلْكِ ، وَضَبْطًا لِلشُّغُورِ ، وَتَلَقِّيًّا لِلخُطُوبِ بِمَا يَقُلُّ حَدَّثَهَا ، وَيُطْفِئُ نَارَهَا وَلَهَبَهَا وَيُقِيمُ أَوْدَهَا ؛ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ فِي رَأْيِهِ مِنْ فَتْحِ الْبِلَادِ الْمُرْتَجَّةِ ، وَقَعَ الْأَعْدَاءُ الْمُنْغَلَبَةِ ، وَسُكُونُ الدَّهْمَاءِ ، وَثُمُولُ الْأَمْنِ ، وَعُمُومُ الْعَدْلِ ؛ وَاللَّهُ يَصِلُ ذَلِكَ بِأَحْسَنِهِ .

تهنئة أخرى في مثل ذلك : من إنشاء علي بن خلف في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاءَ خُضْرَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ ، فَارِعَةً مِنَ الْمَعَالِي اسْمَقَهَا نُجُودًا ، كَارِعَةً مِنَ الْمَنَنِ أَعْدَبَهَا وَرُودًا ، سَاحِبَةً مِنَ الْمِيَامِينَ أَرْقَاهَا بُرُودًا ؛ مُتَمِّعَةً بِالنَّعَمِ الَّتِي يُرَامِي الشُّكْرَ عَنْ حَوَازِيهَا ، وَيُحَامِي الْبِشْرَ عَنْ حَوَمَتِهَا ؛ مَبْلَغَةً فِي أَوْلِيَائِهَا وَأَعْدَائِهَا ، قَاضِيَةً مَا تَرْتَمِي إِلَيْهِ رِحَابُهَا ؛ فَلَا تَرَى لَهَا وَلِيًّا إِلَّا لِأَحَبِّ الْمَذْهَبِ ، نَاقِبَ الْكُوكَبِ ؛ سَامِيَ الطَّرْفِ ، حَامِيَ الْأَنْفِ ؛ وَلَا عَدُوًّا إِلَّا ضَيْقَ الْمَطْرَحِ ، وَعِرَ الْمَسْرَحِ ؛ صَالِدَ الزَّنْدِ ، مَفْلَلَّ الْحَدِّ ؛ رَاغِمَ الْعَرِينِ ، مَتَلَوًّا لِلْبَحَيْنِ . وَلَا زَالَتْ أَزِمَّةُ الدُّنْيَا بِيَدِهَا حَتَّى تَبْلُغَ بِأَمَالِهَا مُتْنَهَا ، وَتَجْرِيَ بِأَيَّامِهَا إِلَى أَقْصَى مَدَاهَا ؛ [فَهِى] مِنْ أَعْظَمِ النَّعَمِ خَطَرًا ، وَأَحْسَنِهَا عَلَى الْكَافَّةِ أَثَرًا ؛ وَأَوَّلَاهَا بَأْنَ يُفَاضَ فِي شُكْرِهَا ، وَتَتَعَطَّرَ الْآفَاقُ بِذِكْرِهَا . وَلَسِيدُنَا الْوَزِيرَ الْأَجَلَّ يَرَاعُ يَسْتَقِظُ فِي صَلَاحِهِمْ وَهُمْ هَاجِعُونَ ، وَيَنْصَبُ فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ وَهُمْ وَادِعُونَ ؛ وَكُلُّ تَنْذِيرِهِمْ فِيهِ ، إِلَى مَدَبَرِّ يُخَافُ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ ، وَيَعْمَلُ فِيمَنْ أَسْرَعَاهُ بِمَا يَرْضَاهُ ؛ وَلَا يَمُدُّ يَدَ الْإِقْتِدَارِ عَلَيْهِمْ مُتَسَلِّطًا ، وَلَا يَتَّبِعُ دَوَاعِيَ الْهَوَى فِيهِمْ مُتَسَقِّطًا ؛ وَاضِعًا الْأَشْيَاءَ فِي حَقَائِقِهَا ، سَالِكًا بِهَا أَمْثَلَ طَرَائِقِهَا ؛ مُلَانِيًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، مُحَاشِنًا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ؛ قَرِيبًا مِنْ غَيْرِ صَغَرٍ ، بَعِيدًا مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ ؛ مُرَغَّبًا بِإِسْرَافٍ ، مُرْهَبًا بِإِنْصَافٍ ؛ نَاطِرًا إِلَى مُحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ وَأَطْرَافِهَا ، كَمَا يَنْظُرُ فِي مَعَاضِمِهَا وَأَشْرَافِهَا ؛ آخِذًا بِوَنَائِقِ الْحَزْمِ ، مَتَمَسِّكًا بِعَلَائِقِ الْعَزْمِ ؛ رَامِيًا بِفِكْرَتِهِ مِنْ وَرَاءِ الْعَوَاقِبِ ، خَاطِمًا بِأَرَائِهِ أَنْوَفَ الْمَصَاعِبِ ؛

ناظماً بآيائه عقود المصالح، مُوطّئاً برياضته ظُهُور الجِواحِب، إن تَفَفَّ ذَا النَّبْوةِ
 الفَرِيدِ، والهِفْوةِ الْوَحِيدِ؛ أَقْتَصَرَ عَلَى مَا يُؤَافِقُهُ الْوَالِدُ الْحَدَبُ، مِنْ مُقَوِّمِ الْأَدَبِ
 [وإن قَبَضَ^(١) عَلَى الْمَرْتَكِسِ فِي غَوَايَتِهِ، الْمُفْلِسِ فِي عَنَايَتِهِ؛ ضَيَّقَ عَلَيْهِ مَجَالَ الْعَفْوَ،
 وَأَحَاقَ بِهِ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَالسَّطْوِ؛ فَقَدْ سَكَنَتِ الرَّعِيَّةُ فِي عَدْلِهِ، وَأَوْتَرَ حَرَمًا مَنِيعًا مِنْ
 ظِلِّهِ؛ وَوَقَّتَ أَنَّ الْحَقَّ بِنَظَرِهِ شَائِخٌ شَاقِقٌ، وَالْبَاطِلَ سَائِخٌ زَاهِقٌ؛ وَالْإِنْصَافَ مَبْسُوطٌ
 مَنْشُورٌ، وَالْإِحْكَافَ مَحْطُوطٌ مَبْتُورٌ، وَالشَّمْلَ مَنْظُومٌ، وَالشَّرَّ مَضْمُومٌ. فَنَطَقَتْ أَلْسِنُهَا
 بِإِحْمَادِهِ، وَأَشْتَمَلَتْ أَفْئِدَتُهَا عَلَى وَدَادِهِ؛ وَاتَّفَقَتْ أَهْوَاؤُهَا عَلَى رِيَاسَتِهِ، وَتَطَابَقَتْ
 آرَاؤُهَا الْمَسَابِقَةُ عَلَى دَوَامِ سِيَادَتِهِ؛ وَعَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَدَقَ النَّظَرِ فِي دَوْلَتِهِ؛ وَسَلَّمْ
 أُمُورَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى النَّصِيحِ الْمَأْمُونِ، وَالتَّجِيحِ الْمَيْمُونِ؛ الَّذِي وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِاخْتِيَارِهِ،
 وَيَسَّرَهُ لِاصْطِفَائِهِ وَإِيثَارِهِ؛ وَأَنَّهُ قَدْ نَاطَ أُمُورَهُ بِنَ لَمْ يَسْتَخَفَّ تَقِيلَ حِمْلُهَا، وَنُبُوهُ
 بِيَاهِظٍ يُقْلَهَا؛ فَتَمَتَّعَ بِلَذِيذِ الْكَرَى، وَتَوَدَّعَ بَعْدَ السَّيْرِ وَالسَّرَى؛ وَأَلِمَ مِنَ الْمَامِ مُلْمٌ
 مُعْضِلٌ، وَحُدُوثٌ حَدِيثٌ مُشْكِلٌ. وَهَذِهِ نِعْمَةٌ تَعْمُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ عُيُومَ الْغَيْثِ
 إِذَا هَمَعَ وَتَدَفَّقَ، وَتَشَمَّلَهُمْ شُمُولُ النَّهَارِ إِذَا لَمَعَ وَتَأَلَّقَ؛ وَهَمَّ أَوَّلَى بِالْتَهْنَةِ فِيهَا
 وَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا.

وَسَيِّدُنَا الْوَزِيرُ حَقِيقٌ بِأَن يُهْدَى إِلَيْهِ الدُّعَاءُ الْمَرْفُوعُ، وَالتَّضَرُّعُ الْمَسْمُوعُ؛ بِأَن
 يُنْهَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا حَمَلَهُ، وَيُعِينَهُ عَلَى مَا كَفَّلَهُ؛ وَيَتَوَلَّاهُ بِتَوْفِيقٍ يَثْقُبُ أُنُورَهُ،
 وَتَأْيِيدٍ يُطَبِّقُ غَرَارَهُ، وَتَسْدِيدٍ يَحْسِنُ آثَارَهُ؛ وَإِجْرَاءٍ مَا يَتَوَلَّاهُ عَلَى أَوْضَحِ سَبِيلٍ
 وَأَقْصَدِهِ، وَأَرْجَحَ دَلِيلٍ وَأَرْشَدِهِ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَهْنَأَ بِمَالِهِ عِيَاؤُهُ وَكَلَّهُ، وَلِذَلِكَ
 صِلَاحُهُ كُلُّهُ. وَالْعَبْدُ لِيَسْأَلَ اللَّهَ ضَارِعًا لَدَيْهِ، بِاسْطَايَدِهِ إِلَيْهِ؛ فِي أَنْ يَقْبَلَ صَالِحَ
 أَدْعِيَتِهِ لِحُضْرَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا أَحَلَّهُ فِي مَحَلِّهِ مِنْ رِيَاسَتِهَا، وَأَوْقَعَهُ

في موقعه من سياستها؛ دائماً لا يُنتزع، وخالدا لا يرتجع؛ وأن يؤيدها فيه بما يقضى له بالإحراز والتحويل، وينجيها من الابتزاز والتحويل؛ إنه سميع الدعاء، فعّال لما يشاء؛ إن شاء الله تعالى.

الصف الثاني - التهنئة بكفالة السلطنة :

وهذه نسخة من ذلك، كُتب بها عن نائب الشام، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة، وهي بعد الألقاب :

لَا زَالَ دَائِرًا بَهَائِهِ الْفَلَكَ، مُنِيرًا بِضِيَاءِ عَدْلِهِ وَيُسْرِهِ الْحَلَاكَ؛ قَرِيرًا بِحُسْنِ كِفَالَتِهِ الْمُلُوكَ شَاهِدًا بِفَضْلِ أَسْمَائِهِ وَسِمَاتِهِ الْمَلِكِ، مَقْسُومًا بِأَمْرِ اللَّهِ نَدَاهُ وَبِأُسْهِلِيحِيَا مِنْ حَيٍّ وَبِهَلَاكَ مَنْ هَلَاكَ؛ تَقْبِيلًا يُسَافَهُ بِهِ التُّرَابَ، وَيُشَاهَدُ شَرَفَ مَطْلَعِهِ عَلَى السَّحَابِ .
وَيُنْهِى قِيَامَهُ عَلَى قَدَمٍ وَلَاءٍ وَدَعَاءٍ : هَذَا يَنْزِلُ الْقَلْبَ وَهَذَا يَصْعَدُ إِلَى الْأَفْقِ، وَمُقَامَهُ عَلَى بُشْرَى وَحَمْدٍ مِنْهُمَا الْأَمْنُ يُحَلِّي بِوَصْفِهِ النُّطْقُ كَمَا تُحَلِّي الْأَعْطَافُ بِالنُّطْقِ؛
وَأَنَّهُ وَرَدَ مِثَالُ شَرِيفٍ عَلَى يَدِ فُلَانٍ يَتَضَمَّنُ الْبِشَارَةَ الْعَامَّةَ، وَالْمَسْرَةَ التَّامَةَ، وَالنِّعْمَةَ الَّتِي يُعَوِّدُ سَنًا جَيِّينَهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَّهُ؛ وَخَبَرَ الْخَيْرِ الَّذِي حَيَّتْ أَزْهَارُهُ الْمُتَضَوِّعَةُ نَدَّ مِصْرَ فَأَوَّلُ مَا بَلَغَهُ مَنَافِسَ الشَّامِ شَامَهُ، بِأَنَّ الْمَوَاقِفَ الشَّرِيفَةَ - أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانَهَا - قَدْ فَوِّضَتْ إِلَى مَوْلَانَا كِفَالَةَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنِهِ، وَكِفَايَةَ الْمُلُوكِ بِصَالِحِ مُؤْمِنِيهِ؛ وَنِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ وَمَا نَسَقَتْ، وَتَدْيِيرَ الْمَالِكِ وَمَا وَسَقَتْ؛ فَيَا هَا بُشْرَى! أَبْتَسَمْتَ لَهَا تَغَوُّرُ الْبَشَرِ، وَمَسْرَةَ أَسْتَجَلِي سَنَاهَا مِنْ أَمْنٍ وَبُهْتٍ الَّذِي كَفَرُ، وَخَبْرًا تَلَقَّتِ الْأَسْمَاعُ بِرَيْدِهِ مَنَشْدَةً : قُلْ وَأَعِدْ بِأَطْيَبِ الْخَبَرِ؛ هُنَاكَ أَخَذَ الْمَمْلُوكُ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ بُشْرَى، وَنَصِيْبِهِ مِنْ مَسْرَةِ حَمْدٍ بِصَبَاحِ طَرِسْهَا الْمَسْرَى؛ وَحَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَقَامَ لِسُلْطَانِ الْبَسِيطَةِ مِنْ يَبْسُطِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ لِمَنَابِهِ، وَيَقْلَدُ رَعِيَّتَهُ

عقود النعم إذا تقلد ما وراء سريره وبابه ، ومن إذا كفل سيفه ممالك الإسلام وثقت بالمعنى والسلامة ، وإذا كتب قلبه قالت ولا سيما أخبار جند المسلمين : هكذا تكون العلامه ، وجهز المملوك هذه الخدمة نائبة عنه في تقبيل الأرض ، وعرض الهناء بين يدي من يسر المملوك بولائه اليوم ويرجو أن يسره يوم العرض ، ولو وصف المملوك ما عنده من السرور والشوق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق الوقت عن أداء الفرض ؛ والله تعالى يحدّد لمولانا ثمرات الفضل الواضح ، والرأى الراجح ، والقدر الذى هو على ميزان الكواكب راجح ، ويمتعا كافة الممالك بدولة سلطانه الذى علم البيت الشريف أنه على الحقيقة الخلف الصالح .

وهذه نسخة تهئية لأمر جاندار بولاية إمرة جاندار ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهى بعد الانقلاب :

أعلى الله منارها ومنالها ، وخلد قبولها وإقبالها ، وأجل من الغض الذى تناولته ثمرها وأسبغ به ظلالها ؛ ولا زال فى سيفها وعصاها مارب للملك ، وفى بأسها ونداها مواقع للنجاة والهلك ؛ ولا برحت القضب من سيوف وغصون : هذه حاكمة بسعدها حكم الملك ؛ وهذه مسخرة فى تجريدها تسخير الفلك ؛ تقبيل محاص فى ولاته ودعائه ، مهن القلب مسرور بما يتجدد من مسرات مولانا وهنائيه ؛ وينهى أنه بلغه ما أفاضته الصدقات الشريفة على مولانا من المبرات ، وما جدت له من المسرات ؛ وأنها ضاعفت مزيد الإحسان إليه ، ودعته أمير جاندار ودت العصى النجومية لو قدمت نفسها بين يديه ؛ وأن المواقف الشريفة قرّت به عينا وأقرت ، وأن الدولة القاهرة ألفت عصاها إليه واستقرت ؛ وكما سلمت إليه العصا فى السلم سلمت إليه السيف فى الحرب ، وكما قربته فى مواقف العدل والإحسان قربته فى مواقف الطعن والضرب ؛ فأخذ المملوك حظّه من البشرى ، وأوجب على نفسه الفرح

وسجد لله شكراً ؛ وودَّ لو حضر يُشافِه بهذا الهناء الشامل ، ومثل قائماً لديه بحقّ
التهنئة القيام الحقيقي الكامل ؛ وحيث بُعدت داره ، ونأت عن العيان أخباره ؛
فقد علم الله تعالى مواصلته بالأدعية الصالحة ليلاً ونهاراً ، والموالات المحبة التي يشهد
بها الخاطر الكريم سرّاً وجهاراً ؛ والله تعالى المسؤول أن يزيد مولانا من فضله ،
ويسره بمتجددات الخير الذي هو من أهله ؛ ويمتّعنا كافة الممالك بدوام سلطان هذه
الدولة الذي شمل بظله ، وغنى بنصره عن نصله ؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث — التهنئة بالإمارة .

من كلام الأقدمين :

تهنئة من ذلك ، أوردها أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وهى :

وهنا الله الأمير مواهبه الهنيئة ، وعطاياه السوية ؛ وأدام تمكينه وقدرته ، وثبت
وطأته ، وحرس ماخوله ؛ وجعل ماهاً له من مؤتلف الكرامة أيمن الأمور فاتحةً
وأسعدّها عاقبه ؛ ووصل أيامه بأجل الولايه ، وأجل الكفاية ؛ حتى ينتهى [من]
استيفاء سعادات الحُطُوظ وحوز القسم والآمال ، [إلى] الدرجة التي تليق بما أفرده
الله به من الكمال ، وخصّه به من الفضل في جميع الخصال . ومن أفضل ما اعتدّ به
من نعم الله على الأمير وبجميل رأيه ، ومحلى من طاعته وخدمته ؛ أنى لا أخلو في كل
وقت وحالٍ من بهجة تجدد لى ، ومسرّة تصل إلى ، وتتوفر على ، بما يسهله الأمير
على يده من مستصعب الأمور ، ومستغلق الخطوب ؛ التي تبعد عنم زواولها ،
ويجعل الله بطوله وحوله للأمير القدرة عليها ، ويتوحد بالكفاية فيها ؛ فينمو بجميل
تديره ولطيف نظره ، ويطرّد بصاعد نجمه ويمن تقبّيته وعزّ دولته ؛ وذلك من
فضل الله ونعمته ، يؤتى فضله من يشاء وهو ذو الفضل العظيم .

الصنف الرابع - التهنية بولاية الحجابة .

وقد كَانَ لها في الزَّمنِ القديمِ المحلُّ الوافرُ في الدولةِ وعُلُوَّ الرتبةِ فيها .

من كلام الأقدمين :

تهنئةٌ من إنشاءِ أبي الحسينِ بنِ سعدٍ، كُتِبَ بها إلى أبي بكر بنِ ياقوت حين وَلِيَ الحِجَابَةَ بعد نَكْبَةِ أَصَابَتِهِ ، وهى بعد الصدر :

وقد كانتْ أَنفُسُنَا مَعَشَرَ عبيدِ سَيِّدِنَا وَحَمَلَةِ إِنْعامِهِ ، ومُؤَمِّلِي أيامِهِ ، في هذه الأحوالِ
التي تقدَّ سَيِّدِنَا منها فيما أَبتَلَاهُ صَبْرُهُ ، وَأَبَانَ فِيهِ قَدْرَهُ ؛ وزاد العارِفَ بفضله نفوذًا
في البَصِيرَةِ ، وأعاد ذَوِي الإِرْتِيَابِ فِيهِ إلى الثِّقَةِ ؛ فاستوى المنازع والمُسَلَّمُ ، وأستوى
العالمُ والمُعَانِدُ - نعمةٌ منه تعالى ذكره خَصَّهُ بها وصانَهُ عن مُشَاكَلَةِ النظيرِ ، ومُزَاحِمَةِ
الْأَكْفَاءِ - على سبيلِ من القَلَقِ والإِرتِمَاضِ ، والسَّقُوطِ والإِخْفَاضِ ؛ جَزَأَ من تِلْكَ
الحَالِ الغَلِيظَةِ ، وإشفاقًا على تِلْكَ النَّفْسِ النَّفِيسَةِ ؛ وخوفًا على مَعَالِمِ البرِّ والثَّقَى ،
وَبَقِيَّةِ العلمِ والحِجَا ، وتاريخِ الكَرَمِ والنَّدَى ؛ أن يَدْرُسَ مَنَارُهَا ، وتُطْمَسَ آثَارُهَا ؛ ولولا
مَأمْنُ اللَّهِ بِهِ من الإِخْلَاصِ منها وما مَنَعَ بِكرَمِهِ في عَاقِبَتِهَا ، لأَوْشَكَتْ أن تَأْتِيَ عليها
وتُجْلِيهَا عن مَوَاقِيتِ أَجَالِهَا ؛ لَكِنَّهُ عَظُمَتِ الْآثُوهُ ، وتَقَدَّسَتِ أَسْمَاؤُهُ ؛ أَنَّى بِالْأَمْنِ
والقَرَجِ ، بعد آسْتِيلاءِ الكَرْبِ والوَجَلِ ، وَأَنِّيَنَاتِ أَسْبَابِ الرَّجَاءِ والأَمَلِ ؛ فَعَرَفَ
سَيِّدُنَا مَوْقِعَ الْخَيْرَةِ فيما قَضَاهُ ، وَمَيَّزَ لَهُ الْخَبِيثُ من الطَّيِّبِ مِمَّنْ عاداهُ وتَوَلَّاهُ ؛ وجعل
النِّعْمَةَ التي جَدَّدَهَا لَهُ فيما رَدَّهُ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ إلى تَدْيِيرِهِ من أَمْرِ دَارِهِ ومَمْلَكَتِهِ ،
وَحِرَاسَةِ بَيْضَةِ رِعيَّتِهِ ، مُشْرَكَةَ النِّفْعِ والفَائِدَةِ ، مَقْسُومَةَ الْخَيْرِ والعَائِدَةِ ؛ بَيْنَ كَافَّةِ
الْأُمَّةِ فيما عَمَّ من المَعْدِلِ ، وشَمِلَ من المَصْلَحَةِ . ولاحَ من تَبَاشِيرِ الْخَيْرِ ، وأَمَارَاتِ
الْبِرْكََةِ ؛ في آسْتِقَامَةِ أُمُورِ الْبِلَادِ ، وصِلَاحِ أَحْوَالِ الْعِبَادِ ؛ وأَفْرَدَ اللَّهُ سَيِّدَنَا بِحِطِّ من

المَوْهَبَةِ وَقَانِي فِيهِ عَلَى حُظُوظِ الْأَوْلِيَاءِ، وَزَادَنِي عَلَى سِهَامِ الشُّرَكَاءِ . وَأَنَا أَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي إِسْعَادِ سَيِّدِنَا بِمَا جَدَّدَهُ لَهُ ، وَتَعْرِيفِهِ بِرَكَّةٍ مُفْتَتِحَةٍ وَمِنْ خَاتِمَتِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي مُبْتَدَأِهِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي عُقْبَاهِ ؛ وَتَبْلِيغِهِ مِنْ حَظٍّ مَأْمُولٍ ، وَخَيْرِ مَطْلُوبٍ ؛ وَحَالٍ عَلَيْهِ ، وَرُتْبَةٍ سَنِيَّةٍ ؛ أَفْضَلَ مَا بَلَغَ أَحَدًا أَخْتَصَّهُ بِفَضْلِهِ ، وَأَصْطَفَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ مَاجِدٌ . فَإِنْ رَأَى سَيِّدُنَا أَنْ يَتَطَوَّلَ بِإِجْرَاءِ عَبْدِهِ عَلَى كَرِيمِ عَادَتِهِ فِي تَشْرِيفِهِ بِمَكَاتِبَتِهِ ، وَتَصْرِيفِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، مُحَقِّقًا بِذَلِكَ أَمَلَهُ ، وَزَائِدًا فِي نِعَمِهِ عِنْدَهُ ، فَعَلَّ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تهنئةٌ أخرى من ذلك ، من إنشاءٍ عَلَى بْنِ خَلْفٍ أَوْ رَدَّهَا فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَهِيَ :
 إِنَّمَا يُهِنَّا بِالْوِلَايَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ - مِنْ
 أَنْبَسَطَتْ إِلَيْهَا يَدُهُ بَعْدَ أَنْقِبَاضٍ ، وَارْتَفَعَ لَهَا قَدْرُهُ مِنْ أَنْخِفَاضٍ ؛ وَأَوْجَدَتْهُ الطَّرِيقَ
 إِلَى إِحْرَازِ جَزِيلِ الْأَجْرِ وَالْجَزَاءِ ، وَآكْتَنَازِ جَمِيلِ الْبَرَكَةِ وَالْثَنَاءِ ؛ وَأَفْضَتْ بِهِ إِلَى
 أَشْوَاعِ السُّلْطَانِ ، وَأَنْتَفَاعِ الْأَعْوَانِ ؛ فَأَمَّا مَنْ جَعَلَ اللَّهُ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَقَدْرَهُ الْأَعْلَى ،
 وَرِيَّاسَتَهُ حَاصِلَةً فِي نَفْسِهِ وَجَوْهَرَهُ ، وَسِيَادَتَهُ مُجْتَنَةً مِنْ سِنِّهِ وَعُضْرَهُ ؛ فَلَاؤُلَى -
 إِذَا اسْتَكْنَفِي رَغْبَةً فِي إِنْصَافِهِ وَعَدْلِهِ ، وَحَاجَةً إِلَى سَدَادِهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَأَفْتَقَرَا إِلَى
 فَضْلِ سِيرَتِهِ ، وَأَضْطَرَّارًا إِلَى فَاضِلِ سِيَاسَتِهِ - أَنْ تُهِنَّا الرِّعْيَةُ بَوْلَايَتِهِ ، وَتُسِّرَ الْخَاصَّةُ
 وَالْعَامَّةُ بِمَا عُدِّقَ مِنْ أُمُورِهَا بِكَفَايَتِهِ ؛ وَغَيْرِ يَدِيعٍ رِبْطُ^(١) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَاجِبِ
 الْجَلِيلِ أَمْرٌ حَاجِبَتُهُ ، وَنَصْبُهُ لِلزَّحْمَةِ عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَجَعْلُهُ الْوَسِيطَ وَالسَّفِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 خَوَاصِّ دَوْلَتِهِ ، وَقَدْ وَثِقَ يُمِّنُ نَقِيَّتِهِ ، وَأَطْلَعَ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ ، وَسَكَنَ إِلَى صِدْقِ
 طَاعَتِهِ ؛ وَعَرَفَ طَهَارَةَ جَبِيهِ ، وَسَلَامَةَ غَيْبِهِ ؛ وَصِدْقَ لَهْجَتِهِ ، وَحَصَافَةَ أَمَانَتِهِ ؛

(١) فِي الْأَصُولِ أَرْبَاطٌ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى فِعْلِهِ فَيَا بَايَدِينَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ .

(٢) أَيْ الدَّفْعَ وَالذَّبَّ يُقَالُ زَحَمْتُهُ عَنْهُ أَيْ دَفَعْتُهُ أَنْظَرَ الْمَصْبَاحَ .

وَاعْتِمَادَهُ لِلْحَقِّ فِيمَا يُورِدُ وَيُصْدِرُ ، وَيُنْهِي وَيُجِيبُ ، وَابْتِلَاهُ فَعَرَفَ طِيبَ طَعْمَتِهِ ، وَخِفَةَ وَطْأَتِهِ ، وَرَأْفَتَهُ بِالضَّعِيفِ الْمَهْضُومِ ، وَغَاظَتَهُ عَلَى الْعُسُوفِ الظَّلُومِ ؛ [فَرَأَى] أَنْ يُجِلَّهُ مَحَلَّ مَنْ لَا يَغِيبُ عَمَّا شَهِدَهُ ، وَلَا يَرْتَابُ بِمَا سَمِعَهُ ، عَلَى أَنَّ الْمَهْنَأَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ يَجِدُّهَا اللَّهُ لَدَيْهِ ، وَسَعَادَةٍ يُسَبِّغُهَا عَلَيْهِ ؛ [وَلَوْ أَنْصَفْتُ] لَسَلَكْتُ مِنَ الصَّوَابِ سَنَاءً ، وَأَعْتَقَدْتُ جَمِيلًا حَسَنًا : لَا اسْتِشْعَارِي بِالْأَنْفَسِ مِنْ لَبُوسِ سِيَادَتِهِ ، وَتَحَلَّى بِالْأَنْصَعِ مِنْ عُقُودِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ رِعِيَّتُهُ أَجْدَرَ أَنْ تُهَنَّا بِوِلَايَتِهِ ، وَتَعْرِفَ قَدْرَ مَا لَهَا مِنَ الْحِظِّ فِي نَظَرِهِ ، فَأَنَا أَعْدِلُ مِنْ هُنَائِهِ إِلَى الدُّعَاءِ لَهُ بِأَنْ يَبَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِيمَا قَلَّدَهُ ، وَيُوقِّعَهُ فِيمَا وَلَّاهُ وَيُسَدِّدَهُ ؛ وَيُلْهِمَهُ أَدْخَالَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ ، وَآكْتَنَازَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ، وَالْهِدَايَةَ إِلَى سَنَنِ الْإِسْتِقَامَةِ ، وَمَا عَادَ بِحُجَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ ؛ وَإِنْ هَاضَمَهُ فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْعَمَلِ مِنْ طَاعَتِهِ بِمَا يُزِلُّفُ فِي الدُّنْيَا وَالْدِينِ ؛ وَاللَّهُ يُسْتَجِيبُ فِي الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ هَذَا الدُّعَاءَ وَيَسْمَعُهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ وَيَرْفَعُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصفحة الخامسة - التهنية بولاية القضاء .

التهنية بذلك من كلام الأقدمين :

تهنية من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردتها في "مواد البيان" وهي :
أَوَّلَى الْمَنَحِ أَنْ يُتَفَاوَضَ شُكْرُهَا وَالتَّحَدُّثُ بِهَا ، وَيُتَقَارَضَ حَمْدُهَا وَالْقِيَامُ بِوَاجِبِهَا ؛
نِعْمَةٌ شَمِلَتْ عِطَافُهَا ، وَعَمَّتْ أَطَافُهَا ؛ وَأَشْرَكَ النَّاسُ فِيهَا أَشْرَكَ الْعُومِ ، وَحَلَّتْ مِنْهُمْ فِي النِّفَعِ مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُومِ . وَهَذِهِ صُورَةُ النِّعْمَةِ فِي وِلَايَةِ قَاضِي الْقَضَاةِ
- أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ إِثْبَاتِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَأَنْحِسَارِ الْجَوْرِ وَالْإِجْحَافِ ، وَأَعْتِلَاءِ الْحَقِّ وَظُهُورِهِ ، وَأَخْتِلَاءِ الْبَاطِلِ وَثُبُورِهِ ؛ وَعِزَّ الْمَظْلُومِ وَإِدْلَالِهِ ، وَذُلَّ الظَّلُومِ وَإِدْلَالِهِ ؛ وَتَمَكِينَ الْمَضْعُوفِ وَأَقْتِدَارِهِ ، وَأَنْخِزَالِ الْعُسُوفِ وَأَقْتِسَارِهِ .

وإن هَنَأْتُهُ حرس الله علاه بموهبة أتى بارقها بجميل الثناء ، وجزيل الجزاء ؛ قد ناء من تحملها بياض الشيء ومتعبه ، وقام من سئله بكل الأدب ومنصبه ، عدلت عن الأمثل وضللت عن الطريقة المثلى ؛ لكنني أهنئه خصوصاً بالموهب المختصة به اختصاص أطواق الحمايم بأعناقها - والمناقب المظيفة به إطفاء كواكب السماء بنطاقها ، في أن ألف الله القلوب المتباينة على الإقرار بفضله ، وجمع الأفئدة المتنافية على الاعتراف بقصور كل محل عن محله ، وجعل كل نعمة تسبغ عليه ، ومنة تسدى إليه ؛ موافقة الآمال والأمانى ، مفضية للبشائر والتأني : لأن من أحب الحق وآثره ، وليس الصدق واستشعره ؛ ينطق بلسان الإرادة والاختيار ، ومن تركهما وقلاهما ، وخلعهما وألقاهما ، ينطق بلسان الافتقار والاضطرار - والخصائص التي هو فيها نسيح وحده ، وعطر يومه وغده - والمحاسن التي هي أناسي عيون الزمان ، ومصابيح أعيان الحسن والإحسان . ثم أعود فأهنئه عموماً بالنعم المشتركة الشمول ، الفضفاضة الذبول ؛ التي أقرت القضاء في نصابه ، وأعادت الحكم إلى وطنه بعد تجعته وأغترابه ؛ وأعلتهما في الرتبة الفاضلة ، وقدعت بهما أنف الذروة العاليه . وأرفع يدي إلى الله تعالى داعياً في إمداد قاضي القضاة بتوفيق يسدد مراميه ، ويرشد مساعيه ؛ ويهدب آراءه ويصححها ،^(١) ويبلغ أحكامه ويوضحها ؛ ويخلد عليه النعمة خلودها على الشاكرين ، ويصهر بحسن العقبي في الدنيا والدين ؛ وهو سبحانه يتقبل ذلك ويرفعه ، إن شاء الله تعالى .

تهنئة بذلك ، من كلام أهل العصر :

تهنئة من ذلك : أوردتها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه "زهر الربيع في الترتل البديع" وهي :

(١) في الأصل ويفخمها وهي تصحيف لا يناسب المقام .

أَفْعَدَ اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ ، وَشَكَرَ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ؛ وَخَلَّدَهُ نَاصِرًا لِلشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
وَأَدَامَهُ ، وَجَدَّدَ سَعْدَهُ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ ؛ وَجَعَلَهُ الْمُسْتَرِشِدَ وَالْمُقْتَنِيَّ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالرَّاشِدَ
وَالْمُسْتَنْجِدَ وَالْمُسْتَنْصِرَ وَالنَّاصِرَ وَالْعَاضِدَ ، وَالْحَاكِمَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ (١)
مِنَ الْقَضَاةِ الثَّلَاثَةِ الْوَاحِدَ .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ تَبْكًا بِتَقْبِيلِهَا ، وَأَدَاءً لَوَاجِبِ تَعْظِيمِهَا وَتَبْجِيلِهَا ؛ وَيَهْتَبُ
الْمَوْلَى بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُضَاعَفَةِ نَفَازِ كَلِمَتِهِ وَرَفْعِ مَرْتَبِهِ ، وَإِمَاءِ أَحْكَامِهِ
الشَّرِيفَةِ وَأَفْضِيَّتِهِ ؛ وَتَقْلِيدِهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ، وَتَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِ ؛ وَيَهْتَبُ
بِالْمَوْلَى مَنْ رُدَّتْ أُمُورُهُ إِلَيْهِ ، وَعُوِّلَ فِي مِلَاحِظَةِ مَصَالِحِهِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ مَوْلَانَا مَازَالَ
بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَشْهُورًا ، وَسَعِيهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ سَعْيًا مُشْكُورًا ، وَيَقْظُهُ مَوْلَانَا
جَدِيرَةٌ بِزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ ، وَالْإِحْتِيَاطِ التَّامِّ ؛ بِمِلَاحِظَةِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ وَالْمُسْتَغْلِلِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ
وَالْمُدْرِسِينَ ؛ وَسَبْرِ أحوَالِ التُّوَابِ ، وَأَنْ لَا يَكْفِيَهُ الْإِعْتِدَادُ عَلَى حَسَنِ الْبِرَّةِ وَطَهَارَةِ
الْأَثْوَابِ ؛ بَلْ يُنْعَنُ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ النَّظَرُ ، وَيُلَاحِظُ كَلَامَهُمْ إِنْ غَابَ
عَنْ مَجْلِسِهِ أَوْ حَضَرَ ؛ فَمَنْ رَأَاهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا يَقْرَبُ
إِلَّا بِالتِّيْ هِيَ أَحْسَنُ مَالِ الْيَتِيمِ ؛ فَيَحَقِّقُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ أَمَلًا ، وَلَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ حَرَسَ اللَّهُ الْمَوْلَى وَمَتَّعَ بِحَيَاتِهِ ، وَأَعَادَ عَلَى الْكَافَّةِ بَرَكَةَ صِيَامِهِ الْمَقْبُولِ
وَصَلَاتِهِ ؛ وَنَفَعَ الْإِسْلَامَ بِمُسْتَجَابِ دَعَوَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصَّنْفُ السَّادِسُ — التَّهْنِئَةُ بِوِلَايَةِ الدَّعْوَةِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلُوكَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، بِالْأَمَارِ الْمَضْرُوبَةِ ،
ذِكْرُ مَوْضُوعِهَا وَعُلُوُّ رُتَبَتِهَا عِنْدَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا حِفْظًا لِلأَصْلِ وَلِإِحْتِمَالِ وَقُوعِهَا .

(١) بَيَاضٌ بِالأَصْلِ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ وَلَعَلَّهُ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْقَضَاةِ الْخ .

تهنئةٌ من ذلك : من إنشاء عليّ بن خلف ، أوردها في "موادّ البيان" وهي :

أطال الله بقاء داعي الدعاة لصباح من الرحمة يُبلّجه ، وطريق من الحكمة يُظهر
 بيانه ، وليل من السنة ينزع طيلسانه ، وحرسه على الإيمان يُجَدِّد ما أخلق من بروده ،
 ويُنظِّم ما وهى من عقوده ؛ وعلى المؤمنين يفتح لهم أبواب الرّشاد ، ويهيم إليهم سماء
 الإفادة والإمداد . ولا زالت الحقائق مقصودةً منه بالميزّة التي رتّبتها لحفظ مبانيها ،
 وأهله للعبرة عن معانيها ؛ حتى يرقّوها في الأخلاق ، ويمحو بهارِسوم العناد ، وينشر
 بُسرّها في الآفاق والبلاد . أنا أعِدُّل عن هَنا داعي الدعاة - أطال الله بقاءه -
 بمأدق به من أمر الدعوة الهاديّة العلوّية ، ونُصب له من قرّ مضاحك المُشكلات
 عن أسرار الحقائق الإلهيّة ، والترجمة عن غوامض الحكم الشرعيّة ، والتوقيف على
 مَوارد الهدى ومشارعه ، والإرشاد إلى مشارق الحق ومطالعها ؛ إلى هَنا الدعوة
 وأهلها بما قيضه الله تعالى لهم من محمّله الرفيع الذي ألحقه العقل نحو هذا الكمال ،
 ووطّأ له مدارج الترقّي والاتّصال ؛ فشَفَّتْ نفسه وشَرُفَتْ ، وتطلّعت على عالم الملكوت
 وأشرُفَتْ ؛ وجنّى بيد التّبيصرة ثمار الحكمة ، وأستنزل بمنزل الموادّ غيوث النعمة ؛
 وجرّد الضّياء من الظلام ، تجريد الأرواح من الأجسام إلى دار السلام ؛ وأسَمَدَ
 بلطيفته موائد علوم عالم اللّطافة ؛ وأمدّ بمركّب ألفاظها تحاكم الكافّة ، وحلّ في الغبراء
 محلّ الغراء في الخضراء ، إن أوصحت سبيل سائرٍ يجنب طريق جائرٍ توصّل بنزوعها
 غاشية إظلام ، حُسِرَ عن الحق قناع إيهام ، أوفعلت^(١) في الجواهر زيادة وثمرة (؟)
 أخذت تعاديا (؟) فأدلتّه للهمم العاملة شرفاً وسمواً ؛ لما أعلّى بذلك من قدرها وقدرهم ،
 وطيب من ذِكْرها وذِكْرهم ؛ وأعطى إلى الدعاء لداعي الدعاة بأن يجعل الله تعالى

(١) كذا في الأصلين ولم نهند إلى تنقيفه تأمل .

مأخوذه من هذه الرئاسة راهناً لا يُرتجع ، وما تؤله من هذه السيادة مستقراً لا يُترع ؛ وأن يؤيده بالتوفيق ، ويُعبد له مناهج التحقيق ؛ ويُطلق لسانه بالبيان ، ويُمدّه بروح منه في نصرة الإيمان ؛ وقد حتم الله تعالى بإجابة داعيه ، ولا سيما داعي الدعاة [فإنه] جدير بأن يُجّاب الدعاء فيه ، إن شاء الله تعالى .

قال في ” موادّ البيان “ : وإنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ ، لأن ألفاظ هذا الداعي يجب أن تكون مشتقة من ألفاظ الدعوة ، مناسبة لمذهبها ؛ ولولا ذلك لأغنى عنه مثال تهنته قاضي القضاة ؛ ومن تأملهما عرف ما بينهما من الفرقان .

الصنف السابع — التهنته بالتقدمة على الرجال .

رُقعة من ذلك :

[من حلّ] محلّ سيدى — أطال الله بقاءه — من السؤدد الناطق الشواهد ، المنتظم المعاهد ؛ المتضارِع الطارِف والتالِد ، المتتِل في الولد عن الوالد — والحمد الذى قَصَرَ عن مُطاولته الطراز الأول ، وتطأ طأله الإنعام المحوّل ، وحاز ماحازه من شرف الرئاسة ، وفضل السّياسة ، والاستقلال بحقوق ماتولاه ، وتسدّد ماتوله واستكفاه ؛ فتشوّفت إليه أعلى الرّتب ، وتشوّقت إليه المنازل السّنية من كُتب — خطبته العُلا سائقة عنه مهرها ، وتطامنّت له موطنه ظهّرها ؛ فلم يَكْثُرْ له أن يتقدّم على [أهل] عصره فضلاً عن قبيلته ، ويتأمرّ على جميع نوعه فضلاً عن طائفته : لأنه المقدم عليهم بالرتبة والطّبع ، لا بالأصطلاح والوضع ؛ فشكر المملوك الله تعالى على بُزوغ هلاله وإبراقه ، وطُلوعه لميقات العز وتنفّاقه ؛ وسأله أن يجعل ما أقرّ العيون من سيادته ، وحقّق الظنون في سعادته ؛ خالداً راهناً ، ومقيماً قاطناً ؛ وأن يزيد من السعادة ، ويرقيه كلّ يوم في درج السيادة : لتكون هذه الرتبة على امتناع مرّقبها ، وأرتفاع

مركبها ؛ أول درجة تحطّأها ، ومنزلة قرعها وعلاها ؛ ثم لا يزال راقيا فيما يتلوها حتى
يحتذى بكواكب الجوزاء ، ويطحّودارة على الحلفاء ، مهتأ غير منغص ، ومزيدا غير
منقص ؛ والله تعالى يجب هذه الأدعية الواقعة مواقعها ، والمستحقّات الموضوعّة
مواضعها .

الصنف الثامن - التهئة بولاية الديوان .

رُقعة من ذلك :

وَيُنْهَى أَنْ مِنْ حَلٍّ مَحَلٍّ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ رَافِلًا فِي بُؤْسِ السَّعَادَةِ ،
مَتَحَفَّلًا بِسُلُوسِ السِّيَادَةِ ؛ مَتَنَقَّلًا فِي رُتَبِ الْمَجْدِ ، مَتَوَقِّلًا إِلَى غَدِنِ الْحَدِّ ؛ مَسْتَوِيلًا
عَلَى شِعَابِ الْعُلَا ، مَتَمَكِّنًا مِنْ رِقَابِ الْأَعْدَاءِ - فِي الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، وَالْمَعْرِفَةِ
بِحَقُوقِ الْإِصْطِفَاءِ وَالْأَصْطِنَاعِ ؛ وَرَفْعَةِ مَذْهَبِهِ عَلَى الْكِفَايَةِ وَالْغَنَاءِ ، وَالنَّهْوِ بِثَقِيلِ
الْأَعْبَاءِ ؛ خُطْبَتِهِ التَّصَرُّفَاتِ حَامِلَةً عَنْهُ صَدَاقُهَا ، وَتَشَوُّفَتِهِ الْوَلَايَاتُ مَادَّةً إِلَيْهِ أَعْنَاقُهَا ؛
وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مَا جَدَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَعَادَتِهِ ، وَأَنْجَزَهُ مِنْ مَوَاعِيدِ سِيَادَتِهِ ، الَّتِي
كَانَتْ وَاضِحَةً فِي مَخَائِلِ فَضْلِهِ ، لَأُثْحَجَ فِي دَلَائِلِ نُبْلِهِ ، مَكْتُوبَةً فِي صَفَحَاتِ الْأَقْدَارِ ،
مَرْقُومَةً بِسَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى بَيَاضِ النَّهَارِ ؛ فَحِذِلِ الْمَمْلُوكُ بِذَلِكَ ، جَذَلِ الْحَمِيمُ الْمُشَارِكُ ،
وَسُرَّ بِهِ سرورَ الْخَلِيطِ الْمُشَايِكِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِي تَوَلَّاهُ مَوْلَانَا وَجَدَ [فِيهِ] خَلَا
فَرَقَعَهُ ، وَخَوَّلَا فَرْعَهُ ؛ بَلْ لِأَنَّ الْحَقَّ غَالِبَ الْحِظِّ فَعَلَبَهُ ، وَالْوَاجِبَ سَالِبَ الْمُحْكِنِ
فَسَلَبَهُ ؛ وَأَنَاخَ رِكَابَ الرِّيَاسَةِ فِي الْحِلِّ الْخَصْبِ الَّذِي يَحْمَدُهُ وَيَرْضِيهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَتَفَضَّلُ عَلَى رِعْيَتِهِ ، الْمُتَوَطِّئِينَ بِفَاضِلِ سِيَاسَتِهِ ، مِنْ حِبَائِهِ وَلُطْفِهِ ، وَرَأْفَتِهِ وَعَظْفِهِ ، بِمَا
يُسَيِّغُ عَلَيْهِمْ ظِلَالَ الْعَدْلِ ، وَيَقْلِّصُ عَنْهُمْ سُدُولَ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وكتبتُ للقرّ البدرى محمود الكلستانى الشهير بالسراى مهتئاً له باستقراره
فى كآبة السرّ الشريف بالديار المصرية فى الدولة الظاهرية « برقوق » فى سلطته الأولى :

رَفَعْتَ لِلْجِدِّ مُدًى وَلَيْتَ بُنْيَانًا * وَشَدْتَ لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَهْنِ أَرْكَانًا !
وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ فِي زَهْوٍ وَمَالِكُهُ * يَمِيسُ مُعْجَبًا ، وَهَنَّا التَّخْتُ إِيوَانًا !
قَدِمْتَ مِصْرًا فَامْسَتْ مِنْكَ فِي فَرِهِ * تَهْزُ بِالْبِشْرِ مِنْ لُقْيَاكَ أُرْدَانًا !
وَعُودِرَ النَّيْلِ مُدًى وَاقَيْتَ مُبْتَهَجًا * وَقَدْ رَمَى الصَّدُّ وَالْإِبْعَادُ جَيْحَانًا !
أَلْفَاظُكَ الْغُرُ صَارَتْ لِلرُّورَى مَثَلًا * وَكُتِبُكَ الزَّهْرُ بَعْدَ اللَّثْمِ تَيْجَانًا !
تَفُوقُ قُسًا إِذَا تَبَدُّو فِصَاحَتُهَا * وَتَفْضُحُ الْمِصْقَعَ الْمَلَّاقَ سَحَابَانًا !
قَدْ أَغْمَتْ فِي مَجَازَاتٍ بِلَاغَتُهَا * تُرْكًا وَرُومًا وَبَعْدَ الْفُرْسِ عُربَانًا !
كُلُّ الْمَوَالِي إِذَا وَلَّوْا فَلَا أَسْفَ * إِذْ أَنْتَ بَاقٍ ، وَيُنْقَى اللَّهُ مَوْلَانَا !
مَوْلَى بِهِ قَدْ تَشَرَّفْنَا وَجَمَلْنَا * بِوَجْهِهِ ، وَلِذِكْرِ الْقَوْمِ أَنْسَانَا !

الصنف التاسع - التهئة بولاية عمل .

أبو الفرج البغاء :

عَرَفَ اللهُ سِيدِي بَرَكَةً هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، بَنِيْلَ نَظَرِهِ الْجَمِيلِ ، وَحَمِيدِ أَثَرِهِ
الْمَحْرُوسِ ؛ وَتَنَاصَرُ سِيَاسَتُهُ الشَّرِيفَةُ بِسِمَةِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَوَفَّقَ رِعْيَتَهُ لَشُكْرِ مَاوَلِيَّهَا مِنْ
فَائِضِ عَدْلِهِ وَمَحْمُودِ فِعْلِهِ ؛ فَالْأَعْمَالُ مِنْهُ - أَيْدِىَ اللَّهِ تَعَالَى - بِالْتَّهْنَةِ أَوَّلَى ، وَبِالتَّطَاوُلِ
بِمَا شَمِلَهَا مِنْ بَرَكَاتٍ تَدْبِيرِهِ أُخْرَى ؛ وَاللَّهُ بِكَرَمِهِ يَسْمَعُ فِيهِ صَالِحَ الدَّعَاءِ ، وَيَبْلُغُهُ أَبْلَغَ
مُدَدِ الْبَقَاءِ ، فِي أَسْبَغِ نِعْمِهِ ، وَأَرْفَعَ مَنَزِلِهِ ، وَأَصْدَقَ أَمْنِيَّتِهِ ، وَأَنْجَحَ طَلِبَةَ بَمْنِهِ .

وله في مثله :

لولا ما يَشْرِكُ التَّهَانِيَّ من بركات الدُّعاء الذى أَرْجُو أَنْ يَسْمَعَ اللهُ فِىكَ صَاحِلَهٗ ،
وَيُجِيبَ أَحْسَنَهٗ ، لأَجَلَنَّكَ عن التَّهْنِئَةِ بِمَسْتَجِدِّ الأَعْمَالِ ، وَمَسْتَحْدَثِ الوِلَايَاتِ ،
لِقُصُورِهَا عن أَسْتِحْقَاقِكَ ، وَأَخْطَاطِهَا وَإِنْ جَلَّتْ عن أَيْسَرِ وَاجِبَاتِكَ ، وَتَعَجَّلِهَا
بِأَثَوْرِ كَفَايَتِكَ ، وَبَرَكَاتِ نَظَرِكَ ، وَمَوَاقِعِ إِنْصَافِكَ . فَهَنَّاكَ اللهُ نِعْمَةَ الْفَضْلِ الَّتِي
الْوِلَايَةُ أَصْغَرُ آلَاتِهَا ، وَالرِّيَاسَةُ بَعْضُ صِفَاتِهَا ، وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ مَوْهَبَةٍ مُجَدَّدَةٍ ،
وَمِنْحَةٍ مُؤَبَّدَةٍ .

وله في مثله :

سِدى - أَيْدِ اللهُ - أَرْفَعُ قَدْرًا ، وَأُنَبِّئُ ذِكْرًا ، وَأَعْظُمُ نَبْلًا ، وَأَشْهَرُ فَضْلًا ، مِنْ
أَنْ تُهْنِئَهُ بِوِلَايَةٍ وَإِنْ جَلَّ خَطَرُهَا ، وَعَظُمَ قَدْرُهَا ، لِأَنَّ الْوَاجِبَ تَهْنِئَةُ الأَعْمَالِ بِفَائِضِ
عَدْلِهِ ، وَالرَّعِيَّةَ بِمَحْمُودِ فِعْلِهِ ، وَالْأَقَالِمَ بِأَثَارِ رِيَّاسَتِهِ ، وَالْوِلَايَاتِ بِسِمَاتِ سِيَاسَتِهِ ؛
فَعَرَفَهُ اللهُ يَمُنَ مَا تَوَلَّاهُ ، وَرَعَاهُ فِي سَائِرِ مَا اسْتَرْعَاهُ ، وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِيمَا يُعَانِيهِ ،
وَالْتَسَدِيدِ فِيمَا يُرِمُهُ وَيُمِضِيهِ .

الإجابة عن التَّهَانِيِّ بِالْوِلَايَاتِ

قال في "موادِّ البيان" : هذه الكُتُبُ إِذَا وَرَدَتْ ، وَجِبَ عَلَى الْمُجِيبِ أَنْ يَسْتَنْبِطَ
مِنْ كُلِّ كِتَابٍ مِنْهَا الْمَعْنَى الَّتِي يُجِيبُ بِهَا ، قَالَ : وَالطَّرِيقَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيهَا أَنَّ كِتَابَ
الْمُجِيبِ يَجِبُ أَنْ يَبْنَى عَلَى أَنَّ الْمَهْنَى قَسِيمٌ فِي النِّعْمَةِ الْمُتَجَدَّدَةِ ، وَشَرِيكَ فِي الْمُنْزِلَةِ
الْمُسْتَحْدَثَةِ ، وَأَنَّ الْحِظَّ الْأَوْفَرَ فِيمَا نَالَهُ الْمَهْنَى لِلْمَهْنَى وَبِرَكَّةِ دُعَائِهِ ، وَتَوَقُّعِهِ لِمَا يَرِدُ

من حاجاته وتبعاته لينفّذها ، نازلا على أخلص مخالصته ، وعاملا بشروط مودّته ؛ ونحو هذا مما يضارعه . فإن كان المحيّب رئيسا أو مرءوسا ، وجب أن يرتّب الخطاب على ما تقتضيه رتبة كلّ واحد منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وردت المشرقة الكريمة ، أتم الله على مرسلها نعمته ، وأعلى قدره ومزنته ؛ وجعل جناح العدا مخفوضا ، وعيشه في دعة وخفض ، وقدره للتمييز مرفوعا ، وعدوه للتقصير في آخطاط وخفض ؛ فتلقاها باليمين ، وظنها الريح الجنوب لما تجلته من رقة الحنين ؛ وعلم ما أبداه فيها من تفضلاته ، وأعترف بالتقصير عن مجاراته ومجازاته ؛ فشئت سمعه بالفاظ كأتهن اللؤلؤ والمرجان ، وبيتت البون الذي بينه وبين غيره تلك الفصاحة والبيان ؛ وقابل أياديّه بشكر لسانه ، وجازاه بحسن الدعاء عن إحسانه ؛ ولا يقوم بشكر فضله اللسان ولا الجثمان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ .

فأما ما أشار إليه من الهناء بالمكان الذي تولّاه ، وأبداه من المحبة التي اوجبت عليه أن يتوالاه ؛ فالله تعالى يُعينه على ما هو بصددّه ، ويعمل الحق والخير جارين على لسانه ويده ؛ ويرزقه اتباع محكم كتابه وسنة رسوله ؛ ويحصل له من الرشد غاية سؤله ومأموله ؛ فإن هذه الولاية صعبة المراس ، وجوادها كثير الشئاس ؛ لكن بركات المولى يحصل من الله الأرب ، ويسهل لأوليائه القصد والإسعاد والطلب ؛ أدام الله ظلّ المولى وأسعده ، وأوضح لديه طريق السعادة ومهده ؛ ومنحه من الألطاف الخفية أفضل ما عوده ؛ بمنّه وكرمه .

الضرب الثاني

(التهنئة بكرامة السلطان وأجوبتها)

وفيه ثلاثة أصناف :

الصنف الاول - التهنئة بالإنعام والمزيد ولُبس الخلع وغير ذلك .

من كلام الأقدمين :

وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مَا أَهَّلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ مَوْلَانَا لَهُ : من المحلِّ السَّيِّئِ ،
وَالْمَكَانِ الْعَلِيِّ ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ ، مَتَشَوِّفًا إِلَيْهِ ؛ نَافِرًا عَنْ كُلِّ خَاطِبٍ سِوَاهُ ،
جَاحِحًا عَلَى كُلِّ رَاكِبٍ إِلَّا إِيَّاهُ ؛ فَأَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَ الْمَمْلُوكِ بِذَلِكَ لِصَدَقَ ظَنُّهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ
مَا أَصَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْمُنْزِلَةِ الْمُتَنِيفَةِ ، وَالرُّتْبَةِ الشَّرِيفَةِ ؛ مَدْرَجَةً تُقْضَى
إِلَى مَدَارِجَ ، وَمَعْرَجَةً تَنْتَهِي إِلَى مَعَارِجَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ مَعَالِيَهُ عُلُوقًا ، وَيُضَاعِفُ
مَحَلَّهُ سُمُوعًا ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه - وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ نَبَأُ الْمَوْهَبَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ لَدَيْهِ ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْتَبَغَةِ
عَلَيْهِ ؛ وَمَا أَخْتَصَّ بِهِ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ وَالْإِيثَارِ ، وَالْأَجْتِبَاءِ وَالْإِخْتِيَارِ ؛
وَتَقْدِيمِهِ لِلرُّتْبَةِ الْأَعْلَى ، وَالْإِنَافَةِ إِلَى الْمُنْزِلَةِ الْخَطِيرَةِ ؛ فَسَرَّ الْمَمْلُوكُ لِلرِّيَاسَةِ إِذَا أَحْلَاهَا
اللَّهُ تَعَالَى فِي مَحَلِّهَا ، وَأَنْزَلَهَا عَلَى أَهْلِهَا ؛ وَوَصَلَهَا بِكُفِّهَا وَكَافِيهَا ، وَسَلَّمَ قَوْسَهَا إِلَى رَامِيهَا ؛
وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ أَوَّلَ مِرْقَاةٍ مِنْ مَرَاقِي الْأَمَالِ ، وَمَكِينِ الرُّتَبِ الَّتِي يَقْرَعُهَا
مِنْ رُتَبِ الْجَلَالِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

أدام الله أنصاره، وجعل التقوى شعاره؛ وألبسه من الحماد أكرم حلّه، وتولّه من المكارم أحمد خله؛ ولا زالت الخلع تتشرف إذا أفيضت عليه، والمدائح تُستطاب بذكره لاسيما إذا أنشئت بين يديه .

الخادمُ يُنهي إلى علم المولى أنه أتصل به خبر أهدى إليه سُرورا، ومنحه بهجةً وجُورا : وهو ما أنعم به المولى السلطانُ خلد الله سلطانه، وضاعف إحسانه : من تشریفه بخلفته ، وما أسبغه عليه من وارف ظله ووافر نعمته ، وأبداه من عنايته بالمولى ومحبتّه ؛ وقد حصل له من المسرة ما أجذله ، وبسط في مضاعفة سعد المولى أمله ؛ فإنه بلغه أن هذه الخالعة كالرياض في نضارتها ، وحسن بهجتها ؛ وأنها كلما برقت برق لها البصر، وظنّها حسنها حديقة وقد حذق إليها النظر ؛ وقد جمعت ألوان الأزهار، وأزبى نائجها في اللطف على نسمة الأسحار ؛ وأسكنت حبها حبات القلوب التي في الصدور، وسمت عن المدح برائق المنظوم وفائق المنثور ؛ وأن ابن سليمان^(١) لو رآها، لاعترف بأن في لبسها لكل قبيح شرفا لا ريب فيه، ونسب البيت المنسوب إليه إلى أعاديه ؛ وأنه لو نظر نظرة نضارها لما جعل لها في الحسن نظيرا، ولو ألقاها على وجهه لأرتد لوقت بصيرا ؛ فلذلك أصدر هذه الخدمة مهنية، ومغربة عما حصل له من الفرح ومنية ؛ ولجيد مدحه العاطل من مثل هذه الألفاظ تحليه ؛ تولّه الله في كل يوم مسرة وبُشرى، وأجرى له على الألسن حمدا وشكرا ؛ وجعله لكل خير أهلا، وشكره تفضلا شاملا وفضلا ؛ ومتعه من العافية بلباس لا يلى ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) مراده أبو العلاء المعري أحمد بن سليمان .

الصف الثاني - التهنئة برضا السلطان بعد غضبه .

من ذلك :

وتُنهي أنه أتصل بي ماجده الله تعالى لمولاي - أطال الله بقاءه - من حسن عاطفة مولانا أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - وأنعطافه عليه بعد أنصرافه ؛ وإعادته إلى رتبته التي نشرته عنه دلالة ملالا ، وهجرته هجر المستصليح المستعيب ، لا هجر العالي المتجنب ؛ وكيف تفلاه ، وهي لا تجد لها كفوًا سواه ؛ ولتوقع المملوك بما وقع من هذه الحال ، وعلمه أن عودها إليه كعودة المودع [إلى مودعه ،] لا عودة المتجع إلى مربعه ؛ وأن الذي وقع من الانحراف إصلاح باديته تهذيب وتقويم ، وخافيه توقير وتعظيم : لما في عتاب أمير المؤمنين من شرف الرتبة ، والدلالة على استقرار الأثرة والقربة ؛ وحلولة محل الصقال ، من أبيض النصال ، والثفاف من العسال ؛ ولا سيما رياسته محفوظة ، وسيادته ملحوظة ؛ وهيبته في النفوس ماثلة ، وجلالته في القلوب حاصلة ؛ ولم ير المملوك أجل موهبة من الله سبحانه من شكر يسترهن هذه النعمة ويحلدها ، وحمد يرتبطها ويقيدها ؛ ورغبت إلى الله سبحانه أن يجعل هذا العز الحادث لنا لا يتحول ، والسعد الطارف ما كنا لا ينتقل ؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهي أن من عادة الزمان أن يكف صحابه ثم يكف ، ويرف نبائه ثم يهين ؛ ويدر حله ثم يقطع ، ويقبل خيره ثم يرتجع ؛ إلا أنه إذا سلب النعمة من يستوجب إمرارها عليه ، وأترع الموهبة من يستحق استمرارها لديه ؛

(١) لعل الواو زائدة ويكون متعلق باللام في قوله « ولتوقع » الخ تأمل .

كَانَ كَالْغَالِطِ الَّذِي يُرَاجِعُ نَفْسَهُ فَيَنْدُمُ عَلَى مَا فَرَطَ ، وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الْغَلَطَ ؛
مُعْقِبًا نَبَوْتَهُ بِإِنَانِيَّتِهِ ، مُتَعَقِّبًا هَفْوَتَهُ بِاسْتِقَالَتِهِ ؛ مَاحِيًا إِسَاءَتَهُ بِرَأْبِ مَا نَلِمَ ، وَأَسْوِ مَا كَلَّمَ ؛
وإِصْلَاحَ مَا أَفْسَدَ ، وَتَأْلِيفَ مَا شَرَّدَ . فَلَا جَرَمَ أَنَّ النُّفُوسَ بِإِقْبَالِهِ عَلَى مَنْ هَذِهِ
صِفَتُهُ وَائِقَهُ ، وَالْأَمَالَ لِانْصِرَافِهِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صَوْرَتُهُ مُتَحَقِّقَةً ؛ وَإِذَا سَلَبَهَا هَرَوَلُ
فِي إِيدَاعِهَا لَدَيْهِ ، وَأَخَذَ [فِي] إِفَاضَتِهَا عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ الْمَمْلُوكُ - مُدَّ عَامِلَ الزَّمَانُ مُوَلَانَا
بُسُوءِ أَدَبِهِ ، وَنَأَى عَنْهُ بِجَانِيهِ ؛ وَقَبَضَ بِنَانِهِ ، وَغَيَّرَ عَلَيْهِ سُلْطَانَهُ - عَارِفًا أَنَّ هَذِهِ الْفَعْلَةَ
فَلْتَةٌ مِنْ فَلَاتِهِ الَّتِي يَتَوَقَّئُ شَرَّهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى مِثْلِهَا ؛ وَأَنَّ الْإِسْتِبْصَارَ ، يَقُودُهُ
إِلَى الْإِعْتِدَارِ ، وَالْإِضْطِرَّارِ ، يَحْدُوهُ عَلَى رَدِّ مَا أَنْتَرَعَهُ بِالْإِجْبَارِ : لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مِنْ يُجَلُّ
مَحَلَّ مُوَلَانَا فِي آرْتِبَاطِهِ بِإِنْسَانِهِ ، وَتَعَهُدِهِ بِسُقَى أَغْرَاسِهِ ؛ وَقِيَامِهِ بِسُكْرِهِ ، وَتَرْكِتِهِ بِبِرِّهِ -
مَتَوَقِّعًا لِأَن تَتَبَقَّظَ عَيْنُهُ ، وَيُنْكَشِفَ رَيْثُهُ ؛ فَيَرَى مَا صَبَغَتْ يَدَاهُ ، وَيَبَادِرُ لِاسْتِقَالَةِ
مَاجِنَاهُ ؛ حَتَّى طَرَقَ الْبَشِيرُ بِمَا سَهَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْحِسَارِ الْكُرْبَةِ ، وَعَوْدِ مُوَلَانَا إِلَى
شَرَفِ الرُّتْبَةِ ؛ وَصَلَاحِ مَا فَسَدَ ، وَعَوْدِ السُّلْطَانِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ إِلَى مَا عَاهَدَ ؛ وَرُكُونِهِ
إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَانْقِلَابِهِ عَنْهُ رَافِلًا فِي تَشْرِيفِهِ وَمَكْرَمَتِهِ ؛ فَكَانَ مَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكِ فِيهِ هِلَالًا
فِي السَّرَارِ فَأَهْلًا ، وَجَنِينًا فِي الْحَشَا فَاسْتَهْلَ ؛ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَمْلُوكِ مِنَ السُّرُورِ مَا عَمَّ
جَوَارِحَهُ ، وَعَمَرَ جَوَانِحَهُ ؛ وَأَطَارَ بِجَنَاحِ الْمَرْحَ ، وَالْبَسَ حُلَّةَ الْفَرَحِ ؛ إِذْ مَا جَدَّهِ
اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ يُحَلُّ بِهِ فِي الْعُمُومِ ، مَحَلُّ الْغَيْثِ السَّجُومِ ؛ لِأَنَّهُ حَرَسَ اللَّهُ
عِزَّهُ لَا يَسْتَأْثِرُ بِعَوَافِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، وَلَا يُكْرَهُ عَلَى عَطَايَاهُ يَدَهُ ؛ بَلْ يَمْنَحُ مِمَّا مُنَحَ ؛
وَيُؤَلِّى مِمَّا تَوَلَّى ، وَلَا يَضُنُّ بِمَالٍ وَلَا جَاهٍ ، وَلَا يَقْعُدُ عَنْ أَمَلِهِ وَرَجَاهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَجْعَلُ ذَلِكَ مِمَّا أَقْرَبَهُ الْعُيُونُ ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظُّنُونُ ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَهُ الْأَيَّامَ وَلَا تُبْلِيهِ ،
وَلَا تَزْوِيهِ الْحَوَادِثُ وَلَا تَوَثِّرُ فِيهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث — التهنية بالخلاص من الاعتقال .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جَدَّدَ اللهُ سَعْدَهُ ، وَضَاعَفَ جَدَّهُ ؛ وَأَنْجَحَ قَصْدَهُ ، وَأَعْدَبَ مِنْهَلَهُ وَوَرَدَهُ ؛ وَلَا أَنْفَكْتَ الْيَّامُ زَاهِيَةً بَبْقَائِهِ ، وَالْأَنْفُسَ مَسْرُورَةً بِأَرْقَائِهِ إِلَى رُتَبِ عِلْيَانِهِ . أَصْدَرَهَا تُفْصِحُ عَنْ شَوْقٍ يَعْجِزُ عَنْ سَوْفَةِ الْجَنَانِ ، وَيَقْصُرُ عَنْ طُولِهِ اللِّسَانِ ؛ وَسُرُورٍ تَزِيدُ حَتَّى أَبْكَاهُ ، وَلَا عَجْ بِمَشَاهِدَةِ طَلْعَتِهِ السَّعِيدَةِ أَغْرَاهُ ؛ وَتُهْنِيهِ بِمَا جَدَّدَ اللهُ لَهُ بَعْدَ الْأَعْتِقَالِ مِنَ الْفَرَجِ وَالْفَرَحِ ، وَمَنْ بِهِ بَعْدَ ضَيْقِ الْخَوَاطِرِ مِنَ الْإِتْبَاهِاجِ وَالْمَرْحِ ؛ فَهَذِهِ الْمَسْرُورَةُ مَاءٌ زَلَّالٌ بَرَدَ بِهَا الْأَوَّامُ ، وَإِنْعَامٌ عَامٌ ، حَمِدَ اللهُ عَلَيْهَا الْخَاصَّ وَالْعَامَ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَوَّضَهُ عَنْ مَأْتَمِ الْحُزْنِ بِمَأْتَمٍ مِنَ السُّرُورِ ، وَ[عَنْ] الْهَمِّ الْمَانِعِ عَنِ الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ بِإِنْشِرَاحِ الصُّدُورِ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ شَعَفَهَا حُبُّهُ وَشَغَفَهَا ، وَضَاعَفَ لَتَعْوِيْقِهِ أَسَاهاً وَأَسْقَهَا ؛ بِحَيْثُ أَعْتَرَى الْمَنَاطِقَ قَلْقٌ وَعَلَاها أَصْفِرَارٌ ، وَعُطِّلَتْ يَدُ كُلِّ غَانِيَةٍ مِنَ الْحُلِيِّ فَمَا ضَمَّهَا قُلُوبٌ وَلَا سِوَارٌ ؛ وَلَيْسَ الْخُطْبَاءُ حَزَنًا وَالْإِسْتِةَ الْحَايِرَ ، وَكَادَتْ لَغَيْبَتِهِ وَفَقْدَ آسِمِهِ تَنْدُبُهُ الْجَوَامِعُ وَتَبْكِيهِ الْمَنَابِرُ ؛ خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ ، وَسَهَّلَ لَهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

الأجوبة عن التهنية بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبة هذه الرِّقَاعِ مُودَعَةً مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَهْنَى - لِمَحَافَظَتِهِ عَلَى رُسُومِ الْمَوَدَّةِ وَقِيَامِهِ بِشُرُوطِ الْخُلَّةِ - مَا تَقْتَضِيهِ رَتَبَتُهُ وَرُتْبَةُ الْحُجُبِ ، وَأَنَّهُ مُشَارِكٌ لَهُ فِي مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ ، مُفَاوِضٌ فِي حَدِيثِ الْمَسْرَّةِ ؛ وَالتَّيْمُنُ بِالْإِعْدَاءِ ، وَنَحْوُ هَذَا مَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ عِنْدَ الْمُبْتَدِئِ بِالْهِنَاءِ ؛ وَيَضَعُهُ بِحَيْثُ وَضَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِمَنْ كَاتَبَهُ .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع : [جواب] هناء بخلة :

أدام الله علاءه ، وشكر آلاءه ، وضاعف سناءه ؛ وحيد منته التي أثقلت لكل
معتف ظهراً وخففت همّاً ، وأنالت لكل ولي نصيباً من عوارفها وقسماً . المملوك
ينهى إلى العلم الكريم ورود المكاتبه التي كسنتها يده حلة جمال ، وألبستها ثوب
إفضال ؛ وأعدتها بكرمها ، وحسنت وجهها بلسان قلبها ؛ فأمطرته سحب جود
أربى على السحاب الهتون ، وأوقفته منها على ألفاظ كأمثال اللؤلؤ المكنون ؛ فأجتنى
ثمار الفضائل من أغصانها ، وأجتنى عروس محاسنها وإحسانها ؛ وفيهم ما أشار إليه
من التهنية بالخلة التي أنعم المولى بها على خادمه وتصدق ، وحقق الأمل في مكارمه ^(١)
وصدق ، وإنعامه خلد الله دولته ، وأعز نصرته ، قد كثر حتى أنجمه ، وميزه على
كثير من ممالك بيته العالی وفصله ؛ وأناله من المنزلة ما سماها على أمثاله ، ورفق بها
بعد رقة حاله ؛ فالحمد لله يخلد سلطانه ، ويثبت بالسعادة أركانه ؛ وهذا بسعادة مولانا
ومساعدته ، ومعاونته ومعاضدته : فإنه كان السبب في الاتصال ببابه أولاً وآخره ،
ومن أغاثه بذلك وأعاناه عليه باطناً وظاهراً .

وكل خير توخاني الزمان به * فانت باعته لي أو مسبيه

(١) في الأصول أتم الله بها خدومه ، ولا معنى له تأمل .

الضرب الثالث

(من التهانى التهتة بالعود من الحج)

وهذه نسخ من ذلك يُنسخ على منوالها .

فمن ذلك :

ويُنهى أنه طرَقَ المملوكَ البشيرُ بعود مولانا - أطال الله بقاءه - من مقام
الطائفين ، إلى مقام المعتفين ؛ وأوتيه من كعبة الإحرام ، إلى كعبة الإكرام ؛
وتثقله من موقف الحجّاج ، إلى موقف المحتاج ؛ وحلّوله بمنزله الذى هو قبلة ذوى
الآمال ، ومحطّ الرّحال ؛ بالسّعى المشكور ، والحجّ المبرور ؛ والنسك المقبول ،
والأجر المكتوب ؛ فخدمتُ الله تعالى على موهبته ، وسألته زيادته من مكرمته ؛
وأسْتَجَحْتُ هذه المكتبة أمام ما أرومّه من مشاهدته ، وأرجوه من الاستسعاد
بملاحظته ؛ وبرّد أوار الشوق بحاضرتّه ، ومجدّدًا عهود التّيمّن بمبايسته ؛ فإن آقتضى
رأيه العالى أن يُعرّف المملوكَ جملةً من خبره فى بذنه وعوده ؛ ومنقلبه ومتوجّجه ؛
وما تفضّل الله تعالى به من أمان سبيله ، وهداية دليله ؛ وتخفيف وعناء سفره ،
وتسهيل وطّره : لِأَسْكُنَ إلى ذلك إلى حين التّمثّل بنظّره ، فله الفضلُ فى ذلك .
والله تعالى يبلّغه سوله ، ويوصله مراده ومأموله ؛ بمنّه وكرمه .

ومن ذلك :

ويُنهى أن مولانا لا يزال حاجًّا إلى كعبة الحرم ، أو كعبة الكرم ؛ وطائفًا بشعائر
الوفود ، أو بشعائر الجود ؛ وواقفًا بموقف الاستفتاح ، أو موقف السماح ؛ وناحرَ
البُدنِ يَمْنَى ، أو ناطرَ البدرَ لُئْلَى ؛ فلا يرتفع فى حالٍ من الأحوال يرّه ، ولا ينقطع عن الله

تعالى ذكَّره ؛ وَمَنْ كَانَ بِهِذِهِ الْمَنَابَه ، فِي إِحْرَازِ الْأَجْرِ وَالْإِنَابَه ؛ فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ تَعْمَرَ
بِالْتَّهْنَةِ أَوْقَاتُهُ وَأَزْمَانُهُ ، كَمَا عَمَرَهَا سَعْيُهُ وَإِحْسَانُهُ ؛ وَقَدْ عَرَفَ الْمَمْلُوكُ أَنْكَفَاءَهُ
- أَدَامَ اللَّهُ عَلْوَهُ - عَنْ مَقَامِ الطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ ، إِلَى مَقَامِ الْقَاصِدِينَ وَالْمُعْتَفِينَ ،
وَعُودَهُ إِلَى مَنَزِلِهِ الْمَعْمُورِ ، بَعْدَ قَضَائِهِ فَرِيضَةَ السَّعْيِ الْمَشْكُورِ ؛ فَعَدَلْتُ فِي مَخَاطَبَتِهِ
عَنِ الْهِنَاءِ إِلَى الدَّعَاءِ بِأَنْ يَتَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى تُسْكَةً وَيَثْقَلَ مِيزَانَهُ ، وَيُطْلِقَ فِي حَلْبَةِ
الْخَيْرَاتِ عَنَانَهُ ؛ وَيُجَنِّمَهُ لِأَجْرِ يُخْرِزُهُ ، وَثَوَابٍ يَكْتَرُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِيبُ ذَلِكَ فِيهِ ،
وَيُرِيهِ فِي نَفْسِهِ وَأَحِبَّتَهُ مَا يَرْضِيهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ :

وَتُنْهِى أَنَّهُ قَدْ طَرَقَنِي الْبَشِيرُ بِأَنْكَفَاءِ مَوْلَانَا إِلَى مَقَرِّ عِلَائِهِ ، وَأَنْفِصَالِهِ عَنْ مَلَاذِ
النَّسَاكِ وَالْعِبَادِ ، إِلَى مَعَاذِ الزُّوَارِ وَالْقُصَادِ ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّ ذَلِكَ النَّسِيمَ الْعَلِيلَ مِنْ تِلْقَائِهِ ،
وَذَلِكَ النُّورَ الصَّادِعَ مِنْ آلَائِهِ ؛ وَذَلِكَ الْأَقْتَرَارَ مِنْ أَسْرَتِهِ وَتَحَايِلِهِ ، وَتِلْكَ الْعُدُوبَةَ
مِنْ شِمَيْهِ وَشِمَائِلِهِ ؛ فَكَادَ الْمَمْلُوكُ يَطِيرُ - لَوْ طَارَ قَبْلِي غَيْرُ ذِي مَطَارٍ - فَرَحًا ، وَأُخْرِقُ
الْأَرْضَ وَأَبْلُغُ الْجِبَالَ لَوْ أُمِكنَ ذَلِكَ مَرَحًا ؛ وَأَنْفَتَحَ قَلْبِي حَتَّى كَادَتْ مَهْجَتُهُ تَقِيضُ
سُرُورًا ، وَطَاشَ حِلْمِي حَتَّى تَفَرَّقَ مَجْمُوعُهُ بِهَجَّةٍ وَحُبُورًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ نِعْمَهُ
مَوْصُولَةً الْحَبْلِ ، مَجْمُوعَةً الشَّمْلِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْغَاءُ :

جَعَلَ اللَّهُ سَعْيَكَ مَشْكُورًا ، وَحُجَّكَ مَبْرُورًا ؛ وَتُسْكَكَ مَقْبُولًا ، وَأَجْرَكَ مَكْتُوبًا ؛
وَأَجَزَلَ مِنَ الْمُثُوبَةِ جَزَاءَكَ ، وَمِنْ عَاجِلِ الْأَجْرِ وَآجِلِهِ عَطَاءَكَ ؛ وَقَرْنَ بِالطَّاعَاتِ عَزَمَاتِكَ ،
وَبِالسَّعْيِ إِلَى الْخَيْرِ نَهَضَاتِكَ ؛ وَوَفَّقَكَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَزَكَاةِ الْأَفْعَالِ ، لِمَا يَجْمَعُ
كُلَّ خَيْرٍ الدَّارَيْنِ . وَلَمَّا طَرَقَنِي الْبَشَارَةُ بِقُدُومِكَ ، بَدَأْتُ بِإِهْدَاءِ الدَّعَاءِ ، وَتَجْدِيدِ

الشكر لله تعالى والثناء؛ وأستبنت في ذلك المكاتبه، أمام ما أنا [عازم] عليه : من المشافهة والمخاطبة ؛ ولن أتأخر عن حظي من المسير إليك للتيمن بالنظر إلى غرَّتكَ ، ومداداة ما عانيتَه من ألم الشوق بمشاهدتك .

الضرب الرابع

(من التهانى ، التهنته بالقُدوم من السفر)

من كلام المتقدمين :

على بن خلف :

ويُنهى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ خَبْرٌ تَوَجَّهَ^(١) إِلَى الناحية الفلانية ، فعَرَفَ الْمَمْلُوكُ أَنَّهُ قَصَدَهَا لِيُخَصَّ قَاطِنُهَا ، بِنَصِيبٍ مِنْ مَوَاهِبِهِ ؛ وَفِيضَ عَلَى سَاكِنِهَا ، بِجَلَالِ مَنْ رَغَائِبِهِ ؛ وَيَسَوَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ رَأَشَهُ بِجَبَانِهِ ، وَجَبَرَهُ بِنَوَافِلِهِ وَأَلَانِهِ ؛ فَسَأَلَتْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُطِيلَ عُمرَ الْمَسْكَرِمِ بِإِطَالَةِ بَقَائِهِ ، وَيَجْعَلَ شَمْلَ السُّودَدِ بِدَوَامِ عِلَاقَتِهِ ؛ ثُمَّ اتَّصَلَ بِى عَوْدُهُ إِلَى مَقَرِّهِ ، خَفِيفَ الْحَقَائِبِ مِنْ وَفَرِهِ ، ثَقِيلَهَا مِنْ شَتَائِهِ وَشُكْرِهِ ؛ فَعَمِدَ الْمَمْلُوكُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى إِسْفَارِ سَفَرِهِ عَنْ بُلُوغِ الْأَوْطَارِ ، وَأَنْخَسَارِ أَمْنِيَّتِهِ عَنْ أَذْيَالِ الْمَسَارِ ؛ وَمَا خَصَّ بِهِ مِنَ السَّيْرِ الشَّحِيجِ ، وَالسَّعْيِ النَّجِيجِ ؛ وَالسَّلَامَةِ الْمَفْرَقَةِ عَلَى الْوَجْهِهِ وَالْمُنْقَلَبِ ، وَالْمَفْتَحِ وَالْمَعْتَقَبِ ؛ وَلَمَّا عَرَضَ لِلْمَمْلُوكِ مَاقَطَعُهُ عَنْ مُشَافَهَتِهِ بِالْدَعَاءِ ، رَفَعَ يَدَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ضَارِعًا لَدَيْهِ فِي أَنْ يَتَوَلَّاهُ فِي هَذَا الْمَقْدَمِ الْمِيسُومِ ، بِالسَّعْدِ الْمَضْمُونِ ؛ وَإِنَالَةِ الْأَمَانِ الْمَقَرَّةِ لِلْعُيُونِ ؛ وَأَنْ يَمْنَحَهُ فِي الْحِلِّ وَالْتِرْحَالِ ، وَالْقَطْنِ وَالْإِتِّقَالِ^(٢) ، تَوْفِيقًا يَقَارِنُ وَيُصَاحِبُ ، وَيُسَايِرُ وَيُوَاكِبُ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا خَوَّلَهُ مِنْ نِعْمَةٍ رَاهِنًا خَالِدًا ، وَمَا أَوْلَاهُ مِنْ مَوَاهِبِهِ بَادِيًا عَائِدًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فى الأصل وجهته وهو تصحيف إذ الوجهة الناحية والجهة وهو غير مراد كما لا يخفى .

(٢) مصدر قطن فى كتب اللغة التى بأيدينا على قول لا على فعل .

وله أيضا :

وَيُنْهَى أَنَّهُ طَلَعَ عَلَيْهِ الْبَشِيرُ ، طُلُوعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ ؛ مُؤْذِنًا بِمَقْدَمِ حَضْرَتِهِ ، وَمُعَلِّمًا
بِظُهُورِ طَلْعَتِهِ ؛ وَحُلُولِهِ فِي مَعَانِهِ ^(١) الَّذِي هُوَ مَعَانُ الْإِقْبَالِ ، وَعَوْنُ الرِّجَالِ ؛ وَقِرَارُهُ
الْأَقْيَالِ ، وَمَحْطُّ الرِّجَالِ ؛ وَقَبْلَةُ الْجُودِ ، وَمُعَرَّسُ الْوُفُودِ ؛ فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُقَيِّمَهُ
جَمَالًا لِلْأَيَّامِ ، وَثِمَالًا لِلْأَنَامِ ؛ وَعِمَادًا لِلْقُصَادِ ، وَمَرَادًا لِلرُّوَادِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِيهِ
فِي تَصَرُّفَاتِهِ ، وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكِّنَاتِهِ ؛ مِنْ سَعَى سَعِيدٍ ، وَعَيْشٍ رَغِيدٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .
أَبُو الْفَرَجِ الْبَغَّاءُ :

مَنْ كَانَتْ غَيْبَةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةً بِغَيْبَتِهِ ، وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةً بِأَوْبَتِهِ ؛ سَافَرَتْ
الْأَنْفُسُ حَيْثُ كَانَ إِلَيْهِ ، وَقَدِمَتِ الْآمَالُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَالَتِ الْأَنْفُسُ
إِلَى الْأُمْنِيَّةِ بِقُرْبِهِ مَطْلَعُهُ ، وَلَوُرُودُ السُّرُورِ بِوُرُودِهِ مَتَوَقِّعُهُ ؛ إِلَى أَنْ أَنْسَتْ بَعْدَ
الْوَحْشَةِ بِإِلْقَائِهِ ، وَتَنَسَّمتُ أَرْجَ مَنْهُ وَتَعَانَيْهِ ؛ فَوَصَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، بِأَضْعَافِ
مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَهُ مِنَ السَّلَامَةِ ؛ مُحَرَّوسًا مِنْ طَوَارِقِ الْغَيْرِ ، مَبْلَغًا أَبْعَدَ الْعُمُرِ .
وله في مثله :

مَنْ كَانَتْ مَادَّةُ سُرُورِهِ ، بِمَغْيِيهِ وَحُضُورِهِ ؛ لَمْ يَجِدْ مَعَ بُعْدِكَ مُؤْنِسًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ ،
وَلَا عِوَضًا يَعُولُ فِي السَّلَوةِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَلَّتْ أَيَّامُ غَيْبَتِكَ - لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكَ -
بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا ، وَبِالسُّوقِ إِلَيْكَ مُجَالِسًا ؛ الْأَقِيكَ بِالْفِكْرِ ، وَأَشَاهِدُكَ بِاتِّصَالِ الذِّكْرِ ؛
إِلَى أَنْ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَوْبَتِكَ بِمَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَجَلَّتْ لَدَيْهِ مَعَهُ الْمَوْهَبَةُ ؛
فَوَصَلَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ نَهْضَاتِكَ ، وَبِالسَّعَادَةِ حَرَكَاتِكَ ، وَبِالتَّوْفِيقِ آرَاءَكَ وَعَزَمَاتِكَ ؛
وَحَرَسَنِي بِبَقَائِكَ وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَهَتَانِي النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ بِقُرْبِكَ .

(١) في القاموس واللسان « المعان المبالاة والمنزل » وأوردها في مادة م ع ن .

وله في مثله :

مَنْ كُنْتَ نِهَایَةً أَمْنِيَّتِهِ ، وَقُطِبَ مَسَرَّتُهُ ؛ كَانَ مِنْ نَفْسِهِ مَسْتَوْحِشًا مَعَ بُعْدِكَ ،
وَبَدَّهْرِهِ مَسْتَأْلَسًا مَعَ قُرْبِكَ ؛ وَمَا زِلْتُ مَعَكَ بِالنِّيَّةِ مُسَافِرًا ، وَبِالشَّوْقِ سَافِرًا ؛
وَبِالْفِكْرِ مَلَاقِيَا ، وَبِالْأَمَانِيِّ مُنَاجِيَا ؛ إِلَى أَنْ جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَ سُورِي بِأَوْتِيكِ ،
وَسَكَنَ نَافِرَ قَلْبِي بِعَوْدَتِكَ ؛ عَلَى الْحَالِ السَّارَةِ مِنْ كَمَالِ السَّلَامَةِ ، وَوُفُورِ الْكُلْفَةِ ؛
فَاسْمَعِدْكَ اللَّهُ بِمَقْدَمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ بِهَا مِنَ الزَّمَانِ مُحْرُوسًا ، وَلِلْإِقْبَالِ مُقَابِلًا ،
وَبِالْأَمَانِيِّ ظَافِرًا ؛ وَلَا أَوْحِشُ اللَّهَ مِنْكَ أَوْطَانَ الْفَضْلِ ، وَعَضَّدُ إِخْوَانَكَ بِبِقَائِكَ
وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَ الْقَلْبُ يَجِدُ عَنْكَ مُنْصَرَفًا ، أَوْ يَرَى مِنْكَ فِي آكِنَسَابِ الْمَسَرَّةِ خَلْفًا ؛
لَا سَتَرَاخَ إِلَيْهِ مِنْ أَلَمِ بُعْدِكَ ، وَاسْتَنْجَدَهُ عَلَى مَرَارَةِ فِرَاقِكَ ؛ لِكِنَّكَ أَيْدِكَ اللَّهُ جَمْلَةً
مَسَرَّتُهُ ، وَنِهَایَةً أَمْنِيَّتِهِ ، فَلَيْسَ نَتَوَجَّهْ أَمَانِيَّهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَقِفْ أَمَالُهُ إِلَّا عَلَيْكَ ؛
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْرَبَ بَقِيَّتَكَ أَعْيَنَ إِخْوَانِكَ وَأَوْدَّاءَكَ ؛ وَافَاكَ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَوْتِيكِ
أَضْعَافَ مَا أَكْتَفَيْتَكَ مِنَ الْكِفَايَةِ فِي ظَنِّكَ .

ابن أبي الخصال :

سَرَّ اللَّهُ مَوْلَايَ وَرَيْسِي ، وَرَبَّ تَشْرِيفِي وَأَنْيَسِي ؛ بِلِقَاءِ الْأَحْبَابِ ، وَاتِّصَالِ
الْأَنْسَابِ ، وَأَوْبَةِ الْغِيَابِ ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَتَصَنَّعُ لِإِقْبَالِهِ ، وَتُقْبَلُهُ أَوْجُهُ الْعِزِّ
فِي أَقْبَالِهِ ؛ وَتُوفِيهِ عَلَى رَغْمِ الْحَاسِدِ حَقَّ جَلَالِهِ .

البُشَيْرِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ أَعْتَازَهُ - بِمَقْدَمِ الْوَزِيرِ فُلَانٍ قَدْ أَوْضَعْتَ رِكَابُهَا ، وَاتَّصَلَ
بِالنَّفُوسِ أَعْلَاقُهَا وَأَسْبَابُهَا ؛ فَهَنِيئًا مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ بِسُبُوغِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْمِنْحَةِ

الجزيلة ؛ ولا أستوفى شكر مابه أتى مُعَظَّم قَدْرِهِ ، ولمَ تَرَمُ بِهِ ؛ من ثناء كَعَرِفَ الطيب
يَهْدِي ، وَمَذْهَبٌ فِي الْإِنْهَاضِ لَا يُقْضَى وَاجِبُهُ وَلَا يُوَدَّى ؛ وَلَا زَالَتْ حَيَاةُ مَوْلَايَ
تُقَدِّى ، وَأَفْعَالُ بِهِ تَتَعَدَّى ؛ وَقَدْ لَمْتُ مَوَاقِعَ أَنَامِلِهِ وَدَا ، وَوَرَدْتُ مِنْ مَحَاسِنِ بَيَانِهِ
مَنْهَلًا عَذْبًا [وَوَرَدَا] فَامْتَعِنِي اللَّهُ بِحَيَاتِهِ الْعَزِيزَةِ الْإِيَّامَ ، الطَّيِّبَةِ الْإِلْمَامَ ، الْمَوْصُولَةِ
الْجَهْدِ وَالذَّمَامَ ؛ وَأَقْرَأُ عَلَى سَيْدِي مِنْ سَلَامِي مَا لَيْثُ يَدِهِ ، وَيَقْضَى حَقَّ الْيَرَاعِ [الَّذِي]
أُنْشَأَ بِهِ الْبِرَّ وَوَلَّدَهُ ، وَالسَّلَامُ الْمَعَادُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَّتِهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَةَ عَنْ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى الْقَاضِي عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ
كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ ، بِالْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ ، عِنْدَ عَوْدِهِ مِنَ الْكَرَّكِ
إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، مَهْنَثًا لِهَ بَعُودِهِ إِلَى مَتَرِهِ
بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَأَسْتَقْرَارِهِ وَعَوْدِهِ إِلَى كِتَابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ
السلطانية ، وَهِيَ :

تَقَبَّلَ الْبَاسِطَةُ الشَّرِيفَةُ - إِلَى آخِرِ الْأَلْقَابِ - لِأَزَالَتْ خَاصِرَ الْحَمْدِ عَلَى فَضْلِ بَنَانِهَا
مَعْقُودِهِ ، وَمَا تَرَى الْبَاسَ وَالْكَرَمَ لَهَا وَمِنْهَا شَاهِدَةٌ وَمَشْهُودَةٌ ، وَبَوَاتِرُ السُّيُوفِ مَسِيرَةٌ
الْقَصْدِ إِلَى مُنَاطَرَةِ أَقْلَامِهَا الْمُقْصُودَةِ ؛ تَقْبِيلًا يُوَدُّ لَوْ شَافَهُ بِشِفَاهِهِ مَوْرِدَ الْجُودِ مِنْ
الْأَنَامِلِ ، وَكَأَثَرِ بَغْرِهِ عِنْدَ الْمُثُولِ لِلتَّقْبِيلِ تُغَوِّرُ الْأَمَائِلَ ؛ فَكَانَ يُشَافُهُ بِسُوقِهِ مَوْرِدَا
كثيرَ الزَّحَامِ ، وَكَانَ يُكَاتِرُ بِعَقْدِ قُبْلِهِ عَلَى يَدِ الْفَضْلِ عُقُودًا جَزِيلَةً الْإِسْتِظَامِ ، وَكَانَ
يُحَاكِمُ جَوْرَ الضَّمِيمِ إِلَى مَنْ أَبَى اللَّهُ لِحَارِ مَشَاهِدَتِهِ أَنْ يُضَامَ . وَيُنْهَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ
وَالِىَ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ السُّرُورِ ، وَمَا رُفِعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِسْتِجَابِ مِنَ الشُّرُورِ ، وَمَا طُوْلِعَ
فِي أَخْبَارِ الْمَسْرُوعَةِ مِنَ السُّطُورِ ؛ بِوُصُولِ مَوْلَانَا وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مَسَاكِنِ الْعِزِّ سَاكِنِينَ ،
وَدُخُولِهِمْ كَدُخُولِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ آمِينَ ؛ وَأَسْتَقْرَارِهِ

في أشرف مكان ومكانه ، واستنصار مصر بأفلامه على العادة فإن هذه سهام وهذه
كانه ؛ وإسفار غمام السفرة عن كوكب علا طاماً حرس يمينه أفق الملك وهذه
وزانه ؛ وما كانت إلا غيبة أحمد الله عفاها ، وغاية بعد من الله عز وجل وجلاها ؛
وفرة ثنى الله فترتها فتتفس خناق المنصب المشتاق لوجهه الكريم ، وهجرة صرف الله
هجيرها فسقى طرس الإنشاء الذي أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ؛ وما محاسن
مولانا إلا زينة من زين الدنيا فليها يتشاكس المتشاكسون ، وما مزاج كلماته إلا
من تسنيم ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

فالحمد لله على أن أقر العيون بمعاودة ظلّه الوريث ، وعلى أن شفى الصدور
بقربه وأولها وأولها صدر السر الشريف ؛ وعلى أن أجزل الهناء وقد شمل ظلّه ،
وقد بكل بابن الفضل فضله ؛ وقد بهر سنأوه وسنأه ، وقد تسعّب القريب والبعيد
فإن أجدى على مصر مورده فقد جادت على الشام سماء . وقد أخذ المملوك حظّه من
هذه البشري ، ووالى السجود لله شكراً ؛ وجهاز خدمته هذه نائبة عنه في تقبيل بنان
إن سماء مولى الكرم بحرا ، فقد سماء مربى الملك برأ ؛ لازالت الممالك متحفة بيمين
مولانا طاعناً ومقيماً ، متصفه بحمده وحيد سلفه الكريم حديثاً وقديماً ؛ نالية على مهمات
الملة بضحية بيته الشريف ﴿ وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في تهنئة بقدم من سفر :

أدام الله ظلّه ، ورفع محله ، وشكر إنعامه وفضله ؛ وأعز أنصاره ، وضاعف
أقناده ؛ ولا زال مؤيداً في حركاته ، مسدداً في سائر فعلاته ؛ مصحوباً بالسلامة
في المهامه والفقر ، مخصوصاً من الله تعالى بالأعوان والأنصار .

المملوك يُنهي بعد تقبيل الأرض ، والقيام بما يجب من سُنة والقرض ؛ علمه
 بحلول ركابه العالی بمغناه ، واستقرار خاطره الشريف في محله ومثواه ؛ وجمع السَّمْل
 بالأهل بعد طول الغيبة ، وبعد القُقول والأَوْبه ؛ فتضاعف لذلك فرحه وسُروره ،
 وزال عن قلبه قليلُ الهم وكثيره ؛ فإله يمنح المولى أطيَب المنازل ، وأسَرِّ الرِّاحل ؛
 ويعملُ تجارةً مجده راحمه ، وأوامرَ دوامِ عزه لائحته ، حتى تُشَدَّ نفسه الكريمة
 قولَ أبي الطَّيِّب :

أنا من جميع النَّاسِ أطيَبُ منزلاً * وأسَرُّ راحلةً وأزَجُّ مَجَرّاً !
 لازالتِ الأعينُ قريّةً برؤيته ، وقلوبُ الإخوان قازّةً بمشاهدته ؛ والأوجهُ وُسميه ،
 والتَّعمُ الظَّاعنةُ مُقيمه ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالقُدوم من السَّفر

قال في "موادِّ البيان" : أجوبةُ هذه الرِّقاع ينبغي أن تُبنى على الاعتراف للهنيء
 بحقِّ تعهده ، وكرمِ تفقّده ، وإطلاعه على الحال في السَّفر ، وما أفضت إليه من
 السلامة ، والتأسُّف على ما تنقضى من الأيام في مُباعدته ، والتخلُّف عن مُبايسته ؛
 وأنه لم يزل يدرع الإدلاج ، ويقطع الفجاج ؛ رغبةً في القُدوم إليه ، والوفادة عليه ؛
 وبَلِّ الغلّة برؤيته ، وترويح النفس بمحاضرتة ؛ وما يليق بهذا التَّمطُّ من الكلام .

الضرب الخامس

(من التهنئة بالشهور والمواسم والأعياد)

وهي على ثمانية أصناف :

الصنف الأول - التهنئة بأول العام وغرة السنة .

من كلام المتقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء أبي مسلم محمد بن بحر :

أسعد الله سيدي بعامه ، والفضل منه وما حوى من الأعياد والأيام الخطيرة
وسائر شهوره وأيامه ، ومتصرف أحواله ، وبما يأتي ويكرُّ عليه من زمانه ؛ سعادة
تسوق إليه حظوظ الدين والدنيا كامله ، وتجمع له فوائد الأمدين تامة وإفيه ؛
وترتبنُ إليه النعم فلا تزال لديه زائدة ناميه ؛ وبلغه بها الأمل ، ومد له في البقاء
إلى أنفس المهل .

ولأبي الحسين بن سعد :

عظم الله على مولاي بركة الشهر والسنة المتجددين ، وهب له فيهما وفيما يتلوهُما
من أيام عمره ، وأزمان دهره ، سعادة تجمع له أشات الحُظوظ ، وتصل لديه مواد
المزيد ، وتيسر له بلوغ الأمل في كل ما يطالع ويُنازع ، والأمن من كل ما يُراقب
ويُحاذر .

وله في مثله :

عظم الله على سيدي بركة الشهر والسنة ، وأعاشه لأمثالها مدة اختلاف الجديدين ،
وتجاوز الفرقدين ؛ ممتعا بالنعم السائغة ، والمواهب المتردفة ؛ والسعادة والغبطة ،
والعز والمسرّة .

وله في معناه :

جَدَّدَ اللهُ لِسَيِّدِي فِي الْأَيَّامِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ^(١) ، وَالْأَحْوَالِ الرَّاهِنَةِ وَالْمُتَنَقِّلَةِ ؛
حَظُوظًا مِنَ السَّعَادَاتِ ، وَأَقْسَامًا مِنَ الْخَيْرَاتِ ؛ لَا يُحْصَى عَدْدُهَا ، وَلَا يَنْقَضِي
مَدُّهَا .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ [عَلَى مَوْلَايَ] بَرَكَةَ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ الْمُتَجَدِّدِينَ عَلَيْهِ ، وَعَرَّفَهُ فِيهِمَا
وَفِي الْأَيَّامِ بَعْدَهُمَا مِنْ حَادِثٍ صُنِعَ ، وَلَطِيفٍ كَفَّايَتِهِ ؛ مَا تَدُومُ فِيهِ السَّعَادَةُ ،
وَتَعْظُمُ بِهِ الْمِنَّةُ ، وَتَحْسُنُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَةَ هَذَا الشَّهْرِ : الْمَاضِي [مِنْ] أَيَّامِهِ وَبَاقِيهَا ، وَهَذِهِ
السَّنَةَ ، وَجَعَلَهَا أَيْمَنَ سَنَةٍ حَالَتْ عَلَيْهِ وَأَسْعَدَهَا .
وَمِنْهُ : وَيُنْهِى أَنَّ الْمَمْلُوكَ يُسَيِّئَ غُرَّةَ الْأَيَّامِ ، بَغْزَةَ الْأَنَامِ ؛ وَصَدَرَ الْعَامَ ، بِصَدْرِ
الْكَرَامِ ؛ بَلْ يَنْتَهَى الزَّمَنُ كُلُّهُ نَعَمَ وَأَهْلَهُ بِالْحَضْرَةِ الَّتِي وَاسَتْ الْمَعَالِي .

الصَّنِيفُ الثَّانِي - التَّهْنِئَةُ بِشَهْرِ رَمَضَانَ .

من كلام المتقدمين :

لَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سَعْدٍ :

جَمَعَ اللهُ لِمَوْلَايَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ شُرُوطَ آمَالِهِ وَأَحْكَامَ أَمَالِيهِ ، فِي حَاضِرِ
أَمْرِهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَعَاجِلِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ؛ وَأَبْقَاهُ لِأَمَثَالِهِ بَقَاءً لَا يَتَنَاهَى أَمَدُهُ ، فِي ظِلِّ
عَيْشِ رِضَاهُ وَيَحْمَدُهُ .

(١) فِي الْأَصُولِ الْمَاضِيَةِ تَأْمَلُ .

وله في مثله :

عَرَّفَ الله سِيدي بركةَ هذا الشهر الشريف وأعاشهُ لأمثاله ، ما كَرَّ الحَديدان ،
وآخَتلف العَصْران ؛ ممتعاَ بسوايغ النعم ، محروساَ من حَوادِثِ الغير ، ومُوقِّفاَ في شَهره ،
وأزمان دَهره ؛ لأزكى الأعمال ، وأرضى الأحوال ؛ ومقبولاَ منه ما يُؤدِّيهِ من قَرَضه ،
ويتنقَّل به قُرْبَةً إلى رَبِّه .

وله في مثله :

عَرَّفَه الله بركةَ إَهْلاليه ، وأبقاه طويلاً لأمثاله ؛ موقِّفاَ فيه من عمل الخير ،
ومُراعاةِ الحقِّ ، وتأديَةِ القَرَض ؛ والتنقُّل بالبرِّ ، لما يُرْضيه ، ويستحقُّ جزيلَ المَثُوبَةِ
عليه ؛ ممتعاَ بعده بسِنِّي المواهب ، وجَسيمِ الفوائد ؛ مع اتِّصالِ مُدَّة العُمُر ، واجتماعِ
أُمْنِيَّاتِ الأمل .

وله في مثله :

عَرَّفَ الله مولاناَ بركةَ هذا الشهر الشريف وأَيَّامِه ، وأعانَكَ على صِيامِه وقيامِه ؛
ووصلَ لك ما يزيدُ من فَضله وإنعامِه ؛ وتابعَ لك المزيدَ من مَنائِحِه وأنعامِه ؛ وختمَ
لك بالسعادةِ العُظمى بعد الابتقالِ [في الجاه والرياسة إلى] أبعدِ المَدَى ؛ وفي العزِّ
والثروةِ إلى أَقصى المُنَى .

أبو الفرج البغاء :

جعلَ الله ما أظَلَّهُ من هذا الصيامِ مقروناً بأفضلِ قَبُول ، مُؤذِناً بإدراكِ البُغْيَةِ ونُجَحِ
المأمُول ؛ ووفَّقَه فيه وفي سائرِ أَيَّامِه ، ومستأنِفِ شُهورِه وأعوامِه ؛ لِأَشرفِ الأعمالِ
وأفضْلِها ، وأزكى الأفعالِ وأَكملِها ؛ ولا أخلاه من رَمَرِ قُوع ، ودعاءِ مسمُوع ؛
وسعىِ مشكور ، وأميرِ مَبْرور ؛ إلى أن يَقطَعَ في أَجَلِ غِبْطَةٍ وأتمِّ مسرَّةِ أَمثالِه .

وله في مثله :

عَرَّفَكَ اللهُ بِرَكَّةِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُعْظَمِ قَدْرَهُ ، الْمَشْرِفِ ذِكْرُهُ ، وَوَقَّفَكَ فِيهِ لِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ ، وَزَكَّى الْأَفْعَالِ ، وَقَابَلَ بِالْقَبُولِ صِيَامَكَ ، وَبَتَعْظِيمِ الْمُثُوبَةِ تَهَجُّدَكَ وَقِيَامَكَ ،
وَلَا أَخْلَاكَ فِي سَائِرِ مَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَيَلِيهِ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالْدُّهُورِ ؛ مِنْ أَجْرِ
تَذَنُّرِهِ ، وَأَثَرِ تَشْكُرِهِ .

قلت : ومما كتبتُ به تهنئةً بالصوم للقرن الأشرف الناصريِّ محمد بن البارزى
كاتب السرِّ الشريف المؤيدى بالممالك الإسلامية ، فى سنة ستِّ عشرة وثمانمائة نظماً :

أَيَا كَاتِبَ السَّرِّ الشَّرِيفِ وَمَنْ بِهِ * تَمَيَّسُ نَوَاحِي مِصْرَتَيْهَا مَعَ الشَّامِ !
وَمَنْ جَلَّتِ الْجُلَى كَتَّابُ كُتُبِهِ ، * وَمَنْ نَابَ عَنْ وَقْعِ السُّيُوفِ بِأَقْلَامِ !
تَهَنِّ بِهَذَا الصَّوْمِ وَالْعِيدِ بَعْدَهُ ، * وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْعِيدِ وَالْعَامِ فَالْعَامِ !
وَتَرُقِّ رُقَى الشَّمْسِ فِي أَوْجِ سَعْدِهَا * وَتَبْقَى بَقَاءَ الدَّهْرِ فِي فَيْضِ إِنْعَامِ !

الصفحة الثالث — ما يصلح تهنئةً لكلِّ شهرٍ من سائر الشُّهُور .

لأبى الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ بَرَكَةَ إِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَهُ لَأَمْثَالِهِ ، أَطْوَلَ الْمُدَّةِ ، مُمْتَعًا بِأَدْوَمِ النِّعْمَةِ ، وَمَشْفَعًا (؟)
بِأَفْضَلِ الْأَمَلِ وَالْأُمْنِيَّةِ .

وله : أسعد الله سيدي بانصرامه وإهلال ما بعده ، وأبقاه ما بقى الزمان ممتعاً
بالعزِّ والنَّعمه ، محروساً من الآفات المخوفة ، والحوادث المخدورة .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَةَ الْمَاضِيِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ [وَالْأَعْوَامِ]
وَالْدُّهُورِ ، وَوَصَلَ لَهُ السَّعَادَةَ بِاتِّصَالِهَا ، وَجَدَّدَ لَهُ النِّعْمَةَ بِتَجَدُّدِهَا .

وله : عَظَّمَ اللهُ بَرَكَهَ أَنْسِلَاحِهِ ، وإِهْلَالِ مَايَتْلُوهُ ، مُجَدِّدًا لَكَ بِتَجَدُّدِهِ فَوَائِدَ الْخَيْرَاتِ ، وَأَقْسَامَ الْبَرَكَاتِ ؛ تَدُومُ فِيهَا الْمُدَّةُ ، وَتَطُولُ بِهَا النِّعْمَةُ .

وله : أَسْعَدَكَ اللهُ بِإِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَكَ أَبَدًا لِأَمْتَالِهِ ؛ مُمْتَعًا بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ، وَاجْتِمَاعِ أَسْبَابِ الرِّخَاءِ وَشُرُوطِ الْمَحَبَّةِ ؛ إِنَّهُ جَوَادُ كَرِيمٍ .

[وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ وَمَايَتْلُوهُ ، وَبَلَّغَهُ مَايُحَاوِلُهُ وَيَتَحَوَّلُهُ ؛ فِي مَسْتَأْنِفِ الشُّهُورِ ، وَمُؤْتَتَفِ الدَّهُورِ ؛ مُضَاعَفًا لَهُ الْعِزَّ وَالتَّائِيدَ ، وَمَوْصُولًا لَهُ أَصْلُ النِّعْمَةِ بِمُحْسِنِ الْمَزِيدِ] ^(١) .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَهَ الشَّهْرِ ، وَأَدَامَ لَهُ سَلَامَةَ الدَّهْرِ ؛ مَوْفُورًا مِنَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ ، غَيْرَ مَذْعُورٍ بِنَوَائِبِ الزَّمَانِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالسِّنِّينَ وَالْأَحْقَابَ ؛ وَجَمَعَ لَهُ الْمَوَاهِبَ كَامِلَةً ، وَالْفَوَائِدَ فَاضِلَةً ؛ دِينًا وَدُنْيَا ، وَحَاضِرَةً وَعُقْبَى .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَيْكَ بَرَكَتَهُ ، وَعَرَّفَكَ يُمْنَهُ وَسَعَادَتَهُ ؛ وَجَدَّدَ لَكَ الْخَيْرَاتِ ، بِتَجْدِيدِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ؛ حَتَّى تَحُوزَ مِنْهَا أَسْنَى الْحُطُوطِ وَتَبْلُغَ مَا تَمَنَّاهُ أَقْصَى الْغَايَاتِ .

الصنف الرابع - التهنية بعيد الفطر .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ هَذَا الْعِيدِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْتَالِهِ ؛ مِنَ الْأَعْيَادِ الْمَشْهُودَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ، [فِي] أَهْنَاءِ عَيْشٍ وَأَرْغَدِهِ ، وَأَطْوَلِ مَدَى وَأَبْعَدِهِ .

(١) الزيادة في بعض النسخ .

أبو الفرج البغاء :

أسعدك الله بهذا الفطر الجديد ، والعيد السعيد ؛ ووصل أيامك بعده بأكمل
السعادات ، وأجمل البركات ؛ وجعل ما أسلفته من الدعاء مقبولا مسموعا ،
ومن التهجد زائجا مرفوعا ؛ ولا أخلاك من نعمة يحرس الشكر مدتها ، ولا يخلق
الدهر جدتها .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

المولى أدام الله نعمه ، وحرس شيمه ، هو سيد الأفاضل ، ورئيس الأمائل ؛
وحسنه الزمان ، وليث الأقران ؛ وهو في الأنام ، كالأعياد في الأيام ، فإن الأنام ليل
والمولى المصباح بل الصباح ، وسائر الأيام أجساد وسائر الأعياد هي الأرواح ؛ فإذا
كان المولى قد زهي على أبناء جنسه ، ويوم العيد على غده وأمه ؛ فقد صار كل
منكما إلى صاحبه يتقرب ، ويلزم ويلزب ، وهو أحق الناس بأن يهبه مقدمه ، وأن
يبنى بيومه الذي هو مجمع السرور وموسمه .

والخادم يبنى المولى بهذا العيد ، واليوم السعيد ؛ فإنه وافى في أوإن الربيع وزمانه ،
ليباهي بغضن قد أغصان بانه ؛ ويستنشق في صدره وورده ، رائحة ريحانه وورده ؛
ويختال في رياضه وحدائقه ، ويلاحظ بهجة أزهاره وشقائقه ؛ والعيد والربيع ضيفان
ومكارم المولى جديرة بإكرام الضيف ، والتمتع بالملاذف فيما قبل رجليهما وقُدوم حر
الصيف ؛ وأن يحسن وجه عيده ، بحلولة في مغناه ووجوده ؛ بما يوليه لعفاته من
إنعامه وجوده ؛ لازالت الأعياد تهني ببقائه ، وألسنة الأيام تشكر سوايغ نعمائه ؛
وتحمد جزيل عطائه ، وتنطق بولائه وثنائه ، أبدا ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما كتبتُ به مهثًا للقرّ الأشرف الناصريّ محمد بن البارزى صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالملك الإسلامية فى الدولة المؤيدية «شيخ» بعيد الفطر نظامًا ، بعد أن سألتُه حاجةً فقضاها ، وأسنى لى الجائزة على تثرٍ كتبتُه له .

سَأَلْتُ نِظَامَ الْمَلِكِ كَاتِبَ سِرِّهِ * إِزَالَةَ ضَنْكِ أَرْهَفِ الدَّهْرِ حَذِّهِ !
فَمِنْ بَجَاهِ زَعَزَعَ الْأَرْضَ وَقَعَهُ ، * وَجَادَ بِمَالٍ لَا يُرَى الْفَقْرُ بَعْدَهُ .
وَبِالْبَارِزِيِّ أَزْدَانَ وَصُفٍّ مَكَارِمٍ * فَأَشْبَهَ فِي فَضْلِ أَبَاهُ وَجَدَهُ !
فِيهِنَّاهُ صَوْمٌ ثُمَّ عِيدُ مَسْرَةٍ * وَطَالِعُ إِقْبَالٍ يُقَارِنُ سَعْدَهُ !
وَرَفَعُ دُعَاءٍ لَا يُغَيَّبُ تَتَابَعًا ، * وَطِيبُ ثَنَاءٍ خَامَرَ الْمِسْكَ نَدَّهُ !

الصفى الخامس - التهئة بعيد الأضحى .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

كُتِّبَ والنحر - نَحَرَ اللَّهُ أَعْدَاءَ مَوْلَايَ وَحُسَّادَ نَعْمَتِهِ ، وَأَمْتَعَهُ بِمَوَاهِبِهِ عِنْدَهُ ،
وَبَارَكَ لَهُ فِي أَعْيَادِهِ وَتَجَدَّدِ أَيَّامِهِ ، بَرَكَةً تَنْظِمُ السَّعَادَاتِ ، وَتُتَضَمَّنُ الْخَيْرَاتِ ،
مُتَّصِلَةً غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ ، وَرَاهِنَةً غَيْرَ فَانِيَةٍ .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

تَهَنٍّ فَأَيَّامُ السُّرُورِ أَوَاهِلُ * وَكُلُّ مُحْوِفٍ عَنْ جَنَائِكَ رَاحِلُ !
وَتَجَمُّكَ مِنْ فَوْقِ الْكَوَاكِبِ طَالِعُ ، * وَنَجْمُ أَمْرِي يُشْنَأُ سُمُوكَ آفِلُ !

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّ جُودُهُ : * فَدَتِكَ الْعَوَالِي وَالْجِيَادُ الصَّوَاهِلُ !
 تَمَتَّعْ بِعِيدِ النَّحْرِ ، وَافَاكَ خَاضِعًا * يُحَقِّقُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ آمِلُ !
 وَدُمْ كَايَتِ الْأَعْدَاءِ وَأَبْقِ مُحَمَّدًا * عَلَى الْمَالِ عَالٍ ، بِالرَّيَّةِ عَادِلُ !
 لَقَدْ رَاقَ مَدْحِي فِي مَعَالِيكَ مِثْلَ مَا * صَفَتْ مِنْكَ أَوْصَافُ وَرَقَتِ سَمَائِلُ !

جعله الله أربك الأعياد وأسعدها ، وأيمن الأيام وأمجدها ، وأجمل الأوقات وألذها
 وأزغدها ، ولا يرح مشرورا مستبشرا ، منصورا على الأعداء مقتدرا ، مسعودا محمودا ،
 معاننا بملائكة السماء معضودا ، مهنا بالسعود الجديده ، والجندود السعيدة ، والقوة
 والناصر ، والعمر الطويل الوافر :

وَلَا زَالَتْ الْأَعْيَادُ لِنَسْكَ بَعْدَهُ * [فَتَخْلَعُ ^(١)] مَحْرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدِّدًا ،

فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى * كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا !

وأعاده على المولى في صحبة دائمة ، وسلامة ملازمة ، وأصار عيده مطيعا لأوامره
 كسائر العييد ، وعيده في كل يوم من المسرة ببقائه لها كالعيد ، والأيام به ضاحكة
 المباسم ، والأعوام جميلة المواسم ، وتمتعنا بدوام حياته ، وأستجلاء جميل صفاته ،
 وأستجلاء مدائحهم بأنشاد عفاته ، وأراه نحر أعاديته ، بين يديه كأضاحيه ، وأصار الحج
 إلى بابه غافرا سيئات الإفلاس والإعدام ، ومبيحا لبس الخيط من إنعامه العام ،
 ألبسه الله من السعادة أجمل حُلّه ، ومنحه من المكارم أحسن خلّه .

الصنف السادس — التهنية بعيد الغدير من أعياد الشيعة :

وكان لهم به اهتمام في الدولة الفاطمية بالديار المصرية . والطريق في التهنية به
 على نحو غيره من الأعياد .

ما يصلح تهنئة لكل عيد .

أبو الفرج البغاء :

لولا العادة المشهورة ، والسنة الماثورة ، بالإفاضة في الدعاء ، والمشاهدة بالتهنئة والتناء ، في مثل هذا اليوم الشريف قدره ، الرفيع ذكره ؛ لكان أيده الله دون رؤساء الدهر ، وملوك العصر يحل عن التهنئة : إذ كانت سائر أيامه بما يودعها من أفعال الخير معظمه ، وبما يثبثها من المحاسن مكرمه ، فبلغه الله أمثاله محروسا في نفسه ونعمته ، محفوظا في سلطانه ودولته ؛ موفيا على أبعاد أمانيه ، مدركا غايتها فيما يؤمله ويرتجيه .

وله في مثله :

عرفك الله بمن هذا العيد وبركته ، وضاعف لك إقباله وسعادته ؛ وأحياك لأمثاله في أسبغ النعم وأكملها ، وأفسح المدد وأطولها ؛ وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيقعها ؛ وحرس منحتك من المحدثور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور .

الصنف السابع - التهنئة بالنيروز .

وهو من أجل أعياد الفرس ، على ما تقدم ذكره في الكلام على أعياد الأمم ، في المقالة الأولى . وكان للكتاب به اهتمام في أوائل الدولة العباسية بالعراق ، جريا على ما كان عليه الفرس من قديم الزمان .

وفيه لأبي الحسين بن سعد :

هذا يوم شرفته العجم ، ورعى ذمامه الكرم ؛ وهو من أسلاف سيدي دوى النباهة ، وأخلافه دوى الطهارة ؛ بين منشى رشمه ، ومؤدى حقه ؛ وكاس له بقبول

أَنْتَسَاهُ إِلَيْهِ جَمَالًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ، وَحَالًا يَنْفَقُ بِهَا لَدَى الْأَنْامِ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ
بِالْتِهِنَّةِ [بِهِ] مِنْ سَنَةِ آبَائِهِ ، وَشَيْدَتِهِ الْأَوْهْ ؛ فَصَارَتْ إِلَى أَوْلَيْتِهِ نِسْبَتُهُ ، وَبِكْرَمِ
سَيِّدَتِهِ عِصْمَتُهُ .

وفيه له : هَذَا - أَيْدِ اللَّهِ سَيِّدِي - يَوْمُ عَظَمِهِ السَّافِ مِنَ الْعَجَمِ ، وَسَيِّدِي
وَارِثُ سُنَّةِ الْكَرَمِ ؛ وَلِلْسَادَةِ عَلَى الْعَيْدِ فِي هَذَا الْيَوْمِ رَسْمٌ فِي الْإِلَاطَافِ ، وَعَلَيْهَا لَهُمْ
حَقٌّ فِي الْقَبُولِ وَالْإِسْعَافِ ؛ وَقَدْ بَعَثْتُ بِمَا حَضَرَ جَارِيًا عَلَى سُنَّةِ الْخِدْمَةِ ، وَعَادِلًا
عَنْ طَرِيقِ الْحِشْمَةِ ؛ وَمَقْتَصِرًا عَلَى مَا أَسْعَفْتُ لَهُ الْحَالِ ، وَمَا يُوجِبُهُ قَدْرُ سَيِّدِي
مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي الْأَحْتِفَالِ ، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ يُشْرَفَ عَبْدُهُ بِالْأَحْتِمَالِ إِلَيْهِ ، وَإِجْرَائِهِ مُجْزِئُ
الْأُنْسِ عِنْدَهُ ، فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وفيه للكرجى :

هَذَا يَوْمٌ تَسْمُوهُ الْعَجَمُ ، وَيُسَمَّعُ^(١) فِي الْعَرَبِ ؛ تَشْرِيقًا لَهُ وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ ،
وَأَقْنَدَاءَ بَاهِلِهِ ؛ وَأَخْذًا بِسُنَّتِهِمْ فِيهِ ، فَلَيْسَ لِأَحْزَازِ الدَّوْلَةِ فِي الْعِزِّ [مِثْلًا] بِحَيْثُ لَا يُرَامُ ،
وَلَا يُضَامُ ؛ وَلَا تَرْقَى إِلَيْهِ الْأَمَانِي ، وَلَا يَطْمَعُ فِي مَسَاوَاتِهِ الْمُسَاوِي ؛ وَلَانَّهُمْ بَعْدَ تَصَرُّمِ
الدَّوْلَةِ عَلَى حِمِيدِ آثَارِهَا ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ فِيهَا ؛ أَعْلَامٌ تُضْرَبُ بِهِمُ الْأُمُشَالُ ، وَتَرْهَوُ
بِأَيَّامِهِمُ الْأَيَّامُ ؛ وَأَثَارُهُمْ تُقْتَفَى ، وَأَعْيَادُهُمْ تُنْتَظَرُ ؛ يَتَأَهَّبُ لَهَا قَبْلَ الْآوَانِ ، وَيُعْرِفُ
فِيهَا أَثَرُ الزَّمَانِ ؛ وَإِنَّكَ مِنْهُمْ فِي الدَّرْوَةِ السَّامِيَةِ ، وَالرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ ؛ وَبِحُلٍّ لَاعَارَ مَعَهُ
عَلَى حُرَّةٍ فِي الْخُشُوعِ لَكَ ، وَالتَّعَلُّقِ بِجَبْلِكَ . وَقَدْ وَجَدْتُ الْأَتْبَاعَ عِنْدَ سَادَاتِهِا فِي مِثْلِ
هَذَا الْيَوْمِ عَلَى عَادَةٍ فِي الْإِلَاطَافِ جَسَمَتَهَا ، وَسِعَرَتْ بِهَا عَلَى أَقْوَامٍ مَنَحْتَهُمْ طُهُورَ
الدَّعْوَى فِيهَا ، فَأَقْبِلْ قَائِلَهُمْ يَقُولُ : « لَوْ كَانَ بَابُ الْإِهْدَاءِ مَفْتُوحًا غَيْرَ مَسْدُودٍ ،

(١) مراده أن العرب آتيت العجم في تعظيمه تأمل . (٢) قد بلغ التحريف من هذا مبلغه

حتى لا يكاد يفهم والمراد أن دولة الفرس أحرزت من العزم منزلا بحيث الخ تأمل .

وَمُبَاحًا غَيْرَ مَمْنُوعٍ ؛ لِاتِّخَفَتْ بِالْغُرَابِ الْأَعْصَمَ ، وَالْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرَ ، وَالْأَبْلَقِ الْعُقُوقَ ، وَبَيَضَ الْأَنْوَقَ . وَقَدْ بَعِثْتُ بَهْدِيَّةً لَا تُرَدُّ (يعنى الدعاء) .

وفيه : من كَانَ مَحَلَّكَ مِنَ الْعِزِّ ، وَنَبَاهَةَ الذِّكْرِ ، وَارْتِفَاعَ الدَّرَجَةِ ، وَعُلُوَّ الْمَنْزِلَةِ ، وَسَعَةَ الْبَلَدِ ، وَبُعْدَ الْأَمَدِ ؛ لَمْ يَتَقَرَّبْ مَتَحَلٍّ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ جَدِيدٍ إِلَّا بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ .

وفيه : لو أَخْرَجْنَا هَذَا أَنْتِظَارًا لَوْجُودِ مَا تَسْتَحِقُّهُ ، لَانْقَضَتْ أَيَّامُنَا ، بَلْ أَعْمَارُنَا ، قَبْلَ أَنْ نَقْضِيَ لَكَ حَقًّا ، أَوْ نُؤَدِّيَ عَنْ أَنْفُسِنَا فَرْضًا : لِارْتِفَاعِ قَدْرِكَ عَمَّا تَحْوِيهِ أَيْدِينَا ، وَعُلُوِّ حَالِكِ عَمَّا تَبْلُغُهُ آمَالُنَا ؛ وَقَدْ أَقْنَدَيْتُ بَسْنَةً أَخْلَدَمَ وَالْأَوْلِيَاءِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَأَوْصَحْتُ الْعُدْرَ فِي تَرْكِ الْأَجْتِهَادِ ؛ وَبَعِثْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيْكَ أَلْفَ عَامٍ ، فِي نَمَاءٍ مِنَ الْعِزِّ ، وَعُلُوٍّ مِنَ الْقَدْرِ ، وَتَمَامٍ مِنَ السُّرُورِ ، وَمَزِيدٍ مِنَ النِّعْمَةِ

الصنف الثامن — التهنية بالمهرجانات .

وهو أحدُ أعيادِ الفُرسِ ، على ما تقدّم ذكره في المقالة الأولى ، في الكلام على أعياد الأمم . وكان للكُتّاب من الاحتفالِ بالتهنية به في أوائل الدولة العبّاسية ما لهم بالنيروز .

فيه — لأبي الحسين بن سعد :

لَسَيِّدِي عَلَى فِي الْأَعْيَادِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ؛ عَادَةً أَخْتَرَلَنِي عَنْ بَعْضِهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ ، كَلَالُ الطَّبْعِ عَنِ الْبَعْضِ ؛ وَوُقُوعُ الْخَطَرِ (٤) بَعْرُضِهِ مِنَ الثَّنَاءِ نَظْمًا وَشِئْرًا ، وَمِنَ الْإِهْدَاءِ عَرْضًا وَبَرًّا ؛ دَعَاءٌ تَزِيدُ قِيَمَتُهُ عَلَى الْأَعْلَاقِ الثَّمِينَةِ ، وَمَوْقِعُهُ عَلَى الذِّخَائِرِ النَّفِيسَةِ ، وَلُطْفُهُ عَلَى التَّحَفِ الْبَدِيعِ ؛ فَاسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدِي بِهَذَا الْيَوْمِ سَعَادَةً نَقِمَ ، وَلَا تَرِيمَ ؛ وَتَزِيدَ ، وَلَا تَيْبِدَ ؛ وَتَتَوَطَّنَ ، وَلَا تَظْطَنَ ؛ وَتَجْمَعَ حَظُوظًا مِنْ

الخيرات، وفوائد من البركات، يتَّصلُ سندها، ولا ينتهي أمدها، وأبقاه في أسبغ عن
وأرفع رتبة وأرغد عيشة، مكنوفاً بحراسة تقيه [وآله] عوادي الزمان، وتصرف
عنهما طوارق الحدثنان، ما طرد الليل النهار، وطلع نجم وغار؛ وعلى ذلك - أيد الله
سیدی - فإنَّ الحرص على إقامة الرِّسم والتَّطير من إضاعة الحقِّ بعثاني على مُراجعة
القریحه، وأستكِّد الرویه؛ فأسعفا بما قبلته الضرورة؛ ولم أطع في إهدائه سلطان
الحشمه؛ وفضلُ سیدی يتَّسع لقبول الميسور، وتحسين القیيح؛ والله المعینُ على
تأدية حقِّه، والقيام بواجب فرضه .

وله فيه أيضاً، إلى من منع أن تُهدى إليه فيه هدية .

لو كنتَ فتحتَ باب الإلطف، ونهجتَ إليه سبيلاً؛ لتنازع أولياؤك قصبَ
السَّبق وتنافسوا في السَّرف؛ فبان للجهْد فضله، وآتمس العذر في التقصير ملتئمسه؛
وعمت المنحة كآفتهم بما يظهر من مواقعهم، وينكشف من أحوالهم؛ ليكنك
حظرتَ ذلك حظراً استوى فيه الفريقان في الحكم، وأمتدَّ فيه على ذوى الخلل
السَّتر؛ ولم تحظر الدعاء، إذ حظرت الإهداء؛ فأنا أهديه ضرورةً واختياراً،
وإعلاناً وإسراراً؛ فأسعدك الله بهذا العيد الجديد، الذي زاد بك في قدره، وشرفه
بأن جعلك من أربابه وولاه أمره .

أبو الفرج البغاء :

هذا اليوم من غرر الدُّهور المشهوره، وفضائل الأزمينة المذكوره؛ معظم
في العهد الكسروي، مستظرف في العصر العربي؛ باعث على عمارة المودات،
مخصوص بالانسياط في الملاطقات، ولستُ أَسْتريده - أيده الله - من ربُّوليه،
ولا تطوِّل إلى يُسديهِ؛ غير إدخالي في جملة من بسطته الأنسه، وثقفته المحبه؛

وَتَقَرَّبْتُ مِنْهُ بِوَكِيدِ الْحِلْمِ، فِي قَبُولِ مَا إِنْ شَرَّفَ بِقَبُولِهِ، كَانَ كَثِيرًا مَعَ قَلْتِهِ، جَلِيلًا مَعَ نَزَارَتِهِ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَقْوَى مِنْهُ ثِقَتِي، وَيُقَابِلَ بِقَبُولِ مَا أَنْفَذْتُهُ رَغْبَتِي، فَعَلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

قَدْ أَطَعْتُ فِي الْإِنْسِاطِ إِلَيْكَ دَوَاعِيَ النَّفْسِ، وَسَلَكْتُ فِي التَّحَرُّمِ بِكَ سُبُلَ الْأَلْسَةِ، وَتَوَصَّلْتُ بِمَلَاظِفَتِكَ إِلَى حَسَمِ مَوَادِّ الْحِشْمَةِ؛ فَاسْتَشْهَدْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ فِيمَا أَنْفَذْتُهُ بِمُفَارَقَةِ الْحَفْلَةِ^(١)، وَكُلَّفَ الْمُكَاتَرَةَ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكَلَّنِي فِي تَقَبُّلِهِ إِلَى سَعَةِ أَخْلَاقِكَ، وَتَسَلَّكَ فِي ذَلِكَ أَخْصَرَ طَرِيقٍ إِلَى مَا أَخْطَبُهُ مِنْ مَوْذَنِكَ، وَأَزَاحِمُ عَلَيْهِ فِي إِخَائِكَ؛ فَعَلْتُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمَ - أَيْدِ اللَّهِ سِيدِي - مِنْ أَعْيَادِ الْمُرُوءَةِ، وَمَوَاسِمِ الْفُتُوَّةِ، وَأَوْطَانِ السَّرُورِ، وَمَحَاسِنِ الْأَزْمِنَةِ وَالْدُّهُورِ؛ بَلَّغَهُ [اللَّهُ] أَمْثَالَهُ فِي أَنْضَرِ عَيْشٍ وَأَسْبَغِ سَلَامَةٍ؛ وَأَبْسَطِ قُدْرَةٍ، وَأَكْمَلِ مَسَرٍّ؛ وَقَدْ تَوَثَّبْتُ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ فِيهِ بِأَدْبِهِ، وَالْاِخْتِذِ بِمَعْرِفَةِ فُرُوضِهِ بِمَذْهَبِهِ؛ وَأَطَعْتُ فِي الْإِنْسِاطِ إِلَيْهِ دَوَاعِيَ الثَّقَةِ، وَأَنْفَذْتُ مَا اعْتَمَدْتُ فِي قَبُولِهِ عَلَى مَكَانِي مِنْهُ، عَائِذًا بِالتَّقْوِيلِ مِنْ كُلِّفِ الْمُكَاتَرَةِ، وَمُسْتَنْقِلَ الْكُلْفَةِ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَأْتِي فِيمَا آتَمَسْتُهُ مَا يُنَاسِبُ شَرَفَ طَبْعِهِ، وَسَعَةَ أَخْلَاقِهِ؛ فَعَلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ الْمُلَاطَفَاتُ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَقَدَرِ الْمَنَازِلِ، لَمَا آتَيْتَسَطْتُ قُدْرَةً وَلَا آتَسَّعَ لِمَكَانٍ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ نُبُلُ مَحَلِّهِ؛ وَوَاجِبَاتُ رِيَاسَتِهِ؛ وَلَكُنْتُ مِنْ بَيْنِ خَدَمِهِ ضَعِيفُ الْمُنَّةِ عَنْ خِدْمَتِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ؛ بَلَّغَهُ اللَّهُ أَمْثَالَهُ فِي أَفْسَحِ أَجَلٍ، وَأَنْجَحِ أَمَلٍ،

بما يَحْدُمُهُ بِهِ ذَوُو الخِدْمَاتِ الوَكِيدَةِ عنده، المَكِينَةِ لَدَيْهِ ؛ غيرَ أَنِّي أَثِقُ مِنْهُ -أيده الله-
بِحَلِّ قَلِيلٍ عَلَى عِلْمِهِ بِإِخْلَاصِي فِي وِلَايَتِهِ ، وَأَنْتَسَائِي إِلَى جُمْلَتِهِ ، وَآخْتِلَاطِي بِأَنْسَابِهِ ؛
فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ يُجِيرَنِي فِي قَبُولِ ذَلِكَ عَلَى سُنَّةِ أَمْثَالِهِ مِنْ ذَوِي الْجَلَالَةِ ، عِنْدَ أَمْثَالِي
مِنَ الْأَوَّلِيَاءِ وَالْخَاشِعَةِ ، فَعَلَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ الْهَدَايَا لَا تُسْتَقْبَلُ مَا لَمْ تُنَاسِبْ فِي نَفَاسَةِ الْقَدْرِ ، وَجَلَالَةِ الذِّكْرِ ، حَلٌّ مِنْ
يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ ، وَمُتَزَلَّةٌ مِنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ ، لَمَّا سَمَتْ هِمَّةٌ ، وَلَا آسَعَتْ قُدْرَةٌ ،
لَمَّا يَسْتَحِقُّهُ -أيده الله- . بِأَيْسَرِ وَاجِبَاتِهِ ، وَأَصْغَرِ مَقْتَرَضَاتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَسْئَةَ
بِتَفَضُّلِهِ ، وَالْاعْتِدَادَ بِسَالِفِ تَطَوُّلِهِ ، وَالتَّحَقُّقَ بِخِدْمَتِهِ ، وَالْأَنْتِسَابَ إِلَى جُمْلَتِهِ ؛
بَسَطَنِي إِلَى إِنْفَازِ مَا إِنْ شَرَفَنِي بِقَبُولِهِ كَانَ مَعَ قَلَّتِهِ كَثِيرًا ، وَمَعَ نَزَارَتِهِ جَلِيلًا ؛ فَإِنْ
رَأَيْتُ أَنْ يَقْوَى بِذَلِكَ مِنْهُ نِقْيِي ، وَيَحْسِمَ مَادَّةَ أَحْتِشَامِي ، فَعَلَ .

أجوبة التهنئة بالمواسم والأعياد

قال في "موادّ البيان" : هذه الكتبُ والرِّقَاعُ مضمُونُهَا الْهَنَاءُ بِالْمَوْسِمِ الْجَدِيدِ ،
وَالدُّعَاءُ لِلْهِنَاءِ فِيهِ بِتَمَلُّهِ . قال : وهذا المعنى مُقَاوِضٌ بَيْنَ الْمَهْنَى وَالْمَهْنَى ، وَيَنْبَغِي أَنْ
تَكُونَ أَجْوِبَتُهَا مُشْتَقَّةً مِنْهَا . ثم قال : وقد يَتَصَرَّفُ الْكُتَّابُ فِيهَا إِذَا كَاتَبُوا الرُّسَاءَ
تَصَرُّفًا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْحَكْمِ .

وهذه أمثلة من ذلك :

أبو الفرج البغفاء :

سَمِعَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، وَبَدَأَ فِي تَقْبُلِ الْمَسْأَلَةِ بِكَ ؛ وَأَجْزَلَ مِنْ أَقْسَامِهِ حَظُّكَ ؛ وَبَلَّغَكَ
أَمْثَالَهُ فِي أَفْسَحِ مُدَدِ الْبَقَاءِ ، وَزَادَ فِيهَا خَوْلَكَ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالنِّعَمَاءِ ؛ وَلَا أَخْلَانِي
مِنْ بَرِّكَ ، وَأَنْهَضْنِي بِوَجِيبَاتِكَ .

وله في مثله :

كُلُّ يَوْمٍ أَسْعَدُ فِيهِ بِمُشَاهَدَتِكَ ، وَأَقْطَعُهُ فِي ظِلِّ مُوَدَّتِكَ ، حَقِيقٌ بِالْإِحَادِ ، مُؤَفٍّ
عَلَى تَحَاسِنِ الْأَعْيَادِ ؛ فَسَمِعَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، وَأَطَالَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ بَقَاءَكَ ؛ وَجَعَلَ سَائِرَ
أَيَّامِكَ مَقْرُونَةً بِالسَّعَادَاتِ ، مُوصُولَةً بِتَنَاصُرِ الْبَرَكَاتِ .

من زهر الربيع :

يَخْدُمُ الْمَجْلِسَ الْعَالِيَّ جَعَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَلَى الْأَقْدَارِ سَامِيَا ، وَجَزِيلَ نَوَالِهِ عَلَى مَنْ
هَامَ بِهِ مِنَ الْعُقَاةِ هَامِيَا ؛ وَنَصَرَهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، وَأَسْكَنَهُ مِنْ حِرَاسَتِهِ حِصْنًا حَصِينًا
وَرِزَا حَرِيزًا ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ حَالِيَةَ الْحَيِّدِ بِوُجُودِهِ ، وَالْأَيْدِي تَهَشُّ إِلَى تَسَاوُلِ
أَيْدِيهِ وَجُودِهِ ؛ وَأَخْبَارُ الْمَكَارِمِ عَنْهُ مَرْوِيَّةٌ وَإِلَيْهِ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَآيَاتُ فَضْلِهِ وَفَضَائِلُهُ
بِكُلِّ لِسَانٍ مُتَلَوَّةٌ .

وَيُنْهَى إِلَى عِلْمِهِ وَرُودَ مُشْرِفَتِهِ الَّتِي حَلَّتِ الْأَسْمَاعَ عِنْدَ مَا حَلَّتْ ، وَسَمَتْ عَنْ
الرِّيَاضِ لَمَّا جُلِّيَتْ عَرُوسُ فَضْلِهَا وَجَلَّتْ ؛ وَزَهَتْ عَلَى زُهُورِهَا ، بِرَقْمِ سُطُورِهَا ؛
وَطِيبَ عَرَفَهَا وَنَشَرَهَا ، بِمَا فَاحَ مِنْ طَيِّبِهَا عِنْدَ نَشْرِهَا ؛ وَفَائِقَ حُسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا ، بِرَائِقِ
بَرَاعَةِ عِبَارَتِهَا ؛ وَمَعَامِلَتِهَا بِمَا يَجِبُ مِنْ فُرُوضِ إِكْرَامِهَا وَالسَّنَنِ ، وَالْمَشْيِ فِي تَجْمِيلِهَا
عَلَى الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ مِنْ مُؤَالَاتِهِ وَالسَّنَنِ ، وَعِلْمِهِ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَنَاءِ بِالْعِيدِ ،
وَالْيَوْمِ السَّعِيدِ ؛ وَقَدْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ إِحْسَانُهُ الَّذِي مَا بَرِحَ مَتَحَقِّقًا بِجَمِيلِهِ وَجَزِيلِهِ ،
وَشَاكِرًا لِكَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الْبُشْرَى ، وَالْمَسْرَةُ الْكُبْرَى ؛ لَيْسَ لِلْعِيدِ بِمُفْرَدِهِ ،
وَلَا لِهَذَا الْهَنَاءِ بِمُجَرَّدِهِ ؛ بَلْ لِبَقَاءِ الْمَوْلَى وَدَوَامِ مَسْعَادَتِهِ ، وَتَخْلِيدِ سِيَادَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ عَيْنٌ وَلِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانٌ ، وَهُوَ رُوحٌ وَالْأَيَّامُ وَالْأَنْثَامُ جُثْمَانٌ ؛ فَالْمَمْلُوكُ بِبَقَائِهِ كُلِّ

يَوْمٍ يَتَجَدَّدُ لَهُ عَيْدٌ جَدِيدٌ ، وَيتَضَاعَفُ لَهُ جَدُّ سَعِيدٍ ، حَرَسَ اللَّهُ شُرْفَهُ الرَّفِيعَ مِنَ الْأَذَى ، وَأَرَاهُ فِي عَيْنِ أَعَادِيهِ جِذْعًا نَاتِئًا وَسَلَّمَ لِحَظِهِ الْمُحْرُوسَ مِنَ الْقَذَى ، وَأَصَارَ أَيَّامَهُ كُلَّهَا أَيَّامَ هَنَاءٍ ، وَبِدَايَةَ سَعَادَتِهِ بِغَيْرِ حَدٍّ وَآتِهَاءٍ .

الضرب السادس

(التهنئة بالزواج والتستري)

من كلام المتقدمين :

أبو الفرج البيهقي :

وَصَلَّ اللَّهُ هَذَا الْإِتِّصَالَ السَّعِيدَ ، وَالْعَقْدَ الْحَمِيدَ ، بِأَحْمَدِ الْعَوَاقِبِ ، وَأَجْمَلِ الْمَنَحِ وَالْمَوَاهِبِ ، وَجَعَلَ شَمْلَ مَسَرَّتِكَ بِهِ مُلْتِمًا ، وَسَبَبَ أَنْسِكَ بِإِقْبَالِهِ مَسْتَهْطًا ، وَعَرَّفَكَ بِهِ تَعَجُّلَ الْبَرَكَاتِ ، وَتَنَاضُرَ الْخَيْرَاتِ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنَ التَّهَانِي بِجُيَاءِ الْأَوْلَادِ ، وَكَبَتْ بِكَثْرَةِ عَدَدِكَ سَائِرَ الْحُسَادِ ، وَهَنَانِي النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ بِإِخَائِكَ ، وَعَضَّدَنِي وَسَائِرَ إِخْوَانِكَ بِبَقَائِكَ .

وله في مثله :

قَرَنَ اللَّهُ بِالْخَيْرَةِ مَا عَقَدْتَ ، وَبِالسَّعَادَةِ مَا جَدَّدْتَ ، وَبِجَمِيلِ الْعَاقِبَةِ مَا أَفْدَتَ ، وَعَزَّفَكَ بِرَكَاتِ هَذَا الْإِتِّصَالِ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنْ مَوَادِّ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ ، وَعَضَّدَكَ بِالْبَرَّةِ مِنْ عَقَبِكَ ، وَالسَّادَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ .

وله في مثله :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُلْتَحِفًا بِلُحْفِ مَوَدَّتِكَ ، وَمَتَمِّسًا بِعَصَمِ أُخُوَّتِكَ ، أَوْلَى بِالتَّهْنِئَةِ بِمَا يَحْدُثُ لَكَ مِنْ وَرُودِ نِعْمَةٍ ، وَأَتِّصَالِ مَوْهِبَةٍ ، فَإِنِّي مَا أَجِدُ فَرَضَ الدُّعَاءِ لَكَ

ساقطاً ، ولا واجبَ الشكر لله تعالى على ما أولاني فيك زائلاً ؛ فعرفك الله بركة هذا
الآتصال الحميد ، والافتقار السعيد ؛ وجعله للسرور مكثرًا ، وباليمن مبشراً ؛ وأحياك
للهاني بمثله في السادة من ولدك ، والتجباء من ذريتك .

وله في مثله :

وصل الله هذا الاتصال الميمون بأرجح البركات وأفضلها ، وأنجح الطلبات
وأكملها ؛ وأحمد بذاه وعقباه ، وبلغك الآمال في سائر ما تهواه ؛ وأحياك للهاني
بأمثاله في البررة من ولدك ، والتجباء من عقبك .

من كلام المتأخرين :

للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جعل الله الخيرة له فيما يذرّه ويأتيه ، والنجاح مقروناً بما يعيده من الأوامر ويُنْذِيهِ ،
والألْسنة شاكراً ما يؤليه من الإنعام ويُسْديهِ . صدرت هذه الخدمة مغربةً عن
ثناء تارّج عرّفه ، وولاء أعجز الألسنة شرحه ووصفه ؛ وتهنئة بهذه الوصلة المباركة
جعلها الله للاتصال بالسعادة سبباً ، ومحصلةً من الخيرات مرّاماً وإفراً وأرباباً ؛
وعرّفه بركة هذا العرس الذي أصبح الخيرُ بفنائهِ مُعرّساً ، ونورُ الشمس من ضياء
بهجته مقتبساً ؛ فنحمدُ الله على هذه الوصلة سراً وجهراً ، ونشكره أن جعلَ بينه
وبين السعد نسباً وصهرًا ؛ منحَ الله المولى الرّقاء والبين ، والعمر الذي يُفنى الأيام
والسنين ، ورزقه إسعافاً دائماً وإسعاداً ، وأراه أولاداً أولاده آباءً بل أجداداً ؛
إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالزواج والتسري

قال في "مواد البيان" : أجوبه هذه الرقاع يجب أن تكون شكرا لله على العناية والاهتمام ، و [مشملة على] الإبانة عن موقع دعائه من التبرك والتمن به ، إلا أن تكون البداية بمعنى يخرج عما هذا جوابه ، فينبغي أن يُجاب عنه بما يقتضى الإجابة عن ذلك .

الضرب السابع

(من الهاني التهئة بالأولاد، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول - التهئة بالبنين .

مما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

إنه ليس من نعم الله وقرائد قسمه وإن حسن موقعها، ولطف محلها؛ نعمة تعدل النعمة في الولد، لأنها في العدد، وزيادتها في قوة العضد؛ وما يتعجل من عظيم بهجتها، ويرجى من باقى ذكرها في الخلوفا والأعقاب، ولا حق بركتها في الدعاء والاستغفار .

ومنه : إنه ليس من النعم نعمة تُشبه النعمة في الولد، لزيادتها في قوة العضد، وحسن موقعها في الخلف والعقب؛ واتصل بي خبر مولود فسرتني ماوصل الله به من العارفة إليك، وشركتك في جميل الموهبة فيه شركة من له مالك وعليه ماعليك؛ وسألت الله أن يوزعك شكر النعمة ويؤنس بهذا المولود ربك، ويكثر به عددك؛ ويعظم بركته ويمن طائرته عليك، ويزيد به في النعمة كذلك، ويفعل الله ذلك، بمنه وطوله .

وفيه لابی الحسین بن سعد إلى أبی مُسلم بن بحر یهنئه باینِ حَدَثَ له :
فأما ماجدّد الله من النعمة فی القادم والموهوب لك ولداً وأنسا، ولنا سنداً
وذخراً، فقد جَلَّ قدرُ هذه الموهبة عن أن یحاط لها بوصف، أو یوفى لها بشکر.
وفیه لعلی بن خلف :

ويُنهی أنه اتّصل بالملوك بزُورُع نجمِ سعدٍ فی مَشارِقِ إقباله ، مُؤذِنٌ بالأساقِ سُمُوهُ
وجلاله ؛ فأحدَثَ من الجلال والاستبشار بمقدّمه ، والتبرک والتمنّ بقدمه ؛
ماتلّالاً على الملوك أنواره ، وحسنتُ عنده آثاره ؛ وسألتُ الله تعالى راغباً إليه
فی أن یعرّفه سعادةَ مولده ، ويمنّ موفّده ؛ ویجعلَه شاذاً لعُصده ، ومُورِياً لزندِه ؛
ویشفّعه والسادة السابقین ، بجُباة متلاحقین ؛ یتبَلَّجون فی نَطاقِ سعادتِه ، ویُتوسَّمون
فی آفاقِ سیادتِه ؛ ویضون سِلکهم من الانقِصام ، وشملهم من الانهدام ؛ ویُقیهم
غُرراً فی وجوه الأيام ، وأقماراً فی صَفحات الظلام ؛ بمنّهُ وفضله ، إن شاء الله تعالى .

وفیه له : ويُنهی أن الملوك یُشکّر الله تعالى على ما أنزلَهُ عندَ مولانا من عوارِفِه ،
وأختصّه به من لطائفه ؛ شکر من شارکَه فی النعمة المُسبَّغة علیه ، وأتّهی إلى خبرِ
السند المتجدّد لمولانا، فطار الملوك بخوافِ السُرور ومقادمه ، وأخذ من الإبتهاج بأوفى
قِسَمه ؛ وسأل الله تعالى أن یبارک له فی عطیّته ، ویُزِدَه بزیادته ؛ ویوقّر عدده ،
ویشدّ بصالح الولد عُصده ؛ ویُجَنِّه من هذا القادم ثمارَ المسرّة ، ویُری عینه منه
أقرّ قُوتَه ؛ ویشفّع المنّحة فی موهبته بإطالة مُدَّتِه .

وفیه : ويُنهی أن أفضلَ النعم موقِعاً ، وأشرفها خطراً ومَوْضِعاً نعمةُ الله تعالى
فی الولد : لزیادتها فی العدد وقُوّة العُصْد ؛ وما یُتَعَجَّل من عِظَمِ جمالها وزینتها ،
ویُرجى من حُسنِ مالها وعاقبتها ؛ فی حَفْظِ النّسب والأصل ، وحُسنِ الخِلافةِ على

الأهل ؛ وجميل الذِّكر والثَّناء ، ومتقبَّل الاستِغفارِ والدُّعاء ؛ وقد اتَّصل بالملوك بِزُوغِ هلالِ سماءِ المجد ، ومتعلِّق الإقبال والسَّغْد ؛ فأشرقَت الأيامُ بِإِشراقِهِ ، ووَقَّيتِ الآمالُ بِاجتلائِهِ وأتَّساقِهِ ؛ فقامَ الملوكُ عن مولانا بِشُكْرِ هذه النعمة المتجدِّده ، والموهبة الراهنة الخالِده ؛ وهنَّأتُ نفسِي بها ، وأخذتُ بحِطِّي منها ؛ والله تعالى يَعْرِفُهُ يَمُنُّ المولودُ من أطهرِ والدَةٍ وأطيبِ والدٍ ؛ ويُعَمِّرُ به منزله ، ويؤنِّسُ بِبقائه رَحْلَهُ ؛ وَيَبْلُغُ بِحَبِيهِ ، من الآمالِ فيه ، ما يَبْلُغُهُم في الماحدِ أُمِّهِ ؛ إن شاء الله تعالى .

وفيه : وَيُنْهِى أَنْ نِعَمَ الله تعالى وإن كانت على مولانا متظاهِره ، ولديه مُتناصِره ؛ فقد كان الملوكُ يَرِغِبُ إلى الله تعالى في أن يُجِملَ الأيامُ من تَسْلِهِ ، بَمَنْ يَحْفَظُ عليها شَرَفَ أَصْلِهِ ، وَيُخَلِّفُهُ بعدَ العُمُرِ الطويلِ في نُبلِهِ وكرمِ فِعْلِهِ ؛ وَلَمَّا اتَّصل بالملوكُ بِأَهداءِ هلالِ البازغِ في سَمائِهِ ، المُقَرَّرِ لِعُيونِ أوليائِهِ ، الخَيِّبِ لُطُنُونِ أعدائِهِ ؛ حَمِدَتُ الله تعالى على مَوْهِبَتِهِ ، وسألته لِإِقْرارِ نِعْمَتِهِ ؛ وأن يُعرِّفَ مولانا بِرِكةِ قَدَمِهِ ، وَيَمُنَّ بِمَقْدَمِهِ ؛ وَيَوْفِرَ حَظَّهُ من زِيادَتِهِ ، وسعادةِ وَقادَتِهِ ، وأن يَجْعَلَهُ بَرًّا تَقِيًّا ، مَبَارَكًا رَضيًّا ؛ وَيُفَسِّحَ في أَجَلِهِ ، وَيُبَلِّغَهُ فيه أَمَلَهُ ؛ إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

هُنَّتْ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ * وَنَقَّاذِ أَمْرِ فِي الْعِدَا بِنَقَادِ !
وَبَقِيَتْ مَابِقَ الزَّمَانِ مَهْنًا * وَوَقِيَتْ شَرَّ شِمَاتِهِ الْحُسَادِ !
يَا مَالِكِ الرَّقِّ الَّذِي أَضْحَى لَنَا * مِنْ جُودِهِ الْأَطْوَاقُ فِي الْأَجْيَادِ !
خَلَّدَتْ فِي عَيْشٍ هَيَّ أَحْضَرِ * يَسْطُو بِبَيْضِ طَبَا وَسُمُرِ صَعَادِ ،
حَتَّى يَخَاطَبَكَ الزَّمَانُ مُبَشِّرًا : * مَتَّعَ بِالْإِخْوَانِ وَالْأَوْلَادِ !

جَدَّدَ اللهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مَسْرَّةً وَبُشْرَى ، وَأَطَابَ لِعُرْفِهِ عَرَفًا وَتَشْرِبًا ، وَشَدَّ لَهُ بَوْلَهُ السَّعِيدِ الطَّلَعَةِ أَزْرًا وَأَسْرًا ، وَسَرَّى بِهِ الِهْمُومَ عَنِ الْقُلُوبِ وَأَصَارَهَا لَدَيْهِ أَسْرَى ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ إِلَى سَمَاءِ الْمَعَالَى لِيُقَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي بَعْدَهُ أَسْرَى .

الْمَلُوكُ يُخْدَمُ الْمَوْلَى وَيَهْنِيهِ وَيُشْكِرُهُ ، وَيُطْلِعُهُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ لِلْسَّبَبِ الَّذِي يُنْبِيهِ وَيَذْكُرُهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ قُدُومُ الْمَسَافِرِ بِلِإِسْفَارِ الْبَدْرِ ، وَظُهُورُ مُيُونِ الْعُرَّةِ الَّذِي جَاءَ لِأَهْلِهِ بِأَمَانٍ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ، وَهُوَ الْوَلَدُ الْغَزِيرُ الْمَوْفَّقُ النَّجِيبُ ، فَلَانَ ، أَبْقَاهُ اللهُ تَعَالَى لِيَحْيَا مَشْكُورًا مَحْمُودًا ، مَنْصُورًا بِسَيْفِ جَدِّهِ وَسِنَانِ سَعْدِهِ مَسْعُودًا ، وَأَدَامَ عِزَّهُ وَعُلَاهُ ، وَأَعْلَى نَجْمِهِ وَخَلَّدَ شَرْفَهُ وَبَهَاءَهُ ، وَضَاعَفَ سَنَاءَهُ وَسَنَاءَهُ ، وَأَرَانَا مِنْهُ مَا أَرَانَا مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَيْمِهِ ، فَسُرُّوْا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ غَايَةً الشُّرُورِ وَالْإِبْتِهَاجِ ، وَأَتَضَّحُّ لَهُ فِي شُكْرِ إِحْسَانِ الْمَوْلَى وَحُسْنِ وَلَدِهِ كُلِّ طَرِيقٍ وَمِنْهَاجٍ ، وَسَالِ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُطَوِّلَ لَهُ عُمْرًا ، وَيَجْعَلَ لِإِسْعَادِ وَالِدِهِ وَإِسْعَافِهِ ذُنُورًا ، لِيَرْتَعََا فِي رِيَاضِ الدِّعَةِ فِي صِحَّةٍ وَسَلَامِهِ ، وَيَجْعَلَ فِي فَنَاءِ الْعُلَا لَهَا دَارَ إِقَامَةٍ ، وَيُلْغَا مِنْ السَّعَادَةِ دَرَجَةً لَا تَرِيمُ عَالِيَةً وَلَا تُرَامُ ، وَتَخْضَعُ لَهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَيَرْشُقَاهُمَا بِسِهَامِ الصُّرُوفِ وَيَطْعَنَاهُمَا بِأَسْنَتَيْهَا ، وَيَفْهَمَا دَعَاءَ الْأَيَّامِ لَهَا مِنْ صُدُورِهَا وَيَسْمَعَاهَا مِنْ أَلْسِنَتَيْهَا ، مَخَاطِبَةً لِأَيْمِهِ ، وَمُنْشِدَةً لِسَائِرِ أَهْلِهِ وَمَحْيِيَةً :

مَدِّ لَكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَدًّا ، * حَتَّى تَرَى نَجْمَكَ هَذَا جَدًّا

الصف الثاني — التهئة بالبنات .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

النِّعْمَةُ نِعْمَتَانِ : إِحْدَاهُمَا تُعَجِّلُ الْأُنْسَ ، وَالْأُخْرَى تُدَنِّرُ الْأَجْرَ ؛ وَعَلَى حَسَبِ

مَاتَلَقَى بِهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى ظَاهِرِ الْمَحْبُوبِ ، وَالتَّسْلِيمِ فِيمَا يَجْرَى مَجْرَى بَعْضِ الْمَكْرُوهِ ؛
يَكُونُ الْمَتَاعُ عَاجِلًا ، وَالثَّوَابُ آجِلًا ؛ وَمَا قَدَّمْتُ الْقَوْلَ [إِلَّا] لِمَا ظَنَنْتُهُ يَغْرِضُ
لَكَ مِنَ الْوُجُومِ فِي هَذِهِ الْمَوْهَبَةِ ، فِي الْمَوْلُودَةِ الَّتِي أَرْجُو أَنْ يَعَظَّمَ اللَّهُ بَرَكَتَهَا ، وَيَجْعَلَهَا
أَيَّامَ مَوْلُودٍ فِي عَصْرِهَا ، وَدَالَّةً عَلَى سَعَادَةِ أَيْيَامِهَا وَجَدَّهَا ؛ وَ[لَئِنْ] كَانَ فِي الطَّبْعِ حُبُّ
الذُّكُورِ وَالشَّغْفُ بِالْبَيْنِ ، فَإِنَّ الْبَيْنَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَهُنَّ بِالْيَمْنِ مَعْرُوفَاتٌ ؛ وَبِالْبَرَكَاتِ
مَوْصُوفَاتٌ ، وَبِالذُّكُورِ فِي أَثَرِ هُنَّ مُبَشِّرَاتٌ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ النِّعْمَةَ فِيهَا تَهْنِئَةً لَا تَقْضِي
سَعَادَتَهَا ، وَلَا يَعْتَرِضُ النِّقْصُ وَالتَّقْدِيرُ شَيْئًا مِنْهَا ؛ وَابْقِ هَذِهِ الصَّبِيَّةَ مِمَّا أَبُوهَا بِهَا ،
وَمُنْشَأَ لَهُ الْحِطُّ مِنْ حَدَاتِهَا ؛ وَبَلِّغْهَا أَفْضَلَ مَبَالِغِ الصَّالِحَاتِ الْقَائِمَاتِ مِنْ أُمَمَاتِهَا ؛
وَجْعَلْ فِي مَوْلِدِهَا أَصْدَقَ دَلِيلٍ عَلَى طُولِ عُمرِ أَيْيَامِهَا وَسَعَادَةِ جَدِّهَا ، وَتَضَاعُفِ نِعَمِ اللَّهِ
عِنْدَهُ ؛ إِنَّهُ لَطِيفٌ جَوَادٌ .

أَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ بَحْرٍ :

مَرَحَبًا بِكَرِّ النِّسَاءِ ، وَبِكِرِّ الْأَوْلَادِ ، وَعَقِيلَةِ الْخِلَاءِ ، وَالْمَأْمُولَةِ لِلْبَرَكَةِ ، وَالْمَشْهُورَةِ
بِالْيَمْنِ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَاهُ فَوْجَدْنَاهُ مَعْهُودًا مُسْعُودًا ؛ وَاللَّهُ يَعْرِفُكَ أَضْعَافَ مَا عَرَفَ
مَنْ قَبْلَكَ ، وَيُبَارِكُ لَكَ فِيمَا رَزَقَكَ ؛ وَيُنَفِّسُ لَكَ بَأْسَ الْوِلْدَةِ وَيَجْعَلُهُ رَدِيفَهَا ،
وَفِي الْخَيْرِ قَرِينَهَا وَشَرِيكَهَا .

عَلِيٌّ بْنُ خَلْفٍ :

وَيُنَبِّئُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ أَتَّصَلَ بِهِ آرْتِمَاضُ^(٢) مَوْلَانَا بِمَقْدَمِ الْكَرِيمَةِ الْوَافِدَةِ ، بِطَالِعِ
السَّعَادَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ؛ فَعَجِبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ مَوْلَانَا مَعَ كَمَالِ نُبْلِهِ ،

(١) الْمُرَادُ بِهِ التَّضْيِيقُ أَنْظَرَ الْقَامُوسَ .

(٢) يُرِيدُ قَلْقَهُ وَعَدَمَ أَنْبَسَاطِهِ .

وشرف عقله وعلمه ؛ فإن الله تعالى جلَّ اسمه يقول : ﴿ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ وإن ما جتده الله تعالى من مواهبه جدير أن يتلقى بالسرور والفرح ، لا بالاستياء والترح ؛ لاسيما والدُّكر إنما يتفضل على الأنثى بنجابتها ، لا بحليتها وصورته ؛ وقد يقع في الإناث مَنْ هو أشرف من الذكور طبعًا ، وأجزل عائدةً ونفعًا ؛ وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا رُزِقَ الْعَبْدُ الْأُنْثَى نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْبِشُوا بِالرِّزْقِ ؛ وَإِذَا رُزِقَ ذَكَرًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْبِشُوا بِالْعِزِّ “ فليستقبل مولانا الرزق بالشكر فإن العز يتبعه ، ولا يعارض الله تعالى في إرادته ؛ ولا يستقل شيئًا من هبته ؛ والله تعالى يُعرفه بمن عهودها ، وسعادة قُدمها ؛ وأن يسره بعدها بإخوة متتابعين متلاحقين ؛ يؤيدون أمره ، ويحيون بعد العمر الأطول ذِكْره .

أبو الفرج الببغاء :

لو كان الإنسان متصرفًا في أمره بإرادته ، قادرًا على إدراك مشيئته ؛ لبطلت دلائل قدره ، وأستحالت حقائق صنعه ؛ ودرست معالم الآمال ، وتساوى الناس ببلوغ الأحوال ؛ غير أن الأمر لما كان بغير مشيئته مصنوعًا ، وعلى ما عنه ظهر في الابتداء مطبوعًا ؛ كان المخرج له إلى الوجود من العدم ، فيما ارتضاه له غير متهم ؛ ومولانا - أيد الله - مع كمال فضله ، وتناهى عقله ؛ وحِدَّةِ فطنته ، وثاقب معرفته ؛ أجل من أن يحهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو يتسخط مواهبه الصادرة إليه ؛ فيرمقها بنواظر الكفر ، ويسلك بها غير مذاهب الشكر .

وقد اتصل بالملوك خبر المولودة كرم الله غرَّتْها ، وأطال مُدَّتْها ؛ وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أملها فيها ؛ وما كان من تغيره عند أنضاج الخبر ، وإنكار ما اختاره

له سابقُ القَدَرِ؛ فمَجِبَ المملوكُ من ذلك واستنكره، من مولانا وأنكره؛ لضيق العُذر في مثله عليه . وقد عِلِمَ مولانا أنَّهم أقربُ إلى القلوب ، وأنَّ الله تعالى بدأ بهم في الترتيب فقال جلَّ من قائل : ﴿يَهَبْ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا وَسِيَّهٌ لِّمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ وما سَمَّاهُ الله هبةً فهو بالشكر أَوْلَى، وبِحُسْنِ التَّقبُّلِ أحرى ؛ وَلَكَمْ نَسِبَ أَفْدَنُ ، وشَرَفَ اسْتَحْدَثُنْ ؛ من طُرُقِ الأَصْهارِ ، والاتِّصَالِ بِالْأَخْيَارِ . والملمتسُ من الذَّكرِ نَجَابَتُهُ ، لأَصُورَتُهُ وولادته ؛ وَلَكَمْ ذَكَرِ الأَثْنَى أكرمُ منه طَبْعاً ، وأظهرُ منه نَفْعاً ؛ فمولانا يُصَوِّرُ الحَالِ بِصُورَتِهَا ؛ ويَجِدُّ الشُّكْرَ على ما وَهَبَ منها ؛ ويستأنِفُ الاعترافَ له تعالى بما هو الأشبهُ ببصيرته ، والاولى بمثله ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث - التهنية بالتوعم .

أَحْسَنُ ما رأيتُ من ذلك قولُ بعض الشعراء مما كَتَبَ به إلى بعض أصحابه ، وقد وُلِدَ له ذَكَرٌ وأُثْنَى من جارية سوداء ، وهو قوله :

وَحَصَّكَ رَبُّ العَرِشِ مِنْهَا بِتَوْعَمَ * وَمِنْ ظُلُمَاتِ البَحْرِ تُسْتَخْرِجُ الدَّرَرَ !
وَاركَ أَضْحَى وَإِنَّا عِلْمُ جَارٍ . * فَأَعْطَاكَ مِنَ أَلْقَابِهِ الشَّمْسَ والقَمَرَ !

الأجوبة عن التهنية بالأولاد

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرِّقَاعِ يجبُ أن تُبْنَى على شُكْرِ أَهْتَامِ المَهْنَى ورعايته ، والاعتدادِ بعنايته ؛ وأنَّ الزيادة في تجدد المَهْنَى [به] زيادةٌ في عدده ، وأن نصيبه من تحرك السرور فيما يخلص إليه من المَوَاهِبِ كنصيبه : لتناسُبهما في الإخاء ، وتوافيهما في الصِّفاء ، وأن تراعى مع ذلك مرتبة المَهْنَى والمَهْنَى ، وبين الخطاب على ما يقتضيه كُلُّ منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وَيُنْهَى رُودَ الْكَتَابِ الَّذِي تَشْرَفُ الْمَمْلُوكُ بِوُرُودِهِ ، وَأَشْرَقَتِ الْأَيَّامُ بِكَالِ
سُعُودِهِ ، وَأَرْغَمَ بِلَاغَتِهِ مَعْطَسَ مُنَاوِيهِ وَحُسُودِهِ ؛ فَشَكَرَ أَيَادِي مَنْ أَنْعَمَ بِإِرْسَالِهِ ،
وَأَكْتَسَى بِالْوُقُوفِ عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ حُلَلِ نَخْرِهِ وَجَمَالِهِ ؛ وَبَالِغَ فِي إِكْمَالِهِ ، حَتَّى وَقَفَ
إِجْلَالًا لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ تَلَا آيَاتِ حُسْنِهِ عَلَى أُذُنَيْهِ ؛ فَوَجَدَهُ مُشْتَمِلًا عَلَى إِحْسَانٍ
لَمْ يَنْسِفْهُ إِلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ ، وَمِنْ أَوْدَعِهَا فِيهِ فَلَا يُحْصِيهَا حَضَرٌ وَلَا عَدَدٌ ؛ فَهَيَّجَ بِوُرُودِهِ
رَسِيسَ الْأَشْوَاقِ ، وَتَقَلَّدَ بِإِنْعَامِ مُرْسِلِهِ كَمَا قُلَّدَتِ الْحَمَائِمُ بِالْأَطْوَاقِ ، وَوَجَدَ لَوْعَةً
لَا يُحْسِنُ وَصْفَهَا لِسَانُ الْيَرَاعِ فِي الْأَوْرَاقِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَوْلَى مِنَ التَّهْنِئَةِ
بِالْوَلَدِ الْجَدِيدِ ، بَلْ بِأَصْغَرَ الْخَدَمِ وَالْعِيْدِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْإِهْتِهَابِ لِمِيلَادِهِ ، وَأَظْهَرَهُ
مِنَ التَّفَضُّلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ آبَائِهِ الْكَرَامِ وَأَجْدَادِهِ ؛ وَلَمْ لَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ
وَالْوَالِدُ مَمْلُوكُهُ ، وَهُوَ مَمْلُوكُ السَّادَةِ الْأَجْلَاءِ أَوْلَادِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ مَجْدَهُ وَتَمَتَّعَ بِثَنِّهِ
مُكَارِمِهِ ، وَخَفَضَ قَدْرَ مُحَارِبِهِ وَرَفَعَ كَلِمَةَ مُسَالِمِهِ ؛ وَلَا زَالَ مَمَالِكُهُ تَتَرَدَّدُ تَرَدُّدَ
الْأَيَّامِ ، وَسَعَادَتُهُ بَاقِيَةٌ بَقَاءَ الْأَعْوَامِ ، وَعَيْنُ الْعَنَاءِ تَحْرُسُهُ فِي حَالَتِي السَّفَرِ وَالْمَقَامِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثامن

(من التهاني التهنئة بالإبلا من المَرَضِ والعافية من السَّقَمِ)

فمن ذلك :

وَيُنْهَى أَنَّهُ مَازَالَتْ أَجْسَامُ أَهْلِ النَّصَافِي ، تَشْتَرِكُ فِي الْأَسْقَامِ وَالْعَوَافِي ، كَمَا تَشْتَرِكُ
أَنْفُسُهُمْ فِي التَّخَالُصِ وَالنَّوَافِي ؛ وَلَمَّا أَلَمَ بِمَوْلَانَا هَذَا الْأَلَمُ الَّذِي تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى

بإماتته ، ومنّ فيه على السُّودد بحراسة مولانا وحياطته ؛ فرأيتُه حالاً في جوارحي ،
مُحرّقا لجوانيحي ؛ مازجا لأعضائي ، مملّكا لأنوائِي ؛ ولئن كنتُ قد تملّمت من ذلك
عباً ، وأرتقيت من تملّله مُرتقى صعباً ؛ فلقد نَحَرْتُ بمأسّته ، وأحمدتُ طبعي على
مُساكلته ؛ وشكرتُ الله تعالى إذ جعلني شُعبة من سرحته ، وجيلة من طينته ؛ وعلى
ماسرّبه من إقالته وإنعاشه ، ومُصافاته وإنشاشه ؛ وسألتُ الله تعالى أن يبقية نُورا
يُوضّح مغربَ الدهر ومشرقه ، ودرا يُرصّع قودَ المجد ومفرقه ؛ ويُحسن الدِّفاع عن
حَوْبائه ، وهو سبحانه يُجيب ذلك ويتقبّله ، ويرفعه ويسمعه ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

المملوكُ يهنئُ مولاه خاصّةً إذ جعله الله تعالى من صفوة أوليائه ، وخالصة أحبائه ؛
الذين يتلّهم اختباراً ، ويتنبأهم اختياراً ؛ ليجمع لهم بين تمحيص وزرهم ، ومضاعفة
أجرهم ؛ والحضّ على طاعته ، والإصراف عن معصيته ؛ ويهنئُ الكافّة عامّة بالموهبة
في نُوره المُطلعة لاملِ الإقبال ، المُروية لماحل الآمال ؛ ثم أعطفُ على حمد الله
على ما منّ به من إبلاله ، ويسره من استقلاله ؛ والرغبة إليه في أن يمنحه صحّة مُخلّد
وتُقيم ، وعاقية ترهن ولا ترّيم ؛ وأن يحّيه من عوارض الأسقام ، ويصونه من حوادث
الأيام ؛ بفضله وجوده ، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغواء :

أفضلُ ما يَفْزَعُ إليه العبدُ المخلص ، والمولى المتخصّص ؛ فيما ينوبُ سيّده ويهمُّ
وَلِيَّ نِعْمَتِهِ ، الدعاءُ المقتَرَنُ بصدق النية ، وصَفَاء الطويّة [فالحمد لله الذي من بالصحة]
وتصدق بالإقالة ، وتدارك بجميل المدافعة ؛ وعمّ سائر خدَمه أيّده الله بالنعمة ، وأعادَه

إلى أجمل عاداته من السلامة والصَّحَّة ، فائزاً بمُدَّخَر الأجر، متعبداً بمُسْتَأْنَف الشُّكْرِ ؛
فلا أخلاه الله من زيادةٍ فيما يُؤْلِيه ، ولا قَصْدَنَا بِسَمَاعِ سُوءٍ فيه ؛ وحرَسَ من الغيرِ
مُهْجَتَه ، ومن المَحْدُورِ نِعْمَتَه .

وله في مثله :

ما كنتُ أعلمُ أنَّ عَافِيَتِي مَقْرُونَةٌ بِعَافِيَتِكَ ، ولا سَلَامَتِي مَضَافَةٌ لِسَلَامَتِكَ ؛
إلى أنْ تَحَقَّقْتَ ذَلِكَ من مُشَارَكَتِي إِيَّاكَ في حَالَتِي الأَلَمِ والصَّحَّة ، والمرضِ والمِجْنَةِ ؛
فالحمدُ لله الذي شَرَّفَ طَبِيعِي بِمُنَاسَبَتِكَ ، وَجَمَّلَ خُلُقِي بِمِلَاءَمَتِكَ ؛ فيما سَاءَ وَسَرَّ ، وإِيَّاهُ
تَعَالَى أَشْكُرُ عَلَى مَا خَصَّنِي بِهِ من كَمَالِ عَافِيَتِكَ ، وَسُبُوغِ سَلَامَتِكَ وَسُرْعَةِ إِقَالَتِكَ ؛
وبه - جَلَّ أَسْمُهُ - أَتَقَيُّ في مَزِيدِكَ من تَظَاهُرِ النِّعَمِ ، وَتَوَفُّرِ الْقِسَمِ .

وله في مثله :

ولولا أنَّ مَتَمَّعَنَ كِتَابِكَ قَرَنَ ذِكْرَ المَرَضِ الهَاجِمِ عَلَيْكَ ، بِذِكْرِ مَا وَهَبَهُ اللهُ لَكَ
من عَوْدِ السَّلَامَةِ إِلَيْكَ ؛ لَمَا اقْتَصَرَ بِي الْقَائِلُ عَلَى [مَا] دُونَ الْمَسِيرِ نَحْوَكَ ، والمُبَادَرَةِ
لِمَشَاهِدَتِكَ ؛ غَيْرَ أنَّ السُّكُونَ إِلَى مَا أَدَّاهُ كِتَابُكَ سَابِقَ الْجَزَعِ ، وَالطَّمَأْنِينَةَ إِلَى مَا وَهَبَهُ اللهُ
من كِفَايَتِكَ حَالَتِ دُونَ الْهَلَعِ ؛ فَالحمدُ لله الذي مَنَّ بِالْإِقَالَةِ ، وَتَصَدَّقَ بِالسَّلَامَةِ وَعَمَّ
بِالْكِفَايَةِ ؛ وَهُوَ وَلِيُّ حِرَاسَتِكَ وَحِرَاسَتِي فِيكَ .

وله في مثله :

سَيِّدَنَا في سَائِرِ مَا يَذْكُرُهُ اللهُ من جُحُومِ أَلَمٍ مُؤَذِّنِ بِصَحَّتِهِ ، وَاعْتِرَاضِ مَخْنَةٍ مُؤَدِّيَةٍ إِلَى
مَنْحِهِ ؛ مَرْمُوقٌ بِالْعَافِيَةِ ، مُحَرَّسٌ من الله جَلَّ أَسْمُهُ بِالْحِفْظِ وَالْكَلَّاءَةِ ؛ فَهُوَ معِ الْعِلَّةِ
فَائِزٌ بِذَخَائِرِ الأَجْرِ ، وَمَعَ الْعَافِيَةِ مُوَفَّقٌ لِاسْتِرَادَةِ الشُّكْرِ ؛ فَالحمدُ لله الذي عَقَدَ الْكَرَمَ
بِقَبَائِهِ ، وَشَفَى مَرَضَ الآمَالِ بِشِفَائِهِ ؛ وَكَفَاهُ اعْتِرَاضَ الخَوْفِ ، وَعَوَارِضَ الصُّرُوفِ .

وله في مثله :

ما أَفَرَدَ جِسْمُكَ بِالْعِلَّةِ دُونَ قَلْبِي ، وَلَا اخْتَصَّتْ نَفْسُكَ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى -
بِعُانَةِ الْمَرَضِ دُونَ نَفْسِي ؛ وَلَمْ أَرْزُ بِالْقَلْبِ تَالِيَا ، وَفِي سَائِرِ مَا شَكُوهُ بِالنِّيَّةِ مُسَاوِيَا ؛
إِلَى أَنْ كَشَفَ اللَّهُ الْغُمَّهَ ، وَأَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَنَفَسَ الْكُرْبَةَ ؛ وَمَنْ بِالسَّلَامَةِ ، وَتَصَدَّقَ
بِالْكِفَايَةِ ؛ وَأَوْجَبَ بِالْعَافِيَةِ عَلَيْنَا جَمِيعًا فُرُوضَ الشُّكْرِ ، بَعْدَ مَا أَدَّخَرَهُ لَكَ بِالْأَلَمِ مِنْ
كَثْرَةِ الْأَجْرِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا يُؤَدِّي إِلَى حِرَاسَةِ مَا حَوَّلَكَ ، وَيُؤْذِنُ بِالْمَزِيدِ
فِيَا مَنْحَكَ .

ومن كلام المتأخرين :

أَعْلَى اللَّهِ قَدَرَ الْجَنَابِ الْقُلَانِي ، وَلَا زَالَتْ شُمُوسُ أَيَامِهِ لِاتِّخَافِ كُسُوفِهَا وَلَا أَقُولَا ،
وَأَقَامَرُ لِيَالِيهِ تَغْرِسٌ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَمَحْيِيهِ فُرُوعًا وَأَصُولًا .

الْمَمْلُوكُ يَخْدُمُ خِدْمَةً مَنْ تَحْمِلُ جَمِيلًا ، وَنَالَ مِنْ تَفَضُّلِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ جَزِيلًا .
وَيُنْبِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ بِعَافِيَةِ مَوْلَانَا ، فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا جَدَّدَ مِنَ النِّعْمَةِ
التَّامَّةِ ، وَتَمَحَّجَّ بِهَ مِنَ الْكَرَامَةِ الْعَامَّةِ ؛ حِينَ أَعَادَ الْبَدْرَ إِلَى كَمَالِهِ ، وَالسُّرُورَ إِلَى أَمْتِّ
أَحْوَالِهِ ؛ وَمَا كَانَتْ إِلَّا غَلْطَةً مِنَ الدَّهْرِ فَاسْتَدْرَكَهَا ، وَصَفْقَةً خَارِجَةً عَنْ يَدِهِ فَمَلَّكَهَا ؛
فَقَرَّتْ بِذَلِكَ الْعُيُونُ ، وَتَحَقَّقَتْ فِي بُلُوغِ الْأَمَلِ الظُّنُونُ ؛ وَأَنْجَبَرَ قَلْبُهُ بَعْدَمَا وَهَنَ ،
وَعَادَ جَفْنُهُ بَعْدَ الْأَرْقِ إِلَى الْوَسَنِ ؛ وَقَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) .
وَلَقَدْ كَانَ يَتَمَتَّى الْمَمْلُوكُ لَوْ فَازَ مِنَ الرُّؤْيَةِ الشَّرِيفَةِ بِحِطِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَتَمَلَّى بِمُشَاهَدَةِ
وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ فِيهِ الْبُغْيَةَ وَالْوَطَرَ .

وَالْمَمْلُوكُ فَمَا يُعَدُّ نَفْسَهُ إِلَّا مِنَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ يَذَلُّوا أَنْفُسَهُمْ لِمَحَبَّتِهِ وَأَعَدُّوْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُسِّرُ الْأَوْلِيَاءَ بِتَضَاعُفِ سُعُودِهِ ، وَيُدِيمُ بِهِجَةَ الْأَيَّامِ بِمَيْمُونِ وَجُودِهِ ؛ وَيُطِيلُ

في مدته ويحرسها من الغير، ويحرس أحوال مزاجه الكريم على القائلون المعتبر،
ويكفي أوليائه ومحبيه فيه كل مكروه وحذر، إن شاء الله تعالى .

من زهر الربيع :

ولما شكوت، أشتكى كل ما * على الأرض وأهتر شرق وغرب !

لأنك قلب لجسم الزمان * وما صح جسم إذا اعتل قلب !

حرس الله جنابه، وأسبل عليه رداء السعد وأثوابه، ومنعه يرود العافية وجلبابها،
وفتح له إلى نيل السعادة سائر أبوابها، ومنحه الكفاية والأمن في سريه، والعافية
في جسمه من قلق كل مرض وكربه، وجمع له بين الثواب والأجر، وجازاه بجزيل
الغفران عن جميل الصبر .

المملوك يبشر نفسه ومولاه بما من الله به من صحة مزاجه الكريم، والإبلال من
مرض كاد يدير كئوس الحمام على كل صديق حميم، ويحمد الله على عافيته حمدا
جزيلًا، ويشكره عليها بكرة وأصيلًا، فإنه قد عوفي لعافيته المجد والكرم، وزال عنه إلى
أعدائه الألم، فالمولى حفظ الله صحته من السقم، وحماه من ألم ألم، وجعل سعادتَه
تترأد على ممر الأنفاس، وجسده سالمًا من الأذى كسلامة عرضه من الأذناس،
إن شاء الله تعالى .

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وقى الله من الأسواء شخصه الكريم، وشمله النظيم، وقلب حبه الذي هو في كل
وادي من أودية الإشفاق بهم .

ولا زالتِ الصَّحَّةُ قَرِينَهُ حَتَّى لَا يَعْتَلَّ فِي مَنَازِلِهِ غَيْرُ مُرُورِ النَّسِيمِ . وَيَصِفُ شَوْقًا
يَزِيدُ بِالْأَنْفَاسِ وَقْدًا ، وَيَجِدُّ لِلْأَحْشَاءِ وَجْدًا ، وَيَسَاشِرُ الْقَلْبَ الْمُغْرَمَ فَيَمُدُّ لَهُ مِنْ
عَذَابِ الْإِنْتَظَارِ مَدًّا .

وَيَنْهَى أَنَّهُ جَهَّزَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ نَائِبَةً عَنْهُ فِي اسْتِجْلَاءِ وَجْهِ أَكْرَمِ الْأَحْبَةِ ، وَتُصَاخِ
الْيَدِ الَّتِي أَقْلَامُ كُتُبِهَا فِي شَكْوَى الْبِعَادِ أَطْبَعُ ، مَبْدِيَةً إِلَى الْعِلْمِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ مَعَ مَا كَانَ
يَكَايِدُهُ مِنَ الْأَشْوَاقِ ، وَيَعَالِجُهُ مِنْ خَوَاطِرِ الْإِشْفَاقِ ، بَلَّغَهُ ضَعْفُ الْجَسَدِ الْمَوْقُ ،
وَعَارِضُ الْأَلَمِ الَّذِي اسْتَطَارَ مِنْ جَوَانِحِ الْحَبِّينِ بَرَقًا ، فَلَا يَسْأَلُ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ عَنْ
قَلْبٍ تَأَلَّمَ ، وَصَدْرٍ صَامَتٍ بِالْهُمُومِ وَلَكِنَّهُ بِجِرَاحِ الْأَشْجَانِ تَكَلَّمَ ، وَلِسَانٍ أَنْشَدَ :

أَلَا لَيْتَنِي حُمِلْتُ مَا بِكَ مِنْ ضَنْئِي * عَلَى أَنَّ لِي مِنْهُ الْأَذَى وَلَكَ الْأَجْرُ !

ثُمَّ لَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَجَّلَ خَبَرَ الْعَافِيَةِ الْمَأْمُولَةِ ، وَالصَّحَّةِ الْمُقْبِلَةِ عَقِيبَ الدَّعَوَاتِ
الْمَقْبُولَةِ ، فَيَا هَذَا مَسْرَةً شَمِلَتْ ، وَمَبْرَةً كَمَلَتْ ، وَتَهْنِئَةً جَمَعَتْ قُلُوبَ الْأَوْدَاءِ وَجَمَلَتْ ،
وَأَعْضَاءَ قَدَتِهَا عُيُونُ الْمَهَامَا فَتَقَلَّتْ عَنْهَا صِفَاتِ السَّقَامِ وَحَمَلَتْ ، وَعَافِيَةً حَوَّلَتْ إِلَى
قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ الْمَرَضِ ، وَجَوْهَرِ جَسَدٍ طَاهِرٍ زَالَ [عَنْهُ] بِأَسِّ الْعَرَضِ ، فَهَنِيئًا لَهُ
بِهَذِهِ الصَّحَّةِ الْمُتَوَافِرَةِ الْوَاقِيَةِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّ جَمْعَ بَيْنِ حُصُولِ الْأَجْرِ
وَوُصُولِ الْعَافِيَةِ ، وَعَلَى أَنَّ حِفْظَ ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ وَحِفْظُهَا هُوَ الْمَقْدَمَةُ الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ :

وَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْمَسْرَةَ بَيْنَهُمْ * قَسَمًا فَكَانَ أَجْلُهُمْ قِسْمًا أَنَا !

وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَبِّحُ عَلَيْهِ ظِلَالُ نِعَمِهِ ، وَيَحْفَظُهُ حَيْثُ كَانَ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَدَمِهِ ؛
وَكَمَا سَرَّ الْأَحْبَابَ بِجَبْرِ عَافِيَتِهِ كَذَلِكَ يُسَرُّهُمْ بِعِيَانِ مَقْدَمِهِ .

أجوبة التهئة بالإبلال من المرض والعافية

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرّفاع يجب أن تكون مبنية على وصف الألم وصورته وما تفضّل الله تعالى به من إماتته ، وشكر المهني بأهتمامه وعنايته .

وهذه أمثلة من ذلك :

من زهر الربيع :

أدام الله نعمته ، وشكر مئته ، وأدال دولته ؛ وأعلى قدره وكلمته ، وحتم على الألسنة شكره والقلوب محبته . ولا زالت التهانى من جهته وإفده ، والبشائر وإرده .

ويُنهى ورود الكتاب الذى أعدته يد المعالى فعاد كريماً ، وشاهد حسن منظره فصار وجهه وسيماً ، وأنه وقف عليه ، وأحاط علماً بكل ما أشار المولى إليه ؛ فذكره أنسا كان بخدمته لم ينسه ، وجدّد له وجدا ما زال يجد في قلبه ونفسه عينه ونفسه ؛ وقسّم من مآثره الماثورة ، وفضائله المرقومة في صفائح الصّحائف المسطّورة ؛ ماشفّ به وشرف ، وشوق إلى لسانه وشوف ؛ وأقام البرهان على ذكي فطنته ، وزكى فطرته ؛ وعلم ما أنعم به وتفضل ، وأحسن وتطول : من تهئة المملوك بالإبلال من مرضه ، والبراء من سقمه ، والتخلّص من يدى وجعه وآلمه ؛ وسرّ بورود كريم مشرقته ، أعظم من سروره بلباس ثوب عافيته ؛ وبدوام مجده وسعادته ، أكثر من صحّة مزاجه وأستقامته : فإنّ مكارم المولى كالحدايق النّاضرة ، ومثّلته أعز في القلوب من الأحداق النّاظرة .

فالحمد لله الذى منّ بالعافية من ذلك المرض ، والداء الذى ألمّ بعرضيه فاحتوى منهما على الجوهر والعرض ؛ وطال حتى أسامه من نفسه وعواده ، وآيسه من الحياة

لولا لطفُ الله واللهُ لطيفٌ بعباده ؛ وهذا ببركةِ المولى ودعائه الذى كان يرفعه ،
والخواطرُ والأسماعُ مع بُعدِ الشُّقَّةِ تشهدُ به وتسمعه ؛ جعل الله التهانى مع الأبد
واردةً منه وإليه ، وشكرُ إنعامه وأتمُّ نعمته عليه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وكتبتُ للمقرِّ العلائى علاء الدين الكرِّكى وهو يومئذ كاتبُ السِّرِّ الشريف
فى الدولة الظاهرية « برقوق » فى سلطته الثانية ، وقد برأ من مرض نظما :

أَفَدِيهِ مِنْ جَسَدٍ قَدْ صَحَّ مِنْ مَقَمٍ * فَبَاتَ جَوْهَرُهُ خَالٍ مِنَ الْمَرَضِ !
فَاسْتَبَشَّرْتُ بَعْلَى الْقَوْمِ شَيْعَتَهُ * وَمَاتَ حَاسِدُهُ بِالسَّقَمِ وَالْمَرَضِ !

الضرب التاسع (التهنئة بقرب المزار)

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

قَرَّبَ اللهُ مَزَارَهُ ، وَأَذْنَى جَوَارِهِ ، وَأَعَانَ أَعْوَانَهُ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ . وَلَا زَالَتْ
الْأَنْفُسُ لِقُرْبِهِ مَسْرُورَةً ، وَرَايَاتُ مَجْدِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَأَحْزَابِ الْإِسْلَامِ بَهِيَّةً عَلَى
أَعْدَاءِ الدِّينِ مَنصُورَةً .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْبَاسِطَةَ الْعَالِيَةَ بَسَطَ اللهُ ظِلَّهَا ، وَشَكَرَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ فَضْلَهَا . وَيُنْهِى أَنَّهُ
أَتَّصَلَ بِهِ طَيِّبُ أَخْبَارِهِ ؛ وَقُرْبُ مَزَارِهِ ؛ فَتَضَاعَفَ شَوْقُهُ ، وَتَرَايَدَ تَوَقُّعُهُ ؛ وَهَيَّجَتْ
صَبَابَتُهُ لِأَجْعِهِ ، وَسَهَّلَتْ إِلَى نَيْلِ الْمَسْرَةِ طُرُقَهُ وَمَنَاجِحَهُ :

وَأَبْرَحَ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا * إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَاوِ !

فَاللهُ يُقَرِّبُ مِنْ أَمَدِ التَّلَاقِ بَعِيدًا ، وَيَجْعَلُ رِذَاءَ الْإِجْتِمَاعِ بِخِدْمَتِهِ قَشِيًّا جَدِيدًا .

الضرب العاشر

(التهنئة بنزول المنازل المستجدة)

فمن ذلك [من إنشاء] علي بن خلف :

أشرف المنازل رُفْعَهُ ، وأتْرَفَهَا بُقْعَهُ ، وأَرْفَعَهَا رَفْعَهُ ، ما آتَّخَذَهُ مُوَلَّانا لِنَفْسِهِ
 مُوْطِنًا ، وجَعَلَهُ بَنَزُولَهُ فِيهِ حَرَمًا آمِنًا ، وصَيَّرَهُ بِجُحْصِبٍ مَكَارِمَهُ لِلْعَقَاةِ مَرَادًا وَمَقْصِدًا ،
 ومُبْعَذِبٍ نَوَافِلِهِ لِلظُّلَمَةِ مَشْرَعًا وَمُورِدًا ، ولِلسُّودِّ بَجْدِهِ مَعْقِلًا ، ولِلرِّيَاسَةِ بَشْرَفَهُ
 مَتَزِيلًا ، والله تعالى يجعل هذه الدَّارَ الَّتِي تَدِيرُهَا وَحَلَّهَا ، وَحَطَّ بِهَا رَحْلَهُ وَنَزَلَهَا ، مَأْهُولَةً
 بِبَقَائِهِ ، آسَةً بِسُبُوحِ نِعَمَائِهِ ، عَامِرَةً بِسَعَادَتِهِ ، مَشِيدَةً بِتَنَاصُصِ عِزِّهِ وَزِيَادَتِهِ ، لَا تُخْطِئُهَا
 حَوَائِمُ الْأَمَالِ ، وَلَا تَنْخَطِّأُهَا دِيمُ الْإِقْبَالِ ، وَيُعَرِّفُهُ مِنْ بَرَكَتِهَا ، وَيُمِيزُ عَتَبَتَهَا ، مَا يَقْضِي
 بِامْتِدَادِ الْأَجَلِ ، وَأَنْفِيسَ الْأَمَلِ ، وَبُلُوغَ الْأَمَانِي ، وَأَتَّصَالَ التَّهَانِي ، بِمَنْهٍ وَكْرَمِهِ ،
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن ذلك :

وَيُنْهِي أَنَّهُ قَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ تَحَوُّلُ مُوَلَّانَا إِلَى الْمَنْزِلِ الْمُنْشَأِ الْحَدِيدِ ، ذِي الطَّالِعِ
 السَّعِيدِ ، وَالطَّائِرِ الْحَمِيدِ ، فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبَوِّئَهُ مِنَ الْمُبُوءِ الْكَرِيمِ ، وَيَتَّعَهُ فِيهِ
 بِالْذِّعَةِ وَالنَّعِيمِ ، وَالتَّمَاءِ وَالْمَزِيدِ ، وَالْعَيْشِ الرَّغِيدِ ، وَيَجْعَلَهُ وَاصِلًا لِحَبْلِهِ ، مَأْهُولًا
 بِأَهْلِهِ ، وَيَعَرِّفَهُ بِرَكَّةِ عَتَبَتِهِ ، وَيُمَكِّلِهِ بِبَهَائِهِ وَنَضَارَتِهِ ، وَحَصَلَ لِلْمَمْلُوكِ السُّرُورُ بِأَنْ بَلَّغَهُ
 اللَّهُ الْوَطَرَ ، فِي سُكْنَى مَاعْمَرٍ ، وَأَنَالَهُ الْأَمَلَ وَالْإِلْتِذَادَ بِخِدْمَتِهِ ، وَالسُّرُورَ بِإِفْتِضَاضِ
 عُدَّتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن ذلك :

مُولَانَا - أَمَتَعَ اللَّهُ بِوُجُودِهِ - غَنَى عَنْ الْهِنَاءِ بِمَنْزِلِ يَنْزِلُهُ وَمَحَلِّ يَحُلُّهُ ، إِذَا اللَّهُ
 سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَرُكَ أَوطَانَهُ وَأَدْرَهُ ، وَبَلَّغَهُ فِي تَمَامِ عِمَارَتِهَا وَأَنْفِيسَ سَاحِلِهَا وَطَرَهُ ،

وخصه بأفضلها معانا ، وأشرفها مكانا ، والمستوجب في الحقيقة للهائه هو الموضع الذي اختاره دارا ، وأرضاه مستقرا ، وعرف المملوك انتقاله - لازل يتنقل في بروج السعد ، ويأوي إلى ظل ظليل من المجد - إلى الدار الفلانية لازالت جامعة لشمله ، مانوسة بأهله ، فعدل عن خدمته بالهنا ، إلى إخلاص الدعاء ، بأن يعرفه الله تعالى يمنها وبركتها ، ويريه إقبالها وسعادتها ؛ ويقرن تحوله إليها بأمن طائر ، وأبرك طالع ؛ فإن للحركات أوقاتا محمودة ومدمومة : فإذا أعنى الله تعالى بعبد من عبيده ، وفرض له نصيبا من تأييده ؛ وفقه للحركة في الزمن السعيد ، والوقت الحميد ؛ لتكون مصيره مشاكلة لمبادئه ، وأعجازه مشابهة لهواديده ؛ والله تعالى يجعل بابها محطا للقصد ، ومناحا للوفاد ؛ ومزارا للعفاء ، وملاذا ^(١) [للغناه] ويصل بها حبله ، وينشئ بها طفله ؛ ويضاعف بأسديطانها أنسه ، ويسر بتبؤتها نفسه ؛ إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغاء :

أسعد المنازل وأشرف المواطن ما استوطنه أيده الله وتبواه ، وتحير نفسه وأرضاه ؛ فعدا بشخصه وطن الإقبال ، وبفائض كرمه حرم الآمال ؛ وبشرفه للسودد معقلا ، وبنبيله للرياسة منزلا ؛ فعرفه الله بمن هذه الدار المعمورة مجلول البركات ، المحفوفة بتناصر السعادات ؛ وجعلها وكل ربع يقطنه ، ومحل يسكنه ؛ مبشرا بامتداد بقاءه ، وأهلا بالزيادة في نعمائه .

وله في مثله :

كل وطن يحله - أيده الله - ويقطنه ، ومحل يتحيره ويسكنه ؛ مقصود بالشكر والثناء ، أهل بالحمد والدعاء ؛ لا يخطئه متوارد الآمال ، ولا تنقطع عنه مواد الإقبال ؛

ولذلك صار هذا المنزل السعيد من فضائل الأرض ومحاسنها، وتجمع الآمال ومعادنها؛
فعرّفه الله يمينه وبركته، وإقباله وسعادته؛ وقرن انتقاله إليه بأسبغ نعمة، وأكمل
سلامة وأبسط قدرة وأعلى رتبة .

وله في مثله :

عرّفه الله [من] بركة هذا المنزل المورود، والفناء المقصود، ما يؤي على سالف
ما أولاه من تكامل البركات، وتناصُر السعادات؛ وجعل مستقره فيه مقروناً بمقو
الحال، ونتائج الإقبال؛ في أفسح المدد وأطولها، وأنجح المطالب وأفضلها؛ وعمر
أوطان المكارم بإقباله^(١)، وعصّد الأمانى بالتساع نعمائه .

أجوبة التهئة بقرب المزار، ونزول المنازل المستجدة

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تُبنى على الاعتداد للهني
بتعهده، والشكر له على تودده؛ والابتهاج بهنائه، والتبرك بدعائه؛ وأن المستجدة غير
مباين لمنزله، ولا خارج عن أحكام محله؛ وأن تمام بركته، أن يؤنس فيه بزيارته؛
وما يشابه هذا .

الضرب الحادي عشر

(نواذير التّهاني، وهي خمسة أصناف)

الصف الأول — تهئة الذمي بإسلامه .

فمن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله، وهو :

وما زالت حالك ممثلة لنا جميل ما وهب الله فيك حتى كأنك لم تزل بالإسلام
موسوماً، وإن كنت على غيره مقيماً؛ وقد كُنا مؤمّلين لما صرت إليه، ومُشفقين لك

(١) لعله يقاؤه ليناسب السجع الذي بعده .

مَّا كُنْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَادَ إِشْفَاؤُنَا يَسْتَعْلَى عَلَى رَجَائِنَا ، أَتَتِ السَّعَادَةُ فَيْكَ بِمَا لَمْ تَرِ
الْأَنْفُسُ تَعُدُّ مِنْكَ ، وَنَسَّأَلُ اللَّهَ الَّذِي تَوَرَّلَكَ فِي رَأْيِكَ ، وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رُشْدِكَ ،
أَنْ يُوَهِّلَكَ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ يُؤْتِيَكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَيَقِيَكَ عَذَابَ النَّارِ .

ومن ذلك ، من كلام أبي العيَّاء :

وَلَتَهْنِكَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أَخَوَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ؛
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَوَّزَ قَدْحَكَ [وَأ] عَلَى كَعْبِكَ ، وَأَنْقَذَ مِنَ النَّارِ شِلُوكَ ؛ وَخَلَّصَكَ مِنْ لَبَسِ
الشَّكِّ ، وَحَيْرَةِ الشَّرْكِ ؛ فَاصْبَحْتَ قَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْيَارِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْآحَادِ الْجَمْعَ ؛
وَبِقِبْلَةِ الشَّامِ ، الْبَيْتَ الْحَرَامَ ؛ وَبِتَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ ، صِحَّةَ التَّنْزِيلِ ؛ وَبِأَوْتَانِ
الْمُشْرِكِينَ ، قِبْلَةَ الْمُوحِدِينَ ؛ وَبِحُكْمِ الْأُسْقُفِّ رَأْسِ الْمُلْحِدِينَ [حَكَمَ] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ مَا نَعْمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَذَكَرَكَ شُكْرَهُ ،
وَزَادَكَ بِالشُّكْرِ مِنْ فَضْلِهِ .

أجوبة التهئة بإسلام ذمي

قال في "موادِّ البيان" : أجوبة هذه الرِّقَاعِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَبْنِيَّةً عَلَى شُكْرِ الْمُهَنَّا
لِلْهُنَّى ، وَاعْتِرَافِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَهُ ، وَابْتِهَاجِهِ بِمَازَجَتِهِ فِي الدِّينِ ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ
أَهْلَهُ إِخْوَانًا مُتَصَافِينَ ، وَخُلَآئًا مُتَوَافِينَ ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَبِإِمَاطَةِ الْحَسَائِفِ (١) مِنْ
قُلُوبِهِمْ ، وَنَحْوِ هَذَا .

الصنف الثاني — التهئة بالِخِتَانِ ونُحُوجِ اللَّحْيَةِ .

فمن ذلك تهئةٌ لِأَمِيرِ بَخْتَانَ وَلَدَيْنِ لَهُ :

مِنْ خَصَائِصِ مَا حَبَّاهُ اللَّهُ بَعْدَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فِي نَفْسِهِ — نَفْسُ اللَّهِ مُدَّتْهَا ؛ وَوَسَّعَ
لَهُ مُهْلَتَهَا ، وَأَقْبَى الْأَعْدَادَ دُونَ فَنَائِهَا ، وَالْأَعْمَارَ دُونَ تَصَرُّمِهَا وَأَتَهَائِهَا : [مِنْ] الْفَضَائِلِ

(١) الحسائِف جمع حسيفة وهي الضغينة والسخيمة أنظر اللسان في ج ١٠ مادة ح س ف .

المشهوره، والمحاسن المذكوره، والمناقب الماثوره، وأقسام الفضل الذى ينقضى
دونَ تصرُّم(?) منازلَه وصفُ الواصف إذا أفرط، ويتهى دونَ أيسرها أملُ الآملِ
إذا اشتط - ما وهبَ الله له من أولادٍ سادية فضلهم فى الأخلاق والصُّور، وأكلهم
فى الأجسام والمرَب، وقدمهم فى العُقول والأفهام، والقرايح والألباب، ولم يحصل
للعابِ فيهم سيمه، ولا لإلاناتِ بينهم شركه، حتى يكون مسلماً لهم قصبَ العلا
والمفاجر، وصدورَ الأسرة والمنابر، من غير منازع، ولا مقارع، ولا مساهم،
ولا مُقاسم، وزادهم من الثناء فى النشء والبركة واليمن بما يؤذن الحاضرُ منه بالغابر،
ويدلُّ البادى على الآخر، وعداً من الله تعالى ذكره لهم بأوفى السعادات، وأكمل
الخيرات وأعلى الدرجات، أرجو أن يجعل الله التَّجَجَّ قرينه، والنجاة ذريعته،
وما أولاه فيهم فى هذه الحال الحادثة التى يصدق الله بها أداء الفريضة، وكمال
الشريعة، ويقع التطير بالחסن، الذى جعله الله من شروط الإيمان، وفرضه على
جميع الأديان: من السلامة على عظم الخطر، وشدة الغرر، فى إمضاء الحديد على
أعضاء ناعمه، وإيصال الألم إلى قلوب وادعة، لم تقارع نصبا، ولم تُعانِ وصبا،
وآجتماع فيه إلى رقة الصبا، وضعف الأسر والقوى، اعتياد الرحمة، ومخالفة الترفه
والتنقل بين الشهوات، على أن كل واحد من الأميرين شهد المعركة أعزل حاسرا،
وباشر الحرب مغترا مخاطرا، فثبت لوقع السلاح، وصبر على ألم الجراح، وأبلى
بلاء الفارس المدجج، والكبي المتقنع، ثم خرج خروج شبل الليث، وفرخ العقاب،
كالقذح المعلق والشهاب الساطع، والنجم الثاقب، وكان فلان أكثرهما تغيرا فى وجه
قرنه، وسطوة على منازلِه، وكل قد حصل فوق الحصل، وحوى فضيلة السبق،
وأستحق اسم البأس والشدة، وحلية البسالة والنجده.

ومن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد في كتابه :

الحمد لله الذى كَسَاكَ بِالْحِلْيَةِ حُلَّةَ الْوَقَارِ ، وَرَدَّكَ رِدَاءَ ذِي السَّمْتِ مِنَ الْأُبْرَارِ
وَالْأَخْيَارِ ؛ وَصَانَكَ عَنْ مَيْسَمِ الصَّبَا ، وَمَطَامَعَ أَهْلِ الْهَوَى ؛ بِمَا جَلَّلَكَ مِنَ الْحِلْيَةِ
الْبَهِيَّةِ ، وَأَلْبَسَكَ مِنْ لِبَاسِ ذَوِي الْأَلْبِ وَالرَّوْيَةِ ؛ وَأَلْحَقَكَ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِ بِمَنْ يَسْتَقِلُّ
بِنَفْسِهِ سَاعِيَا ، وَيَسْتَفْنِي عَمَّنْ صَحْبِهِ حَافِظًا ؛ وَجَعَلَ مَا جَمَلَ مِنْ صُورَتِكَ ، وَكُلَّ مِنْ
أَدَاتِكَ وَآلَتِكَ ؛ قِرْنًا لِمَنْ جَاذَبَكَ ، وَخَصْمًا لِمَنْ نَازَعَكَ ؛ وَفَنَى عَنْكَ ذِلَّةَ الْإِحْتِقَارِ ، مِنْ
أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالْأَخْطَارِ ؛ تَسْتَوِي [بِهِمْ] فِي الْمَجَالِسِ الْحَافِلَةِ ، وَتَجْرِي مَجْرَاهُمْ فِي الْمَشَاهِدِ
الْجَامِعَةِ ؛ مَسْمُوعًا قَوْلُكَ إِذَا قُلْتَ ، وَمُضْنَى إِلَيْكَ إِذَا نَطَقْتَ ؛ أَمْنًا مِنْ أَنْصَرَفِ
الْأَبْصَارِ عَنْكَ لِقُرْبِ وَلَادِكَ ، وَمِنْ [عَدَمِ] الْاسْتِجَاعِ لِحَدِيثِكَ لِقَلَّةِ الثَّقَةِ بِسَدَادِكَ ؛
وَجَارِيًا تَجْرِي كَلِمَةُ الرِّجَالِ عَلَى الْجُمْلَةِ ، إِلَى أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ تَحَارِيرَكَ بِالْمَحْنَةِ ؛ وَتَعْطَى
الْمَهَابَةَ مِنَ الدَّاعِرِ الْعَادِي ، وَمِنْ السَّبْعِ الضَّارِي ؛ وَلَوْ كَانَ عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْكُسُوفِ
الشَّرِيفَةِ ، وَالْحِلْيَةِ الْمَلْحُوظَةِ ؛ لَسِيقَتْ إِلَى الْإِزْدِرَاءِ بِالْأَعْيُنِ ، وَالْإِسْتِصْغَارِ بِالْقُلُوبِ
وَالْإِنْسَانِ ؛ أَصْنَافُ الْحَيَوَانِ : مِنَ الْبَهِيمَةِ وَالْإِنْسَانِ ؛ ثُمَّ لَا يُحْسِنُ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً عَلَى
الدَّفْعِ عَنْهَا ، وَلَا مِنْ صَرَعَتِهِ ثَبَاتًا (؟) عَلَى يَدِهَا فِيهِ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَبَاكَ
بِمَرْبَتَيْهَا فِي جَمَالِ عَشَاكَ^(١) ، وَكَيْلِ أَتَاكَ ؛ فَلْيُصَدِّقْ بِهَا أَعْتَرَاكَ وَشُكْرُكَ ، وَلْيُحْسِنْ شَاوُكَ
وَتَشْرُكَ ؛ قَضَاءً لِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَاسْتِذْرَارًا فِي الْمَزِيدِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ .

الصنف الثالث — التهنية بالمرض .

أبو الفرج البغواء :

فِي ذِكْرِ اللَّهِ سَيِّدِي هَذَا الْعَارِضِ — أَمَا طَهُ اللَّهُ وَصَرَفَهُ ، وَجَعَلَ صِحَّةَ الْأَبَدِ خَلْفَهُ —
مَادَّلَ عَلَى مَلَاخِظَتِهِ إِيَّاهُ بِالْعَنَاءِ ، إِيقَاطًا لَهُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ ؛ إِذْ كَانَ تَعَالَى لَا يُدْكِرُ

(١) غشى فلان فلانا أناه كغشاه يفضوه . قاموس .

بطُروق الآلام ، وتَبْيِهِ العِظَات ، غَيْرَ الصَّفْوَةِ من عِبَادِهِ ، الحِيرَةِ من أَوْلِيَانِهِ ؛ فَهَنَاهُ
اللهُ الفُوزَ بِأَجْرِ مَائِعَانِيهِ ، وَحَمَلَ عَنْهُ بِالطَّافَةِ نَقْلَ مَا هُوَ فِيهِ ؛ وَأَعْقَبَ مَا اخْتَصَّ بِهِ
من دَخَائِرِ الْمُثْنِيَةِ وَالْأَجْرِ بِعَافِيَةٍ تَقْتَضِيهِ ؛ وَلَا سَلَبَ الدُّنْيَا جَمَالَ بَقَائِهِ ، وَلَا نَقْلَ ظِلِّهِ
عن كَافَّةِ خَدَمِهِ وَأَوْلِيَانِهِ .

الصنف الرابع — التهنته بالصرف عن الولاية .

أبو الفرج البيهقي :

مَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ — أَيْدَهُ اللهُ تَعَالَى — مِنْ رُتَبِ الرِّيَاسَةِ وَالثَّبَلِ ، كَانَ مَعْظَمًا فِي حَالَتِي
الْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ ؛ لَا يَقْدَحُ فِي قُدْرِهِ تَغْيِيرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَنْقُلُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ مِنَ الْفَضْلِ
تَقَلُّبُ الْأَعْمَالِ ؛ إِذْ كَانَ أَسْتِيحَاشُهَا لِلْفَاسِتِ مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ ، بِحَسَبِ أَنْسَاهَا كَانَ
بِمَا أَفَادَتْهُ مِنْ مُجُودِ أَثَرِهِ . فَهَنَاهُ اللهُ نِعْمَةَ الْكِفَايَةِ ، وَأَوْزَعَهُ شُكْرَ مَا أَحْتَازَهُ مِنَ
النَّزَاهَةِ وَالصِّيَانَةِ ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ مَتَصَرِّفَاتِهِ ، وَالْحِيرَةِ الضَّامِنَةِ
لِعَوَاقِبِ إِرَادَاتِهِ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ لِمُسْتَحْدَثِ الْأَعْمَالِ وَمُسْتَجِدِّ الْوِلَايَاتِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا اخْتَصَّكَ بِهِ
مِنْ كَمَالِ الْفَضْلِ ، وَمَأْثُورِ الثَّبَلِ ، لِحَازِنَا أَنْتَقَالَ ذَلِكَ بِأَنْتَقَالٍ مَا كُنْتَ تَتَوَلَّاهُ بِمُجُودِ
كِفَايَتِكَ ، وَتَحَوُّطِهِ بِنَوَاطِرِ نَزَاهَتِكَ وَصِيَانَتِكَ ؛ غَيْرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَكَ بِالْفَضْلِ
مَتَقَمِّصًا ، وَبِالْحَمَامِدِ مَتَخَصِّصًا ؛ فَلَا أَسْفُ فِيمَا تَنْظُرُ فِيهِ عَلَيْكَ لَا مِنْكَ ، وَالْفَائِدَةُ فِيمَا
تَنْقُلُهُ بِكَ لَالِكٌ ؛ وَلِذَلِكَ كُنْتَ بِالصَّرْفِ مَهْنًا مُسْرُورًا ، كَمَا كُنْتَ فِي الْوِلَايَةِ مُجُودًا
مَشْكُورًا ؛ فَلَا أَخْلَاكَ اللهُ مِنْ تَوَاصُلِ آلَائِهِ ، وَتَظَاهُرِ نِعْمَاتِهِ ؛ فِي سَائِرِ مَا يُبْرِمُهُ
وَيُخَصِّصُهُ ، وَتَعْتَمِدُهُ وَتَرْتَبِيهِ .

أبو الحسين بن سعد - عَمَّنْ تَوَلَّى عَمَلًا إِلَى مِنْ صُرِفَ عَنْهُ :
 قَدْ قُلِّدْتُ الْعَمَلَ بِنَاحِيَتِكَ ، فَهَنَّاكَ اللَّهُ تَجْدِيدَ وَلَايَتِكَ ، وَأَنْفَذْتُ خَلِيقِي لِحِلَافَتِكَ ؛
 فَلَا تُخْلِهِ مِنْ تَبْصِيرِكَ وَهَدَايَتِكَ ، إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِزَيَارَتِكَ .

تهنئة بصرف عن ولاية :

لو كانت رِياسَةُ سَيِّدِي مَجْنِيَّةً مِنْ عُرُوشِ الْوِلَايَاتِ ، وَسِيَادَتُهُ خَارِجَةً عَنْ سَانِجِ
 التَّصَرُّفَاتِ ، لَأَشْفَقَ أَوْلِيَاؤُهُ مِنْ زَوَالِهَا بِمَزَالَتَيْهِمَا ، وَحَذَرُوا مِنْ أَنْتِقَالِهَا بِنَقْلَيْهِمَا ؛ لَكِنْ
 مَا وَسِمَ بِهِ مِنَ الْكَمَالِ ، وَعَلَا بِهِ مِنْ رُتَبِ الْجَلَالِ ؛ مَوْجُودٌ فِي غَرِيزَتِهِ وَجُودَ الْفِرْدُ
 فِي السَّيْفِ الْمَأْثُورِ ، وَاللَّاءُ فِي النُّورِ ؛ وَإِذَا تَصَرَّفَ ، أَوْرَدَ اللَّهُ الرَّعِيَّةَ مِنْ مَشَارِعِهَا
 نِطَافًا ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ ظِلِّهَا عِطَافًا ؛ وَإِذَا أَنْصَرَفَ خَيْرٌ مُسْبِلٌ تَقْلُصُّ ، وَعَيْشٌ
 رَائِعٌ تَنْغِصُ ؛ وَالْأُسْفُ عَلَى الْعَمَلِ السَّلِيبِ مِنْ حُلِّ سِيَاسَتِهِ الْفَاضِلَةِ ، الْعَاطِلِ
 مِنْ حِلِّي سِيرَتِهِ الْعَادِلَةِ ؛ وَلِهَذَا أَصْبَحَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - بِالْعَزْلِ مَبْتَهَجًا مُسْرُورًا ، كَمَا كَانَ
 فِي الْوِلَايَةِ مُجْمُودًا مُشْكُورًا ؛ وَأَنْطَلَقْتُ أَلْسِنَةُ أَوْلِيَائِهِ ، فِي هَنَائِهِ ، بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ الرَّفَاقَةِ
 وَالِدَّعَةِ ، وَحَظَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَثْقَالِ الْمُقْلِقَةِ ؛ وَلَا سِيَّما وَقَدْ عِلِمَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ أَنَّ الْأَعْمَالَ
 إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ ، وَعُورِلَ فِيهَا عَلَيْهِ ؛ تَسَلَّمَ الْمَوْدِعَ وَدِيعَتَهُ ، وَالنَّاشِدُ ضَالَّتَهُ ؛ وَإِذَا عُدِلَ
 فِيهَا إِلَى غَيْرِهِ تَتَاوَلَهَا الْغَاصِبُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا أَسْتِبْلَاءُ السَّالِبِ ؛ فَلَا تَزَالُ نَازِعَةً
 إِلَى رَبِّهَا ، مُتَطَلِّعَةً إِلَى خِطْبِهَا ؛ حَتَّى تَعُودَ إِلَى مَحَلِّهَا ، وَتُرْجَعَ إِلَى نَصْلِهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
 أَسْأَلُ أَنْ يَقْضِيَ لِمَوْلَانَا بُلُوغَ الْأَوْطَارِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أجوبة التهنئة بالصرف عن الولاية والخدمة

قال في "موادّ البيان" : يجب أن تكون أجوبتها مبنية على شكر الاهتمام والاعتداد
 بالمشاورة في الأحوال ، مع وقوع ما ورد من الخطاب الموقّع اللطيف ، وما ينتظم
 في هذا السلك .

جواب مَنْ ورد عليه كُتِبَ من وَلِي مكانه في معنى ذلك .

فمن ذلك :

ما أنصرفت عني نعمة أُهديت إليك ، ولا خلوت من كرامة أشتلت عليك ؛ وإني لأجد صر في بك ولايةً ثانية ، وحلة من الوزر واقية لما أمله بمكانك من حميد العاقبة وحسن الخاتمة .

الصفحة الخامسة — تهنئة من تزوجت أمه بزواجها .

قد تقدم في أول المقالة الأولى في حكاية حائك الكلام مع عمرو بن مسعدة وزير المأمون ، أنه قال يُكْتَب إليه :

أما بعد ، فإن الأمور تجري على خلاف محاب المخلوقين [والله يختار لعباده] ، فخار الله لك في قبضها [إليه ، فإن القبور أكرم الأكفاء] والسلام .

أبو الفرج البغاء : وقد أمره سيف الدولة ابن حمدان بالكتابة في معنى ذلك أمتحاناً له :
مَنْ سَلَكَ إِلَيْكَ - أعزك الله - سبيل الاتِّسَاط ، لم يستوعر مسلكاً من المخاطبة فيما يحسن الاتِّقباض عن ذكر مثله . وأتصل بي ما كان من خبر الواجبة الحق عليك ، المنسوبة بعد نسبتي إليها إليك - وفر الله صياتها - في اختيارها ما لولا أن الأنفس تنناكره ، وشرع المروءة يحظره ؛ لكننت في مثله بالرضا أولى ، وبالأعتداد بما جدده الله في صياتها أخرى ؛ فلا يسخطك من ذلك مارضية وجوب الشرع ، وحسنه أدب الديانة ؛ ومباح الله أحق أن يتبع ، وإياك أن تكون ممن لمّا عدم اختياره تسخط اختيار القدر له ، والسلام .

(١) تقدم في ج ١ ص ١٤٢ "وزير المنعم" .

(٢) الزيادة مما تقدم في ج ١ ص ١٤٥ .

النوع الثاني

(من مقاصد المكاتبات التعازي)

قال في "موادّ البيان" : المكاتبَةُ في التعزية بالأحداث العارضة في هذه الدنيا واسعة المجال : لما تتضمنه من الإرشاد إلى الصبر، والتسليم إلى الله جلّت قدرته، وتسليّة المعزى عما يُسلبه بمشاركة السابقين فيه، ووَعْدِهِ بِحُسْنِ الْعَوَضِ في الجزاء عنه، إلى غير ذلك مما ينتظم في هذا المعنى . قال : والكاتبُ إذا كان جَيِّدَ الْغَرِيزَةِ حَسَنَ التَّائِي فِيهَا، بلغ المراد . ثم قال : وحكمها حكم التّهاني من الرئيس إلى المرعوس ومن المرعوس إلى الرئيس ومن النظر إلى النظر .

ثم التعزية على أَضْرَبَ :

الضرب الأول

(التعزية بالآبِن)

أبلغ ما كُتِبَ به في ذلك ما كتب به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، معزّيّاً له بآبِنٍ له مات ، فيما ذكره أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وأبو جعفر النحاس في صناعة الكُتّاب ، وهو :

«من محمد رسول الله إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

«سَلامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»

«أما بعد، فعَظَّمَ اللهُ لَكَ الْأَجْرَ، وَأَهْلَمَكَ الصَّبْرَ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكَ»

«الشُّكْرَ . ثُمَّ إِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِيْنَا وَمَوَالِيْنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ السَّنيَّةِ، وَعَوَارِفِهِ»^(١)

(١) في أصولنا بالفناء ورواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية .

«المستودعة، تمتع بها إلى أجلٍ مَعْدُودٍ، وتُقْبَضُ لَوْقَتٍ معلومٍ؛»
 «ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى؛ وكان أبْنُكَ من»
 «مَوَاهِبِ اللَّهِ الهِنِيَّةِ، وعوارِفِهِ المستودعة؛ متعك به في غِبْطَةٍ وسُرورٍ،»
 «وقبضه منك بأجرٍ كثيرٍ: الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت»
 «وأحتسبت؛ فلا تنجعنَّ عليك يامعَاذُ خَصْلَتَيْنِ (٢) إن يُخِيطَ جَزْعُكَ»
 «صبرَكَ فتندم على ما فاتك؛ فلو قَدِمْتَ على ثوابِ مُصِيبَتِكَ قد أظعت»
 «ربَّكَ وتنجزت موعودَه، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه . وأعلم»
 «أن الجزع لا يردُّ ميتًا، ولا يدفع حزنًا؛ فأحسن الجزاء وتنجز الموعود؛»
 «وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قَدْ .»

من كلام المتأخرين :

تعزیه بولد . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة، وهي بعد الألقاب .

وأحسنَ عزاءه بأعزَّ فقيد، وأحبَّ حبيبٍ ووليدٍ، وعوَضَ بجَمِيلِ الصبرِ جوانحه
 التي سُئِلَتْ عن الأسيِّ فقالت : ثابتٌ ويزيد . صدرت هذه المفاوضة تُهدى إليه
 سلاماً يعزُّ عليه أن يتبع بالتعزية ، وشاءَ يسقُ عليه أن يطارحَ حاتمَ سَجْعَةِ المطربةِ
 بحامٍ الشَّجْوِ المَبْكِيَةِ المُنْكِيَةِ ؛ وتوضَّحَ لعلمه ورُودَ مكاتِبته المؤلمة ، فوقفتنا عليها إلا أن
 الدَّمْعَةَ ماوقفتُ ، وخواطِرَ الإشفاق عليه وعلى من عنده طفت حرقها وما أنطقتُ ؛

(١) في أصولنا بالفاء ورواية المستطرف (وعواريه) أي بالياء جمع غارية .

(٢) أي فقد الثواب وفقد الولد . وإليه يشير من عزى عمر بن عبد العزيز بأنه فقال :

وعوَضْتُ أجراً من فقيد فلا يكن * فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

وعلمنا ماشرحه ولم يشرح الصدر على العادة - من وفاة الولد فلان، سقى الله عهده
 ولحده، ونضر وجهه وتغمّد بالرضوان خاله وحده، وما بقى إلا التمسك بأسباب
 الصبر، والتفويض إلى من له الأمر؛ والدنيا طريق والآخرة دارٌ ودليلها القبر؛
 وللبر من تثبته وازع، والاجتماع بالأحبة الراحين واقع؛ إن لم يصبروا إلينا صرنا
 إليهم، وإن لم يقدموا في الدار الفانية علينا قدمنا في الدار الباقية عليهم؛ نسأل الله
 تعالى أن يجمعنا في مستقر رحمته، ويحضرنا مع الأطفال أومع المتطفلين ولائم جنته؛
 والله تعالى يدارك بالصبر الجميل قلبه، ولا يجمع عليه فقد الثواب وفقد الأحبة.

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

رزقه الله تعالى ثباتاً على رزيته وصبراً، وجعل له مع كل عسر يسراً؛ وأبقاه
 مفعى بالأنفس والنفائس، وكان له أعظم حافظ من نوب الدهر وأجل حارس.
 المملوك ينهى علمه بهذه النازلة التي فتت القلوب والأبصار، وكادت أن تفرق
 بين الأرواح والأجساد؛ وأذات ذخائر العيون، وأبتذلت من المدايع كل مصون؛
 وأذابت المهج تحرقاً وتلهباً، وجعلت كل قلب في نارٍ الأسى والأسف متقلباً؛
 وهى وفاة ولده الذى صغر سنه، وتزايد لفقده هم المملوك وحرته :

ونجلك لا يئس على قدر سنه * ولكن على قدر المخيلة والأصل !

وكان الأمل يحدث بأنه يشد للولـى أزره، ويشرح بـره صدره؛ ويؤثـل مجده،
 ويبيق الذكـر الجميل بعـده؛ ففقـد من بين أترابه، وذوى عند ما أئـنـع غصـن شـبابه؛
 وغـيـب مـنـظره الوـسيم فى لحـده وتـرابه؛ وسـيـدنا يعلم أن الموت مـنـهل لا بـد من وـرده،
 وابن آدم زرع لا بـد من حـصـده؛ وأن المـنية تـشـمـل الصـغـير والكـبير، والجـليل والحـقـير،
 (١)

والغنيَّ والفقير ؛ فينبغي له استعمالُ صَبْرِهِ ، والاستِيشَارُ بمِضَاعِفَةِ أَجْرِهِ ؛ والله يمتِّعُه
بأهلِهِ وطولِ عُمُرِهِ .

وله :

لَهْفِي وَمَا لَهْفِي عَلَيْكَ بِنَافِعِ ! * كَلَّا وَلَا وَجَدِي وَلَا حُرْقَاتِي !
يَا مَنْ قَضَى فَقْضَى سُورِي بَعْدَهُ * وَتَحَدَّرَتْ أَسْفًا لَهُ عِبْرَاتِي !
عُقْدُ التَّجَلُّدِ حَلَّهَا فَرَطُ الْأُسَى * وَالْقَلْبُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحَسَرَاتِ !
لَوْ كُنْتُ مَنْ يُشْتَرَى أَوْ يُقْتَدَى * لَفُصِدَتْ بِالْأَرْوَاحِ وَالْمُهْجَاتِ !
كُنْتُ الْمُدَّ لِنُصْرَتِي فِي شِدَّتِي * فَقَضَى الْحِمَامُ بِفُرْقَةٍ وَشَتَاتِ !
وَاللَّهِ لَا أُتْسِيتُ نَذْبَكَ وَالْبُكََا * أَبَدًا مَدَى الْأَنْفَاسِ وَاللَّحْظَاتِ !
وَيَسْؤُنِي أَنْ عِشْتُ بَعْدَكَ سَاعَةً * أَسْفًا لَفَقْدِكَ مِيتًا وَحَيَاتِي .

أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَ مَوْلَانَا وَمَنَحَهُ صَبْرًا جَمِيلًا ، وَأَجْرًا جَزِيلًا ، وَشَاءَ عَرِضَ الشُّقَّةِ
لثَبَاتِهِ عَلَى هَذِهِ الْفَادِحَةِ طَوِيلًا ؛ وَجَعَلَ هَذِهِ الرِّزِيَّةَ خَاتِمَةَ الرِّزَايَا ، وَمَحْصَةً جَمِيعِ
الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ؛ وَلَا جَفَعَهُ بَعْدَهَا فِي قُرَّةِ عَيْنٍ ، وَلَا أَوْرَدَ مَحْبُوبًا شُغِفَ بِهِ قَلْبُهُ الْكَرِيمُ
مَنْهَلِ الْحِمَامِ وَلَا سِقَاءِ كَأْسِ الْحَيْنِ .

الْمَلُوكُ يَقْبَلُ الْبِسَاطَ الَّذِي مَاقِيٌّ لِنُشْرِ الْمَعْدِلَةِ مُبْسُوطًا ، وَكُلُّ أَمَلٍ يَبْرُهُ مُنَوَّطًا .
وَيُنْهِى إِلَى الْعِلْمِ الشَّرِيفِ عِلْمَهُ بِهَذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي أَصَابَتْ مُؤَادَ كُلِّ حُبٍّ فَأَصْحَمَتْهُ ،
وَطَرَقَتْ سَمْعَ كُلِّ وَلِيٍّ فَأَصْحَمَتْهُ ؛ وَوَلَحَتْ كُلَّ قَلْبٍ فَأَحْرَقَتْهُ صَبَابَةً وَحُرْنًا ، وَمَرَّتْ
عَلَى الصَّلْدِ فَصَدَّعَتْهُ وَلَوْ كَانَ حُرْنًا ؛ وَهِيَ وَفَاةٌ فَلَانَ سَقَى اللَّهُ عَهْدَهُ ، وَأَسْكَنَ الرَّحْمَةَ
ثَرَاهُ وَلَحَدَهُ ؛ فَشَقَّ أَسْفًا عَلَى الْمَفْقُودِ جِيبَ كُلِّ جَنَانٍ وَطَوَى الْأَكْبَادَ عَلَى جِرَاحِهَا ،
وَحَسَرَ الْأَجْسَادَ عَلَى أَرْوَاحِهَا :

وَمَا هِيَ إِلَّا نَكْبَةٌ أَوْ نَكْبَةٌ * أَهَاجَتْ سَعِيرًا فِي الْحَشَا يَتَلَهَّبُ !
 فَلَا جِسْمَ إِلَّا بِالتَّحَرُّقِ ذَائِبُ * وَلَا قَلْبَ إِلَّا فِي الْأَسَى يَتَقَلَّبُ !
 بَكَى كُلَّ جَفْنٍ مَضْرَعِ السِّيفِ فَأَغْتَدَتْ * عَيُونٌَ عَلَيْهِ فِي الْأَبَاطِحِ تَسْكُبُ !
 لَقَدْ هَالُ عُدَالِي بُكَائِي تَعْجِبًا * وَإِنَّ بُكَائِي بَعْدَ فَقْدِهِ عَجَبُ !
 فَلَوْرَامَ قُسٍّ وَصَفَ حُزْنِي وَلَوْعِي * لَقَصَّرَ فِي أَوْصَافِهِ حِينَ يُسَهَّبُ !
 فَوَاللَّهِ لَا جَعَّتْ جُفُونِي مِنَ الْبُكَاءِ * وَإِنْ زَادَ عُدَالِي الْعِتَابَ وَأَطْنَبُوا !

ولهذا أصدر المملوك هذه المطالعة يدعو لمولانا فيها ويعزيه، ويندب فقيدَه بالسنة
 الأقالام ويبيكه ؛ ويشره بما وعد الله الصابرين على مثل هذه الرزية ويسليه ؛
 فيالها نازلةً فجعت بغضن رطيب، وقريرفل من الشيبة في ثوب قشيب، وصدعت
 القلوب بفقد حبيب وأي حبيب :

والموت نقاد على كفه * جواهر يختار منها الحياد !

وبعد، فللمملوك في هذه الرزية مشاركة كادت تبين بين رُوحه والجسد،
 وهو المصيب لهذه المصيبة ما تجده الالهة على فقد الولد؛ لا يستقر به قرار، ولا يُخيه
 من يد الحزن فرار؛ دأبه البكاء والعويل، وحزنه العريض الطويل؛ فواضعفاه
 عن حمل هذا المصاب، ووا أسفاه على مسافر لا ينتظر له قدوم ولا إياب؛ ووا عجباه
 ليضدين اجتماعا لوالده الكريم الخائب !

تَحُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ * وَتَضُرُّهُ بَيْنَ الْقَوَارِسِ وَالرَّجُلِ !

وعلى كل حال فهو أجدر من استعان على هذه الحادثة بصبره، وشرح لما قد قدر
 فسبح صدره، وشكر الله على حلو القضاء ومُرّه؛ فإكان إلا أحد العمرين فقد
 خلفه عمر، وثاني القمرين أقل فقام مقامه هلال قدم من سفر؛ وفي بقاء المولى

ما يُوجب التسليم للقدَر والقضاء ، والشكر لله تعالى في حالتي الشدة والرخاء ؛ جعله الله في حِرْز لا يزال حَرِيْزاً مَكِيناً ، وَحِصْنٌ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ حَصِيناً .

وله : أعظمَ الله أجره ، وأطال عُمره ؛ وشرح صدره ، وأجل صبره ، وسخر له دهره .

المُلوِكُ يُنْهِى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ خَبْرٌ صَدَعَ قَلْبَهُ ، وَسَرَقَ رُقَادَهُ وَلُبَّهُ ، وَضَاعَفَ أَسْفَهُ وَكَرَبَهُ ؛ وَهُوَ [موت] فَلَان تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَهْمَى عَلَيْهِ سَحَابَ مَغْفِرَتِهِ ؛ وَعَامَلَهُ بِلُطْفِهِ ، وَجَعَلَ الْخَيْرَ لَهُ فِي حَتْفِهِ ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ قَلْبَهُ وَعَظَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَارَبَ لِشَدِيدِ حُرْنِهِ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَا وَصَلَ الْمَرْحُومُ إِلَيْهِ ؛ لَكِنَّهُ ثَبَّتَ نَفْسَهُ وَثَبَّطَهَا ، وَرَفَعَ يَدَهُ بِالْدُّعَاءِ لِلْوَلِيِّ وَبَسَّطَهَا ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَهُ ، وَيُحَسِّنَ عَزَاءَهُ ، وَيَحْرُسَهُ مِنْ أَزْمَاتِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَلِمَ كَانَ النَّاسُ فِي السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ ؛ وَيَجْعَلُهُ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ عَوْضًا ، كَمَا أَصَارَهُ جَوْهَرًا وَجَعَلَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنَامِ عَرَضًا ؛ وَلَقَدْ جَلَّتْ هَذِهِ الرِّزْيَةُ عَلَى كُلِّ جَنَابٍ ، وَدَخَلَ حُرْنُهَا إِلَى كُلِّ قَلْبٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ ؛ جَعَلَ اللَّهُ أَجْرَهُ لِلْوَلِيِّ مِنْ أَعْظَمِ الدَّخَائِرِ ، وَمَنْعَهُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ الَّتِي لَا تَنْتَهِي إِلَى أَمَدٍ وَلَا آخِرٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(التعزية بالبنات)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال المغربي :

الشيخ فلان عزاه الله على احتسابه ، وجعل الثواب المرتقب أفضل أقتنائه واكتسابه . مُعْزِيَهُ عَنْ فِلْذَةِ كَبِدِهِ ، وَمَسَاهِمُهُ فِي أَرْقِهِ وَسَهْدِهِ ، وَالْفَاتُ فِي عَضْدِ صَبْرِهِ الْجَمِيلِ وَجَلَدِهِ ؛ فَلَان . فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ خَيْرًا يُذْهِبُ جَزَعَكُمْ ،

وَحَسَنَ مَنَاجَاكُمْ بِالتَّفْدَى الْجَمِيلِ وَمَتَرَعَكُمْ - عِنْدَ مَا وَصَلَنِي وَفَاةُ أَبْنَتِكُمُ الْمَرْحُومَةِ نَفْعَهَا اللَّهُ بِإِيمَانِهَا، وَتَلَقَّاهَا بِرُوحِ الْجَنَّةِ وَرَيَّحَانِهَا؛ وَهِيَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - وَإِنْ أَلَمَّكَ فَقَدْهَا، وَأَوْجَعَكَ أَنْ أَسْأَثَرِهَا لَحْدُهَا؛ فَلْيَعَزَّكَ عَنْهَا مُصَابُنَا بِنِينَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلِمُكَ بَأَنَّا جَمِيعًا بِمَدْرَجَةِ الْحِمَامِ؛ أَفْتَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ خَالِدًا، وَقَدِيمًا نَكُنُّهَا وَلِيدًا نَجِيبًا وَوَالِدًا، فَمَنْ خُلِقَ لِلْفَنَاءِ، وَأَخْتَلِسَ بِمَرِّ السَّاعَاتِ وَالْآثَاءِ، جَدِيرٌ أَنْ يَتَّعِظَ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْزَنَ لَذَهَابٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ ذَوِي أُنْسِهِ؛ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَجَحْتَ مِيزَانَكَ، وَضَمِنْتَ لَكَ يَوْمَ الْمَعَادِ جَنَّتَكَ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا أَحْتِسَابًا جَمِيلًا وَصَبْرًا، وَيُؤْنِسُكَ وَقَدْ آخْتَارَكَ الصَّهْرَ قَبْرًا، وَيَعْظُمُ لَكَ ثَوَابًا جَزِيلًا عَلَى مُصَابِكَ وَأَجْرًا؛ وَيُعِمْ فَقِيدَتَكَ بِالرَّحْمَى، وَيَسْكُبُ عَلَى جَدَثِهَا مَرْئَهَا الْأَوْكَفَ الْأَنْهَى، وَيُؤْوِيكَ إِلَى كَنَفِهِ الْأَعْظَمِ الْأَنْهَى، بِمَنَّةٍ وَرَحْمَةٍ، لَا رَبَّ غَيْرَهُ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

الضرب الثالث

(التعزية بالأب)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال معزيا بوزير :

يَا سَيِّدِي وَوَاحِدِي، وَحَلَّ الْإِبْنُ الْمَبْرُورُ، وَالْأَخُ الْمَشْكُورُ، عِنْدِي؛ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى، وَرَضَّاكَ بِمَا قَضَى، وَأَمَدَّكَ بِالنُّعْمَى، وَشَمَلَكَ بِالْحُسْنَى؛ كَتَبْتَهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمُ بِمَا نَفَذَ بِهِ الْقَدَرُ الَّذِي هُوَ فِي الْعِبَادِ حَتْمٌ، وَلَهُ فِي كُلِّ عُنُقٍ حَتْمٌ؛ فِي الْوَزِيرِ الْفَقِيهِ الشَّهِيدِ أَبِيكَ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَجَعَلَ الْحُسْنَى الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ مَقَرَّهُ وَمَأْوَاهُ؛ فَاسْفُتْ كُلَّ الْأَسَفِ لِفَقْدَانِهِ، وَقَدْ كَانَ عَيْنَ زَمَانِهِ،

وَعُمْدَةَ إِخْوَانِهِ ؛ تَعْمَدُهُ اللَّهُ بِغُفْرَانِهِ ، وَنَقِلُهُ إِلَى رِضْوَانِهِ ؛ وَتِلْكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ -
 غَايَةُ الْأَحْيَاءِ ، وَسَبِيلُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَحْبَاءِ ؛ كَانَ عَلَى رَبِّنَا - جَلَّ وَعَلَا - حَتْمًا مُقْضِيًّا ،
 وَوَعْدًا مُتَيَّبًا ، وَالْأَسْوَةُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي غَمْرِهِ الْفَضْفَاضُ ، وَبِرِّهِ الْفَيَاضُ ، وَأَنَّهُ خُتِمَ لَهُ
 بِالْخَيْرِ وَالْإِتْقَانِ ؛ وَكَانَ آخِرَ ذَلِكَ [الْحَسْبُ] الْقَدِيمُ ، وَالْجَلِيلُ الْكَرِيمُ ؛ وَقَدْ أَمَرَكَ الْخَيْرُ
 فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ وَكُنْ كَمَا ظَنَنْتُكَ وَقَدَّرْتُكَ وَتَرَكْتُكَ ؛ وَإِنَّكَ بِفَضْلِ اللَّهِ تُسَدُّ مَسَدَهُ ،
 وَتُبْلَغُ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ حُضْرَهُ السَّابِقِ وَشَدَّهُ ، وَتُعَدُّ لِلْأَيَّامِ مِنَ الْجَدِّ وَالْإِعْتِرَافِ مَا أَعَدَّهُ ؛
 وَإِخْوَتُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَكَ أَظْهَارُ وَأَعْضَادُ ، وَفِيهِمْ غَزْوٌ وَمُضَادُ ؛ فَاشْتَمِلْ
 عَلَيْهِمْ ، وَارْفُقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يُتْرَلُونَكَ مِثْلَةَ آبَائِهِمْ ، وَتَجِدُ أَخْلَاقَهُ وَعَوْنَهُ فِيهِمْ ؛ وَأَمَّا
 مَا أَعْتَقَدُهُ مِنْ تَكْرِيمِكَ ، وَأَرَاهُ مِنْ تَفْضِيلِكَ وَتَقْدِيمِكَ ؛ فَشَيْءٌ تَشْهَدُ بِهِ نَفْسُكَ ،
 وَيُذَكِّرُكَ يَقِينُكَ وَحَدْسُكَ ؛ أَشَدُّ بِهِ أَعْتَاءً ، وَأَجْمَلُ لَهُ أَسْتَوَاءً ، وَأَوْفَى عَنْكَ رَدَاءُ
 وَغَنَاءُ ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُتَحَايِينَ فِي خِلَالِهِ ، وَالْمُتَقَلِّبِينَ فِي ظِلَالِهِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الزَّمَانِ
 وَآخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَالسَّلَامِ .

الضرب الرابع

(التعمية بالأم)

أبو محمد بن عبد البر المغربي :

مَا مَاتَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَهُ خَلْفٌ * وَالْكُلُّ فِي الْبَعْضِ غَيْرُ مُتَمَنِّعٍ !

كُتِبَ عَبْدُهُ الْقَيْنُ ، مِنَ الْأَسَى لِأَجَلِهِ بَعْضُ مَا يُجِنُّ ؛ الْمُنْطَوِيُّ عَلَى قَلْبٍ تَطْمَنُّ
 الْقُلُوبُ سُلوًا وَلَا يَطْمَنُّ ؛ فَلَانُ : بَعْدَ وَصُولِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِصَدْعٍ يُضْمِي الْقُلُوبَ ،
 وَيَقْدُّ أَقْوِيَاءَ الْجُيُوبِ ، وَيَتْرُكُ الْأَحْبَابَ مَصْرَعِينَ عَلَى الْجُنُوبِ ، فَوَقَّفَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ
 مَتَرَفِقَ الْمَدَامِعِ ، مَتَحَرِّقَ الْأَصَالِعِ ، رَائِيًّا سَامِعًا سَجَا الْأَبْصَارِ وَأَسَى الْمَسَامِعِ ؛ فَيَا أَسَفِي

لَخَطْبَ ضَعُفِ رُكْنِ الْجِدِّ وَكَانَ وَثِيقًا ، وَصَوَّحَ رَوْضَ الْفَضْلِ وَكَانَ وَرِيقًا ؛
وَنَقَّصَ حَسَنَ الصَّبْرِ وَلَمْ يَزَلْ صَدِيقًا ، وَتَرَكَ الْعَبْدَ خَلِيقًا بِهَذَا الْقَوْلِ وَمِثْلِهِ مَعَهُ حَقِيقًا ؛
فَإِهِ لِدَيْنٍ وَمَرْوَةٍ فَقْدًا فِي قَرْنٍ ، وَعَلَى صَوْنٍ وَعَفَافٍ أُدْرِجًا فِي كَفْنٍ ، وَحَصَانٍ رَزَانٍ
لَا تُعْرِفُ بَوْصَمَةَ وَلَا تُزَنُّ ؛ لَقَدْ أَصَمَّ بِهَا النَّاسِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَ ، وَأَرَقَّ مَا شَاءَ الْفُؤَادُ
وَأَرَأَى الْمَدْمَعُ ؛ وَلَمْ يُبْقِ قَلْبًا لِلصَّبْرِ إِلَّا ضِدْعَهُ ، وَلَا أَنْفًا لِلسُّلُوِّ إِلَّا جَدْعَهُ ؛ وَلَا بَابًا لِلتَّعَزُّيِ
إِلَّا أَرْتَجَهُ ، وَلَا عَقِيمًا لِلنَّاسُفِ إِلَّا أَنْتَجَهُ ؛ وَلَوْ قُبِلَ فِي الْمَوْتِ فِدَاءٌ وَصَحَّ أَنْ يُؤْخَذَ
فِيهِ فِدَاءٌ لَمَا خَلَصَ إِلَيْكُمْ وَلَا أَلَمَ ، وَلَا عَدَاكُمْ فِي صُرُوفِ الْمَنَآيَا الْخَفِيَةِ سَلَمَ ؛
لَكِنْ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَعْمَّ الْحَرْفَةُ ، وَتَسْتَوِي عَلَى الْوَقْتِ الْفَرْفَةُ .

الضرب الخامس

(التعزية بالأخ)

أبو محمد بن عبد البر :

وَكَتَبْتُ وَالْأَنْفُسَ مَرْتَمِضَةً ، وَالْعَيْنُ غَيْرُ مَعْتَمِضَةٍ ؛ وَالْأَنْفَاسُ تَتَصَعَّدُ ، وَالْأَحْزَانُ
تَتَأَكَّدُ ؛ أَسَفًا لِلصَّابِ الذِي عَمَّ وَغَمَّ ، وَأَسْمَعَ نَعِيَهُ فَاصَمَّ ؛ وَقَالَ لِلْفَرَحِ : كُفَّ مِنْ
عِنَانِكَ ، وَلِلتَّرَجِّ أَنْتَظِرْ لِأَوَانِكَ ؛ بِوَفَاةِ [الْفَرْدِ] الذِي فِي رَأْسِهِ نُورٌ ، وَسَدَادُ الْآرَاءِ الْخَاتِلَةِ
وَسَدَادُ الثُّغُورِ ؛ وَالْفَدَّ الذِي شَهِدَ الرِّجَالَ بِفَضْلِهِ ؛ وَعَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا تَجِيءُ بِمِثْلِهِ ؛
أَبِي فَلَانِ صُنُوكُمْ ، السَّابِقِ الذِي لَا يُجَارَى ، وَالشَّارِقِ الذِي لَا يُسَارَى ؛ وَالغَيْثِ الذِي
عَمَّ الْمُنَيْلَ وَالْمُسْتَنْبِلَ ، وَاللَّيْلِ الذِي وَرَدَ الْفُرَاتَ زَيْبُهُ وَالنَّيْلَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ! تَسْلِيمًا لِلْقَدَرِ وَإِنْ سَاءَ ، وَشِمْلًا لِلْمَرْءِوسِينَ وَالرُّؤَسَاءِ ؛ فَيَالَهُ مُصَابًا تَرَكَ كُلَّ رَأْسٍ
أَمِيًّا ، وَأَوْدَعَ صَمِيمَ كُلِّ فُؤَادٍ مُكَلَّا صَمِيمًا ؛ لَقَدْ أَنْصَلَ السُّمَرَ اللَّهَازِمَ ، وَأَغْمَدَ الْبَيْضَ
الصَّوَارِمَ ؛ وَعَطَّلَ الْكُتَّابَ وَالْمَقَاتِبَ ، وَأَوْحَشَ الْمَفَاوِزَ وَالسَّبَاسِبَ ؛ وَلَمْ يُبْقِ مَشِيدَةَ

عَلَّا إِلَّا هَدَّهْ ، وَلَا مَدِيدَ ثَاءٍ إِلَّا صَدَّهْ ؛ وَلَمْ لَا وَهُوَ الشَّخْصُ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بِشَرِّ كَثِيرٍ ،
وَيَبْكِيهِ قَلَمٌ وَحُسَامٌ وَمِنْهَبٌ وَسَرِيرٌ ؛ وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَرِبُهُ جَمِيعًا ، وَنُوسِعُهُ بِمَحْضِ الصَّفَاءِ
وَصَفْوِ الثَّاءِ تَوْبَعًا وَتَشْيِيعًا ، وَنُقَارِقُهُ فِرَاقَ الصَّدْرِ خَلْدُهُ ، وَالْمُصَابِ جَلْدُهُ ؛ فَوَاسْفِي
لُرُزْنِهِ مَا أَفْظَعَهُ مَوْقِعًا ! وَوَحَرَبًا لِيَوْمِهِ مَا أَظْلَمَهُ مَطْلَعًا ! وَوَاحِرْنَا لِنَعْيِهِ مَا أَشْنَعَهُ
مَرَأًى وَمُسْمَعًا ! ! ! فَتَنْ جَرَّتِ الدَّمُوعُ لَهُ دِمَا ، وَأَضْمَرَتْ الضُّلُوعُ بِهِ مَضْطَرَمًا ؛
لِمَا أَدَّتْ حَقَّهُ وَلَا كَرَبَتْ ، وَلَا دَانَتْ بَعْضَ الْوَاجِبِ فِيهِ وَلَا أَقْتَرَبَتْ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ
الْمُنِيَّةَ مَنَهْلٌ لَا يُحَلَّاءُ وَارِدُهُ ، وَمَعْلَمٌ يَهْدِي إِلَيْهِ عَلَى أَهْدَى سَبِيلٍ مُبَاعِدُهُ ؛ لَمْ يَبْقَ
فِي أَنْسٍ مَطْمَعٌ ، وَلَا لَحْزَنٌ مُسْتَدْفِعٌ ، وَلَكَانَ الثَّانِي كُلُّ غَيْرِ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ ؛ وَمَا أَتَمَّ
أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَكْرَمُ مَنْ يُبْنَى عَلَى ذُنُوحِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، يَكْتَسِبُهُ ، وَصَبْرٌ فِي الرُّزْءِ
الْفَادِحِ ، يَحْتَسِبُهُ ، فَصَبْرًا فَالْمُنُونُ غَايَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُصْبِحِينَ ، وَالنَّبَأُ الَّذِي يُعْلَمُ ذَوْقًا
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ؛ وَهُوَ تَعَالَى الْمُسْتَوَّلُ أَنْ يَرْقَعَ بِمَكَانِكُمْ هَذَا الْخَرَقُ الْمَتَّعِ ، وَيَصِلَ
بِحَنَانِكُمْ ذَلِكَ الشَّمْلُ الْمُنْصَدِعِ .

ابن أبي الخصال :

الشَّيْخُ فَلَانٌ أَبْقَاهُ اللَّهُ يَتَلَقَّى الْأَرْزَاءَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ ، وَجَمِيلِ الْإِحْتِسَابِ ، وَيَتَقَاضَى
بِالتَّعْزَى مَرْتَقِبَ الْأَجْرِ ، وَمُتَنَظِّرَ الثَّوَابِ ، مُعْزِيهِ فِي أَخِيهِ الْكَرِيمِ عَلَيْنَا ، الْعَظِيمِ مُصَابِهِ
الْفَادِحِ لَدَيْنَا ؛ فَلَانٌ : فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صَبْرًا تَجِدُونُ ذُنُوحَهُ ، وَأَوْجِبَ
لَكُمْ عَزَاءً تَجِدُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَأْنَهُ وَأَمْرَهُ - عِنْدَ مَا وَصَلَ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي فَلَانٍ
أَخِيكُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ وَنَقَصَهُ ، وَجَشَّمَ جُرْعَ الْحِمَامِ الْمَقْطُوعَةَ وَغُصَصَهُ ؛
فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! ! أَسْتَسْلِمًا لِقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ ، وَأَخْذًا فِيمَا يُدْنِي وَيَقْرُبُ
مِنْ إِرْضَائِهِ ؛ وَمَا نَحْنُ إِلَّا بَنُو الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ دَرَجُوا ، وَسَخَّرُجُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا
قَبَلْنَا نَحْرَجُوا ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ جَمِيعًا مَنْ يَنْظُرُ لِمَعَادِهِ ، وَيَجْعَلُ التَّقْوَى خَيْرَ مَا أَوْعَاهُ بِجَدَادِهِ ؛

وَسَلَّكَ بِنَا نَهَجَ هِدَايَتِهِ وَطَرِيقَ رَشَادِهِ . وَهُوَ جَلٌّ وَعَلَا يُخْزِلُ لَكُمْ عَلَى مُصَابِكُمْ نَوَابَا
عَمِيمَا مُؤَفُّورَا ، وَيَجْعَلُ قَقِيدَكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نُورَا ، وَيُلْقِيهِ فِي دَارِ الْفِرْدَوْسِ
مُلْكَا كَبِيرَا وَجُبُورَا ، وَلَوْلَا كَذَا لَسَرَتْ إِلَيْكُمْ لِأَعَزَّتْكُمْ شِفَاهَا ، وَأَحَدَتْكُمْ عَنْ ضُلُوعِ
أَحْرَقَ هَذَا الْمَصَابُ حَشَاهَا ؛ لَكِنْ آمَنْتَ أَمْرَهُ الْمُطَاعَ ، حَمَلَ عَلَى الْبِدَارِ إِلَى مَا أَمَرَهُ
وَالْإِسْرَاعَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُدِيمُ لَنَا بِكُمْ الْإِمْتِنَاعَ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، وَالسَّلَامَ .

الضرب السادس

(التعزية بالزوجة)

من كلام المتقدمين :

أبو محمد بن عبد البر :

وقد تَقَرَّرَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَثَبَتَ ثُبُوتًا لَا يَعْلَلُ بِالْإِرْتِيَابِ ، أَنَّ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ
دَائِرَةٌ ، وَمَعْبَرَةٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ سَاكِنَهَا وَإِنْ طَالَ عُمرُهُ ، وَطَارَ فِي الْخَلَاقِقِينَ أَمْرُهُ ،
لَدَيْغٍ سَمَّهَا ؛ وَصَرِيحَ سَهْمِهَا ، فَمَا تُضْحِكُ إِلَّا لَتُبْكِي ، وَلَا تُؤْنِسُ إِلَّا لَتُنْكِي ؛ وَقَدْ نَفَذَ
الْقَدْرُ الَّذِي مَالَهُ رَدٌّ ، وَلَا مِنْهُ بُدٌّ ؛ بِوَفَاةِ فَلَانَةٍ أَحْلَقَهَا اللَّهُ رِضْوَانَهُ ، وَأَسْكَنَهَا بِفَضْلِهِ
الْمَرْجُو جَنَّتَانَهُ ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !! تَأْسِيًّا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَتَسْلِيًّا عَنْ مَاءِ
الدَّمْعِ السَّالِخِ ، وَزَنْدِ الْقَلْبِ الْقَادِحِ . وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهَا عَقِيلَةً مَعْدُومَةَ الْمَيْلِ ، مَفْقُودَةً
الدِّينِ وَالْعِقَّةِ فِي هَذَا الْحَيْلِ ؛ مَتَحَلِيَّةٌ مِنْ دُعَاءِ الْفُقَرَاءِ ، وَثَنَاءِ الصُّلَحَاءِ ، بِالْغُرَّةِ الشَّادِخَةِ
وَالْتَحْجِيلِ ؛ لَقَدْ ذَهَبَ لَذَاهَابِهَا الرِّفْقُ وَالْحَنَانُ ، وَعُدِمَ لَعَدَمِهَا الشِّيمُ الْبَرَّةُ وَالْأَخْلَاقُ
الْحَسَنَانُ ؛ وَإِنَّ فَقْدَهَا لَخَرَقَ لَا يُرْفَعُ ، وَغُلَّةٌ لَا تُنْقَعُ ؛ وَخَطْبٌ لَا يَزَالُ الدَّهْرُ يُتَذَكَّرُ
فِيَصْدَعُ ، وَلَوْلَا الْعِلْمُ أَنَّ الْخَلْقَ بِهَا أَمْرٌ كَائِنٌ ، وَأَنَّ الْخَلْفَ فِي الدُّنْيَا لَا مَحَالَةَ عَنْهَا

بائِن ، وَأَنْ التَّنْقَلُ لِلْآخِرَةِ مَا لَنْتَفَكَ نَسْمَعُهُ وَنُعَايِنُ ، لَمَّا بَقِيَتْ صُبَابَةٌ دُمَعُ
إِلَّا أَرْفَضْتُ ، وَلَا دِعَامَةٌ صَبْرٌ إِلَّا أَتَقَضَّتْ ؛ وَلَكَانَ الْحُزْنَ غَيْرَ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى ، وَالْوَجْدُ
فَوْقَ مَا يُجِيرُ وَجَرَى ، لَكِنْ لَا مَعْنَى لِحُزْنٍ لَمَّا يَقَعُ فِيهِ الْأَشْتَرَكُ ، وَلَا وَجْهَ لَأَسْفَافٍ
عَلَى مَا لَا يَصِحُّ فِيهِ الْأَسْتِدْرَاكُ . وَمَا أَتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ مِمَّنْ يُذَكِّرُ بِمَا هُوَ فِيهِ أَذْكَرُ ،
وَلَا مِمَّنْ يُنَبِّهُ عَلَى مَا هُوَ بِالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ أَخْلَقُ وَأَجْدَرُ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ التَّعَاذِيَّ بِمَا أَطْرَدَ بِهِ
الْعَمَلُ ، وَسَنَّهُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ ، لَمَّا سُلِكَ سَبِيلُهُ مَعَكُمْ وَأَتَمَّ مِمَّنْ قَدَّرَ الْأُمُورَ
قَدَرَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَوْ طَالَتْ فَالْمَوْتُ أَثَرُهَا ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بَدْءٌ ، وَلَمْ يَمْنَعْ
مِنْهُ صَدٌّ وَلَا سَدٌّ ؛ فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْجَزَعِ ، وَأَدْلُّ عَلَى كَرَمِ الْمُنْحَى وَالْمُنْتَرَعِ ، وَأَحْرَى
بِأَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ جَزِيلًا ، وَالْجَزَاءُ حَسَنًا جَمِيلًا ؛ وَاللَّهُ يَبْقِيَكُمْ أَتَمَّ الْبَقَاءِ ، وَيَرْقِيكُمْ
أَتَمَّ الْارْتِقَاءِ .

ابن أبي الخصال :

الشيخ الأجلُّ فلان - آنَسَ اللَّهُ وَحْشَتَهُ ، وَجَدَّدَ عَلَى فَقِيدَتِهِ رَحْمَتَهُ . مَعَزَّيْهِ عَنْ
أَهْلِهِ الْهَالِكَةِ وَسَكَنِهِ ؛ وَمَسَاهِمُهُ بِأَوْجِبِ حُزْنٍ فِي الْقُلُوبِ وَأَسْكَنِهِ . فَلَانُ :
فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ عَنْ دُمُوعِ تَصُوبٍ وَتَنْسَرِبٍ ، وَضُلُوعِ تَحْفُوقٍ مِنْ وَجِيبِهَا وَتَضْطَرَبٍ ،
وَأَنْسَ يَشْرُدُ مِنَّا وَيَحْتَجِبُ ، بِمَوْتِ فَلَانَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ الَّتِي أَوْدَعَتْ فِي جَوَانِحِنَا مِنَ الثُّكُلِ
مَا أَوْدَعَتْ ، وَرَضَتْ أَكْبَادَنَا بِمُصَابِهَا وَصَدَعَتْ ، عَزَّأَنَا اللَّهُ جَمِيعًا فِيهَا ، وَأَوْلَاهَا نَعِيمًا
فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَتَرْفِيهَا ، وَأَعْقَبَنَا مِنَ الْوَحْشَةِ أَنْسَا ، وَعَمَّرَ بِالرُّحْمَى جَدْنًا مَبَارَكًا
وَرَمَسَا ؛ وَجَعَلْنَا كُلًّا مِمَّنْ يَرْدَعُ عَنِ الْإِنْحِطَاطِ إِلَى الدُّنْيَا نَفْسًا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

لَمَّا عَلمَ مملوكُ المجلس السامى أطلالَ اللهِ بقاءَهُ ، وأعظَمَ أجرَهُ وأحسنَ عزاءَهُ ، وفاءَ
السيدةِ المرحومةِ سقَى اللهُ عَهْدَها عَهْدًا يَبُلُّ الثَّرَى ، وجعلَ الرحمةَ لمن نَزَلَتْ بِهِ لها
القرى ؛ تَأَلَّمَ لِفَقْدِها غايةَ الألمِ ، ووجدَ حُرْقَةً كَسَتْهُ ثوبى ضَنَى وسَقَمَ ؛ وحزنًا لا يعبرُ عنه
بعبارةٍ بيانه ، ولا يستوعبُ وصفهُ بلسانِ قلبِهِ وبنانه :

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا * لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ !

والمولى أولى من عزى نفسه ، وأستحسنَ رداءَ الصبرِ وليسَهُ ؛ وعلمَ أنَّ الموتَ
غريمٌ لا يُنجى منه كثرةُ المطالِ ، ولا يُدافعُ بالأطلابِ والأبطالِ ؛ وأنه إذا طالبَ
بذمةٍ كان ألدَّ الخِصامِ ، وإذا حاربَ فعلَ بيدهِ ما لا تفعلهُ الكُجاةُ بحدِّ الحِسامِ .

الضرب السابع

(التعازي المطلقة مما يصلح إيرادُهُ في كلِّ صنف)

من ذلك ، من ترسلُ أبى الحسين بن سعد :

مَنْ صَحِبَ الأيامَ وتقلَّبَ في آنائِها ، أعْتَوَرَتْهُ أحداتُها ، وأختَلَفَتْ عليه أحكامُها ؛
بينَ مَسَرَّةٍ ومَسَاءَةٍ يعْتَقِبَانِ ، وفرْحةٍ وترْحةٍ يَتَنَاولَانِ [وكان] فيما تأتِيهِ من محبوبِها على
غيرِ ثِقَةٍ من دوامِهِ واتِّصالِهِ ، ولا أَمْنٍ من تغيَرِهِ وانتقالِهِ ؛ حتَّى تعقُبَ السَّلامَةُ حَسْرَةً ،
وتستحيلُ النعمةُ مُحْنةً ؛ والسعيدُ مَنْ وَفَّقَ في كلِّ حالٍ لحظَّهُ ، وأَعْيَنَ على ما فيه
سَلامَةُ دينِهِ : من الشُّكْرِ على المَوْهِبةِ ، والصَّبْرِ على النازِلَةِ ، وتقديمِ حقِّ الله تعالى

في حال الغبطة والرزية . ولم تكن بالجميع به مفردا عني وإن كان النسب يقرّبه منك ، والرحم يصله بك : لما كنت أوجب من حقه ، وأرعاه من مودته ، وأختصه بالاعتداد فيه دون أداني أهلي والثقة من إخواني ، فمضى رحمه الله أقوى ما كان الأمل فيه ، وأكل ما كان عليه في لبّه وأدبه ، واجتماع فهمه وكمال هديه ، وانتظام أسباب الخير وأدوات الفضل فيه .

ومنه : لا ينكر للعبد أن يتناول مولاة عند وقوع المحنة في أهل خاصته ، وتحوّن ريب المنون من حاشيته ، بالتعزية عن مصيبته ، والإخبار عما يخصه من ألم فيعته وعظم رزيته ، لاسيما إذا كان بحيث لا يرى شخصه في الباكين ، ولا تسمع صرخته بين المتفجعين ، ولو سعت على حدقي .
ومن ذلك :

إن الله تعالى أمر أهل طاعته ، بتزيل هذه الدنيا بمرتلتها من إهانتها ، وسوى بين البر والفاجر في رغائبها ومصائبها ، ولم يجعل العطية دليلا على رضا ، ولا الرزية دليلا على سُخطه ، ولكنه أزم كل واحد من أهل الرضا والسُخط من نعمها بنصيب ، وسقام من حوادثها بذنوب : ليتلى أهل رضا في أهون الدارين عليه ، ويحسن لهم الجزاء في أكرمهما لديه ، ولذلك حبب إليهم الزهادة في زهيد فائدتها ، ومنح زهرتها ، وسماها لعبا ولها : لئلا يعقوا بخطاياها ، وينغمسوا في آثامها ، وختمها بالموت الذي كتبه على خليقته ، وسوى بينهم في سكرته : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ . ويقرّبهم بدار يقضى الموت ويقون فيها بعده ، كما فنوا في هذه الدار وبقي الموت بعدهم ؛ فإن تأخر الأجل فلأى غاية ، وإن تطاول الأمد فلأى نهاية ؛ ولابد أن يلحق التالي الماضي ، والآنف بالسالف ، وهذه حال نُصب الأفكار ، وتلقاء الأبصار ، لاحتجاج أن يرتاض الصبر على آلامها ،

والتحمل لمُعْضَلَاتِ سِهَامِهَا ، والجَزَعُ عند وَقُوعِهَا قَادِحٌ فِي البَصَائِرِ وَالْأَفْهَامِ ، دَالٌّ عَلَى الجَهْلِ بِاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ؛ وقد طَرَقَ المَمْلُوكَ نَاعِي فلَان فَهَدَّ جَلْدِي ، وَفَتَّتْ كَيْدِي ، لَا أَرْتِيَا عَآ لِحَادِثَةِ : لِأَنَّهَا لَوْ لَمْ تُكُنْ فِيهِ لَكَانَتْ فِي المَمْلُوكِ ، وَلَوْ لَمْ تَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ لَتَطَرَّقَتْ إِلَى المَدْرَكِ (؟) وَلَكِنْ الْأَسْفُ عَلَى عَطَلِ الزَّمَانِ مِنْ حِلْيَةِ فَضْلِهِ ، وَتَعَزِّيهِ مِنْ حُلَّةِ نُبْلِهِ ، وَخُلُوعِ رَاِصِهِ مِنَ الْأُنْسِ بِمَثَلِهِ ، وَمَا نَالَ سَيِّدِي لِفَقْدِهِ ، وَتَجَلَّاهُ مِنْ بُعْدِهِ ؛ وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَرْغَبُ المَمْلُوكُ أَنْ يَرْبُطَ عَلَى قَلْبِهِ بِالصَّبْرِ ، وَيُوَقِّقَهُ لَتَنْجِزَ مَا وَعَدَ بِهِ الصَّابِرِينَ مِنَ الْأَجْرِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

على بن خلف :

رُقْعَةٌ : لَيْسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - خَيْرٌ مِنَ التَّسْلِيمِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّضَا بِقَضَائِهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى بَلَائِهِ ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَدَحَ الصَّابِرِينَ فِي كِتَابِهِ ، وَوَعَدَهُمْ بِصَلَوَاتِهِ . فَقَالَ جَل قَائِلًا : ﴿ أَيَّدِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ . وَقَالَ جَل قَائِلًا : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ . وَلَمْ تَزَلِ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْقُدَمَاءِ يَحْضُونَ عَلَى الصَّبْرِ وَهُمْ لَا يَرْجُونَ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْجَزَعِ وَلَا يَخَافُونَ عَلَيْهِ عِقَابًا ؛ وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ وَتَدَاوُلَهَا ، وَالْأَحْوَالَ وَتَحَوُّلَهَا ، وَسَعَ صَدْرُهُ لِلنَّوَائِبِ ، وَصَبَرَ عَلَى تَجَرُّعِ الْمَصَائِبِ ، وَمَنْ أَغْتَرَبَ بِطَوْلِ السَّلَامَةِ ، وَطَمِعَ فِي الْأَسْتِمْرَارِ وَالْإِقَامَةِ .

رُقْعَةٌ : وَقَدْ اتَّصَلَ بِالمَمْلُوكِ خَبَرُ الفَجِيعَةِ بِفلَانٍ ، فَأَفِضَتْ المَدَامُ ، وَتَضَعَّضَتْ الْأَضَالِعُ ؛ وَزَفَرَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَهَمَدَتِ الْحَوَاسُ ؛ وَأَذَابَ الطَّرْفُ

(١) لَمْ يَذْكُرْ فِي الْأَصْلِ لِهَذَا الشَّرْطِ جَوَابًا وَيَمُكِّنُ أَخْذَهُ مِنَ الْمَقَامِ أَيْ «فَقَدْ حَاوَلَ مُحَالًا» وَضَلَّ فِي سَبِيلِهِ

ضَلَالًا» أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .

سَوَادُهُ عَلَى الْوَجَنَاتِ بَدَلًا مِنَ الْأَنْقَاسِ ، وَخَلَعَتِ الْقُلُوبُ سُودَاءَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ ،
عَوِضًا عَنْ جَلَايِبِ الْحِدَادِ ؛ وَعُضَّتِ الْأَنَامِلُ جَزَعًا ، وَمَزَّقَتِ الثِّيَابُ تَفْجَعًا
وَتَوَجُّعًا ، وَكُلُّ هَذَا وَإِنْ فَارَقَ حَمِيدَ التَّمَّاسُكِ ، وَوَافَقَ ذَمِيمَ التَّهَالُكِ ، غَيْرُ مُؤَيِّدٍ بِحَقِّ
ذَلِكَ الدَّارِجِ الَّذِي بَلَغَ الْمَعَالَى وَهُوَ فِي مَهْدِهِ ، وَشَدَّ دَعَائِمَ الْفَضْلِ وَلَمْ يَبْلُغْ أَوَانَ
رُشْدِهِ ؛ وَعَلِمَ سَيِّدِي أَنَّ غَايَةَ الْجَارِزِ وَإِنْ صَدَعَتِ الْمُصِيبَةُ قَلْبَهُ ، وَأَطَاشَتِ
الْفَجِيعَةُ لُبَّهُ ، الصَّبْرُ وَالسُّلُوكُ ، وَأَنَّ نِهَايَةَ الْقَاقِ وَإِنْ هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْحُرْقَةُ بِمَا لَا تَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ
الْأَضَالِيعُ ، وَلَا نَتَمَسَّكَ مَعَهُ الْمَدَامِيعُ ، الْقَرَارُ وَالْهُدُوءُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيهِ بَعْدَ هَذَا
الرُّزْءَ رُزْءًا يَفْنَاهُ ، وَيَنْقُلُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَى حَاسِدِيهِ وَأَعْدَائِهِ .

رَقْعَةٌ : مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْأَقْصِيَّةَ لَا تُحْطَى سِهَامُهَا ، وَالْإِفْقَادَ لَا تُرَدُّ أَحْكَامُهَا ، سَلَّمَ
الْأَمْرَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَرَضِيَ بِمَا مَنَاهُ فِي الْبَلَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ ؛ وَلَا سِيَّامًا فِي مُصِيبَةِ
الْمَوْتِ الَّتِي سَوَى بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِي تَجْرِيعِ صَابِهَا ، وَأَقْتِحَامِ عِقَابِهَا ؛ وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ
خَبَرُ الْحَادِثِ الْقَاصِمِ لِعُرَى الْجَلْدِ ، الْبَارِحِ فِي الْجَلْدِ ^(١) . فَاسْتَحَالَتْ فِي عَيْنِ الْمَمْلُوكِ
الْأَحْوَالُ ، وَمَالَتْ عَنْه الْأُمَالُ ، وَرَأَى السَّمَاءَ وَقَدْ تَكَدَّرَ جَوْهَا ، وَالشَّمْسَ وَقَدْ تَعَكَّرَ
ضَوْهَا ، وَالسَّحَابَ وَقَدْ أَخْلَفَ نُوْهَا ، وَالنَّهَارَ وَقَدْ آظَمَ ، وَاللَّيْلَ وَقَدْ أَدْلَهَمَ ، وَالنَّسِيمَ
وَقَدْ رَكَدَ ، وَالْمَعِينَ وَقَدْ جَمَدَ ، وَالزَّمَانَ وَقَدْ سَهَمَتْ وَجْهَتُهُ ، وَسُلِبَتْ حَلِيتُهُ ،
وَأَقْرَبَتْ قَبْضَتُهُ عَنِ التَّمَّاسُكِ ، وَقَبَضَتْ عَلَى التَّهَالُكِ ، وَعَدَلَتْ عَنِ التَّجَلُّدِ ، إِلَى
التَّبَلُّدِ ؛ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةٍ لِحَيْعَتِهِ ، وَهَيِّبَ سِنَةَ رُويَّتِهِ ، فَسَلَّمَ لِلَّهِ رَاضِيًا بِأَقْصِيَّتِهِ ،
رَاغِبًا فِي مَثْوِيَّتِهِ .

(١) لعله البادح والبلبح والبدح بالاهمال والاعجام الشق والمراد ظاهره .

أبو الفرج البغاء :

إذا كان أيده الله أهدي في النعم إلى سبيل الشكر، وأعرف في المحن بطرق الصبر؛ فكيف يُحاذِرُ عليه من المصائب، ونذكره التسليم لمحتوم النوائب، والمصيبة بفلانٍ أعظم من أن نهتدي فيها إلى سلوة غير مستفادٍ منه، أو نفتدي في العزاء بغير مانأخذه عنه؛ إذ كانت قلوبنا تبع قلبه - سره الله - في طروق السراء والضراء، وحالاتي الشدة والرخاء . وأحسن [الله] عن الفجعة عزاءه، وأجزل من المثوبة عطاءه؛ ولا شغله عن حلاوة شكر النعم بمرارة الصبر على ورود المحن، وجعل مانقل الماضي إليه، أنفع له وليسدي من الجزع عليه .

وله في مثله :

أتصل بي خبر المصيبة فجدد الحسره، وسكب العبره، وأضرم الحرقه، وضاعف اللوعة، وكان الأسف عليه، بقدر تشوف الآمال كانت إليه : فإننا لله وإنا إليه راجعون !! أخذنا بأمره، وتسلياً لحكمه، ورضاً بمواقع أقضيته، وأحسن الله في العزاء هدايته، وحرس من فتن المصائب بصيرته، وحمل عن قلبه ما أظله من ثقل المصيبة وعظم الرزية .

ولا أزال على جملة من القلق إلى أن يرد على كتابه - أيده الله - بما أكون فيه بأديه مقتدياً، ويهديته إلى سبيل العزاء والصبر مهتدياً، فإن رأى لاجرائي من تشريفه بذلك على مشكور العادة، فعل، إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

أشترأك القلوب فيما ألم بقلب سيدي بحسب تساويها في المسرة بما سره، إذ كان لا يختص دون أوليائه بنعمه، ولا ينفرد دون مؤمليه بحلول موهبه، والمصيبة بفلان

- وإن جَلَّ موقعُها وعُظُمَت الفَجيعةُ [بها] - جَلَلٌ مع سُقوطِ الأقدارِ دُونَهُ ،
وتجاوُزِها عنه ، ومُسامَحَتِها به ، فلا شَغَلَ اللهُ قلبه بَعْدَها بِمَرارةِ الصبرِ عَمَّا تُوَجِّبه النِّعم
من حلاوةِ الشُّكرِ ، ولا جاوره برزِيَّةٌ في حِمِّمٍ ولا نِعمه .

وله في مثله :

بصيرتُكَ إلى العِزِّاءِ تَهْدِيكَ ، وأَغْنِباطُكَ بِثَوَابِ اللهِ يُسَلِّيكُ ، وعائِمُكَ بِقِلَّةِ الغِناءِ
عن الجَزَعِ يَنِّيكَ ، وجمْعُنا بِكَ في الصبرِ مُقْتَدُونَ ، ولِرَأْيِكَ في الرِّضا بِما آخَرَهُ اللهُ
تعالى مُتَّبِعُونَ ؛ فحَمَلَ اللهُ عَنْ قَلْبِكَ ثِقَلَ المِصْبيَةِ ، وحَرَسَ يَقِينَكَ من أَعْتِراضِ
الشُّبهة ، وأَحْسَنَ إلى جَمِيلِ الصبرِ هِدايَتَكَ ، وتَوَلَّى من قِتْنِ المِحْنِ رِعايَتَكَ ، وجعل
ماتَّقِلَ الماضِي إليه ، أَنْفَعَ لَكَ وله من الأَسَفِ عليه .

وله في مثله :

اتَّصَلْ بِى خَبْرُ المِصْبيَةِ فَأُضْرِمَ الحَسْرَةَ ، وَسَكَبَ العَبْرَةَ ، وَقَدَحَ اللُّوعَةَ ، وَأَمْتَرَى^(٢)
الدَّمْعَةَ ، وَكَانَتْ مُشارَكَتِي إِيَّاكَ في المِصْبيَةِ به ، وَالْفَجيعةِ لِفَقْدِهِ ، بِحَسَبِ اِختِصاصِي
بِمَواهِبِ اللهِ عِنْدَكَ ، وَأَغْتِباطِي بِمَنَحِهِ لَدَيْكَ ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ !! تَسْلِيماً
لأَمْرِهِ ، وَأَتَقِياداً لِحُكْمِهِ ، وَرِضاً بِمَواقِعِ أَقدارِهِ ، وَأَحْسَنَ اللهُ عَلى العِزِّاءِ تَوفيقَكَ ،
وإلى السَّلَوةِ إِرْشادَكَ ، وَلا أَخلَاكَ فيما تَطَرَّقَكَ بِهِ مِصْبيَّةٌ من مِصْباحَةِ الصبرِ ،
وفِيما تَفَقَّدَ بِهِ عَليكِ نِعمَةٌ من الاستِرادَةِ بالشُّكرِ ؛ وَحَرَسَكَ في نَفْسِكَ وَأَحْيَيْتَكَ ، وَذَوَى
عِنايَتِكَ وَنِعمَتِكَ .

(١) أى يسير هين على حد قول امرئ القيس لما قتل أبوه :

بقتل بنى أسد ربهيم * ألاكل شيء سواه جلل

(٢) فى القاموس « ومرى الشيء استخرجه كأمراه » .

وله في مثله :

قدرك أكبر ، وبصيرتك أنور ؛ ونفقت بالله تعالى أعظم من اعتراض الشُّكوك عليك فيما يطُروك من عِظاته بالحوادث وإن عظمت ، والمحِن وإن جَلَّتْ ؛ اختيارا بالمصائب لصبرك ، وبما يُظهره عليك من النعم لشُكرك ، ومثلك أيدك الله من قابل الفجیعة بقلان - إذ كانت من الواجب المحتوم - بأحسن عزاء وأفضل تسليم ، غير مرتاب بما اختاره الله له ولك فيه ، فعظم الله به أجرك وحرَّسك وحرَّس فيك .

الأجوبة عن التعازي

قال في "موادَّ البيان" : أجوبة التعازي يجب أن تُبنى على وقوف المعزّي على كتاب المعزّي ، وأنَّ إرشاده تقع غلته ، وعظه تقع علته ، وتبصيره سَكَن أواره ، وتذكيره أحمد ناره ، وتنبهيه أيقظ منه بحسن العزاء غافلا ، وهدى إلى الصبر ذاهلا ، وحسن عنده الرزية بعد جهامتها ، ودمت نفسه للمصيبة بعد فدّامتها ، فسلم الله تعالى متادبا بأدبه ، وعمل بالحكم مقتديا بمذهبه ، وغالب الرزء بالعزم ، وأخذ فيه بالحزم ، وسأل الله تعالى أن يُحسن له العوض في ردّه ، ويجعله له خلفا ممن أُصيب بفقده ؛ ونحو هذا مما ينخرط في سلكه .

جواب عن تغزية : من زهر الربيع :

أعزَّ الله سيدنا وأسعدَه ، وسهَّل له طريقَ المسرة ومهدَه ، وصانَ عن حوادث الأيام حجابَه ، وعن طوارقِ الحداث جنابه ؛ وجعله في جمى عن عوارض الغير والغرر ، وأصار أيامه محسنةً لوجوه الأيام كالغُرر .

ورد الكتاب الذي أنعم بإرساله ، بل المشرف الذي كسته اليد العالية حلة من حلل جماله ، فوقف عليه وفهمه وتذكر به إحسانه الذي لا ينساه ، وتفضله الذي لا يعرف سواه ، فأما التعزية بفلان ، فإنه رد بعذب لفظها قوته ، وبلى بماء حسنها غلته ، وضربه على حادثته بفلان بعد أن عز عليه العزاء وأعوزه ، وطلب وعده من صبره فما أنجزه : لأنه كان وجد لموت المذكور حزنا ما استطاع له تركا ، وفقد لموته خلا مثله يناخ عليه ويئس ، وفي بقاء مولانا مسرة تطرد كل حزن ، وفي بهاء طلعه عوض عن كل منظر حسن ، جعله الله ساميا على أثرابه ، مقدما على أضرابه ، ماسمت الأسماء على الأفعال ، وتقدم الحال على الاستقبال .

آخر : ضاعف الله بقاءه وأطال عمره ، وشرح لإسداء المكارم صدره ، وأثقل نبيه وأمره ، ولا زال إلى أوليائه محسنا ، وفضله يحصل لمحبيه غاية السؤل والمنى ، ورد مشرقه المعزى بوفاة فلان سقى الله عهده عهدا رضوانه ، وأسكنه في غرف غفرانه ، فخر مصابا ، وفتح إلى الصبر أبوابا ، وهدى إلى طريق الخير وقال صوابا ، وسكن نفسه ، وذكره إحسانه الذي لم ينسه ، وأزال الوحشة وزاد أنسه ، بعد أن كان فقد المذكور قد هتد ركنه وقت عضده ، وأوصله إلى أمد الحزن وضاعف على الأيام أمده ، وألبسه رداء الأكتئاب ، على ترابه الذي أصبح تحت التراب ، وصديقه الموصوف بالصدق ، الذي فاق سناه ذلك الأفق ، جعله الله أصلا في تحصيل المسرة إذا ذوت الفروع ، وسيقا يقهر به وليه الحوادث التي تروع ، إن شاء الله تعالى .

آخر : جعل الله أجره عظيما كقدره ، والقلوب مجمعة على حبه كاجماع الألسنة على شكره .

المملوك يُعلمه بُرُود كتابه الكريم المعزى بفلان - قدس الله رُوحه، وأمطر سحابَ
الرحمة ضريحه - عليه، وعنده من شديد الحزن، ما أعدمه لَذِيذُ الوَسْنِ ؛ ومن زائد
الآكِتَاب، ما كاد يَحْرِمُهُ التَّقْمُّصُ بثوب الثَّوَاب ؛ بحيث إِنَّهُ عُوْضُ بِالزَّمنِ الأسودِ
عن العيشِ الأخضرِ، وذاق من موجب لبسِ الأبيضِ طَعْمَ الموتِ الأحمرِ، وأنه ضَمَّه
إليه ضَمَّ المحبُوب، وأَبْتَهَجَ به أَبْتَهَاجَ من ظَفِرِ بَغَايَةِ السُّوْلِ والمطلُوب ؛ فأغمدتِ
الكَابَةُ خَوْفًا من قَلَمِهِ سَيْفَهَا، وأزالتِ الدنيا الدُّنْيَةَ عنه حَيْفَهَا؛ وعزَّى نَفْسَهُ
وسَلَّاهَا، وشغله إحسانُه عن محاسِنِ مَحَا الموتِ سَنَاهَا ؛ فرفضَ من توجَّعه ما فرضته
حادثته، وسلكَ مَنَهْجًا غيرَ المَنَهْجِ الذي فُتَّتْ فيه حَشَاةٌ ومُهْجَتُهُ ؛ فاللهُ تَعَالَى يَكْفِينَا
مانِحَازَهُ في المجلسِ ويحُرسُ سَنَاهُ، ويُديمُ سَعْدَهُ وعُلَاهُ .

النوع الثالث

(من مقاصد المكاتبات التهادي والملاطفة)

قال في "موادّ البيان" : رِقَاعُ التَّهَادِي يجب أن تُودَعَ من الألفاظ المستَحْسَنَة
ما يُمَهِّدُ لِقَبُولِ المِلاطَفَةِ والمَبَرَّةِ التي تُتميزُ في المودَّة. قال : وينبغي أن يُطَرِّفَ الكاتبُ
إذا كان مُهْدِيًا أو مُسْتَهْدِيًا ؛ وقد جرتِ العادةُ أن تُودَعَ هذه الرِقَاعُ من أوصافِ
الشيءِ المُهْدَى ما يحسِّنُه في نَفْسِ المُهْدَى إليه . قال : وينبغي لمن ذَهَبَ هذا
المذهبَ أن لا يَعتَمِدَ تَفْخِيمَ هِدِيَّتِهِ، ولا الإِشارةَ إلى جَلَالَةِ خَطَرِهَا، فإنَّ ذلكَ يُحِلُّ
بشروطِ المُرُوءَةِ ويَتَحَامَاهُ الكُرماءُ .

ثم هي على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(ما يُكْتَب مع التّقدّم إلى المُلوك من أهل مملكتهم

إلى القائمين بإيصال التّقديمة إلى المَلِك وكاتب السّرّ ونحوهما)

الشيخ جمال الدين بن نباتة : إلى كاتب السّرّ بالأبواب السلطانية صحبة تّقديمة
من نائب الشام إلى السلطان :

لأزالت أعلامها لتتأجّج الفضل مُقدّمه ، ولمّا كض الكرم والبأس جياداً مُسوّمه ؛
ولكاتب المَلِك من كُتبه أعلاماً بشعارها العباسيّ معلّمه ، وفي يد صاحِبها من أصحاب
الميمنة ، والذين كفّروا بآيات الله ونعيمها من أصحاب المشأمة ؛ تقبيل مُحبٍّ لا تُفسخ
عقود ولائه المُحكّمه ، ولا تُنسخ إلّا في الكُتب عقود شأته المنظمه ، ولا تطوف
الأشواق بيت قلبه إلّا وهى من ملابس السّلوان المحرم مُحرّمه .

ويُنهى أنه قد اختار من عناية مولانا بمقاصده أحسن الخير ، وبُورك له
في قصدها (ومن بُورك له في شئٍ فليزِمه) كما جاء الخبر ؛ وقد جهّز فلانا إلى الأبواب
الشريفة خلّد الله سلطانها بتقدّمته على العادة في كلّ سنة ، وأتبع سفارة مولانا بين
يديّ المواقف الشريفة فاتّبع من القول أحسنه ؛ وسأل حُسنَ نظر مولانا الذى إذا
لاحظ قصداً أعلنه وسعدا عينه ، وقد جهّز المملوك برسم مولانا ماهو بمقتضى الورقة
المجهّزة عطفها ، المؤمّلة وإن كانت ورقة قُطفها ، وسأل مقابلتها بالخبر الذى يحسب
الأمل حساباً ، ويستفتح ببنان القلم بابه ، والإصغاء لما يُملئ من رسائل الشوق
فإنها من رسائل إخوان الصفا المستطابة ، لا يرح القاصدون مَرِحِينَ بأيام مولانا
وحقّ لهم أن يمرّحوا ، تالين نسبة بينته ورُحمى الله على يده : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ .

وله إليه أيضا مع الجَهَّاز الشريف السلطاني :

أمتعها الله من خيرى الدنيا والآخرة بكم الأمرين ، وبشرف الذكرين ، وسرها بما يجهز في النناء والثواب من الوفرين ، وأعلى منارها المحقق إلى السماء على وكر النسرين . ولا زالت الآمال لا تبزح حتى تبلغ من تلك اليدين تجمع البحرين ؛ تقبيل مخلص في الولاء والدُّعاء ، مستشهد بالخواطر الكريمة على ثبوت الأدعاء ، واردة لموارد النعم قبل صدور بل قبل ورود الرعاء .

وينهى أنه ليس للملوك فيما يومئه ويتأمله ، ويفصله من عقود المطالب ويجهله ؛ غير إحسان مولانا الذى لا يمل على طول الإيناس والإلباس ، وعوارف بيته المستجدة تالية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وقد جهز الملوك الولد فلانا بالجهاز المبارك إلى الأبواب الشريفة خلد الله سلطانها ، وملاً به جواهر جبات القلوب ورينجانها ، وهو على قدر الملوك ومقداره ، لا على قدر مراده واختياره ؛ ولو أن المراد مما يجهله العبد إلى سيده ، ويقدمه من سبب الحال ولبده ، على قدر المحمول إليه ، والمقدم بين يديه ، لضعفت قوى أكثر العبيد عن ذلك ، ويس من الرضوان جهدهم المسالك ؛ وإنما على العبيد أن تنصب على قدرتها الحال ، وعلى الساداب أن تصرف بعوامل الخبر مستقبل الأفعال . وعلم مولانا الكريم محيط بتقل الملوك في هذه السنين من بلد إلى بلد ، ومن أمد كلفه إلى أمد ، وبما حصل في ذلك من التمتع في إقطاعات كاد أن يُخنى عليها الذى أخنى على لبد . وكان الملوك يود لو كان هذا المحمول من الجهاز من جواهر النجوم المنشورة ، وأخية السُّعود الماثورة ، وجميع ما زين للناس من الشَّهوات المذكورة ، أضعاف أضعافه الآن ، بل أضعاف أضعاف ما حمل الأولون من فلان وفلان ؛ كالحسن بن سهل مع الجهة المأمونية التى حلا ذكرها ، وأبن طولون مع المعتضدية التى كثر هذا الغيث قطرها ، والساماني

وما أدراك، والسَّاجُوقِ وما أسراك، وجميع ما تَضَمَّنَتْهُ التَّوَارِيخُ التي لو عَايَنْتَ تاريخَ هذه الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ عَنَتْ في الحَالِ لِحَدِّهِ، وَكَانَ كُلُّ مَجْلَدٍ مِنْهَا يَمُوتُ لِلْهَيْبَةِ في جِلْدِهِ : لما خَلَّدَتْهُ أَيَّامُهَا الشَّرِيفَةُ مِنْ أَخْبَارِ حُكْمِهَا وَخَيْرِهَا، وَكَرَمِهَا وَبِرِّهَا، وَعَظَمِهَا عَلَى مَمَالِكِ بَيْتِهَا الشَّرِيفِ : تَتَقَبَّلُ مِنْهُمْ سُورَهُمْ، وَتُكَلِّلُ سُورَهُمْ ؛ وَتَعْلَأُ بِجُيُوشِ الْإِنِّشْرَاحِ صُدُورَهُمْ ، وَتَبْلُغُهُمْ مِنْ هِمَمِ مَطْلُوبِهِمْ ؛ وَتُقِيلُ عَلَى زَاهِرَاتِ نَجَائِيهِمْ وَرِيَاحِينَ قُلُوبِهِمْ :

ولو لم تُطْعَمْ نِيَّاتُ الْقُلُوبِ * لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا .

والمملوك يسأل من إحسان مولانا الذي أَلْفَهُ ، ومَعْرُوفِهِ الذي عَرَفَهُ ، ملاحظة الولد فلان بين يَدَيِ المَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهَا ، وَإِقَامَةَ عُدْرِ المَمْلُوكِ بِعَابَرَتِهِ التي أَحَلَّ اللَّهُ سُخْرَهَا وَبَيَّأَهَا ؛ فَا لِمَمْلُوكٍ في مَقَاصِدِهِ مِثْلُ مَوَدَّةِ مَوْلَانَا الْوَافِيَةِ الْمُتَوَافِيَةِ ، وَمَقَدِّمَةِ عِبَارَتِهِ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ عَلَى شُكْرِ مَنَّنِهِ ، وَالْقِيَامِ بِفَرَائِضِ حُدُودِهِ وَسُنَنِهِ ؛ وَالنَّهْوضِ بِأَوْصَافِ أَيْادِيهِ التي يُغَزِّدُ بِهَا قَلَمَ الْكُتَّابِ كَمَا يُغَزِّدُ الْقَمَرِيُّ عَلَى فَنِّهِ .

الضرب الثاني

(ما يكتب مع الهدية عند بعثها)

وهو على عشرة أصناف :

الصنف الأول — ما يكتب مع إهداء الخيل .

على بن خلف : في إهداء جوادٍ أَدْهَمَ أَغْرَ مَحْجَلٍ .

وقد خدَمَ المَمْلُوكُ رِكَابَهُ الْأَكْرَمَ ، بِجَوَادٍ أَدْهَمَ مُطَهَّمٍ ، قَدْ سَلَبَ اللَّيْلَ غِيَابَهُ وَكَوَاكِبَهُ ، فَاشْتَمَلَ بِأَيْدِيهِ ، وَتَحَلَّى بِجُجُومِهِ ، وَأَطْلَعَ مِنْ غُرَّتِهِ السَّادِجَةَ قَرَأً مَتَّصِلًا

بالحجره ، وتحلى من رُمْتِه^(١) بالثرى أو النثره ، صافى القميص ، محووض الفصوص ،
 حديد الناظر ، صليب الحافر ، وثيق القصب ، نقي العصب ، قصير المطا ، جعد
 النسا ، كأنما أنتعلت بالرياح الأربع أربعه ، وأصغى لأستراق السمع مسمعه ،
 إن ترك سار ، وإن غمز طار ، وإن ثنى أنحرف ، وإن استوقف وقف ، أديب
 نجيب ، متين صليب ، صبور شكور ، والله تعالى يجعل السعادة مطلع غرته ، والإقبال
 معقد ناصيته .

من كلام المتأخرين :

كتاب عن نائب الشام إلى الملك الصالح : شمس الدين صاحب ماردين قرين خيل
 منعم بها إليه ، عن السلطان الملك الصالح : عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد
 ابن قلاوون - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب .

وأجرى بالنصر جياده ، وبالظفر مراده ، وعلى عوائد السعد مطالع شمسه التي
 يسميها عرف الملكة بلاده ، ولا زالت منيرة بسعادة شمسه الأحلاك ، نظيمة بذر
 محامده الأسلاك ، مائلة خيول سعدة حتى حمر السوابق من البروق والشهب السواخ
 في الأفلاك .

المملوك يقبل اليد التي إذا بسطت فلان تجود وتسلم ، وإذا قبضت فعلى سيف
 أوقلم .

ويُنهى بعدولاء وثناء للإخلاص شارحين ، وفي الضمائر والآفاق سائحين ، وأشتياق
 وعهد كانا أحق بالانتماء لاسمه ونعته وكان أبواهما صالحين ، أن المرسوم الشريف
 زاده الله تعالى شرفا ، ورد يتضمن تشريف مولانا على العادة وإعظامه ، واستقرار
 مكانته من الخواطر الشريفة في دار مقامه ، واستمرار كرامته من الآراء المعظمة

(١) هى بالضم بياض في طرف أنف الفرس . قاموس .

ولا يُنكرين الصالح والصالح استمرار الكرامة ، وأن الصدقات الشريفة أنعمت على مولانا بثلاثة أروس من الخيل كثلثة الراح ، إلا أن حبابها عرق سبقها ، وثلاثة الشجر (؟) كما قال الطائي تساوى شرف ثمرها وزهرها وعرفها ، مامننا إلا من تقصر (١) الرياح أن تسلك بغيه ، والبروق أن تتبع نهجه . ومن تود الثريا أن تكون لحامه والهلأل أن يكون سرجه . ومن يخطر كالغمام ويركض كالسلي . ومن تجلت حلاه وليس حلة الفخار فشئ على الخاليتين في الخلتين مسيل الذيل . ومن عقد بناصيته كل الخير وعقد له لواء الفخار على كل الخيل : من كل خضراء معجبة فهي على المجاز حديقه ، وكل أحمر سابق فهو البرق على الحقيقة ، وكل أصفر شفق إلا أن الرياح من مجاراته على نفسها شفيقه . وكيف لا يشبه بالشفق وهو من الأصيل ، وكيف لا يفخر العسكرى بهذه الخيل وخصر عددها في الحسن أوائل ، قد صرفت وجوهها المقبله ، لباب مولانا أحسن المصارف ، وكتبت عوارف الفضل في معارفه المسبله ، فناهيك منها بكتاب عوارف المعارف ، ووصل لمولانا بذلك مثال شريف ، ورسم للملوك تجهيزها مع من يراه ، وقد جهز الملوك لخدمة مولانا الخيل المذكورة مع المثال الشريف صحبة فلان ، ومولانا أدرى بنفحات رياض الحمد بهذه الدائم المطله ، وبالتقيل في الأرض التي هي سماء حوافر هذه الخيل التي هي أهله ، وأولى أن يشرف الملوك بمهماته ، ويؤنس لحظه بطيف اليقظة من مشرقاته ، والله تعالى يحدد لمعالیه في كل قصد نجحاً ، ويعلى لمجده في كل حال قدحاً ، ويروّع الأعداء (٣)

(١) كذا في الأصل باستعمال من في غير الغافل .

(٢) في الأصل يخطر كالغمام ولعله مصحف عما أثناه يقال تمطرت الخيل إذا جاءت مسرعة يسبق

بعضها بعضاً تأمل .

(٣) في الاصل وجاد مجده تأمل .

من خَطَوَات خَيْلِهِ فِي بِلَادِهِمْ بِالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ، وَمِنْ خَطَرَاتِ ذِكْرِهِ فِي قُلُوبِهِمْ
بِالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا .

وفي معناه :

يَقْبَلُ الْبَاسِطَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَى اللَّهِ شَانَهَا ، وَجَمَّلَ بَقَائُهَا زَمَانَهَا ، وَضَاعَفَ عَلَى
الْأَوْلِيَاءِ بِرَّهَا وَإِحْسَانَهَا .

وينهى : أَنَّهُ أَتْبَاعَ جَوَادًا أَعْجَبَهُ ، وَطَرَفًا أُنْتَخِبَهُ ، وَقَدْ قَدَّمَهُ لَوْلَى نِعْمَتِهِ ، وَمَالِكَ
عَهْدَتِهِ : لِأَنَّ الْكِرَامَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِ الْكِرَامِ ، وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْوَلَى عَلَى الْعَبْدِ
حَرَامٌ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ ضِيَاءَ غُرَّتِهِ ، وَائْتِمْنَ مَعْقِدَ نَاصِيَتِهِ ، وَالْإِقْبَالَ تَحْجِيلَ
أَوْظَفَتِهِ ، وَالسَّعَادَةَ مَوْضِعَ الْجُلُوسِ مِنْ صَهْوَتِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يُسَالُ الْإِنْعَامَ بِقَبُولِهِ ، وَ[أَنْ]
يَلْقَاهُ مِنْ ذَلِكَ [غَايَةً] مَأْمُولَهُ ؛ مُضَافًا إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ سَابِقُ إِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ ، وَفَضْلِهِ
الْجَسِيمِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ بَعِينُهُ الَّتِي لَا تَنَامُ ، آمِينَ .

الأجوبة بوصول الخيل

جوابٌ عن نائب الشام إلى أميرأخوَر بالأبواب الشريفة ، عن وصول خيلٍ
إليه من الإنعام الشريف - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد
الألقاب :

لَا زَالَتْ مَبَشَّرَةً بِأَعْظَمِ الْخَيْرِ وَكَرَامِ الْخَيْلِ ، مَيَّسَرَةً لِلنِّعَاءِ بِسَوَابِقِ السَّيْرِ كَدَوَافِقِ
السَّيْلِ ؛ مُسْفِرَةً عَنِ إِيجَادِ سَوَابِجِ إِلَّا أَنَهَا فِي الْفَخَّارِ وَالشَّيَةِ ضَافِيَةٌ الدَّيْلُ ، سَفِيرَةٌ
فِي الْجَوَادِ بِكُلِّ جَوَادٍ تَبَسُّمُ غُرَّتِهِ أَبْتَسَامَ النَّهَارِ وَيُدْرِكُ طَلَبَهُ إِدْرَاكَ اللَّيْلِ ؛ تَقْيِيلًا
يَسْتَبْقِي أَسْتَبَاقَ الْحَيَادِ ؛ وَيَتَّبِقُ عَلَى الدَّرَجِ أَلْسَاقَ الْعُقُودِ عَلَى الْأَجْيَادِ .

(١) النِّعْمُ وَالنِّعْمَةُ وَالنِّعْمَى وَالنِّعْمَاءُ مَا يَنْبَغُ بِهِ فِعْلُ الصَّوَابِ الْإِنْعَامُ .

وَيُنْهَى بعد ثناءٍ وولاءٍ : هذا يهيمُ في كلِّ وادٍ ، وهذا يهيمُ بمثله كلُّ وادٍ ؛ وَرُودَ
 مشرفةِ مولانا الكريمةِ بما ملأ القلبَ مسرهً ، والعينَ قرهً ، ودرجَ عامَ الفيلِ من نُجُبِ
 الخيلِ السيارةِ مستَهَلَّ وغُرَّهَ ؛ فقابلها المملوكُ بتقييله ، وقام لها على قَدَمِ تبجيله ؛
 ثم قام إلى الخيلِ الشريفةِ المنعمِ بها عليه فقَبَّلَ من حوافرها أهلةً ثم من غُرَّرها
 نُجُوماً ، وتأملَ شياتها البرقيةَ واستمطر من السُّعودِ غيوماً ؛ فأذنتَ له من الإقبالِ أمدَ
 قاصيها ، وظلَّ بمنزله الخيرُ المعقودُ بنواصيها ؛ وتضاعفت أدعيته الصالحةُ لهذه الدولةِ
 القاهرةِ الصالحيةِ زادها الله من فضله ، والوقتِ الذي ملأ الدنيا بسحابِ جُوده
 ورياحِ جِيَادِهِ ورياضِ عَدْلِهِ ؛ والمملكِ الذي لا يَنْبَغِي لأحدٍ من بعده ، ولولا شُهودُ
 العهدِ الشهيديِّ لقالَ ولا لأحدٍ من قبله ؛ وأعدَّ المملوكُ هذه الثلاثةَ من الخيلِ لِيُقْنِي
 عليها بالقتالِ أهلَ التعطيلِ والتثليثِ ، ويستخفَّ بها آجالَ الأعداءِ بين يدي
 مالِكِهِ : فإنها من ذَوَاتِ العِزِّ والعِزْمِ الحثيثِ ؛ وما هي إلَّا كواكبٌ سعدتْ بمددِها أَسْتَبَّهَا
 الوَقَّادُ ، وزَهَرَاتُ حَسَنِ حَيْثُ بها على البُعدِ سفارتهُ المعتادة ؛ لأَبْرَحَ مولانا يَقْلَدُ
 بعنايته وإِعانتِهِ المِنْزَ الحِسامَ ، وينصُرُ بعزائمِهِ القاطعةَ ، وكيف لا ينصُرُ وَيَقْطَعُ
 وهو الحِسامُ ؟ .

وله في جوابِ وُصُولِ أَكْدِيشِ وَبازٍ [وكوهية] :

لا زالَ جزيلاً سَمَّاحُهُ ، جَمِيلاً من الحمدِ رَبَّاحُهُ ، جَلِيلاً بِهِ الذي يشهدُ به طائرُ
 الخيرِ ويمنُّه وطائرُ الخيلِ وَنَجَّاحُهُ . هذه المفاوضةُ تُهْدِي إليه سلاماً يَنْفِقُ جَنَاحُهُ ،
 وثناءً تُشْرِقُ غُرَّهَ وَأَوْضاحُهُ ؛ وتَوْصِّحُ لعلمه الكريمِ وَرُودَ مكاتبتِهِ سريعةِ الإِحْتِثَاتِ ،
 طائِرةٌ يُؤَمِّنُ طَرَسُهَا وَهَدِيَّتُهَا بِأَجْنِحَةٍ مَتْنَى وَثَلَاثَ ؛ فَخَصَلَ الوقوفُ عليها ، وتجددُ
 عهدُ الأَرْتِياحِ لَدَيْهَا ، وفهمنا ما لم نَزَلْ نفهمُهُ من وَدِّ الجَنابِ العالِي ، وَبِرِّهِ المُتَعَالِي ؛

وفاء عهده الذى تتلقاه المحامد بأمالى المحب لا بأمالى القالى، ووصل الأكديش الايكر
 ظاهراً حسنه، سافراً عن وفق المراد يمتنه، نتجمل به الموابك، وثمانية الرياح
 وبعضها من خلفه جنائب، وكذلك وصل البازى والكوهية، وكلاهما يديع
 الأوصاف، سريع الإقنطاف لأزاهير الطير والإقنطاف، يسبق الطرف بجناحه
 اللموح، ويستعجل من الأفق وإرد الرزق المنوح، ويواصل الخير والمير إلى المطبخ،
 فكأن حوامج كاش تغدو إليه وتروح، لا برح إحسان الجناح العالى وإصلا، وذكره
 فى ضمير الإعتداد حاصلاً، وحكم سماحته وشجاعته باستحقاق الثناء فاصلاً .

جواب بوصول جوارح :

كتب به عن نائب الشام، جواباً لمطالعة وردت على نائب الشام من الصالح
 صاحب ماردین من بقايا بنى أرتق، صحبة سناقر، هدية للصالح إسماعيل بن الناصر
 محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأيد هممه السوايح، ونعمه السواخ، وشيمه التى تنتظم منها عليه دُرر المحامد
 والمخادح، وشكر هداياه التى منها جوارح طير تحفّق لقرط أسنحسانها الجوارح .
 ولا زال من أجنحة نصره حتى السكك الراح، ومن جنود سعده للأولياء سعد
 السعود، وفى الأعداء سعد الذابح، ومن جياذ ركابه الشهب إلا أنها شهب الأفلاك
 السوايح، ولا برح سلطان البسيطة مكافئاً عمل قلبه الوفى، ولا ينكر العمل بالقلوب
 بين الصالح والصالح .

المملوك يقبل الأرض التى تستمد السحب من سمائها، وتستعد منازل الأنجم لتعلم
 من أنوائها، تقيلاً يودع ورق الرسائل أزاهره، ويطلع فى ليالى السطور زواهره،
 وينجز فى أيدي الحروف إلى أن تصل إلى أجياد المتأبر جواهره .

ويُنهي - بعد دعاءٍ صالح، إذا جُدد تجدد، وولاءٍ ناجح، إذا آنعطف تأكد، وثناءٍ
سانح، إذا سرى لا يتوقف إلا أن نسيمة في الآفاق يتردد، وأرتياح لما يرد من
أخبار دياره السائرة إذا شافه سروره سمع الولي شهيد وسمع الحاسد تشهد، حيث
يتلقى ببلاده النجح والمقاصد، وصلات البر والعوائد، ووفود الآمال من كل أوب:
فديار بكر ديار زيد وعمرو و خالد - ورود المشرف الكريم، بل الغيث السائر يخضب
المقيم، على يد فلان ونعم اليد العائلة لأبدي البر العميم، ونعم المشرف الوارد عن
مقر: هذا للأمل كهف وهذا للتأمل رقيم؛ ففضه المملوك عن علامة أسم لحسنها
وسوم، ولها رسوم، وأستجلى مواقع تلك الأنايل المضية وأقسم على فضلها بمواقع
النجوم؛ وأتتهى إلى الإشارات العالیه، وعلم ما كان القلب يعلمه من ضمائر الود
الحالية لا الخالية، وقابل كل أمرٍ حسن بما يجب من مذاهب الود المتواليه،
ووصلت السناقر المنير سنا فضلها، المير في معارك الصيد شبا نصلها، القائمة
في كواسر الطير مقام الملوك الأكسرة إلا في حكمها وعدلها؛ لاجرم أنها إذا
دخلت آفاق طير أفسدتها وجعلت أعزّة أهلها أذلّة؛ وإذا آنقضت على سرب
وخش جذبتها من دم الأوردة بأرسانٍ حيث كستها من قوادم الأجنحة أجلّة؛
لأيسأل كاسرها في الطيور بأى ذنب قتلت، ولا يحلها جانب الطير والوخش إذا
عاندته في أعجابها على أيدي البشر كيف حملت؛ يُظلل الصيد فلا يحب أن يفزع بها
من ظله، وتكتبُ علائم الثين والظفر بما في لونها من شبه الخط وشكله، نعم
الجالبة للخير والمير، والسائرة بما يخيف المتصيدات وكيف لا؟ وعلى رؤوسها
الطير، أزاهرُ حُسن لا يدع أن يكون لها كآئيم، وبوارق العزم لاجرم أن أجنحتها
غمايم؛ ونواقل البأس والكرم عن مُرسِلها فهما جمعت الشجاعة فرقت المكارم.
استجلاها المملوك بعد أنفاظ المشرف الكريم فقال: (تلك الرياض وهذه السحب،

وتلك الأنوار الهادية وهذه في أفق مطارها الشهب) ؛ وجَهَر المملوك المطالعة المحضرة
للأبواب الشريفة أعلاها الله وشرفها على يد فلان المذكور فقُوِيل بالإكرام والكرم،
ومثل بالمواقف الشريفة مثولاً رقى بهيمته إلى الكواكب لا جرم ؛ وذَكَر بصالح
بيت الارتقاء صالح بيت أرتق حتى أنشد :

فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ * مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ !

وقد عاد معلماً من البشر بما يراه مولانا عليه ، معلماً بما تقدم من نجوى الإنعام
بين يديه ؛ حاملاً من كريم وجاه يُعَدَّان للأولياء في يوم نزل وللأعداء في يوم نزال ، قائلاً
برجاء سعيه المؤمن : (يَا صَالِحٌ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) ولن نزال ؛ والله تعالى
يُجْرِي كَرَمَ مولانا على عوائد إسعاده ، ويَحْرُسُ بعينه وملائكته نَفَاسَةَ نَفْسِهِ وَبِلَادِهِ ؛
وَيُدْخِلُهُ بِأَسْمِهِ وَمُسَمَّاهُ لَدَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ .

وله جوابٌ بوصول بازيين :

ولا زَالَتْ بُرَاةُ كَرَمِهِ عَلَى الْحَمْدِ مُطْلََّةً ، وَسَحَابُهُ مُسْتَهْلَةً ، وَهَيْمُهُ مُسْتَقِلَّةً بِأَعْيَاءِ
المكارم وإن كانت لكثير ما يَهْدِيهِ مُسْتَقِلَّةً . هذه المفاوضة تُهْدِي إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ
أَجَلَهُ ، وَتَوْضَعُ لِعَلَمِهِ الْكَرِيمِ وَصُولَ مَكَاتِبَتِهِ الْعَالِيَةِ فَوْقُنَا عَلَيْهَا ، وَعَوْدُنَا بِكَلِمَاتِ
الثناء التامة من خلفها ومن بين يديها ؛ وعلمنا ما لم نزل نَعْلَمُهُ مِنْ مَوْلَاتِهِ وَأَلَانِهِ
الْمُسْتَنَدِ فِي الشُّكْرِ عَنْهَا وَالْمُسْتَنَدِ فِي الْوَلَاءِ إِلَيْهَا ؛ وَوَصَلَ كَلَا الْبَازِيَيْنِ الْحَسَنِينِ الْمُحْسِنِينَ
كَأَنَّهُمَا فِرْقَدَا سَمَاءٍ قَدْ أَجْتَمَعَا ، وَقَرَأَ حُسْنٌ طَلْعًا ، وَعَلَى مُحَاسِنِ الصَّيْدِ أَطْلَعَا ؛ يَسْرَانِ
الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ، وَيُحْمِلُ كُلُّ مَنُهَا عَلَى الْيَمِينِ فَيَحْصُلُ بِهِ الْيَسَارَ ؛ وَمَا هُمَا بِأَوَّلِ
إِحْسَانِهِ الْأَسْنَى ، وَرَّهْ الْأَهْنَى ؛ وَأَيَادِيهِ الَّتِي أَبِي الْكَرَمُ إِلَّا أَنْ تَرِدَ مَثْنَى مَثْنَى . وَعِلْمُ
أَعْتِدَارِهِ عَنِ الْكُوهِيَّةِ الَّتِي كَانَ أَذْنَحَهَا فَنَفَقَتْ ، وَلَوْ أُقِيمَتْ بِهَا أَسْوَاقُ الصَّيْدِ

نَفَقَتْ ، وأرسل بروايتها تحقيقاً لدَعْوَى المكارم التي من زمانٍ تحَقَّقَتْ ، واللهُ تعالى
يُشْكِرُ بِهِ ، ويملاً بِذِكْرِهِ بحرَ الثناء وبرّه .

وله جوابٌ بوصول كوهيتين على يد شخص اسمه باشق :

لازالَت المحامد من مَصَائِدِ إنعامه ، وفوائدِ أيامه ؛ وثمراتِ البأس والكرم من
قُضْبِ سُيوفه وأعلامه ؛ بتقيلِ معترفٍ بإحسانها ، مغترفٍ من مَوارِدِ آمِنَتِناها ؛ متخفٍ
منها بعالي تخفٍ تدلُّ على مكانها في الفضل وإمكانها .

ويُنمى ورود مشرف مولانا الكريم على يد الولد « باشق » فياله باشقُ جاء
بكوهيتين جميلتين ، وطار للسرعة وهو حاملٌ مِتينِ جليتين ؛ وقد وصلتَا و [كُننا] هما
حسنة الخبر والخبر ، حميدة الورد والصدر ، يحسنُ مسرى كلٍّ منهما وسيره ؛ ويتجملُ بهما
بابُ الشكرِ خاناه وصدورها ويكثرُ خيرُ المطبخِ وميره ، فمد المملوكُ إليهما اليدَ المتحملة
الحاملة ، وإلى المشرف الكريم اليدَ المتوليةَ المتناولة ؛ وعلم ماتضمنته من الحُسن
والإحسان ، وذكرِ الموالاة التي يحكم بها القلبُ العالمُ قبل شهادة اللسان ؛ واعتذارِ
مولانا عن تعدُّر وجودِ الشاهين ؛ وكلِّ إحسانِ مولانا شيءٍ كافٍ ، وكلُّ مَوارِدِ
نعمه هنيءٍ صافي ؛ ومافاتِ مقصدٌ وإنعامٌ مولانا وراءَ طلبه وإن طال الأمد ، ولا فَرَّ
مطلوبٌ حتَّى يأتي به سعدُ مولانا مقرؤنا في صَفَدٍ ؛ والله تعالى يشكرُ عوائدَ فضله ،
ولا يَضِحِي الآمالُ المتجئة [إليه] من ظله .

جواب بوصول طيور، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وشكرَ هداياه المتقبَّلة ، وسجَّياه التي هي بأفواه المحامد مُقبَّلة ، ولا زال بدرَ سعادتِهِ
المأمولةِ وطائرَ هديته المتأملِ .

صدرت هذه المكتبة إلى الحجاب العالى تُهدى إليه من السلام أتمه، ومن الشاء أتمه؛ وتوضَّح لعلمه الكريم ورود مكاتبتة الكريمه، ومكارمه العيمه؛ وطُيور هديته التى كل منها فى الحُسْن بدرتيم، وظهرت ظُهور البذر لتمامه فأبت محاسنها أن تنكتم، لحُسْن رُودها، ورعى بفضل اللطُف والتودد مقصودها؛ وأقبلت تلك الطيور التميّة تامّة الإناعام، دالّةً يمين طائرها على بركة عامّة وكيف لا؟ وقد جاءت بيضاء عددَ شهور العام؛ والله تعالى يزيده من فضله، ويُجْرِى الأقدار بالسعود الشاملة لجمعه الجامعة لشمّله؛ إن شاء الله تعالى .

جواب فى المعنى، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا :

لا زالت الجوارح شاهدةً بیره، والجوانح حائمةً الجناح على شريف ذكره؛ والحمد من مَصادِ أقلامه ورماحه فى السّلم والحرب : فأما بقوادم سُمّره، وإما بمناسِر مُمره؛ تقيلاً يبعثه على أجنحة أوراق الرّسائل، ويتصيدُ به على البُعد مشافهةً تلك الأنامل الجلائل .

ويُنهى بعد دعاء، تُخلّق إلى السماء كلماته الحسنه، وولاءٍ وثناءٍ : هذا تخفّق بتشوقه أجنحة القلوب، وهذا تخفّق بذكره أجنحة الألسنه - أنّ كتاب مولانا ورد على المملوك فأورد عليه المسار؛ و[ملا] يده بالمبار، ومصاديه بالمير، ومنازله بالخير؛ وآماله بأمالى الكرم لذى السرحات المنشرح بأية (وعلمنا منطق الطير) فقابله المملوك بتقبيله؛ وواصل فضل الاعتداد بتفضيله، وحصل من هداياها وهداها على جملة الإحسان وتفصيله؛ وأتمنى إلى الإشارات العالية التى زكّت على العيان وتأمّله وأربّت على الجنان وتأميله .

فأما الإنعام بالكوهيتين اللتين ما قذف البحر إلى الساحل أبهى من درهما
المكنونه ، وأزهر من وجوههما المباركة الميمونه ، فقد وصل كلا الطائرين يمينه ،
والسابقين بيمينه ، والغائبين في جوف السماء الآتين من الصيود بأوفى من قطرات مونه ،
وآستقبل المملوك منهما وجوه أسار ، وحملت يمينه الثروة وحملت على اليسار ،
وتناولت يده يدى إحسان يسر الناظرين والسامعين ، وأستخدما للشكر خاناه ولحفظ
مطبخ يلائم عيون المشبعين والجائعين ، وقال صنع الله لصناعتهما : اثبتا بصيود السماء
طوعا أو كرها (قالنا أثبتا طائعين) . قد كتبت باليمن فى مطاوى ريشها أشباه الحروف ،
وقضى الجود لتلك الأحرف أن تقرى ما تقرى عواصى الطير له بطاقة تقيد السابح
فى طلقه ، ويعود مطلقها وقد أزم نجاح الطير طائرته فى عقه ، فشكر الله إحسان
مولانا الذى ألحف الأمل جناحه ، والقصد نجاحه ، وبره الذى أحمد فى سوانح
الطير وبوارحه مساءه وصباحه ، وعلم ما أشار مولانا إليه فى أمر فلان وأمره علم
الله تعالى فى الخاطر حاضر ، وما يؤخر شغلته عن إهمال وعائب الإهمال غادر ،
وما أشار إليه فى أمر فلان أمير شكاره وأمير شكر المملوك ، وتقدم بخلاص حقه ،
وأستزل بهديته قضاء الشغل من أفقه ، لأبرح مولانا ممتلئ الأوامر ، هاجى سحب
البر الهوامر ، مجددا فى كل وقت نعى ، مالتا بهداياه قلوب محبيه وبيوتهم شجا ولحما ،
إن شاء الله تعالى .

وله جواب فى وصول طيور العقق :

لا زالت متصلة من إرفاقها وإرفاقها ، نازلة على حكمها [الأشياء] حتى
الطير العاقبة من آفاقها ، خافقة أعلام نصرها بالأجنحة مؤمنة لظنون القاصدين من

إخفاقها، تقبيل مُطْلِقِ لِسَانِ الحَمْدِ عَلَى عَوَائِدِ إِطْلَاقِهَا، مُجْتَنِّ ثَمَرَاتِ الإِحْسَانِ مِنْ غُصُونِ أَقْلَامِهَا وَغُصُونِ أَوْرَاقِهَا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مُشْرِفِ مَوْلَانَا الْعَالِي عَلَى يَدِ الْوَلَدِ فَلَانٍ فَوْقَ الْمَمْلُوكِ عَلَيْهِ، وَعِلْمِ مِنْ جَمِيلِ الْإِحْتِفَالِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ مَوْقِعٌ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ طُيُورِ الْعُقُوقِ فَأَوْقَعَهَا مِنْ مَطَارِهَا، وَأَسْتَنْزَلَهَا مِنْ أَوْكَارِ أَفْقِهَا وَأُفُقِ أَوْكَارِهَا، وَأَرْسَلَهَا قَرِينَ مُشْرِفَهُ الْكَرِيمَ، وَقَدْ عُتِقَ الْأَمَلُ بِعَقْدِهَا النَّظِيمِ؛ وَوَصَلَتْ سَبْعَةٌ كَعَدَدِ أَيَّامِ الْجُمُعَةِ الْكَامِلَةِ، وَالْكَوَاكِبِ الْمَائِلَةِ؛ وَالسَّمَوَاتِ لاجِرَمٍ أَنْ تُسْحَبَ يَمْنَهَا هَامِلُهُ، حَسَنَةُ الشَّكْلِ الْمُوصُوفِ وَالْوَصْفِ وَإِنْ كَانَ مَعَ عُقُوقِهِ الْمَأْلُوفِ، طَائِعَةً لِأَوَامِرِ تَوْقِيعِهِ فَاعْتَقَ مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرَ تَضَعُفِ اسْمِهَا الْمَعْرُوفِ، لَا بَرَحَ إِحْسَانُ مَوْلَانَا مُتَنَوِّءًا، وَبَرُّهُ الْجَزِيلُ مُتَبَرِّعًا، وَغُصْنُ قَلَمِهِ بِأَنْوَاعِ الْمَكَارِمِ مُتَفَرِّعًا .

وله جواب بوصول ثَمَاتٍ، وإوزِ صِنْفِيٍّ، وطلبِ إمْرَةِ عَشْرَةٍ :

حَمْدُ اللَّهِ تِلْكَ النِّعْمَةُ مِنَ الْغَيْرِ، وَأُطْلِعَهَا عَلَيْهِ بِأَيْمَنِ الْغُرَرِ، وَلَا بَرَحَ طَائِرُ مَنْهُ كَوْصِفِهِ أَيْضَ الْخُبْرِ وَالْخَبَرِ . هَذِهِ الْمَفَاوِضُ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا يُشَوِّقُ الصَّبَاحَ، وَثَنَاءً خَفَاقَ الْجَنَاحِ؛ وَتَوْضُّعَ لَعْلَمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ الْكَرِيمَةِ جَمِيلَةَ الْفَوَائِدِ، جَلِيلَةَ الْمَصَائِدِ، تِمِّيةَ الْبُذُورِ الْمُتَنَوِّلَةِ مِنْ مَنَالِ الْفَرَاقِ، فَوْقُنَا بِالْأَشْوَاقِ عَلَيْهَا، وَعَظْفُنَا عَلَى الْعَادَةِ بِتَأْكِيدِ الْوَلَاءِ إِلَيْهَا؛ وَوَصَلَتْ تِلْكَ الثَّمَاتُ وَاضِحَةً الْأَنْوَارِ، لَا تُجْهَرُ كِبَايُضُ الثَّوَارِ، تَامَّةٌ تَمَامَ مِيقَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنَّهَا لِيَاضُهَا كَارِبِينَ نَهَارٍ؛ وَكَذَلِكَ الْبَطُّ الصِّينِيُّ كَأَيَّامِ الْحَجِّ عَشْرَةً كَامِلَةً، مَقْتَرَضًا عَلَى عَشْرَتِهَا وَلَاءُ الْقُلُوبِ الْمَتَأَمِّلَةِ الْآمِلَةِ؛ صَيِّئَةً مَمْلُوءَةً بِحَاسِنِ الْأَلْوَانِ الَّتِي هِيَ بَغِيرُ مَثَلِ مَائِلِهِ؛ وَحَصَلَ الْإِعْتِدَادُ بِرِّهِ، وَالْإِزْدِيَادُ لِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، وَفَهَمْنَا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إمْرَةِ الْعَشْرَةِ الَّتِي آنَحَلَّتْ

عن فلان، وقد طالعنا بأمرها، وعجلنا بذكريها، وزجوا أن يعجل بأمانيتها المنتظرة،
وأن يقابل بخوافٍ أعلامها خوافٍ بطله فتقابل عشرة بعشرة، والله تعالى يعجل
لعاله الصعود، ويؤكد لمسايعه السُّعود؛ إن شاء الله تعالى .

الأجوبة عن وصول الصيد ولحومها

جواب عن نائب الشام إلى نائب حلب بوصول [لحم] طير صيد قديد وصحبته
بطيخ أخضر، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة . وهو بعد الألقاب :

لا زالت تُقتنص المحامد بغطاياها المكره، وأوايد الصيد برماياه المقترة، ورقاب
الإنس والوحش : إماما بسهام نعمة المتواترة، وإماما بسهام قسيه الموترة؛ ولا برحت
تفحات مكارمه، تشهد أن المسك بعض دم الغزال، وسرحات عزائم، تمتد
في صيد الوحش لقرى نزيل أو في صيد الأعداء لتقير نزال؛ تقيلا تعطف أجياد
الطبأ لمحاولة عقوده، وتردح أفواه الأولياء على مشافهة وروده .

وينهى بعد ولأ تقوم الخواطر الكريمة في دَعْوَاه مقام شهوده، وشوق لا تزال
النسمات الشمالية قاضية باستمرار وفوده - أن مشرف مولانا الكريم ورد على الملوك
على يد فلان وصحبته الإنعام المتجدد، وإن كان قديما في المعنى، واللحم القديد،
وإن كان أطرى من الروض النضير حسنا، والسمين المحبوب وإن كان كحال عداه
الذين تُقدد جسومهم في الحياة قبل الممات خُزنا، فقابل الملوك المشرف الكريم،
بتقيل أحرقه، والإنعام العميم، بقبول مُسعدِه ومُسعِفِه؛ وغاقتهما بجوانح آماله،
وأخذ الكتاب والبركما يقال يمينه وشماله، فيالها من ظباء تُعشق وإن بليت
محاسنها، وغزلان تُغازل وإن بادت عيونها إلا أنه ماباد حب من يعاينها، وصيود
توصف وإن قصبتها قصد السهام بطعن، ويتق بقرونها القتال والقسى تالية :

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ . سَلَكْتَ خِيُولَ مَوْلَانَا لَقَنْصَهَا الْمَصَاعِبَ
وَأَتَّخَذَهَا الْآكِلُونَ سَهْلًا ، وَتَصَيَّدَهَا مِنَ الْفَلَاةِ وَأَصْطَادَهَا الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمِقْلَى ؛
وَوَصَلَ مَعَهُ الْبِطِّيخُ الْأَخْضَرُ فَشَبَّهَ بِثَمَارِ الْجَنَّةِ الْمَشْبُوهُونَ ؛ وَقِيلَ : هَكَذَا تَرْتِيبُ مَا كُلُّ
الْجَنَّةِ لَمْ فِيهَا فَافْكُهُ وَلَحْمُ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ؛ لَا زَالَتْ مِنْ مَوْلَانَا مَشْرُوحَةً
مَشْرُوعَةً ، وَثَمَرَاتُ نِعَمِهِ مِنَ الدُّنْيَا كَثُرَتْ أَهْلُ الْجَنَّةِ غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مُمْنُوعَةٍ ؛
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أَجْوِبَةُ هَدَايَا الْقَوَاكِهِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

جَوَابُ وَصُولِ شَمِشِ لَوْلُؤَيْهِ وَدَغْمِيشِيٍّ مِنْ حَمَاءِهِ .

بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهَا وَنَدَّاهَا ، وَأَطْلَعَ بِالْيَمَنِ نُجُومَ هَدْيَتِهَا وَهَدَّاهَا ؛ وَلَا زَالَتْ مَوَاهِبُ
بَحْرِهَا لَوْلُؤَيْهِ ، وَشَوَاهِدُ يَمِينِهَا كَوَكِيئِهِ ، وَثَمَرَاتُ جُودِهَا فَضِيَّةَ الْأَعْيَانِ ذَهَبِيَّةً ، ثَقِيلًا
حَلَّتْ مَوَاقِعُهُ ، وَجَلَّتْ مَطَالِعُهُ .

وَيَنْهَى بَعْدَ وِلَاءٍ وَحَمْدٍ : هَذَا قَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ شَرِيعَتُهُ وَهَذَا قَدْ عَذَّبَتْ
فِي السَّمْعِ مَشَارِعَهُ ، أَنَّ مَشْرِفَةَ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةِ وَرَدَتْ عَلَى الْمَمْلُوكِ نَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ
وَالْإِحْسَانَ ، وَيَمِينُ الْبِرِّ الشَّامِلُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ؛ وَعَهْدُ الْحُبَّةِ الَّتِي حَكَمَتْ فِيهِ بِعِلْمِهَا
الْقُلُوبَ فَمَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ لِسَانٍ ؛ فَقَابَلَهَا الْمَمْلُوكُ مَقْبَلًا ، وَأَسْتَجْلَى وَجْهَ الْوُدِّ وَالْإِحْسَانِ
مُقْبِلًا ؛ وَوَصَلَ الْمِشْمِشُ الَّذِي شَفَى لَوْلُؤَيْهِ نَظَرَ النَّاطِرِينَ ، وَنَوَّعَهُ الْآخِرُ الدَّغْمِيشِيَّ
الَّذِي هُوَ الشَّهْدُ بِحُسْنِهِ وَلَا يُدْغَمُشُ بِاسْمِهِ عَلَى الْحَاضِرِينَ ، فَتَنَاوَلَ الْمَمْلُوكُ عَوَارِفَ
بِرِّهِ الْمَعْرُوفِ وَالْمُبْتَكَّرِ ، وَأَسْتَضَاءَ نُجُومَهُ الْمَتَرَدَّةَ مُنْشِدًا قَوْلَ الْمَعْرَى : (كَمْ دُرٌّ ،
وَكَمْ يُرْنَ هَذِهِ الْأَكْرُ) ، وَقَالَ : شَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْمِنَّةَ الْحُلُوءَةَ الثَّمَرَاتِ ، الْمُتَّصِلَةَ

الخطرات ؛ وهذه المجاني التي طابت أصولها وفروعها فلا أبعدهن الله من شجرات ،
وحيا حماة وما جلبت ، وجنابات ذلك الوادي وما أنجبت ؛ وحدائق ذلك العاصي
الذي أطاع ببركة مولانا فأثبت أحلى وأحل ما نبت ؛ وقد جهز المملوك هذه الخدمة
منطوية على وظائف الحمد المستجادة ، ولطائف الحب المستفاده ؛ وحمد المن التي
لا تزال من مولانا عادة ومن المحبين شهاده . لا برحت يد مولانا الكريمة إن بسطت
فيعوائد إنعامها ، وإن قبضت فعلى سيوفها لمصالح الدول وأقلامها ، وإن زهت^(١)
فروع المكارم ، تساقطت ثمرات برها من زهرات أكمائها .

جواب بوصول مشمس وبطيخ حلبي ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة .

وينهي بعد ولاء وثناء : لهذا في الأسماع أزهي وأزهر ثمره ، ولهذا في القلوب
أرسى وأرسخ تجرمد ورود المشرف الكريم على يد فلان بما ملأ السمع من أخبار
مولانا المرتقة سرورا ، والعين من آثار يده الكريمة نورا ، والفم من هدايا المشمس
الحموي كئوس لذة كان مزاجها كأفورا ؛ فقبل المملوك أسطره مستحليا مواقع
رشفاته ، وقبله بعوائد الحماد مستحليا عوائد أفتقاداته وصلاته ؛ ومد يده وفكره
فالتقط النجوم المشرقة من هداياه وكلماته ، وتقلد جواهر المبرات الحسنة المحسنة ،
والثمرات التي جاءت بدريّة القدوم وإن كانت نجومية الهيئات المكونة ؛ وأستصوب
نتائج الغيث فقال : لعل هذه بنادق قوس السماء الملوّنة ، وصفا وطاب ظاهرها
وقلبها وكذا تكون صفات ذوى القلوب المؤمنة ؛ والمؤمن حلوى لاجرم ، والحموي
على عجمه الخراساني أولى بفصاحة الفخار والكرم ؛ لا زالت فعلات من مولانا
مستجاده ، ونعمة لاسيما المشمشية مستزاده . وأفتقاداته المشهورة لدى ممالكه

(١) لعل الصواب وإن زهت ، كما لا يخفى .

ومحبته منه عادةً ومنهم شهادته؛ وجاءت فاكهة البطيخ الحلبي وقد رضع حلب النعام
فأنجب، وأستوى باطنه وظاهره في الحسن فأعجب من حين أعشب؛ وأستطاب
الذوق والشَّم مطعمه وأنفاسه، ووصف بالرؤوس فضمه كل متلق وقبل رأسه؛
وقال: نعم الهدية السريّة، والفاكهة التي طاعت حرز [ها] هلاكيّة وثمرتها بذريه .

جواب عن وصول بطيخ حلبي، من إنشائه أيضاً، [وهو] بعد الانقلاب :

وشكر سجاياه التي علّت، وهداياها التي تكرّرت خلّت، وأفتقاداته التي طاب ظاهرها
وباطنها فكانها من أخلاقه الجميلة نُقلت؛ أصدرناها تُهدى إليه سلاماً يتقدم
كهديته نسيمة العاطر، وثناء يتنج أطيب الثمر مقدمات غيثه الماطر، وتوضح لعلمه
الكريم أنّ مكاتبته الكريمة وردت حسنت بالودّ مشافهتها، وأقرت في الأسماع فاكهتها
ومفاكهتها؛ ووصل البطيخ لله درّ حلبه ودّر جلبه، لقد حسنت في ملاذ المطاعم
طريقته المرضية، ولقد أشبه القناديل بتكوينه وفتيلة عرقه فلا جرم أنّ قناديله
عند الشكر مضية، ولقد ملأ خبره وخبره عين البصر وأذن المصيح، ولقد خلق دواءً
للأجسام حتى صحّ قول الحلبيين للأرمد: دواؤك البطيخ؛ فشكر الله إحسان الجناب
العالى، ويره المتوالى؛ وعلى الوالد والولد ومن عندهما سلام المحب المتغالى، والله
تعالى يحفظ عليهم من الفضل ما وهب، ويرزقهم بغير حساب ويرزق الظنّ فيهم
ما حسب؛ إن شاء الله تعالى .

وله أيضاً جواب بوصول بطيخ حلبي، وهو بعد الانقلاب :

وشكر إحسانه الذى حلا مذاقه، وزكّت أعراقه، وحيا على البعد تحية طيبة
ففتح بها أزهار الكتاب وأثمرت أوراقه؛ هذه المفاوضة تُهدى إليه سلاماً طيباً
كهديته، وثناء زائجا كطويته، وتوضح لعلمه الكريم ورود مكاتبته الجامعة حسن

الأقوال والأفعال، المطلعة بوارِدِ غَمَامِهَا أَطِيبَ الثمرِ في الحال؛ فَأَحْيَتْ وَلَاءَ حَاشِيْ
لوجوده من العَدَمِ، وَجَدَّدَتْ عهدَ البَشَرِ - وما بِالْعَهْدِ من قَدَمٍ - ووصلَ الطَّيِّخِ
الحَلْبِيَّ أَصْلَهُ، الحمويَّ فَضْلَهُ، الدَّمَشْقِيَّ ضَمَّهُ وَشَمَّهُ وَأَكَلَهُ، الفَلَكِّيَّ وَلَا سِيَّامًا من الأَهْلَةِ
المَجْتَمِعَةِ شَكْلَهُ؛ فَكَّرَمَ مَطْلَعًا، وَحَسَّنَ من الأفواهِ مَوْقِعًا، وَعَمَّ الحَاضِرِينَ نَوَآلًا،
وَأَشْتَمَلَهُم بِعَطْفِ الإِحْسَانِ أَشْتِمَالًا، وَأَخَذَ الغَلَامُ السَّكِينِ :

فَقَطَّعَ بِالْبَرْقِ شَمْسَ الضُّحَى * وَنَاوَلَ كُلَّ هَلَالٍ هَلَالًا

لَا بَلَّ أَهْلَةً كَثُرَ تَعَادَاهَا، وَكَرَّرَ تَرْدَادَهَا، وَرَصَدَ قُرْبَهَا وَلَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ أَصْحَابُ
الْهَيْئَةِ أَبْعَادَهَا؛ فَشَكَرَ اللهُ إِحْسَانَ الْجَنَابِ الْعَالِي حَاضِرًا وَغَائِبًا، وَبَرَّهَ الَّذِي يُطْلِعُ
كُلَّ وَقْتٍ مِنْ هَدَايَاهُ وَكُتِبَهُ أَهْلَةً وَكَوَاكِبًا، وَمَرَبَاهَ الَّذِي نَقَلَ عَنْ مَلُوكٍ كَانَتْ
مَنَازِلُهُمُ لِلْحَامِدِ رَوْضًا وَكَانَتْ أَيْدِيهِمُ لِلكَرَمِ سَحَابًا؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَلَهُ جَوَابٌ بِوَصُولِ قَصَبِ سُكَّرٍ وَأُتْرُجٍّ وَقُلُقَاسٍ :

لَا زَالَتْ أَوْصَافُ شَيْمِهَا، تُطْرَبُ كَمَا يُطْرَبُ الْقَصَبُ، وَأَطَافُ كَرَمِهَا، مِمَّا يَغْدَى
الْجَسَدَ وَيُنْعِشُ الرُّوحَ وَيَشْفِي الْوَصَبَ، وَأَصْنَافُ نِعَمِهَا مِنَ الْحُلُوفِ إِلَى الْحَامِضِ
مِمَّا يُعْدِي الْأَيْدِيَ الْمُتَنَاوِلَةَ فِيهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ تَنْتِصِبُ؛ تَقْبِيلَ حُبِّ حَلَّتْ لَهُ الْمِنَنُ
فَتَنَاوَلَهَا، وَمَوَاقِعُ اللَّثْمِ فَعَاجَ إِلَيْهَا وَعَاجَلَهَا .

وَيُنَبِّئِي وَرُودَ مَشْرِفِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ، عَلَى يَدِ فُلَانٍ يَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ وَالْإِحْسَانَ،
وَالْبِرَّ الْمَأْتُورَ بِكُلِّ فَمٍ الْمَشْكُورَ بِكُلِّ لِسَانٍ، فَقَابِلُهُ الْمَمْلُوكُ بِمَا يَجِبُ مِنَ الْخِدْمَةِ لِمِثْلِهِ،
وَلِقَاةَ بَعَوَائِدَ تَحْدُ عَوَائِدَ فَضْلِهِ، وَوَصَلَ قَرِينَةَ الْإِنْعَامِ الَّذِي تَنَوَّعَ فُنُونُهَا وَأَفْنَانُهَا،
وَمَلَأَ فَمَ الشَّرَابِ خَانَاهُ سُكَّرًا وَيَدَ الْمِطْبَخِ إِحْسَانًا؛ وَذَكَرَ نَبَاتَهُ الطَّرَابُلْسِيُّ عُهُودَ الدِّيَارِ
الْمَصْرِيَّةِ، وَأَوْقَاتَ الْأُنْسِ بِخِدْمَةِ مَوْلَانَا السَّيْنَةِ؛ سَقِيًّا لَهَا مِنْ أَوْقَاتِ وَعُهُودِ، وَشُكْرًا

لجُودِ مولانا الذى هو فى كُلِّ وادٍ موجودٌ ؛ ولتديده الشمسى الذى احيا الله به على
عباده عناصرَ هذا الوجودِ ، ولا برِحتْ مكارمُه متنوّعة ، ونعم أياديه متفرّعة : فمنها
ما حلّا فرعُه فأصبح لكلّ حلوا أصلا ؛ ومنها ما طاب ريحه وطعمُه فكان للمؤمن
مثلا ؛ ومنها ما لذّ طعامُه الشهى فما هو مما يُهجر وإن كان مما يُقلى .

وله جواب بوصول بالذكورة خيار وملوخية :

لا زالت تشرح بكارمها الصدور ، وتفتح بركات الأعوام والشهور ؛ وتمنح من
لطائف منها كل جماعة السرور ، وتمنح فى هداياها المستبقة إلى الأولياء خيار
الأمور ؛ تقيّل حُبّ لا تُغَيِّرُ لواءه الدهور ، ماشٍ من طريق المصافاة والموافاة
فى نورٍ على نور .

ويُنهى ورود مشرفة مولانا على يد فلان تتضمن المعهود من ولائه وآلائه ؛
والمشهود المشهور من إحسان نداءه قبل ندائه ؛ فقابلها المملوك مقابلة الشيق إلى قرب
الديار ، الممضى فى المحبة قلبه لمولاه قبل شرط الخيار ، ووصلت لطائف هديته
الحاضرة النضرة ، وطرائف الفضل الباكرة كمعاني اللفظ المبتكرة ؛ فتجنز المملوك
الفاكهة قبل أوانها البديع ، ورصد من أفلاك العلب فى ذى الحجة غمرة ربيع ؛
وتفاعل بالهدية الم جمعة الأحباب فى أن يعود السَّمْل وهو جميع ؛ وقد عاد فلان حاملا
من رسائل الشوق والشكر ما يؤديه بين أيدي مولانا الكريمة ، ويحدد بذكره عهود
الأُس القديم ؛ لا برح مولانا سابق الكرم ، محضّر المراجع يبيض النعم .

قلت : وكتبت جوابا لبعض الأصحاب وقد أهدى لى سَمكا :

أهدى لنا سَمكا قد طاب مطعمه * أكرم به سَمكا لم يسكن البركا !
لا شك أن له بالبحر شاكلة * والبحر عادته أن يهدى السَمكا !

الضرب الثاني

(من كُتِبَ التهديدُ الاستهداءُ)

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يُكْتَبُ مَعَ إِهْدَائِهِ قَدْ يُكْتَبُ مَعَ اسْتِهْدَائِهِ ، إِلَّا أَنَّ الْغَالِبَ مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْكُتَّابِ فِي الْاسْتِهْدَاءِ طَلَبُ الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَظَرَّةِ الْخَفِيفَةِ الْمِنَّةِ دُونَ مَا يَعْظُمُ خَطَرُهُ ، أَلَلْهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْاسْتِهْدَاءُ مِنَ الْمُلُوكِ وَنَحْوِهِمْ فَيُطْلَبُ فِيهِ مَاجِلٌ وَعَظُمٌ .

والذى جرت عادة الكُتَّابِ بالكُتَّابَةِ فِي اسْتِهْدَائِهِ عَلَى أَصْنَافٍ :

الصنف الأول - آلاتُ الكتابة : من الأدوية^(١) والمِدَادِ والأَقْلَامِ :

مما تقدّم ذكره في الإهداء .

أبو الفرج البغّاء في استهداء دواة :

أَنْفُسُ الذَّخَائِرِ وَأَشْرَفُ الْأَمَالِ مَا كَانَ لِلْفَضْلِ نَسَبًا ، وَلِلصَّنَاعَةِ وَالْحِطْوَةِ سَبَبًا ،
وَبِالدَّوِيِّ تَجَنَّى ثَمَرَةُ الصَّنَاعَةِ ، وَيَحْتَلِبُ دُرَّ الْكِتَابَةِ ، وَقَدْ أَوْحَشَ الْمُلُوكُ الدَّهْرُ مَا
كَنتُ أَقْتَنِيهِ مِنْ نَفَائِسِهَا ، وَضَائِقَهُ فِي وُجُودِ الرِّضَى عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا ، فَإِنْ رَأَى مُوَلَانَا
أَنْ يُمِيطَ بَعْضَ مَا يُسْتَعْمَدُ مِنْ حَالِيهَا أَوْ عَاطِلِهَا سِمَةً عَظْلَةً الْمُلُوكِ ، وَيَسْمَحَ بِإِهْدَائِهَا
إِلَى أَهْلِ تَصْرِيفِهِ وَيَقَابِلَ بِالنَّجَجِ وَالتَّقَبُّلِ رَغْبَتَهُ ، فَعَلَّ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في استهداء مِدَادٍ :

التَّنَافُسُ - أَيْدِكَ اللَّهُ - فِي أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ وَآلَاتِ الصَّنَاعَةِ بِحَسَبِ النَّفَاحِ
فِي ظُهُورِ النِّعْمَةِ ، وَالتَّخْيِيرِ لِبَيَانِ الْإِمْكَانِ وَالْقُدْرَةِ ، وَإِلَّا فَسَاءَتْ الدَّوِيُّ سَوَاءً فَمَا تُصْدِرُهُ

(١) لعل الصواب من الدوى أنظر القاموس .

الأفلام عنها ، وتسمده بطون الكتب منها ؛ وأولى آلاتها بأن تتوفر العناية عليه ،
وينصرف التخير بالضرورة إليه ؛ المداد الذى هو ينبوع الآداب ، وعائد الكُتاب ،
ومادة الأفهام ، وشرب الأفلام ؛ فجعلها الله بواجب القضية والحكم ، فى حيز وصفه
من الحمد والذم ؛ ومازلت لنفائس الأخلاق موطنًا ، ولنجع الإخوان فى المحل معدنًا ؛
ولا معدل بي عن استمache خزائنك عمرها الله الممكن من جيده ، فإن رأيت أن تستنقذ
دواقي من نحول العطله ، وتزده قلمي عن ظم الغلة ، وتكشف عنها سمة النقضان
والخله ، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

على بن خلف ، فى مثله :

أولى ما أنيسط فى استهدائه ، وتسمح [نفسى] فى استماحتِه واستجدائه ، ما كان
ناقعًا لغلة الأفلام ، مقيّدًا لشوارد الأفهام ، محبًا لبرود البيان ، حاليًا فى معارض
الحسن والإحسان ، وكتبت هذه الشكوى أطل الله بقاء سيدى :

الصنف الثانى - الشراب .

فى استهداء مشروب .

أبو الفرج البغاء :

أنا - أيد الله سيدى - ومن ساعحنى الدهر بزيارته من إخوانى وأوليائه ، عضد الله
جمعنا ببقائه ، وقوف بحيث يقف بنا اختياره : من القبول والإنبساط ، ويرتضيه لنا
إيثاره : من الهم والسرور ، لأن الأمر فى ذلك مما يؤلينا من المساعدة بالممكن من
المشروب إليه ، والاعتماد دون كل أحد فى اجتماع شمل المسرة لنا به عليه ، فإن رأى
أن يكلفنى إلى أولى الظنين به وأحقهما بما أثور قوته ، فعل .

وله في مثله :

الطُّفَ الْمَنِّ مَوْضِعًا ، وَأَجَلُّهَا مِنَ الْأَنْفُسِ مَوْعِدًا ، مَا عَمَّرَ أَوْطَانِ الْمَسْرَةِ ، وَطَرَدَ
عَوَارِضَ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ ؛ وَجَمَعَ شَمْلَ الْمَوَدَّةِ وَالْأُلْفَةِ ، وَأَدَّى إِلَى اجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ اللَّذَّةِ ؛
وَبَذَخَائِكَ مِنَ الْمَشْرُوبِ مَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ [مَا] يَسْتَرْقُّ حُرَّ الشُّكْرِ ، وَيُحْرِزُ قَصَبَ
السَّبْقِ إِلَى النَّبَاءِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجِدَ بِالْمِثْلِ مِنْهُ مُرُوتِي ، عَلَى قَضَاءِ
حَقٍّ مِنْ أَوْجِبَ الْمَنَّةَ عَلَى بِيَارَتِي ؛ فَعَلْتَ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَ لِلْفَضْلِ نَسَبًا ، وَلِفَلَكَ الْفُتُوَّةَ قُطْبًا ، لَمْ تَفْرَحِ الْقُلُوبُ مِنَ الْهَمِّ إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَلَمْ تُعَوِّلِ الْأَنْفُسُ فِي اسْتِمَاحَةِ الْمَسَارِ إِلَّا عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ طَرَفَنِي مِنْ إِخْوَانِي مَنْ كَانَ
الدَّهْرُ يُمَاطِلُنِي بِزِيَارَتِهِ ، وَيَنْفُسُ عَلَيَّ بِقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ ؛ فَصَادَفَنِي مِنَ الْمَشْرُوبِ
مُعْسِرًا ، وَوَجَدْتُ الْإِنْسَاطَ فِي اتِّمَاسِهِ مِنْ غَيْرِكَ عَلَى مُتَعَدِّدًا ، وَإِلَى تَفْضُّلِكَ
تَفْرَعُ مُرُوتِي فِي الْإِسْعَافِ مِنْهُ بِمَا يَلُمُّ شَعْتَ الْأُلْفَةِ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَ الْمَسْرَةِ ؛ وَيَجْعَلُنَا
لَكَ فِي رِقِّ الْأَعْتِدَادِ بِالْمَنَّةِ ، وَيَقْضِي عَنْكَ بِتَفْضُّلِكَ حَقُوقَ الْمَوَدَّةِ .

على بن خلف :

قَدْ أُنْتَظِمَ لَنَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - مَجْلَسٌ وَاقِفٌ بَيْنَ النَّشَاطِ وَالْقُتُورِ ، وَالْكَاتِبَةِ
وَالسُّرُورِ : لُغْرُوبُ نُجُومِ الْخَمْرِ عَنْ سَمَائِهِ ، وَعَطْلُهُ مِنْ حُلِيِّ نُورِهِ وَلَا لَائِهِ ؛ وَقَدْ عَوَّلْنَا
فِي إِطْلَاقِهِ إِلَى إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَا زِمَامَهُ بِيَدَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُرَوِّحَ أَفْكَارَنَا
بَشْيٍ مِنْ رَاحَةِ الْمُشَافَهَةِ عَبْقًا وَعِثْقًا لِأَخْلَاقِهِ وَأَعْرَاقِهِ ؛ فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

أَفْضَلُ مَا أَهْدَى سَيِّدِي مَا أَهْدَى السُّرُورَ إِلَى أَحِبَّتِهِ ، وَنَظَمَ سَمَلَ الْمُتَحَقِّقِينَ بِخِدْمَتِهِ ؛
وَحَسَمَ عَنْهُمْ هَوَاجِسَ الْفِكْرِ ، وَأَعْدَاهُمْ عَلَى الدَّهْرِ ؛ وَقَدْ جَمَعْنَا مَجْلِسٌ وَهَبْنَا لِلشَّاءِ
عَلَيْهِ ، وَزُقَّتْ عِرَائِسُ الْخَيْرِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى إِيْثَارَنَا بِمَا يُكَلِّلُ نَشَاطُنَا ، وَيَنْتِمْ
أَنْبِسَاطُنَا ، فَلْيَعْقِرْ هُمُونَنَا بِشَيْءٍ مِنْ عُقَارِهِ ، وَيَنْظِمْ [جَمْعَنَا] فِي سِلْكِ أَيْادِيهِ وَمُبَارِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الرابع (الشِّفَاعَاتُ وَالْعِنَايَاتُ)

قال في "موادّ البيان" : وهذه الكتب إنما تُصَدَّرُ عَنْ ذَوِي الرُّتَبِ وَالْأَخْطَارِ ،
وَالْمَنَازِلِ وَالْأَقْدَارِ ، الَّذِينَ يُتَوَسَّلُ بِجَاهِهِمْ إِلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ وَدَرْكِ الرِّغَائِبِ .

قال : وَالْمُلْتَمَسُ فِيهَا مِنْ تُتَفَقَّدُ إِلَيْهِ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ : إِمَّا بَذْلُ مَالِهِ وَلَا يَبْتَدِلُ
مَالَهُ إِلَّا دُونَ مَرُوءَةٍ يَفْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا فِيهِ لِقَاصِدِيهِ ؛ وَإِمَّا بَذْلُ جَاهِهِ وَفِي بَذْلِ
الْجَاهِ إِرَاقَةُ مَاءِ الْوَجْهِ وَالتَّعَرُّضُ لِمَوْقِفِ الرَّدِّ ؛ وَإِمَّا الْأَسْتِزَالُ عَنْ سَخِيمَةٍ وَمَوْجِدَةٍ
فِي التَّزَوُّلِ عَنْهَا كَفَّ حَدَّ الْغَضَبِ وَغَضُّ طَرْفِ الْحَقِّقِ ، وَهُمَا صَعْبَانِ إِلَّا عَلَى مَنْ
فَضَّلَ حَالَهُ ، وَلَطَفَ فُهُمُهُ .

ثم قال : وَالكَاتِبُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّلَطُّفِ فِيهِمَا وَإِيْدَاعِيهِمَا مِنْ الْخِطَابِ مَا يَخْرُجُ بِهِ
الشَّافِعُ عَنْ صُورَةِ الْمُثْقَلِ عَلَى الْمَشْقُوعِ إِلَيْهِ بِمَا كَلَّفَهُ إِيَّاهُ ، وَيُؤَدِّي إِلَى بُلُوغِ غَرَضِ
الْمَشْقُوعِ لَهُ وَنَجَاحِ مَطْلَبِهِ ؛ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ أَنْ قَالَ : وَسَبِيلُ مَا كَانَ فِي آسِمَاحَةِ الْمَالِ ،
أَنْ يُبْنَى عَلَى الْإِبَانَةِ عَنْ مَوْقِعِ الْإِفْضَالِ ، وَفَضِيلَةِ النَّوَالِ ؛ وَأَعْتِنَا فُرْصَ الْإِقْتِدَارِ ،

في مَعُونَةِ الْأَحْزَارِ ، وما جارى هذا - وسبيل ما كان منهما في طَلَبِ الْإِنْتِفَاحِ بِالْجَاهِ
أَنْ يُبْنَى عَلَى هَرِّ الْأُرَيْحِيَّةِ لِاصْطِنَاعِ الصَّنَائِعِ ، وَتَحْمِلِ الْمَشَاقِّ فِي تَقْلِيدِ الْمِنَنِ ، وَأَذْخَارِ
الْفِعْلِ الْحَسَنِ ، وَاعْتِنَامِ الْأَجْرِ وَالشُّكْرِ - وسبيل ما كان منهما في الْإِسْتِزَالِ عَنْ
السَّخَائِمِ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْمَلَاظَفَةِ ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى فَضِيلَةِ الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْخَاطِئِ ،
وما في ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّمْعَةِ فِي الْعَاجِلِ ، وَمَتَوَقُّفِ الْمَثُوبَةِ فِي الْآجِلِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وذكر أَنَّ أَحْسَنَ مَا قَصِدَ فِي هَذَا الْفَنِّ مَسْلَكُ الْإِيْجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ ، وَأَنْ يُسَلَّكَ بِهِ
مَسْلَكُ الرَّفَاعِ الْقِصَارِ الْمُجْمَلِ ؛ لِأَلِ الْكُتُبِ الطُّوَالَ الْمُفَصَّلَةِ ؛ وَأَنْ يُرْجَعَ فِيمَا يُودَعُهُ إِلَى
قَدْرِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ فِيهِ ، وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مُرْتَاضًا مَا هِرَا لَمْ يَضِلَّ عَنْ تَنْزِيلِ كُلِّ
شَيْءٍ [فِي] مَنْزِلَتِهِ ، وَتَرْتِيبِهِ فِي مَرْتَبَتِهِ .

قُلْتُ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَطَائِقُ هَذَا النُّوعَ مَا رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ الْمَصْنُفَاتِ : أَنَّ عَمْرُو
أَبْنَ مَسْعُودَةَ وَزِيرَ الْمَأْمُونِ كَتَبَ إِلَى الْمَأْمُونِ فِي رُقْعَةٍ :

أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ فَلَانًا سَأَلَنِي أَنْ أَشْفَعَ لَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي لَمْ أُبَلِّغْ عِنْدَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَبْلَغَ الشَّفَاعَةِ - فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَعَ عَلَيْهَا بَخْطُهُ :
قَدْ قَهْمُنَا تَصَرُّحَكَ بِهِ وَتَعَرِّضَكَ بِنَفْسِكَ ، وَأَجْبَنَّاكَ إِلَيْهِمَا وَاتَّخَفْنَاكَ بِهِمَا .

مِنْ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ :

الحسن بن سهل :

كَتَابِي إِلَيْكَ كِتَابٌ مَعْتَنِي بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقِي بِمَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ ، وَلَنْ يَضِيعَ حَامِلُهُ
بَيْنَ عَنَاءَةِ وَثِقَةٍ ، وَالسَّلَامِ .

أبو الحسين بن سعد :

وقد توجه إليك فلان بقصد فيه مستجمع ، وأمل فيما قبلك مُنَبِّسٌ ، وليس بعد إصابتك عنده مَوْضِعًا وعندنا متحتمًا للبد الحسنَة إلا افتراض ذلك منه ومنًا في أمره على يُسْرِفي حاجته ، وتخفيف من مَعُونته ؛ فإن رأيت أن تأتي في ذلك بما يشبه أمله وظنه ، وتوجب عليه الحق به ، ونشكر لك منه ما يبقى عندنا ، بأنك بحيث تأتي الفضل وتتنوحي الصَّلَاة ؛ [فعلت] إن شاء الله تعالى .

آخر : مفرق بأنك لا تتجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب ، تتحلى على مُسْأَلَتِكَ ما أنت موجب له والذكرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كتابي عنه ؛ فإن كان دُئِبُهُ صغيرا فالصغير يُخْرِجه من حبسه ، وإن كان كبيرا فالعفو يسعه . وكتابي متقاض لك تقديم العفو على العقوبة ، والحسنة على السيئة ، والأستصلاح على القوة في التأديب .

طفال بن شَبَّة :

وأحق من يعطف على أهل البيوتات ، ويحود لهم بما يبقى ذكره ، ويحسن به ذكره ، مثلك ؛ وقد وجهت إليك فلانا ، وهو من ذوى قراباتي ، وذوى الهيئة من أسرتي ، وعرضته لمعروفك ، وأحببت أن تلبسه نعمتك وتصرفه إلى وقد أودعني وإياه ما تجده باقيا على البشر الجميل في الغيب والخضر .

ولغيره :

وقد جعلك الله غياثا ، وجعل عندك لمؤمليك وراجي رfidك ، أبلغ ذريعة من كرمك وفضلك ؛ وقد أصبحت مفرع كل ذي هم ، وملجأ كل ذي أرب ، وموضع كل أمل ، وأصبحت ملتقى السبل ، ومجمع الأصناف المختلفة ، والطوائف المتصرفة .

أبو مسلم محمد بن بحر :

قد شَهِرْتَنِي بِاصْطِنَاعِكَ [حَتَّى] تَكْفَأَ فِي مَعْرِفَةِ خَبَرِهَا أَهْلُ بُلْدَانِ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . وَالَّذِينَ عَرَفُونِي فَصَدِيقٌ مِنْهُمْ مَغْتَبِطٌ بِذَلِكَ لِي ، وَشَرِيكٌ فِي النِّعْمَةِ بِهِ
عَلَيَّ ، وَقَوِيَّ الظَّهْرَ بِمَا مَتَّحِيهِ اللَّهُ مِنْ رَأْيِكَ ؛ وَإِذَا نَابَتْ بَعْضُهُمْ نَائِبَةً يَرْجُوكَ
لِكُشْفِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَيْكَ طَرِيقٌ يُدْنِيهِ وَلَا حَرَمَةٌ تُقَرِّبُهُ وَتَعْطِفُكَ عَلَيْهِ ، سَأَلَنِي
الْشَّفَاعَةَ لَهُ إِلَيْكَ ؛ فَقَعَلْتُ ذَلِكَ مُدَلًّا بِمَا أَعْتَقَدُهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِكَ عِنْدِي ،
وَالْإِخْلَاصِ فِي طَاعَتِكَ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيَّ ؛ وَاثْقًا بِتَسْوِيفِكَ إِيَّائِي مَارُقِيَّتُ إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَةِ
الْشَّافِعِ لغيره ، وَالسَّائِلِ (؟) فِي طَرِيقِهِ وَذَوِي الْحَقِّ عَلَيْهِ : لَتَكُونَ قَدْ أَكْمَلْتَ
عَلَيَّ النِّعْمَةَ ، وَوَكَّدْتَ لَدَيَّ الْعَارِفَةَ ، وَأَسْتَمَمْتَ عِنْدِي الصَّبِيْعَةَ .

أبو الخطَّاب بن الصَّابِي :

أَبْسَطُ الشَّفَاعَةِ وَجْهًا ، وَأَقْرَبُهَا نَجْحًا ، وَأَوْقَعُهَا فِي الْقُلُوبِ ، وَأَسْرَعُهَا إِلَى الْقَبُولِ ،
مَبُوقِعٌ مِنْ أَقْسَامِ ثَلَاثَةِ : مِنْ إِدْلَالِ السَّائِلِ بِحُسْنِ الظَّنِّ ، وَآرْتِيحِ الْمَسْئُولِ إِلَى فِعْلِ
الْخَيْرِ ، وَاسْتِحْقَاقِ الْمَسْئُولِ فِيهِ لِقَضَاءِ الْحَقِّ ؛ فَإِذَا أَجْتَمَعَ لَهَا ذَلِكَ كَانَتْ الثَّقَةُ بِهَا
زَائِدَةً ، وَالْقُوَّةُ لَهَا زَائِدَةً ، وَالْفَضْلُ عَلَيْهَا قَائِمًا ، وَالتَّجَنُّعُ بِهَا قَادِمًا ؛ وَكَانَ الشُّكْرُ
مِنْ أَقَلِّ مَوْجُودَاتِهَا ، وَالْمِنَّةُ مِنْ أَجَلِّ مَذْخُورَاتِهَا .

وَلَهُ : إِنْ دَلَّ الْمَمْلُوكُ فَبِصَدْقِ الْمَوْدَةِ ، أَوْ عَوَّلَ فَعَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ ، أَوْ اسْتَظْهَرَ
فَبِقَدِيمِ الْحَرَمَةِ ، أَوْ اسْتَنْصَرَ فَبِكَرِيمِ الرَّعَايَةِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ هِمَّةٌ مِنْ مَوْلَانَا بَعِيدَةُ الْمَرَامِيِّ ،
طَوِيلَةُ الْمَسَاعِي ، شَاخِضَةُ الْأَنْفِ ، سَابِقَةُ الطَّرْفِ ، تُوجِدُ الْأَمَالَ سِرَاحًا ، وَتُوسِّعُهَا
نَجَاحًا ، وَتَأْخُذُهَا نَحْمَاصًا ، وَتُرْذُّهَا بِطَانًا ، وَتُورِدُهَا هَزَالًا وَتُصْدِرُهَا سَمَانًا ؛ وَثِقَةٌ مَنِيَّ
(١٦)

(١) لم يرد هذا الجمع في كتب اللغة التي بأيدينا والقياس على بطلان وسمان لا ياباه .

قد أحكم عقدها الزمان، وأوثق شدّها الإمتحان، فصارت لأعراض المملوك رائده، وفي قوّة نفسه زائده؛ فالمملوك من اجتماع هذه الأقسام، وجوب ما تقتضيه من الأحكام، بين ظنّ جميل لا مجال للشكّ عليه، ويقين صحيح لا وصول للارتياب إليه .

آخر : ولئن كان المملوك أسرف في مجارى التثقيل على مولانا، فإنّ المملوك لم يردّ بعضا من دواعي الأمل فيه، فإنّ المظنون من قوّة مولانا رائد الثقة بجميل نيته، ولن يعدم النجاح من اعتمد على القوّة والثقة .

آخر : وينهى أنّ المملوك إن أدلّ، فبحقّ لدى مولانا أكّده، أو استرسل، فبفضل منه عوّده، وبين الدالّة من المملوك والعادة من مولانا موضع لنجاح الحاجة، وبلوغ الإفادة، وقد فعل المملوك ما تعلق به واثقا بالكرم من مولانا؛ فليفعل مولانا ما يتعلق به محققا للأمل فيه .

آخر : وينهى أنّ المملوك إن أنبسط، فبدل بالحرمة الوكيدة، ومعوّل على النية الكريمة، أو أنقبض، فلهيئة الإقدام على مولانا ومراعاة التخفيف عنه، ولفضله فيما بين ذلك مسلك وغلبة تسلط يدعوان إلى حسن الظن بمولانا، ويوثقان من وجود النجاح لديه .

آخر : بدّل الجاه في إعانة الضعيف، وإغاثة المهفوف، والترويح عن المضغوط، والتفريح عن المكروب المكود؛ كبذل المال في إسعاف المعسر، وإسعاد المقتر، ومواساة المحروم، والتعطّف على المرحوم، وما في الحالتين إلّا ما للديانة له ضامن، والمروءة له قائمة؛ والحقّ به مستوجب، والأجر به مكتسب، والصنيعة به معتقده، والمثوبة به مدّخره .

آخر : وينهى أن حرمة الحوار من أوجب الحرمات حقاً ، وأحكيها عقداً ، وأخصها بالعناية ، وأحقها بالرعاية ، وما رعاها إلا ذو قدر عظيم ، وحلو كريم ، وأصل عريق ، وعهد وثيق . وفلان ممن يضرب بدالتها ، ويمت بوسيلتها ، ويخفف بذمتها ، ويتعلق بعصمتها ، ويعتدها وزراً مانعاً ، وذخراً نافعا ، وعدة موجودة عند الحاجة ؛ وله أمر يذكره مشافهةً ، فإن رأى مولانا أن يحقق من ظنه ما كان جميلاً ، ويصدق من أمله ما كان فضلاً مولانا إليه سبيلاً ، فهو المعهود من إحسانه ، والمؤمل من فضله .

آخر : من سافر إلى سيدي بأمله ورغبته ، ومث إلى حضرته بوفادته وهجرته ، فقد آستغنى عن الشافع ، وكفى أمر الوسائل والذرائع ؛ وحامل كفاي هذا قد تجشم القدوم إليه ، وتمسك بذمام الوفاة^(١) عليه ؛ مع ما يتحقق به من حق المشاركة في الصناعة ، ويستوجبه بفضيلة الكفاية والأمانة ؛ وإنما أصدر المملوك هذه الخدمة على يده ممهدة لأئسه ، ومقوية لنفسه ؛ وإذا مثل بحضرته ، ونظره بعين نبأته ؛ فقد غنى عن الشفاعة وبلغ الإرادة .

آخر : وينهى أن ما يفرضه مولانا لمن أمه بالرخاء ، ومث له بإخلاص الحمد والثناء : من إضرار أخلاف الإفضال ، وتحقيق الرغبات والآمال ، يغني قاصديه عن الشفاعات والوسائل ، ويكفي آمليه تحمل الذرائع والمسائل ؛ والواصل إليه بهذه الرقعة فلان ؛ ومولانا يعرف حقه على المملوك وماله من الموات لديه ؛ وقد توجه إلى حضرته ، راجياً أن يلحفه من ظل سعادته ما يتكفل بمصلحته ، ويقضي على الزمن بإعدائه ومعاونته ؛ ومولانا أحق من تولاه بحسن خلافته فيه ، والتفضل على المملوك بتحقيق ما يرجيه .

(١) الذمام بالذال المعجمة الحق والحرمة .

آخر في معتقل : عِلْمُ المملوكِ بأنَّ مولانا لا يتعدى في العقاب موضع الإصلاح والتأديب ، ولا يتجاوزُ في الغَضَبِ موقعَ التَّقْوِيمِ والتَّهْذِيبِ ؛ عملاً بِالْعَدْلِ ، وتمسُّكاً بِالْفَضْلِ ؛ يبعثه على تنبيهه لما أغفله ، وأتقاده لما أصَّله ؛ وفلان قد تطاولَ اعتقاله : فإن كان جُرمه صغيراً فقد ظلم في القصاص ، وإن كان كبيراً فقد استحقَّ الخِلاصَ ؛ والمسئول من إحسانه أن يُعاوِدَ جميل عاديته ، ويُراجِعَ كريمِ شيمته ؛ فيعملَ في أمره بِالْعَدْلِ ، إذا لم يره أهلاً للفضل ؛ وإن كانت حقوقه متأكَّده ، وحرمة مؤكَّده ؛ فلا يحسن أن يُضَاعَ ويُخَفَّرَ ، ولا ينبغي أن يُجَحَدَ ويُنكَرَ ؛ وهو حريٌّ أن يحقِّقَ الظنَّ فيه ، ويقابل هذا السؤال بما يقتضيه .

آخر : على حَسَبِ أخطار الودائع يكونُ الإشفاقُ عليها ، والشكرُ من صرف رعايته إليها ؛ وقد كان المملوكُ أودَعَ كَنَفَ مُرُوَّتِهِ ، وفَاءَ هِمَّتِهِ ، فلان ؛ وهو دُرَّةُ المحاسنِ الفريدة ، ونادِرَةُ الدَّهْرِ الشريده ؛ والجامعُ لأسبابِ المحامدِ بفضائله ومناقبه ، والناظمُ لثَّارِ المآثرِ بِمُحَلِّقِهِ وأدبه ؛ مع ماخُصَّ به من المعرفة بِقُدْرِ الصَّنِيعَةِ ، والتعويضِ بالشكرِ عن قليلِ العارفة ؛ والمملوكُ يرجو أن يكونَ مولانا قد أَحَسَّنَ خِلاقَتَهُ فيه ، ونَزَّلَهُ من حياطته وتوَلَّيَهُ ، بما يوجبُه مكانُهُ من المملوكِ ويقتضيه ؛ متعوضاً من شكر المملوكِ وشُكْرِهِ بما هو خَلِيقٌ أن يَطُوقَ أَجْيَادَ مَعَالِيهِ ، وينتِظِمَ في سِلَكِ مَسَاعِيهِ .

رقعة — وينهى أن الأيام ، إذا قعدتْ بِالْكَرَامِ ، فأنزلتهم بعد السَّعَةِ ضيقاً ، أوجَدَتْهم إلى التثْقيلِ على من يمتنون إليه بِسَالِفِ الخِدمَةِ طَرِيقاً ؛ ومن تحدَّاه الزمنُ بِنَكَدِهِ ، وعَوَّضَهُ بِبُؤْسِهِ من رَغَدِهِ ، فلان ؛ وكان قد قَرَعَ إلى جماعة من الخُلَّانِ ، واثقاً منهم بِالْإِحْسَانِ ، فألفى وَعْدًا جَمِيلًا ، ومَطْلًا طَوِيلًا ؛ فعدَّلَ عنهم

إلى سيدى وعزل عنهم إليه، وتوجه إليه معتمداً بعد الله فى مقصده عليه؛ ثقةً
بفضل غيره، وحسن أثره؛ وتحمل عبودية المملوك هذه ذريعةً تبسط له من مولانا
حياته، وتوصله إلى ما يرجوه من معرفته ونداه. وما أولى مولانا بأن يحقق ظن
المملوك وظنه، ويموز شكره وشكره؛ إن شاء الله تعالى.

رقعة — وينهى أن رغبة سيدى فى إسداء المعروف، وغوث الملهوف،
تبعث على السفر إليه، والتقدم بالرغبات عليه؛ والله تعالى يواصل المنح لديه،
كما وصلها من يديه؛ وقد سبقت له عوارف لا ينساها المملوك، ولا يؤمل جزاءها
إلا برفوع الدعاء، وكريم الثناء؛ حتى تقضى ضرارها، وتستدعى نظائرها، وحامل
عبوديتي هذه، فلان؛ والمملوك يرضى لمولانا لسان شكره، كما يرضاه لتحمل ربه؛
وقد ركض ظهر الأمل إلى حضرة، ووثق ببلوغ الوطر من جهته؛ وأن ينظم
فى سلك من أسيغت عليه عوارفه، وعمته لطائفه؛ وعزز ذلك بأستصحاب كتاب
المملوك إلى بابه، وتقديمه ذريعة فى التزام حقه وإيجابه.

رقعة — من كان سيدى شافعه أنبسط فى المنى، ولم يرض بغير العلا؛ وقد علم
مولانا أن للشفاعة أحوالاً ثلاثاً؛ حالاً تخص الشافع، وحالاً تخص المستشفع؛
وحالاً تخص [المشفوع إليه] ولكلٍّ حدٍّ يجب الانتهاء إليه، ولا يجوز التقصير فيه؛
فعلى المستشفع آرتياد أخصب جناب، وأسكب سحاب، وقصد الجهة التى لا تصد
عن البقية سائلاً، ولا ترد عن الأمل آملاً، وأن ينهض بالشكر على العارفة، ويحدث
بالنعم عنه فى الأحوال الطارفة؛ وعلى الشافع أن يهريق ماء وجهه فى السؤال،

(١) غار الرجل يغوره ويغيره نفعه فالمراد بفضل نفعه تأمل.

(٢) فى الاصل الشفع وهو غير مناسب.

ويجرد رغبته في تسهيل المنال ، ويعتقد أن ذلك من الدين المقرض ، والدين المقرض ؛ ويتكفل بالقيام بما يستدعي منه من المكافاه ، ويُلتمس من العوض والمجازاه . وعلى المشفوع إليه أن يعلم أن الشافع والمستشفع ما قصدها إلا بعد الثقة بأحديته ، ولا اعتمدها إلا بعد السكون إلى أريحته ، وأنه لا ينبغي أن يُحسر متجرهما ، ولا يضيع سفرهما ، وقد اجتمعت هذه الأحوال الثلاث للرئيس المشفوع إليه ، وليسدى الشافع ، ولخادمه المستشفع به ؛ ولم يبق إلا عزمة منه تهز أفتان الإقبال فتساقط أثمارها ، وتُنشئ عوارض الآمال فيتهافت قطارها .

أبو الفرج البغاء :

وموصل كتابي هذا غني عن شفاعتي له بما يمتُّ من حُرُمات الرغبة إليك ، والوقوف دُونَ كُلِّ مقصدٍ عليك ، وبما يشفع ذلك من التقدُّم في الصَّناعة ، والتوصل بوجيه الكفاية ؛ وإنما زودته هذه الأحرف لأفتح له باب الأئسة ، وأسهل السبل إلى التعلق بالخلَّة ؛ وأدلِّ بها على ما تكشف منه المطاولة والخيرة ؛ وأنت أيدك الله وليَّ التطوُّل بالتقدُّم في إيناسه وبسطه في الخدمة بما يستريد له محمود الأثر فيها من حُسن النظر وجميل الرأي .

وله في مثله :

وموصل كتابي فيما يؤمله منك ويُلغُه بك متمسِّكٌ من رجائك بأوكد ذمه ، ومن شفاعتي بأوجب حُرْمه ، ومهما متَّ به بعد ذلك من ظهور كفاية أو تقدُّم في صناعة كان غير ضائع عند رعايتك ، ولا مجهول مع تيقُّظ عنايتك ؛ وأرجو أن يُحلَّ من تقبُّلك ، بحيث أحله حُسن النظر تطوُّلك .

وله في مثله :

وفي عليك ما أخذ به نفسى ، وأروض به أخلاقى : من الانقباض عن التسرع إلى مسألة ، والاحتشام من الانبساط في حاجة ، مادلك على موضع فلان ومكانه من إيثارى بواجبات حقوقه ، وسالف مواته ؛ ولذلك سمحت بالكتاب له إليك ؛ وفارقت رثى بالثقل في قضاء حقه عليك ؛ وقد قصد نحوك بأمله ، واختارك لرحائه ؛ وقدر بك بلوغ البغية ، واختصر بشفاعتى إلى تفضلك السبيل إلى إدراك المحبة^(١) ؛ فإن رأيت أن تأتى فى باب ما يشيه فضلك ، ويناسب وكيد نفعه بك ؛ وأنى أشركه فى الشكر وأسأله فى الاعتداد ، فعلت .

آخر :

رَأَيْتُ الْمَسَاكِينَ قَدْ أَجْمَعُوا * عَلَى أَنْكَ الْوَزْرُ الْمُعْتَمَد !

فَأَنْتَ لِطِفْلِهِمْ وَالِدٌ * وَأَنْتَ لِشَيْخِهِمْ كَالْوَلَد !

السلام العميم ورحمة الله وبركاته على من جعله الله للمساكين ظلاً يقيهم ، وطلاً يسقيهم ، ونعمة تعمهم ، ورحمة تضمهم ؛ أبوفلان ، أبقاء الله فى عزرة تالدة طارفه ، وسعادة لا تزال طارقة بكل عارفه .

من أقامه الله مقامك أيها الشيخ المبرور بالترقى بالفقراء ، والإحسان إلى الضعفاء ، لم يعدم مريضاً يقصده فى الشفاء ، ولا يعدم فيضاً يعتمد على اكتفاء ، لاسيما إذا توسل وحده ، وتسقع بمن لا يضيع عمل عامل عنده ، ومتحملها فلان قص الفقر جناحه ، وأخى عليه الدهر وأجتاحه ؛ ولما رأى الفقراء ببركم مرتفقين ، وعلى

شكركم متففين ؛ أممكم حسن الظن بالمن ، ولم يقدم شفيعا دنيويا ، ولا طريقا واضحاً
سويًا ؛ وأنتم أيها الشيخ الموقر تنزلونه منزلة سواه ، ممن توى مثواه ؛ وتوى فيكم
من الأجر والشكر ما نواه ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام الكريم العميم ، يخص جنابكم
ورحمة الله وبركاته :

فالله سبحانه يُثَبِّتُكَ فِي دَعَا * وَحُسْنِ حَالٍ وَتَيْسِيرِ وَإِقْبَالٍ !

مُقَدِّمُ الْمَجْدِ فِي عِزٍّ وَفِي كَرَمٍ * مُؤَمِّلُ النِّفَعِ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ مَالٍ !

الشفاعات من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

شفاعة في استخدام كاتب درج :

جعل الله تعالى دُورَه رَحْبَةً العِراض ، وسَعَادَتَه في الإِزْدِيَادِ وَأَعَادِيَه في الإِثْتِقَاصِ ؛
والدعاء لإحسانه مقروناً بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالْإِخْلَاصِ :

وهذا دعاء لو سَكَتُ كُفَيْتُهُ * فَأَنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ فَيْكَ وَقَدْ فَعَلَ !

صَدَرَتْ هَذِهِ الْخِدْمَةُ تَسْتَمِطِرُ سَحَابَ كَرَمِهِ ، وَهَامِي دِيَمِهِ ، وَتَسْأَلُ جَمِيلَ شِمِيهِ ،
فِي مَعْنَى 'مَمْلُوكِ الْمَوْلَى وَدَاعِيهِ ، وَالشَّاكِرِ لِأَيَادِيهِ ، وَالْمُلَازِمِ عَلَى رِوَايَةِ أَخْبَارِ فَضَائِلِهِ
وَبَثِّهَا ، وَتَشْرِفُضَاتِهِ وَتَثْبَاهٍ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ بَيْتِ كَرِيمِ التَّجَارِ ، زَائِدِ الْفَخَارِ ؛ وَلَهُ عَلَى
مَوْلَانَا حَقُّ خِدْمَةٍ ، وَهُوَ يَمُتُّ بِسَالِفِ مَعْرِفَةٍ ؛ وَحُبِّهِ الْمَمْلُوكِ لَهُ شَدِيدِهِ ، وَالصُّحْبَةِ
بَيْنَهُمَا قَدِيمَةٌ وَشُقَّةُ الْمَوَدَّةِ جَدِيدِهِ ؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا تَقَلَّ عَلَى خِدْمَتِهِ ، وَتَهَجَّمَ عَلَى الْمَوْلَى
بِمَكَاتِبَتِهِ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى بَابِهِ الْعَالِي مُهَاجِرًا ، وَنَادَاهُ لِسَانُ جُودِهِ فَلَبَّاهُ وَأَجَابَهُ مُبَادِرًا ،
وَعَرَضَهُ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمَمْلُوكًا تَقَعُ عَيْنُ الْعِنَايَةِ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ مِنَ الْكِرَامِ

الكاثرين ، والراغبين في الانتظام في سلك خدَمِه والمؤثرين ، وصِفَاتُه بالجميل موصوفه ، وفصاحته معروفة ، وقلبه الذي يَقلِّمُ ظُفْرَ المِهْمَاتِ وَيُكْفِ كَفَّ الحَدَثَانِ ، ولسانه الذي يُغْنِي بِشَبَابَتِهِ عن حَدِّ السَّنَانِ ؛ ورأيه المقدم في الهيجاء على شجاعة الشجعان ؛ فإذا أنعم المولى باستخدامه ، وتحقيق مرامه ، كان قد وضع الشيء في محله ، وصنع المعروف مع أهله ؛ وبَيَّضَ وجه المملوك وشفاعته ، وصدق الأمل في إحسانه ومُروءته ، ورأيه العالی ؛ إن شاء الله تعالى .

وله شفاعه في استخدام جُنْدِيّ :

لا زال برّه مطلوباً ، وجوده مخطوباً ؛ وذِكْرُ إحسانه في الملا الأعلى مكتوباً ؛ ولا برحت رياض جوده أزهر وأنضر من رَوْضِ الرُّبَا ، ويده البيضاء ترقم له في سواد القلوب سطور حمد أحسن من نور تفتّحه الصبا . هذه الخدمة صدرت على يد فلان تُهدى إلى المولى سلام المملوك وتحيته ، ودُعَاؤه الصالح الذي أخلص فيه نيته ؛ وتسفع إليه في تنزيله في الخلقة المنصورة واستخدامه ، وترتيبه في سلك جيشه المؤيد وانتظامه ؛ فإنه من الأجناد الحَيَادِ ، وذوى الجَلَدِ على الجَلَادِ ؛ وهو الغشمشم الذي لا يُردُّ ، والشهم الذي لا يُصدِّ ؛ والباسل الذي لا تُحصَرُ بسائته بوصف ولا تُحدِّ ، والقيب الميمون القرة والقبية ، الموصوف في الهيجاء بحزم الكهول وجهل ذوى الشيبه . والمولى وإن كان بحمد الله غير محتاج إلى مُساعد ، ولا مفتقر إلى معاضد ؛ فإنَّ أسننه لا تحتجب عن رُوح محتجب ، ونفسه الشريفة تقوم وحدها يوم الكفاح مقام عسكٍ لحب ؛ وقلبه يغنيه عن الأطلاب والأبطال ، وجيوش سطوته لا تكلفه المقام في منازل التزل ؛ فإنَّ المملوك يعلم أنَّ نفسه الشريفة تهوى تريده عسكره وجنده ، وترعى حرمة قاصده وقصده ، فلهذا توسل بشفع وتر الشفاعه ؛ وتوصل إلى إزالة

ضَرَعَ حاله بِكَثْرَةِ الضَّرَاعِ ؛ فَإِذَا أَنْعَمَ الْمَوْلَى بِقَبُولِ شَفَاعَةِ الْمَمْلُوكِ فِيهِ ، وَحَقَّقَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مَا يُؤَمِّلُهُ وَيَرْتَجِيهِ ؛ كَانَ قَدْ شَدَّ لِلشَّارِ إِلَيْهِ مَا أضعَفَتْهُ الْعُطْلَةُ مِنْ مُتَّهِ ، وَقَدْ أَمْلَكَ لِلْمَوْلَى جَمِيلَ مُتَّهِ .

شفاعة في ردِّ معزول إلى ولايته :

يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ لِأَزَالَتِ مَقْبَلِهِ ، وَلِإِسْدَاءِ الْخَيْرِ إِلَى أَهْلِهِ مُؤَهَّلَهُ ، وَبِأَيَادِيهَا عَلَى الْكَافَّةِ مُتَفَضِّلَهُ .

وَيَنْهَى مَلَازِمَتَهُ عَلَى شُكْرِ مَوَاهِبِهِ ، وَنَشْرِ فُضَائِلِهِ الْجَسِيمَةِ وَمَنَاقِبِهِ ؛ وَحَمْدِهِ كَرِيمِ شَيْمِهِ ، وَالْإِعْتِذَارِ مِنْ تَثْقِيلِهِ عَلَى خِدْمَةِ الْمَوْلَى بِخِدْمِهِ ، وَسُؤَالِ إِنْعَامِهِ بِوُجُوهِ مَكَاتِبَتِهِ وَلِسَانِ قَلَمِهِ ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ كَرِيمِ نِجَارِهِ ، وَشِدَّةِ تَطَلُّبِهِ لِإِسْدَاءِ الْعَوَارِفِ وَإِبْثَارِهِ ؛ وَالْمَوْجِبُ لِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ وَسُؤَالِ مَكَارِمِهِ ، وَاسْتِمْرَارِ سَحَابِ مَرَامِهِ ، مَا بَلَغَهُ مِنْ عَزْلِ مَمْلُوكِ الْمَوْلَى وَعَبْدِهِ ، وَوَصْفِ جَمِيلِ أَوْصَافِهِ بِلِسَانِ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ، فَلَانِ ؛ أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِحْسَانَ الْمَوْلَى وَإِنْعَامَهُ ، وَخَلَدَ لَنَا وَلَهُ دَوْلَتُهُ وَأَيَّامُهُ ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ الْمَمْلُوكِ وَصَدِيقُهُ ، وَشَرِيكُهُ فِي الدُّعَاءِ لِمَوْلَانَا وَرَفِيقُهُ ؛ وَهُوَ مِنَ الْعُدُولِ الْأُمْنَاءِ ، وَالنِّقَاتِ الْأَتْقِيَاءِ ؛ وَهُوَ قَلِيلُ الْحِدَّةِ كَثِيرُ الْعِيَالِ ، لَا يَجِدُ حِيلَةً إِذَا بَطَلَ بِخِلَافِ مَا يُحْكِي عَنْ الْبَطَالِ ؛ وَقَدْ تَشَفَّعَ بِالْمَمْلُوكِ وَمَكَاتِبَتِهِ فِي مِلَاحِظَةِ الْمَوْلَى لَهُ بَعِينَ عِنَايَتِهِ ، وَالتَّقَدُّمِ بِرَدِّهِ إِلَى جِهَةِ وِلَايَتِهِ ؛ فَلِهَذَا كَتَبَ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ فِي مَعْنَاهِ السُّؤَالَ ، وَعَلَّقَى بِتَحْصِيلِ أَمَلِهِ الْأَمَالَ ؛ يَعْلَمُ ذَلِكَ مَوْقِفًا .

شفاعة في خلاص مسجون :

فَسَّحَ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ ، وَسَهَّلَ أَدَاءَ مَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِهِ ؛ وَأَلْزَمَ الْأَلْسِنَةَ بِحَمْدِهِ وَالْقُلُوبَ بِمَحَبَّتِهِ ؛ وَجَعَلَهُ مَفْرَجًا كُلِّ كَرْبٍ ، وَسَهْلًا مِنَ الْمَقَاصِدِ كُلِّ صَعَبٍ .

وبعد، فإنَّ كَافَّةَ الأُمَّةِ قد تحقَّقت رحمة قلبِ المولى ورأفته ، وتيقَّنت إحسانه ومُروءته ، وأنه يُؤثِّرُ إغاثةَ كُلِّ عَانٍ وإغاثةَ كُلِّ مُلهوفٍ ، وأنه لا يُمسِكُ إلَّا بالإحسانِ ولا يُسرحُ إلَّا بالمُؤروفِ ، بحيثُ سارت بحُسنِ سِيرتهِ الرِّكَّابُ عوضًا عن الرُّجَّانِ ، ودرأت مكارِمُه عن الأولياءِ نُوبَ الزَّمانِ ؛ وعلا على حاتمٍ فلو تشبَّه بكَرمه لقُلنا له : (مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ) . وللملوكِ من إحسانِه أوفرُ نصيبٍ ، وهو يرُقِلُ من جُوده في نُوبِ قَشيبٍ ؛ وقد اشتهر ما يُعاملُ به من الإكرامِ ، وأنَّ قِسْمه من العِنايةِ أوفرُ الأقسامِ ؛ وكان يُعدُّ من جملةِ العبيدِ فأصبحَ مُضافًا إلى الأَئْزامِ ؛ وهذا مما يُوجبُ على الملوكِ أنْ يتَهِلَّ إلى الله في تخليدِ دَوْلتهِ ويتَضَرَّعَ ، وعلى حِلْمِ مولانا أنه إذا شَفَعَ إليه في مُذنبٍ أنْ يُسَفِّعَ ؛ وهو يَشَفِّعُ إليه في مملوكه وعَبْدِه ، والملازمِ على رُفْعِ راياتِ مجده وتِلَاوَةِ آياتِ حمْدِه ، فلان ؛ رزقه الله رضا الخواطرِ الشريفةِ ، وأسبَلَ عليه حُلَّةَ عفوه المنيقةِ على الحُلَلِ بظلالها الكثيفةِ ؛ فإنه قد طالَتْ مدَّةُ حبْسِه ، وأَعترفُ بأنه الجاني على نفسه ؛ والمُعترفُ بذنبه كمن لا أَذنبَ ، والمُعترفُ من بحرِ جُوده يَروى دُونَ أنْ يَشْرَبَ ؛ والطالبُ لِزَهِّ نِبالِ سُؤلِه والمُطلبُ ؛ فإنَّ حُسنَ في رأيهِ العالى زادَه اللهُ عَلاءً ، وضاعَفَ له سَواءَ ، المشى على منارِ جُوده ومِنهاجِه ، وبرُوزُ امرِه المُطاعِ بإِطلاقِه وإِخراجِه ، أَغْنَمَ أَجرَه ، وجَبَرَ كَسْرَه ، ورَجَحَ في هذا الشهرِ المباركِ دُعاءَه الصالحِ وشُكرَه ؛ وكان قد أنعمَ على الملوكِ بقبُولِ شفاعتِه إليهِ ، وفعلَ ما يُوجبُ على كُلِّ مسلمِ الثناءَ عليه ؛ واللهُ الموفقُ .

شفاعة بسبب خلاص حق :

يُخَدِّمُ المجلسَ السامِىَ لاقِيَّ بالتحياتِ مُخَدُّوماً ، وحبلُ سَعْدِه مَبْرُوماً ، ودُرُّ المَدائِحِ لِجَليدِ جُودِه مَنْظُوماً ، وعدلُه بين الأَخْصامِ قاضِيًا فما يَتْرُكُ ظالِمًا ولا مَظْلُوماً .

(١) في الأصلين «ودارت مكارمه على الأولياء» ويظهر أنه تصحيف من النسخ .

ولا زالت الآمال متعلقة بهيمته ، منوطة بسعيد عزمته ، راجية خلاص كل حق من هو في جهته . وتوضح لعله أن فلانا أدام الله سعادته ، وخلص سيادته ، ذكر أن له ديناً في جهة غريم مُمَاطِلٍ مُدَافِعٍ ، وخَصْمٌ مُمانِعٌ ؛ وقد جعل هذه الخدمة ذريعة إلى خلاص حقه ، وخالفاً إلى الوصول إلى عناية المولى أقرب طرقه ؛ وهو جدير بالتقدم بإحضار غريمه ومحاققته ، وأخذ مالمالوك في ذمته ، وأن لا يُفَسَّحَ له في تأخيرهِ ؛ ولا يُسَمَّحَ بقليل الصبر ولا كثيره ؛ فإنه يعلم أن المولى المشار إليه واجب الخدمة ، وإفرا الحرمة ؛ وقد تعلق أمله في خلاص حقه بالمولى ، ولا يُجَازِبُ عن هذه الخدمة بلو ولولا ، بل يَسْدُلُ جُهدَهُ ، ويُطَلِّقُ في تحصيل الغرض لسان الاجتهاد ويده ؛ ويعتمد من الإهتمام ما يليق بأمثاله ، ويبيض وجه الشافع وسؤاله ، موقفاً . شعر :

ولو كان [لى] فى حاجتى ألف شافع * لما كان فيهم مثل جودك شافع

شفاعة فيمن اسمه سراج الدين إلى من اسمه جمال الدين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وينهى بعد ولاء يحكم على القلوب شافع جماله ، وثناء يحرق على أحكام الزهر فضل أدبائه : أن العلوم الكريمة محيطة بإيجاب حق من هاجر إلى بابها ، وشكا غلة الفاقة إلى منهل منهل سحابها ؛ وأن المائل بهذه الخدمة ، فلان ؛ ذكر احتياجه إلى عاطفة من عواطف مولانا التي شملت ، وعارفة من عوارفه التي لو استمدت من غيرها الليالى لما أظلمت ولا ظلمت ؛ وأن بيده وظيفة شهادة بيت لحم بتواقع شريفة نظرت في حاله ، ونشرت حال عياله وأطفاله ، وأن ثم من ينارعه في جهته المعتاده ،

(١) وَيَقْصِدُ نَزْعَهُ وَالتَّزْعَ عَنْ تِلْكَ الشَّهَادَةِ الْمُسْطَرَّةِ أَخْفَ مِنْ نَزْعِ الشَّهَادَةِ ، وَمَوْلَانَا أَوْلَى مَنْ رَحِمَ مِنْهُ ضَعْفًا ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَطْفًا ؛ وَدَارَكَ بِكْرِهِ هَذَا السَّرَاجَ قَبْلَ أَنْ يُطْفِئَ ؛ وَرَعَى سِيرَةَ مَبَاشِرَتِهِ الْحَسَنَةِ الْآثَارَ ، وَاعْتَمَدَ أَدْعِيَتَهُ وَأَدْعِيَةَ أَوْلَادِهِ الَّذِينَ هُمْ كَقِطْعِ الشَّطْرِ نَجْ صِغَارٌ وَبِكَارٍ ؛ وَكَفَّ يَدَ التَّعَرُّضِ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ عَدْلِهِ فَإِنَّمَا أَيَّامٌ لَا ضَرَرَ فِيهَا وَلَا ضَرَارَ ؛ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَقَدْ تَرَكْتَهُ الْإَيَّامُ قِطْعَةً لَحْمٍ ، فَمَبَاشِرَةُ بَيْتِ لَحْمٍ أَوْلَى بِهِ ، وَرِجَالُهُ فِرْجَانِيَّةٌ وَأَخْوَانُهَا أَحَقُّ أَنْ يَتَعَاقَبَ سَبَبُهَا بِأَسْبَابِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَيِّرُ بَيْنَ مَوْلَانَا أحوَالِ الْمَضْرُورِينَ فَإِنَّمَا ظَلَامٌ ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإَيَّامِ بِسُيُوفِهِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامٌ ، وَيَتَمَعُّ بِأَيَّامِ عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّتِي تُتَنَافَسُ فِيهَا أَعْمَارُ الرِّعَايَا فَإِنَّهُمْ يُتَّبِعُونَ أَيَّامًا بِأَعْوَامٍ .
وله إلى شخص اسمه شمس الدين :

وَيُنْهِى بَعْدَ قِيَامِ بوظائفِ ثناءٍ يَتَسَكَّبُ بِنَفَحَاتِهِ [المتواليه] ، وولاءٍ يَتَسَكَّبُ بِجِبَالِهِ الْمُتَيْنَةِ وَمَا كُلُّ شَمْسٍ حَبَالُهَا وَاهِيَةٍ : أَنَّهُ يَرْتَادُ الْأَوْقَاتَ لِخَطَابِ مَوْلَانَا بِالْأَقْلَامِ ، حَيْثُ حَبَسَ الْبَعْدُ خِطَابَ الْكَلَامِ ، وَيَتَخَيَّرُ حَمَلَةَ رِسَائِلِ الشُّوقِ ، وَإِنْ أَضْعَفَ عَطْفُ النَّسِيمِ رِسَائِلَ السَّلَامِ . وَلَمَّا حَضَرَ مِنْ مَكَانٍ كَذَا ، عَارِضَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ فَلَانَ ، وَذَكَرَ تَوَجُّهَهُ إِلَى حِمَى حِمَاةِ الْحُرُوسِ ، وَقَصَدَ كِتَابًا يَكُونُ فِي وَحْشَةِ الْإِغْتِرَابِ أَنْيَسَهُ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ غَرَضَ الْمُلُوكِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ مُرَادِهِ وَلَا يُتَكَّرُ مِنْ جِهَةِ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ السُّلُوكِ ، فَأَعْلَمْتَهُ أَنَّ الْمَكَارِمَ الْحَمَادِيَّةَ لَا تَحْتَاجُ غَيْرَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ شَافِعًا إِلَيْهَا ، وَالْمَنَازِلَ الشَّمْسِيَّةَ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ يَنْبَغِي عَلَيْهَا ، وَطَلَمَّا جَمَعْتُ لِقَاصِدِهَا الْفِعْلَ وَالْقَوْلَ السَّخِيَّ ، وَطَلَمَّا قَالَ يُوسُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخُو مَوْلَانَا أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْقَاصِدِ :
أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَنِي ، وَلَكِنَّ الْمُلُوكَ يَذْكُرُ الْخَاطَرَ الْكَرِيمَ بِهَذَا الْقَادِمِ فَإِنَّهُ مِنْ

أهله ، ويلقاه قبل ذلك بالبشر المنشد * أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ *
فإنه من أصحاب ولي الله طالما فاض ولي معروفه ، واستفاضت نسبته المرشدية
فكان وليا مرشدا قامت صفته مقام موصوفه ؛ وإن آثار هذه البركات على هذا
القادم لائحته ، وإن على يده تجارة ذكر وأجروهي في سوق همهم مولانا تجارة رايحه ،
والله تعالى يجعل له في كل ثناء وثواب نصيبا ، ويديم قلمه الكريم مقصد رفد وجاه
(فطورا رشاء وطورا قليلا) .

وله : عن نائب الشام إلى نائب حماة شفاعته في شخص اسمه شهاب الدين ، وهو
بعد الألقاب :

لا زالت الأقدار تُسعيده ، والملائكة تُنحده ، ومواطن النصر تجرد حد بأسه ومواطن
الحلم تُغمده ، والحناة تلوذ بظله : فأى جاني ذنب ما يعفو عنه ، وأى جاني بر ما يرق
عليه ويرفده ، تقبيلًا يترادف مدده ، ولا تنتهي في القرب والبعد مدده .

وينهى بعد ولاء وثناء : هذا لا يبل جديده وهذا لا تخفى جده ؛ وشوق
وأرياح كلاهما يروى عن ابن شهاب توقده ، ويحمل على يد شهاب سنده : أن
العلوم الكريمة محيطة بمقدار الحلم وفضله ، والعفو ومحله ، والتجاوز عن هفوات
الخطئين من القوم ، وطلب العفو من الله غدا بالعفو عن عباده اليوم ، قال الله تعالى :
﴿وَلِعَفْوًا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ . ولما سمع الصديق رضى الله
عنه هذه الآية ، قال : (بل والله إنى لأحب أن يغفر الله لي) ثم عفا عن نزلت
بسببه ، ومملوك مولانا أعز الله أنصاره فلان ، قد أعترف بهفوة بدت منه ، وزلة
نقلت عنه ؛ ما يسعها إلا عفو مولانا ومراحه ؛ وقدم على المملوك فكأنه مانح من
ظل مولانا ولا فارقه معاملة ؛ وسأل سؤال مولانا أن يسلمه بالعفو ، ويتجاوز له

عن السهو؛ ويرحم كبر سنه وكيرة جهله؛ ويرعى قديم هجرته لخدمة هذا الباب
الذى نسا عمرًا طويلا في ظله، أهلا لأن تشمله عواطف أهله؛ وهو - كما عرف
المملوك وأطلع عليه حيث كان في نيابة حماة - مشكور السيرة بالإعتبار، ناهض
الخدمة بالإختبار؛ ملازم لثرى الباب بعزم ماعليه غبار؛ وله على المملوك بالأمن
حق خدمة وباليوم حق سؤال يشفع بهما في القلوب وهى بكار؛ والمسئول من
صدقات مولانا تجاوزه عن هفوته، وردّه إلى أمنه ووظيفته؛ وإجراؤه على عادة
إقطاعه، وحاشاه في أيام مولانا أن يقطع، بل حاشى المذكور أن لا يستخبر وأن
لا يقطع؛ وأستقرأه في مكان خدمته، وإجابته سؤال المملوك في كل ما يتعلق بنجاح
هجرته وعزيمته؛ لأبرح مولانا مأمول المن الغائبة والحاضرة، والمقيمة والسائرة؛
مأهول الخواطر برفع ذكره وقدره في الدنيا والآخرة.

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

لا زالت المحامد يذكرها متوجهة، ومقدمات الفضل والفضائل من تلقاء شيمها
منتجة؛ ومطالع الكرم والإكرام هادية إلى حرمة من أئجه؛ تقبيل مواظب على الدعاء
يرفعه، والولاء يجمعه؛ والثناء يقول بضاع أرجه لا مما نضيعه بل مما نضوعه؛
[وينبى] أن عارض هذه الخدمة على عارض كرم مولانا المظطر، وبابه الذى هو لكيد
الحاسد وقم الوارد مظطر، فلان؛ لقضاء تعلقات له أولها التعلق بجبل رجائه المحصد،
وآتمائه المرصد، والتجمل بقصد باب مولانا الذى هو المهم المقدم على كل مقصد؛
وهو من الفضلاء الذين يعرفهم انتقاد مولانا معرفة الخبير، وله اتصال بالأكابر الذين
سلم منهم زمام المفاز كل كبير؛ وقصد من المملوك هذه الخدمة لمولانا تؤس اغترابه،
وتنشد المقر الذى ما قرع سن الندامة من قرع بابه :

يَا غَرِيبَ الصِّفَاتِ حَقٌّ لِمَنْ كَا * نَ غَرِيبًا أَنْ يَرْحَمَ الْغُرَبَاءُ !
 والمملوكُ يسأل من إحسان مولانا ملاحظة المذكور بعين عناية التي ما أغفَتْ
 عن القاصدين ولا غفلت ، وعواطفه التي طالما فتحت أبوابها فأثنت عليها الرُكَّابُ
 التي قفلت ؛ والله تعالى يُديم تقليد الأعناق بكلمه وبِرّه ، ويمتّع الممالك الساحلية
 بما قدّفت لها من دُرر بحره .

النوع الخامس

(التشوق)

قال في "موادّ البيان" : وينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره ، ويُظهر فيها صناعته ،
 ويأخذ في نظمها مأخذاً من اللطافة والرفقة يدلّ على تمازج الأرواح ، وأتلاف
 القلوب ، وما يحري هذا الحجري ؛ وأن يستخدم لها أَدَبَ لفظ وألف معني ؛
 ويذهب فيها مذهب الإيجاز والإختصار ، ويعدلّ عن سُبُل الإطناب والإكثار ؛
 لئلا يستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب فيمِلّ ويضجر ، وينتظم في سلك الملق والتكلف
 اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء .

وهذه نسخٌ من ذلك :

أبو الفرج البغواء :

شوقُ المملوك إلى مولانا بحسب مكانه من تفضّله ، وحظّه من جميل نظره ،
 وأختصاصه بإنعامه ، وأغتياباه بشرف خدمته ، ومكانه من إيثاره ؛ والله يجمع للمملوك
 شَمْلُ السعادة بمُشاهدة حضّرتَه ، وسابَه من الدّهر بالنظر إلى غُرّته ، على الحال
 السارة فيه وبه .

(١) كذا في الأصلين بإهمال النقط والمراد أنه يتمتع بالنظر الخ تأمل .

وله : شَوْقُ المملوكِ إليه شَوْقُ الظَّمآنِ إلى القطرِ ، والسَّارِى إلى غُرَّةِ الفَجْرِ .

وله : شَوْقِي إليه شَوْقٌ مَنْ لَمْ يَجِدْ مع بَعْدِهِ عَوْضًا مِنْهُ ، فَتَقَوَّدَهُ الزِّيَادَةُ إلى الانْصِرَافِ بالرَّغْبَةِ عَنْهُ .

وله : شَوْقِي إليه شَوْقٌ مَنْ فَقَدَ بالكُرْهِ سَكَنَهُ ، وَفَارَقَ بالضَّرُورَةِ وَطَنَهُ .

وله : لو كَانَ مَا يُصْدِرُهُ مِنْ خِطَابٍ ، وَيُنَاجِيهِ بِهِ مِنْ مَتَمِّمٍ كِتَابٍ ؛ بِقَدْرِ مَا أَعَانِيهِ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ إلى غُرَّتِهِ ، وَمَضَضِ الْفَائِتِ مِنْ مَشَاهِدَتِهِ ، لَمَا أَحَاطَتْ بِذِكْرِهِ بَسْطَةُ لِسَانٍ ، وَلَا نَابَ فِي إِثْبَاتِهِ اسْتِخْدَامُ بَنَانٍ .

وله : أَمَّا الدهرُ فَمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِبْعَادِ المملوكِ عَنْهُ عَتْبًا ، وَلَا يُعَدُّ مَا جَنَاهُ مِنْ ذَلِكَ ذَنْبًا ؛ إِذْ كَانَ إِنَّمَا نَقَلَ مِنْ حِشْمَةِ الْمُخَاطَبَةِ ، إِلَى أَنْبِطَاطِ الْمُكَاتَبَةِ .

وله : وَقَدَّرَهُ - أَبْقَاهُ اللهُ تَعَالَى - يَرْتَفِعُ عَنْ ذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ ، فَالْمَمْلُوكُ يَعْبُرُ عَنْهُ بِذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَى مَا فَارَقَهُ مِنْ تَفَضُّلِهِ ؛ وَبَعْدَ عَنْهُ مِنْ أَوْطَانِ تَطَوُّلِهِ .

وله : وَلَوْ لَا أَنَّ المملوكَ يُجِدُّ نَارَ الْإِشْتِيَاقِ ، وَيَبِيدُ أَوَارِ الْفِرَاقِ ، بِالتَّخِيلِ الْمَثَلِ لَمَنْ نَأَتْ مَحَلَّتُهُ ، وَالتَّفَكُّرِ الْمَصُورِ لَمَنْ بَعُدَتْ شُقَّتُهُ ، لَأُلْهِبَتْ أَنْفَاسُهُ ، وَأُسْعِرَتْ حَوَاسُّهُ ، وَهَمَّتْ دُمُوعُهُ ، وَأَنْقَضَتْ ضُلُوعُهُ ؛ وَاللَّهُ الْمُحْمَدُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنْ تَمَازُجِ الْأَرْوَاحِ ، عِنْدَ تَبَايُنِ الْأَشْبَاحِ .

وله : وَلَا بُدَّ أَنْ يَكْفَى بِالمُكَاتَبَاتِ ، مِنْ غَرْبِ الْإِشْتِيَاقِ ، وَيُسْتَعِينَ بِأَنْسِ الْمُرَاسَلَاتِ ، عَلَى وَحْشَةِ الْفِرَاقِ ؛ فَإِنَّمَا أَلْسُنُ نَاطِقَةٍ ، وَعُيُونٌ عَلَى الْبُعْدِ رَامِقَةٍ .

وله : عِنْدَ المملوكِ لِمَوْلَانَا خَيَالٌ مُقِيمٌ ، لَا يَبْرَحُ وَلَا يَرِيمُ ؛ يَحْلُو عَلَيْهِ صُورَتُهُ ، وَيُطْلِعُ عَلَى عَيْنِ فِكْرَتِهِ طَلْعَتُهُ ، إِنْ سَهَرَ المملوكُ سَامِرًا مُعِينًا عَلَى الشَّهَادِ ، أَوْ رَقَدَ

تَصَوَّرُ مُعَذِّبًا طَعَمَ الرُّقَادِ، لَا يَمُطُّهُ زِيَارَتُهُ، وَلَا يُوحِشُهُ بَغِيْبَتُهُ، كَأَنَّمَا تَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ فِي الْوَفَاءِ، وَتَخْلُقُ بِخُلُقِهِ فِي الْحَافِظَةِ عَلَى الْإِخَاءِ .

وله : إِنْ تَزَايَلَتِ الْأَشْبَاحُ، فَقَدْ تَوَاصَلَتِ الْأَرْوَاحُ؛ وَإِنْ تَزَحَّتِ الْأَشْخَاصُ وَبُعِدَتْ، فَقَدْ دَنَّتِ الْأَنْفُسُ وَتَقَارَبَتْ؛ فَلَا تُخِمُّصُ الْفُرْقَةُ وَتُوَلِّمُ، وَتُسْغِصُ النَّوَى وَتَكَلِّمُ؛ وَقَدْ يُنَالُ بِنَهْجِ الضَّمَائِرِ، وَتَحَاوُرِ السَّرَائِرِ، مَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ، وَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ؛ إِذَا الْأَنْفُسُ الْبَسِيطَةُ أَرَقَّتْ مَسْرَى، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ مَرْمَى .

التشوق من كلام المتأخرين :

نسخة كتاب من ذلك، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة؛ وهو بعد الصدر:

لَا زَالَ الدَّهْرُ يَقْضِي خِدْمَهُ، وَيُمِضِي رَأْيَهُ وَسَيْفَهُ وَقَلَمَهُ، وَيَرْضَى الدُّوَلُ الشَّاكِرَةَ تَقْدِيمَهُ فِيهَا وَقَدَمَهُ؛ وَلَا بَرَحَتْ الْأَقْدَارُ الْمُعْرَبَةُ تُجْزِمُ أَمْرَهُ وَتَكْسِرُ ضِدَّهُ وَتَرْفَعُ عِلْمَهُ؛ تَقْبِيلًا إِذَا لَمْ تُتْرَبِ التَّمَمَةَ، وَإِذَا أُودِعَ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ التُّرْبِ خَتَمَهُ .

وَيُنْهِى مُوَاطَبَتَهُ عَلَى 'وَلَاءٍ لَا يَنْسَخُ الْبُعْدُ مُحْكَمَهُ، وَدُعَاءٍ يَقَابِلُ الشُّجُومَ وَلَا تَقْطِيعَ مِنَ الْقَبُولِ إِدْرَارَاتِهِ الْمُنْجَمَةَ .

وَيُنْهِى أَنَّهُ سَطَّرَهَا عَنْ شَوْقٍ يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُنُوبَ فِيهِ سَعَى الْقَلَمِ، عَنْ سَعَى الْقَدَمِ، وَأُرْتِيَاجِ إِلَى الْقُرْبِ الَّذِي بَأَنَسَهُ يُؤَسِّسُهُ أَنْوَارًا عَلَى أَعْلَى عِلْمٍ؛ وَتَطْلُعِ لِمَعَاوِدَةِ الْأَخْبَارِ أَوْفَى مِنْ تَطْلُعِ الْعَامِرَى إِلَى مُعَاوِدَةِ أَيَّامِ ذِي سَلَمٍ، وَتَعَلُّلِ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

بَعَثْتُ لَكُمْ سَوَادًا فِي بَيَاضٍ * لِأَنْظُرَكُمْ بَشْيَاءَ مِثْلِ عَيْنِي !

وهيأت! أَيْنَ نَظَرَاتُ الْحُرُوفِ الْمَرْقُومَةِ مِنْ نَظَرَاتِ الْعُيُونِ الرَّامِقَةِ، وَأَيْنَ مَنَالُ السُّلُوفِ مِنْ شَجْوِ يَقُولِ : * أَعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٍ *

ما يَحْسُبُ المملوكُ من النظرِ إلَّا ما يَمَلُّ العَيْنَ من ذلك الوجهِ الكريمِ ، ولا يَلْبَسُ من خَلَعِ الأيامِ إلَّا ما يَحِيطُ الأهدابُ على شَبَابِ ذلك القُربِ الرِّقِمِ ؛ وعلى ذلك فقد جَهَّزَهَا المملوكُ على يَدِ فلانٍ ، وحَمَلَهُ من رسائلِ الشُّوقِ ما يَرْجُو أَنْ يَنْهَضَ فيه بأعْياءِ الرِّسَالَةِ ، وَيَسْأَلُ الإِصْغَاءَ والمُلاحَظَةَ فيما تَوَجَّهَ فيه وإنْ أدَّتِ الأُمَالِي إلى المَلَالَةِ ؛ واللهُ تعالى المسْئُولُ أنْ يَبْلُغَ في آمِنِدَادِهَا مَوْلَانَا الأُمْنِيَّةَ ، وَيَنْمَعَ الدُّوَلُ منه بهذه البَقِيَّةِ النِّقِيَّةِ ، إنْ شاء اللهُ تعالى .

نسخة كِتَابِ في المعْنَى عن نائِبِ الشَّامِ ، إلى القاضِي علاءِ الدين بن فضْلِ اللهِ ؛ كاتِبِ السَّرِّ بالأبوابِ السلْطانيةِ ، من إنْشاءِ الشَّيْخِ جمالِ الدين بن نُباتَةِ أيضًا ؛ وهو بعد الأُلُفَابِ .

لا زال قَلَمُهَا مِفْتَاحَ الرِّزْقِ لَطَالِيهِ ، واجْهَ لكَاسِيهِ ، وَالظَّفَرِ لِمُسْتَنِيبِ كُتُبِهَا عن كُتَابِهِ ، والنُّجُجِ لرائِدِ مُطالِبَةِ الدَّهْرِ بعد المَطَالِ بِهِ ، ولا بَرَحِ البَأْسِ والكَرَمِ يَتَحَدَّثَانِ عن بَحْرِهَا ولا حَرَجَ عن عَجَائِبِهِ ؛ ثَقِيلًا تَغِيْطُهُ في مَرَايِعِهَا ، تُغَوِّرُ الأَزَاهِرَ ، لا بَلْ تُحْسِدُهُ في مَطَالِعِهَا ، تُغَوِّرُ الزَّوَاهِرَ .

وَيَنْهَى بعدَ دَعَاءِ أَحْسَنَتْ فِيهِ الأَلْسَنَةُ وأَخْلَصَتْ الضَّمَائِرُ ؛ وَوَلَاءِ وَثَاءِ لَهَا مَصَاعِدُ التَّجْمِينَ إلَّا أَنْ هَذَا في القُلُوبِ واقعٌ وَهَذَا في الآفاقِ طائرٌ - أَنَّهُ جَهَّزَ هَذِهِ الخِدْمَةَ مُعْرِبَةً عن شَوْقٍ يَتَجَدَّدُ ، وَارْتِياجٍ لا يَتَعَدَّى ولا يَتَعَدَّدُ ، سَاعِيَةً عَنْهُ بِخَطَوَاتِ الأَفْلامِ ، أَنْ مَنَعَ الوَقْتَ خَطَوَاتِ الأَقْدَامِ ، نَائِبَةً في تَقْيِيلِ الأَنَامِلِ الَّتِي تُسْتَسْقَى دِيْمُهَا على القُربِ والبُعدِ ولا كَيْدَ ولا كَرَامَةَ لِلغَامِ ؛ وَجَهَّزَهَا على يَدِ فلانٍ بعدَ أَنْ حَمَلَهُ من رسائلِ الشُّوقِ ما لَمْ يَحْمِلْنَا من إِحْسَانِهِ لِيُنْضَى عَقُودُ الأَنْجَمِ لو تَعَدَّدَتْ ، وَمَفَاتِيحَ أَبْوَابِهِ لَتَنَوُّوا بِالمُصْبةِ أُولَى القُوَّةِ لو تَجَسَّدَتْ ؛ وهو بين يَدَيْهِ يَقْدُمُ نَجَواها ، وَيَسْتَشْهِدُ

بالخاطر الكريم قَبْلَ حُضُورِ دَعْوَاهَا ، والمسئُولِ إصْغَاءُ السَّمْعِ الكَرِيمِ إِلَيْهِ ،
والمَلاحِظَةُ فِيمَا تَوَجَّهَ فِيهِ مَتَكَلِّلاً عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْهِ ؛ وَإِذَا عَادَ مَشْمُولاً بِعَنَايَةِ مَوْلَانَا
المَعهُودَةِ ، مَكْفُولاً بِرِعَايَةِ المَقْصُورَةِ عَلَى نَجْحِ الآمَالِ المَدُودَةِ ، فليُنْعَمَ عَلَى المَمْلُوكِ مِنَ
المَشْرِفَاتِ الكَرِيمَةِ بِمَا يَسْكُنُ عَلَى جَوْرِ البُعْدِ خَوَاطِرَهُ الدَّهْشَةَ ، وَيُعِينُهُ عَلَى الوَحْشَةِ
الَّتِي حَرَّكَهَا نَحْوَهُ البِعَادُ فَهِيَ الوَحْشَةُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُهُمْ مَوْلَانَا غَائِبٌ وَحَاضِرٌ ؛
وَشَافِعاً لِرَسَائِلِ خَدَمِهِ وَنَظِيرَاهُ ، وَيُحْصِ بَابَهُ العَلَوَى بِسَلَامٍ كَسَلَامِ سَقِيطِ الطَّلِّ عَنْ
وَرَقِ الغُصْنِ نَاضِراً .

آخِرُ مِنْ كَلَامِهِ : كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ رُؤَسَاءِ مِصْرَ .

وَيُنَبِّئُ أَنَّهُ سَطَّرَهَا مُعَرِّبَةً عَنْ شَوْقٍ مُقِيمٍ ، وَعَهْدٍ لَا يُبْرَحُ عَلَى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ ؛
وَأَرْتِيَاجِ لِحَنَائِهِ ، أَوْ لِكِتَابِهِ ، لِيَتَلَوَّا لِنَصَاتِ تَجْوِهِ : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ » . مُتَطَلِّعاً لِمَا يَرِدُ مِنْ أَخْبَارِ مَوْلَانَا السَّارَةِ البَازِئَةِ ، مَرْتَقِباً لِأَنْبَاءِهِ أَرْتِقَابَ
الرُّهْيَةِ الفَاغِرَةِ إِلَى ضَرْعِ النِّعَامِ الدَّارَةِ ، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَمَتَّى الْمَرْءُ بِذِكْرِهِ ، وَكُلُّ مَا يَقْتَرَحُ
عَلَى الدَّهْرِ يَمْلِكُهُ ، لَفَنَى بِقُرْبِ المَخَاطَبَةِ ، عَنْ بُعْدِ المَكَاتِبَةِ ، وَأَسْتَجْلَى كَوَكَبِ الجَمَالِ
المُشْرِقِ وَأَقْصَرَ فِي لَيْلَى الِاتِّظَارِ عَنِ المَرَاقِبَةِ . وَقَدْ جَهَّزَهَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، وَحَمَلَهُ مِنْ
رَسَائِلِ الشَّوْقِ أَوْفَى وَأَوْفَرَ مِنْ رَسَائِلِ الصِّفَا ، وَسَأَلَ الإِصْغَاءَ وَالمَلاحِظَةَ مِنْ مَوْلَى
بَكَارِهِ النِّيلِ مَعْرُوفِ المَنَافِعِ وَالْوَفَا ؛ وَلَا مَالِ المَمْلُوكِ بِمَشْرِفَاتِهِ وَأَوَامِرِهِ جَمَالٍ حِينَ يُرِيحُ
وَحِينَ يَسْرَحُ ، وَحِينَ يَقْتَصِرُ عَلَى مَقْتَرَحَاتِ الأَيَّامِ حِينَ يَشْرَحُ ؛ فَيُنْعِمُ مَوْلَانَا بِمَوَاصِلَتِهَا
عَلَى هَذِهِ المَقْدَمَةِ ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَارَاتِ صَلَاتِهِ المُنْجِمَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُعْذِرُ
المَمْلُوكَ فِي حَالِ كَرَمِهِ : إِمَّا أَنْ يُفِيضَ فِي القُرْبِ بَحْرَهُ وَإِمَّا أَنْ يَبْعَثَ عَلَى البُعْدِ دِيمَةً .

وله إلى كاتب السر :

أعلى الله أمرَ قلمها على الأَقلام ، وأدام بفيض أنامله عليه بسَطَ كلمة الإسلام ،
وراع بكتائب كتبه العدا إذا أنتبهوا ، فإذا أغفوا «سَلَّتْ عليهم سِيوفها الأحلام» .

ولا زالت تلك الأَقلامُ العالية في تلك اليدِ الكريمة إن لم تكن من المنشآت
فإنها من المنشآت في البحر كالأعلام ؛ تقبيل مواظب على دُعاء يطلع طلوع طُرة
الصبح تحت ذلك الظلام ، وولاء إذا اعتبر الخاطر الكريم مسعاه وخدمته :
(قال يابشرأي هذا غلام) .

وينهى أنه جهَّز هذه الخدمة مقصورةً على وصف الأشواق الممدودة ، وجوانح
الشَّجو المعهودة ؛ وأنفاس التدكُّر التي لولا شرف مذكورها لم تكن عنده من
الأنفاس المعدودة ؛ فيالها مقصورةً على شوق ما فيها غير طيور الجوانح خفاقة الجناح ،
سبَّاقة الأرياح ؛ ويا لها أنفاس ذكر أغنت منادمتها عن كَيْس كأس وأقتراح
وقت راح ؛ ويا لها ورقة فازت بمشافهة لثم اليد الشريفة فكُرمَتْ وصفا ، ونأت
عن نخار الروض عطفاً ؛ وأستطابت بشفاه السُّطور على تلك البنان رشفاً :

وسَطَّرتها والجسمُ أنحل ما يرى * فياليتني أصبحت في طيها حرفاً

واصلةً إلى الباب الكريم بسلام وصل عبقه قبل ماوصلت ، واردةً على يد فلان
وقد حمل من رسائل الصفاء والود مثل ماحملت ، وحصلت على القرب ويا أسفى
على ماحصل وحصلت . والمملوك يسأل الإصغاء إليها وإليه بفضل النظر والسمع ،
والإنعام على الحبِّ المفارق بمشرفات تجلُّو عليه أيام جمع ؛ وتعينه على أوقات وحشة
إذا وصفها المشتاقون وأقلامهم ولَّوا وأعْيَنهم تفيض من الدمع ؛ لا يبرح ذكر مولانا
علياً ، ويره بملء الآمال ملياً ، ووصفه بالتقى وسحاب الجود على الحالين ولياً :



يَأْمِنِيَّةَ النَّفْسِ وَيَا مَالِي * مُذْغِبَتَ عَنِّي لَمْ تَنْمِ مُقْلِي !
 إِنَّ نَيْتَ عَنِّي بَرَعْنِي فَقَدْ * سَكَنْتَ فِي قَلْبِي وَفِي مُهَجَّتِي !
 لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَلَا أَخْلَى مِنْ كَرِيمِ مَسَاعِدَتِهِ ، وَجَعَّ شَمْلُ الْأُنْسِ
 بِخُدْمَتِهِ .

المملوك يشكو من المولى فراقاً أوجب له على نفسه فراقاً ، وجيش صدود منحه
 من العزائم طوائف وفراقاً ؛ وداء صباية كلباً تربى الإفران^(١) منه ازداد تلهاً وحرقة ،
 ووجوب قلب تحتم لغيبته ووجب ، ودمع عين يحومها عبر عنه لسان قلمه
 أو كتب ، وقد أطل المجر تألمه وعته ، وأطارسيته ولبه ؛ مذ وصل المولى غيره
 وقطع عنه كنبه ، والمولى يعلم أن المملوك لفظ والمولى معناه ، وسعده شخص وأنت
 وجهه الميمون ويمناه ؛ فيواتر إرسال مكاتباته ، ويخيف بمأثوره ولباناته ؛ ويعطر
 بذكره الجميل الأماكن ويُسَنِّف المسماع ، كما شرف بحلولة فيها الأضالع ؛ والله
 يديمه ويمده بالإسعاف والإسعاد ، وينصره على الأضداد والحساد :



أُقَاسِي مِنْ بَعْدِكَ مَا أُقَاسِي * وَقَلْبُكَ رَاحِمٌ وَعَلَى قَاسِي !
 وَأَعْمَلُ مِنْ نَوَاكٍ بَضْعِ نَفْسٍ * عَنَاءٌ يُعْجِزُ الشَّمَّ الرَّوَاسِي !
 وَتُبْعِدُنِي وَأَمْرُكَ إِنْ أَتَانِي * جَعَلْتُ مَحَلَّهُ عَيْنِي وَرَاسِي !

(١) أى البرء مصدر أفرق العليل إفرافاً إذا برأ من علته . انظر اللسان ج ١٢ مادة ف رق .

قَرَّبَ اللهُ أُوْبَتَهُ، وَجَمَّلَ رُؤْيَتَهُ؛ وَحَرَسَ نَفْسَهُ مِنَ الْغَيْرِ وَالْحَادِثَاتِ، وَصَانَ حِجَابَهُ
الْمَنِيعَ عَنِ الْمَلَمَّاتِ الْمُؤَلِمَاتِ؛ وَجَمَّلَ الْأَيَّامَ بِوُجُودِهِ، وَالْأَنَامَ بِجُودِهِ. وَلَا زَالَتِ
الدُّنْيَا بِهِ تَجَمُّلَهُ، وَأَعْنَاقُ أَسْنَانِهَا لِمَنِّهِ مَتَحَمُّلَهُ .

صدرت هذه الخدمة إلى خدمته متضمنة إهداء سلامه، وشاكية لغيبته جور
أيامه؛ ومُنْهية شدة أسواقه التي أفنت بالصباية قلبه، وأذهبت حُشاشته ولُبه؛ وهى
في ذلك نائبة مناب سائر الخدم، ومعبرة عن ألسنة الأقاليم بلسان القلم؛ فإن الأعين
متطلعة إلى رؤيته، والقلوب متعطشة إلى قُفُولِهِ وَرَجْعَتِهِ؛ كما تنطلع إلى السماء عيون
النرجس، وتتعطش الرِّياض إلى الواابل القَدَق بعد اليوم المحرُّ المشمس؛ فالمولى
يجعل مواصلته بأخباره فرضاً لازماً، ويمتنع من إغفاله كما يمتنع من لذة الطعام إذا
كان صائماً؛ فإن المولى هو صورة الجود ومعناه، وبيته الكريم فناء الخير ومعناه؛
والناس مالم يروك أشباه، حرسه الله وتولاه، وضاعف علاه، والسلام .



يَا أَجْمَلَ النَّاسِ سَنَاءً وَسَنًا * جَفْتُ جُفُونِي لِحَفَاكَ الْوَسَنَا!

نِمَارَ آلاَمِ الْإِلَامِ أَجْتَنِي؟ * يَا لَيْتَنِي أَعْلَمُ خَطِي مَا جَنَا؟

وَأَتُمُّ يَا أَهْلَ بَابِ لَعْلِعٍ * مُدُّ يَدَيْكُمْ لَمْ أَرِ شَيْئًا حَسَنًا!

أَقُمُّ بِمُنْحَنِ أَضَالِعِي * وَسِرُّمِ يَا أَهْلَ وَادِي الْمُتَحَنَّا!

فِي بُعْدِكُمْ مَتَيْتِي لَا تَتَّبِعُوا * وَقُرْبِكُمْ غَايَةُ سُؤْلِي وَالْمُنَا!

خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ إِرَادَتَهُ؛ وَأَثَّلَ نَجْدَهُ، وَأَدَامَ سَعْدَهُ؛ وَأَعَذَّبَ
مَنْهَلَهُ وَرَدَّهُ .

المملوكُ يَتَشَوَّقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَى أَنْبَاءِهِ، وَيُصِفُ شَدِيدَ أَشْوَاقِهِ وَصَبَابَتِهِ، وَحَيْنَهُ إِلَى مَشَاهِدِ الْمَوْلَى وَمَشَافَهَتِهِ، وَمَا يَجِدُهُ لَذْلِكَ مِنْ أَلَمٍ فِي جَوَارِحِهِ الْجَرِيحَةِ، وَسَقَمٍ فِي جَوَانِحِهِ الصَّحِيحَةِ، وَيَلْتَمِسُ مَوَاصِلَتَهُ بِكُتْبِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَأَخْبَارِهِ السَّارَةِ لِيَتَضَاعَفَ لَهُ مَزِيدُ الْإِسْتِشَارَةِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ بَنَارُ الصَّابَةِ قَدْ وَقَدَّ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَلَى [بُعْدِهِ] فَقَدْ فَقَدَ؛ وَمَتَى وَرَدَ كِتَابُ الْمَوْلَى شَفَى الْغَلِيلَ، وَأَبْلَّ الْعَلِيلَ، وَنَجَّى طَعْمَ الْحَيَاةِ وَنَجَّى التَّأْمِيلَ؛ فَلْيَصْبِرْ وَتَرْمِكَاتِهِ شَفَعَا، وَلَا يَجْعَلْ لَوْصِلِهِنَّ قِطْعَا؛ وَاللَّهُ يَمْنَحُ عَيْشَهُ خَفْضًا وَمَكَانَهُ رَفْعًا، وَالسَّلَامُ.



شعر في معنى التشوق :

قَدْ كَانَ لِي شَرْفٌ يَصْفُو بِرُؤْيَيْكُمْ * فَكَدَّرْتَهُ يَدُ الْأَيَّامِ حِينَ صَفَا

غيره :

كَبَّتُ ^(١) لِلْكَتَابِ مَجَلَّدٌ * عَلَى أَنَّهُ قَبْلِي بَلْقِيَاكَ يَسْعَدُ

النوع السادس

(فِي الْإِسْتِرَارَةِ)

قال في "موادّ البيان" : رِقَاعُ الْإِسْتِرَارَةِ إِنَّمَا تَشْتَمِلُ عَلَى وَصْفِ حَالَاتِ الْأَنْسِ وَمَجَالِسِ اللَّذَّاتِ، وَمَشَاهِدِ الْمَسَرَّاتِ . قال : وَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُودِعَهَا حُلُوَ الْأَلْفَاظِ، وَمُؤَنَقَ الْمَعَانِي وَبَارِعَ التَّشْبِيهَاتِ، وَيُبَالِغَ فِي تَشْوِيقِ الْمَسْتَرَارِ إِلَى الْحُضُورِ، وَيَتَلَطَّفُ فِيهِ أَحْسَنَ تَلَطُّفٍ .

(١) بياض في الاصل ولعله "وشوق للكتاب الخ" .

(٢) لعله مجالات كما لا يخفى .

وهذه نسخ من ذلك :

على بن خلف :

رُفِعْتِ - أطل الله بقاء سيدي - ومجلسي بمن حله من خدمه ، ونزله من صنائع كرمه ؛ فلك مزين بأنجحه ، فإن رأى أن يُطلع فيه بدرًا بطلوعه وينقل قدمه إليهم ، ويكمل نقصهم بتمامه ؛ ويضيف ذلك إلى تليد إنعامه ، فعل ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

قد انتظم لنا - أطل الله بقاء سيدي - مجلس رقت حواشيه ، وتبسمت راحه عن حجب ، كلالتي على ذهب ، وقامت فيه سوق السرور ، لا يكسدها إلا تخلفه عن الحضور ؛ فإن رأى أن يكمل جدلنا بإطلاع طلعت علينا ، ويصدق ظننا بنقل قدمه إلينا ؛ سر وأبهج ، وتمم من الإحسان ما أجدج ؛ إن شاء الله تعالى .

وله : هذا - أطل الله بقاء مولانا - يوم صفيق الظل ، رقيق غلالة الطل ؛ قد ترقعت شمسُه ببرج أنسه ، وأقتر جدلاً عن مضاحك برقه ، وترتم طرباً بزجرجة رعدِه ؛ ووشت مدارج نسيمه ، بأرج شميمه ، وقام على منابر السرور يخطب أبنه الكرم لأبناء الكرام ، وينادي بأعلى صوته : حي على المدام ؛ فقد وجب على كل موثقٍ لأجتناء ثمار السرور ، والتحف عطف الحبور ؛ أن يلبي دعوته ، وينتهز فرصته ؛ ويعوضه من شمس الآفله ، براج لإظهار ما أخفى من شعاعها كافله ؛ ويقفه على التملّي بالكاس والنثمان ، ويعمله سلكاً ينتظم فيه الإخوان . ورُفِعْتِ هذه صادرةً إلى مولاي وقد تهيا لنا مجلس من مجالس الأئس ، يسقط تجعد النفس

(١)

فيه بَغْمٌ وَنَغْمٌ ، وَمِزْهَرٌ وَزَهْرٌ ، وَخُلَّانٌ قَدْ تَرَضَّعُوا لِإِنَّ الْعُقَارَ ، وَتَسَاهَمُوا تَقَلَّ
الْوَقَارَ ، وَتَجَمُّعُوا فِي مَعَارِكِ الْخَمَارِ ، وَأُدْمِنُوا عَلَى الْمُسَاةِ وَالْإِيْتِكَارِ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا
الْمَجْلِسَ مَعَ تَمَامِهِ مُتَحَدِّجٌ ، وَعَلَى كِمَالِهِ مُتَخَلِّجٌ ؛ لُبْعُدُ مَوْلَايَ الْحَالِ مِنْهُ مَحَلُّ الْوَاسِطَةِ
مِنَ النَّظَامِ ، وَالْأَزْوَاجِ مِنَ الْأَجْسَامِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُكْجَلُ مِنْهُ مَا نَقَصَ ، وَيُمِيطُ عَنْهُ
[مَا نَقَصَ] فَلْيَجْمَلْنَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْنَا ، وَالطُّلُوعِ عَلَيْنَا ؛ وَإِعْفَانَا مِنْ إِحْجَارِ الْإِنْتِظَارِ ،
مَعْتَدًا بِذَلِكَ فِي كَرِيمِ الْأَيْدِي وَالْمَبَازِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - يَوْمٌ أَعْرَسَ فِيهِ الْجَلُوفُ بِالْجَارِيَةِ الْبَيْضَاءِ
تَحْفَرُهَا ، وَحَجَّجَهَا بِسَجْفِ الْعَامِ وَسَرَّهَا ؛ وَاخْتَالَ أَخْتِيَالُ الْمَعْرَسِ فِي مَعْرَسِهِ ، بِمُصَنَّدِهِ
وَمُحْسِكِهِ وَمُورِسِهِ ؛ وَاتَّخَذَ مِنْ ذَهَبِ الْبَوَارِقِ نِثَارًا ، وَاسْتَنْطَقَ مِنْ زُنَارِ الرُّوَاعِدِ
أَوْتَارًا ؛ وَدَعَا إِلَى حُضُورِ لَيْمَتِهِ ، وَالسَّرُورِ بِمَسَرَّتِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَلْبِي طَلِبَ هَذَا الْيَوْمِ
الصَّفِيقِ ، وَيَتَمَتَّعَ بِعَيْشِهِ الرَّافِعِ الرَّفِيقِ ؛ فَلْيُطْلِعْ عَلَيْنَا طَلْعَتَهُ الَّتِي تَبْهَرُ الْقَمَرَ الْمُزْهِرَ ،
وَتَصْدَعُ اللَّيْلَ الْمُعْتَكِرَ : لِيُنْهِضَ غُرَّةَ الْإِصْبَاحِ ، بُغْرَةَ الرَّاحِ ، وَيَقْطِفَ ثِمَارَ الْأَنْسِ
وَالْمَحَاضِرِ ، وَيَتَمَلَّى بِالسَّمَاعِ وَالْمَذَاكِرِ ؛ وَيَأْخُذَ بِحُطِّ مَنْ لَذَاذَةِ الْفَيْحَةِ الشَّيْبَةِ بِشَائِلِهِ ،
وَيُعَدَّ ذَلِكَ مِنْ مَبَارِهِ وَفَوَاضِلِهِ ؛ [فَعَلَ] إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في الاستدارة في بُسْتَانِ :

كَتَبْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - وَقَدْ غَدَوْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ [إِلَى] بُسْتَانِي وَالطَّيْرِ
فِي الْأَوْكَارِ ، وَالْأَنْدَاءِ تَهَيَّطُ كَالْتِّيَارِ ؛ وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الصَّبَاحِ ، أَشْتَمَالُ الْأَدْهَمِ

(١) هو بالفتح وبالفهم وبالتحريك ما يتناقل به على الشراب . أنظر اللسان ج ١٤ .

(٢) في الأصل « أبطل » ولعله من تصحيف النسخ .

على الأوضح؛ عازماً على مشارفته ومُشارفة ما استمددت من عمارته، لا للخطوة فيه
بمعاطة المدام، ومؤانسة الندام؛ حين سرحت الطرف في ميادينه وجداوله، وأقبلت
على تصفح حلاه وحلله؛ رأيت مناظره تتللق القلوب اعتلاق الأشرار، وتعتاق
المستوفز عن الحرار؛ وتقيم قاعد المزاج والنشاط، وتوقظ هاجد الفرح والأنسباط:
فمن أشجار كالآوانس، في رينجاني الملبس؛ حالية من مؤشع الزهر والثمر، بأنصع
من الياقوت والجوهر؛ كأنما تحفلت لاجتلاء عروس، أو معاطة كئوس؛ ما بين
تحليل قد نشرت عذب السندس على ذراها، وأطلعت طلعا كأنه ناجر غشيا صداها؛
ونارنج يحل أكبر العقيان، أو وجنات القيان؛ وأترج قد استعار ثمره أشواق العشاق،
إذا صالت عليهم يد الفراق. ومن ريسان زاهية بنشرها، وقضها مختالة في ملبس
زهرها؛ ونرجسها كمين محب حدق إلى الحبيب؛ وثني جيده خوف الرقيب، إذا
عبث به النسيم جمع بين كل قضيب وإلفه، وسعى بالاعتناق من شوقه وكلفه؛
ووردها كبدها ين ياقوت فيها نضار، وشقيقها كدمات عقيق فيها صوار؛ وبنفسجها
نقد تمضي فيه من القرص آثار؛ أو جام لجين عليه من الندى نثار. ومن أنهار قدت
حافاتها قد الأديم، وحدث على صراط مستقيم؛ ببحرة مسجوره، كالسيوف المشهورة
أو المهارق المنشورة؛ إذا نحمشها الهوى خلغ عليها متون المبارد، أو سلوخ الأسود؛
يتخرق ذلك كله نسيم رقيق الغلائل، حلو الشائل؛ يسعى بالنسيم، في المعاطس
والشميم؛ انصبت إلى مجلس فسيح البناء، ضيق الاقناء؛ مؤش الجدران والسماء،
في صدره شاذر وان يرني بكسر البلور، وفي وسطه نهر ينساب ماؤه أنسياب

(١) الريضان والرياض جمع الروضة .

(٢) الصوار والصوار « أى بالضم والكسر » الرائحة الطيبة والقليل من المسك أنظر ج ٦ - ص ١٤٧

الشَّجَاعَ الْمَذْهُورَ ، وَتَوَسَّطُهُ بِرُكَّةٍ مُمْنَمَةٍ يَنْصَبُ الْمَاءَ إِلَيْهَا بِالدَّوَالِي إِلَى أَرْبَعِ شَاذِرَوَانَاتٍ ، وَيُخْرِجُ عَنْهَا مِنْ أَرْبَعِ فَطِيمَاتٍ ؛ يَحْتَفُّهَا كُلُّ شَجَرٍ مُثْمَرٍ ، وَرَوْضٍ مُزْهِرٍ . فَقُلْتُ : هَذَا الْمَرَادُ الَّذِي يُحِطُّ بِهِ الرَّائِدُ رَحَلَهُ ، وَيُوفِدُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ؛ وَيَدْعُو إِلَى اخْتِيَارِ مَنْ يَهْبُ إِلَى السُّرُورِ ، وَيُسَاعِدُ عَلَى الْحُضُورِ ، لِلشَّارِكَةِ فِي التَّمَلُّيِّ بِهَيْجَتِهِ ، وَالتَّمَتُّعِ بِنَضْرَتِهِ ؛ فَكَانَ مَوْلَايَ أَوَّلَ مَنْ جَرَى إِلَيْهِ ذِكْرِي ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ طَرْفُ فِكْرِي : لِأَنَّهُ السَّاكِنُ فِي قُودَادِي ، الْحَالُ فِي مَحَلِّ رُقَادِي ؛ فَإِنْ رَأَى أَرَاهُ اللَّهُ مَا يُقَرُّ الْعَيْنَ أَنْ يُكْمَلَ مَسَرَّتِي بِنَقْلِ قَدَمِهِ إِلَيَّ ، وَإِطْلَاعِ سَعْدِ طَلْعَتِهِ عَلَيَّ : لِيَتِمَّ مُحَاسِنَ مَا وَصَفْتُهُ ، وَيَكْمَلَ الْاِتِّلَازَ بِمَا شَرَحْتُهُ ؛ فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَجُوبَةُ رِقَاعِ الْأَسْتِزَارَةِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : لَا يَخْلُو الْمُسْتَرَارُّ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى الْحُضُورِ أَوْ التَّنَاقُلِ عَنْهُ ، فَإِنْ حَضَرَ عَلَى الْقَوْرِ ، فَلَا جَوَابَ لِمَا نَفَذَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ وَعَدَ الْحُضُورَ وَتَلَوَّمَ لِيَقْضِيَ شُغْلًا وَيَحْضُرَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى سُرُورِهِ بِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْهُ ؛ وَأَنْ تَلُومَهُ لِلْعَائِقِ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ حُضُورَهُ يَشْفَعُ رُقْعَتَهُ . وَإِنْ أَيْسَ مِنَ الْحُضُورِ ، وَجِبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى مَا يَمْهَدُ عُذْرَهُ ، وَيَقَرَّرُ فِي نَفْسِ مُسْتَرِيرِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنِ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى الْأَنْسِ إِلَّا لِقَوَاطِعِ صِدَّتْ عَنْهُ ، يَعْلَمُ الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ صَحَّتْهَا لِيَنْحَرَسَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَوَدَّةِ ، فَإِنْ كَثُرَا مَا تَنْفَاسِدُ الْخُلَاقِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ .

النوع السابع

(في آخِطاب المودّة وافتتاح المكاتبّة)

قال في "موادّ البيان" : الرّقاع الدائرة بين الإخوان في آخِطاب المعاشرة ، وأنتماء المكاتره ، وطلب الخلطة والمؤانسة ، يجب أن يقدّر الخطاب فيها على أن يصل المرغوب في عشرته إلى الانخراط في سلك أجبائه ، والانحياز إلى أهل ولّائه ، ويبعث على قصده ، في الالتحاق بؤده ، ويدلّ على المحاصه ، والصّفاء والمخالصه ، وما جرى هذا التجزى مما يتعامل به أخلاء الصّدق ، ويجعلونه مهراً لما يتمسّونه من الممازجه ، ويرومونه من الاختلاط والمواشجه .

قال : وينبغي أن يذهب الكاتب في هذه الرّقاع مذهبا لطيفا ، ويحسن التوصل إلى الإفصاح عن أغراضها : ليأخذ بجامع القلوب ، ويعين على نيل المطلوب .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة : وينهى أنّ المملوك لم يزل مُدّ وقع طرّفه على صورته ، ووجّ سمعه بعد شيمته ، يُناجى نفسه بافتتاح مكاتبته ومراسلته ؛ وآخِطاب ممازجته ومواصلته ؛ رغبة في الاعتقاد بإخائه ، والارتشاف من مشارع صفائه ؛ والمقادير تطوى الطوية على ما فيها ، والعوائق تحطّل النيّة بنجّاز ماثويه وتلويها ، إلى أن أذن الله تعالى بإعراض الأعراض ، وأتقباض أسباب الاتقباض ؛ فاطهر المملوك ما في القوه ، واثقا من مولانا بحسن المروء ، وأنه يوجب القبول بإجابته ، ويوجب إلى مساعدته ؛ ويرضى المملوك أهلا لأصطفائه ، ومحلا لإخائه ؛ علما بإيجابه للحق ، والمعرفة بالسبق ؛ وأن تلقى هذه الرغبة بالقبول ، ويسلم إليها مفتاح المأمول .

رقعة : لو كانت المودّة لا تحُصّل إلّا عن ألفة تالدة ، ومواصلّة سالفة ؛ لم يستطِفِ المرءُ صفيّا ، ولم يستحدِث وليّا . وما زال البُعداءُ يتقاربون ، والمتناكرون يتعارفون ؛ ولما نُميَ إلى الملوك من أنباء مولانا ماتصوّعِ عطره ، وطلب نشره ؛ سافر بالأمل إليه ، وقدم بالرغبة عليه ؛ طالبا الانخراط في سلك أوليائه ، والاختلاط بخاصّته وخُصّصائه ؛ ومثل مولانا من أجاب السؤل ، وصدّق المأمول ؛ والملوك يرجو أن تكشف الأيام لمولانا منه عن خُلة صادقة ، ومودّة صحيحة ، لا تضيع معها إجابته ، ولا تحسر صفقته .

رقعة : ويُنهي أن الملوك مازال مُدّ وقع طرفه على صورته البدريّة ، وأحاط علما بخلائقه المرضيّة ؛ راغبا في مواشجته ، باعنا نفسه على آخطاب مودته ، وإكباره يُعده ، وإعظامه يُبيعه ؛ فلما تطاول يراع همته ، شجعت على إنفاذ عزّ مته ؛ فقدم مكاتبتّه أمام مشافهته ؛ فإن حظى بالإجابة وتحويل الطليبة ؛ فقد فاز قدحه ، وتبلّج صُبحه ؛ ونال مُناه ، وبلغ رضاه ، وصادف هناء ، وديدا موثوقا بؤده ، مسكونا إلى عقده وعهده ؛ يحمده عند الاختبار ، ويعرف به صحّة رأيه عند الاختيار ؛ والملوك يرجو أن يصحّ ماسأله وكفّله ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : ويُنهي أن من عمر الله تعالى بثنائه المحافل ، وعطر بأنبائه الفضائل ؛ وأقام من مساعيه الكرام خطيبا يخطب بسودده وفضله ، ويعرب عن شرف محمّده وأصله ؛ تطلّعت الآمال للانتظام في سلك أحبائه ، وتشوّفت الهمم إلى الامتراج بخصّصاته وأوليائه : لما يصفو على المعتصم بعريّ مُصافاته من لباس بحاله ، ويحلّ المعتبى إلى ولّائه من حلّ جلاله ؛ وأحقّ من أسعفه مولانا بالمودّة إذا خطبها ،

وأجابه إلى المصافاة إذا طلبها ؛ مَنْ بدأه بالرَّغْبَةِ ، ومَتَّ إليه بالحَبَّةِ ، لا لِمُرْغَبٍ ولا مُرْهَبٍ ، واختاره لنفسه على عِلْمٍ بِكَماله ، ومعرفةٍ بِشَرَفِ خِلاله .

وما زال المملوكُ مُدًّا أطلعه الله على ما خُصَّ به مولانا من المحاسن المتعدِّدة إلاَّ لَدَيْهِ ، والفضائل المتَّبعة إلاَّ عَلَيْهِ ؛ يُحَوِّمُ على مَشَارِعِ مِمَارَجَتِهِ ولا يَرُدُّهَا ، وَيُرْوِمُ مواقعَ مُوَاشِجَتِهِ ولا يَعْتَمِدُهَا ، إِكْباراً لقدره ، وإِعْظاماً لخطره ، وخَوْفاً من تَصَفُّحه وتَقْده ، وإِبْقَاءً على ماءٍ وَجْهِهِ من رَدِّهِ ، والمملوكُ وإن كان عالماً بأنَّ كَرَمَ مولانا يَرِيقُ الخَلَلَ ، وَفَضْلَهُ يُصَدِّقُ الأَمَلَ ؛ فَإِنَّهُ لا يَعمَدُ مَذْ رَغِبٍ في قُرْبِ مولانا ما لَعَلَّهُ يَجِدُهُ فِيهِ ، مِمَّا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ وَيُنَافِيهِ ؛ إِذْ كَانَ لا يَبْلُغُ تَضَاهِيهِ في التَّامِّ وَتَوَافِيهِ ، إِلَى أَنْ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ أَبْلَغَ نَفْسَهُ الأُمْنِيَّةَ ، وَأَظْهَرَ مَا طَوَّيْتُ عَلَيْهِ الطَّوْيَةَ ؛ فَكُتِبَ هَذِهِ الرُّقْعَةُ وَجَعَلَهَا فِيما رَأَيْتُهُ مِنَ الإِعْتِلَاقِ بِجَبَلِ مَوَدَّتِهِ سَفِيْراً ، وَعَلَى مَا أَلْتَمَسَهُ مِنَ الانْضِمَامِ إِلَى جُمْلَتِهِ ظَهِيْراً ؛ وَقَدِّمَ بِهَا عَلَيْهِ وَظَنَّهُ يَتَرَجَّحُ مِنَ الإِعْرَاضِ إِلَى القَبُولِ ، نَفَقَةً بِقُرْبِ نَيْلِ المَأْمُولِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى ما سَأَلَهُ ، وَيُسَرِّهَ بِتَنْوِيلِ ما اقْتَرَحَهُ ، فَعَلْ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

اختطاب المودَّة ومفاتحة المكاتبة من كلام المتأخرين :

الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَة :

وضاعف للمالك ببقائه الإِتِّفَاعَ ، وبأَرْتِقائِهِ الإِرْتِفَاعَ ؛ وَسَرَّ بِحَاسِنِ نَظَرِهِ وَخَبَرِهِ العِيَانَ والسَّمْعَ .

ولا زال للحجَّين من وَدِّهِ عَطْفُ المتلَطِّفِ ولِلْأَعْدَاءِ مِنْ بَأْسِهِ خَطْفُ الشُّجَاعِ .
أصدرها المملوكُ مَنْطُويَةً على ما عَهِدَ مِنْ صِدْقِ الحَبَّةِ ، وَوَفَاءِ العُهُودِ المُسْتَتَبَةِ ؛ وَدُرَرِ

الحامد التي لا تُسوى^(١) لديها دُررُ العقود حبه ، مُبديةً لعلمه الكريم أنَّ المودَّات إذا صِفَتْ ، والقلوب إذا تجنَّدَتْ وتعارَفَتْ ؛ حنَّت المحبِّين في العباد على المفاتيح بكتبهم ورسائلهم ، والمخاطبة في ظلال الأوراق بالسنة أقلامهم من لهوات أناملهم ؛ إثارة لتجديد الأُنس وإن صحَّ الميثاق ، وتدَّكاراً لخواطر الودِّ ، وإن رَسَخَتْ منه الأصول ونَمَتِ الأعراق ؛ ولذلك فاتحَ بها مخاطبا ، وأرتَقَبَ لمُنَادِيها بالأخبار السارة مُجاوبا ؛ نائبةً عنه في مشاهدة الوجه الكريم ، ومصاحبة اليد في حديث رِّها القديم ؛ تستطلع أخباره ، وتستعرض أوطاره ؛ وتُحيي بالسلام وجهه وعَهْدَه وديارَه ، على يد فلان ، وقد حَمَلَ من المودَّات والمشافهات ما يُعيدُه على السَّمْع الكريم المُنعم بإصغائه ، المُصنَّعي بِنِعْمائه ؛ المتحفِّ بالمِهْمَات التي يحصل فوزُ القيام بها ، والمشرفات التي كُلُّ أسباب السُّرور متصلٌ بسببها ، والله تعالى يُبهِج من تلقائه سَمْعاً ونظراً ، ويُبقِي عيشَ حاسده هَشِيماً وعيشَ محبِّيه نَضْراً ؛ ويُديم رياضَ ذكره تاليةً على المسامع : ﴿فأخرجنا مِنْهُ خَضراً﴾ .

أجوبةُ أختطابِ المودَّة

قال في "موادَّ البيان" : لا يخلو مَنْ يُرام ذلك منه من أن يُجيب أو يعتلّ ، فإنَّ اجاب بنى الجواب على وقوع رَغْبَةِ المختَطِّب أحسنَ مواقعها ، وأتباع المختَطِّب بها ، ومعرفته بقُدْر ما رآه أهلاً له ومُسارِعته إليه ؛ وإنَّ اعتلَّ بنى الجواب على أنه قد عَرَضَ له ما يقصر عنه ، ولا ترضى نفسه به ، وأنَّ العذر [ليس] بعبادة له في المزايلة ، وطريقة في الانفراد والمجانبة .

(١) أى لا تساوى يقال سوى درهما يسوى من باب تعب ومنهما أبو زيد . أنظر المصباح .

النوع الثامن (في خطبة النساء)

قال في "موادّ البيان" : الرّقاع في التماس الصّهر والمواصلّة يجب أن تكون مبنية على وصف المخطوب إليه بما يقتضى الرّغبة ، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدّي إلى الكفاية والإسعاف بالطلبة .

قال : وينبغى للكاتب أن يؤدّعها من ألفاظ المعاني المتّظمة في هذا الباب أوقعها في النفوس ، وأعودها بتقريب المرام ، وأدّملها على صدق القول فيما تكفّله من حسن معاشرّة ، ولين معاملة ؛ وأن يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز .

وهذه نسخ من ذلك :

مما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

وأفضل تلك المواهب موقعاً والطفها وأحمدها عاقبة ، وأرهنها يداً ، ما يؤلف الله به القربات ، ويؤكد به الحرّمات ؛ ويوجب به الصّلات ، ويحدّد به المكّرمات ، ويحدّث به الأنساب ، ويقوّي به الأسباب ، ويكثر به من القيلة ، ويجمع به من الفرقة ، ويؤسّس به من الوحشة ، ويؤادّ به في الحقوق وجوباً ، وفي المودّات ثبوتاً ، ثم لا مثل لما كان لله طاعة ورضاء ، وبأمره أخذاً وأقتداء ، وبكتابه قدوة وأحتذاء ؛
فإنّه نسأل الحيرة في قضائه ، والبركة فيما يقوم بناؤك عليه .^(١)

ومنه : تَصِلُ رَحْمًا ، وَتَعْقِدُ سَبَبًا ، وَتُحَدِّثُ نَسَبًا ، وَتُجَدِّدُ وَصْلَةً ، وَتَوْكِّدُ أُلْفَةً .

رقعة : مَنْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّ بِهِ سَيِّدِي : مِنْ طَهَارَةِ الْأَعْرَاقِ
وَالْأَنْسَابِ ، وَشَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ ، وَأَفْرَدَهُ بِاجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمُتَفَرِّقَةِ
فِي الْأَنْامِ ، وَعَظَّمَ بَنَاءَهُ مَلَابِسَ الْأَيَّامِ ، رَغِبَ الْأَحْرَارُ فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ بَذْلُ
الْوَجْهِ فِي اخْتِطَابِ مِمَّا رَجَتْهُ ، وَالْتَمَسَ مُوَاشَجَتَهُ وَمُنَاسَبَتَهُ ؛ وَجَدِيرٌ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ،
وَطَلِبٌ مَالِدِيهِ ؛ وَاخْتِيرَ لِلشَّابِكَةِ فِي الْوَلَدِ وَالْحُمَةِ ، وَالْمِشَارِكَةِ فِي الْمَالِ وَالنِّعْمَةِ - أَنْ
يَجِبَ وَلَا يَمْنَعُ ، وَيَصِلَ وَلَا يَقْطَعَ ؛ مُصَدِّقًا لِأَمَلٍ مِنْ أَفْرَدِهِ بِأَرْثِيَادِهِ ، وَتَوْحِيدَهُ
بِاعْتِمَادِهِ ؛ عَارِفًا لَهُ حَقَّ آبْتِدَائِهِ بِالثَّقَّةِ الَّتِي لَا يَحُوزُ رَدًّا مِنْ أَعْتَقِدَهَا ، وَلَا صَدًّا مِنْ
حَسَنَ ظَنِّهَا ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنْ [مَضَى] لِلْمَلُوكِ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ [وَهُوَ يَحْتُ] مُتَطَلِّبًا
مَرْبَعًا لِلتَّاهُلِ ، مُؤَثِّرًا لِعِمَارَةِ الْمَنْزِلِ ، رَاغِبًا فِي سَكَنِ تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ إِلَيْهِ ، وَتَعْتِمِدُ
فِي الْقَوَائِمِ وَالْمَصَائِرِ عَلَيْهِ ؛ وَكُلَّمَا عُرِضَ لِلْمَلُوكِ بَيْتُ أَبَاهُ ، أَوْ ذِكْرُ لَهْجَتِهِ جَنَابٌ قَطَعَ
عَنْ رَجَاهُ : لِعَدَمِ بَعْضِ الشَّرُوطِ الَّتِي يُرِيدُهَا فِيهِ ، وَتَعَدُّهَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَعَ سَمْعَهُ
ذَكَرَ سَيِّدِي ، عَلِمَ أَنَّ الْغَايَةَ الَّتِي لَا مَرْفُقَ بَعْدَهَا ، وَالنَّهْيَةَ الَّتِي لَا مَطْمَحَ وَرَاءَهَا ، وَأَنَّهُ
قَدْ ظَفِرَ بِالثَّقَّةِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأُمْنِيَّةِ ، وَوَجَدَ مِنْ يَجْمَعُ الْخِلَالَ الْمَرْضِيَّةَ وَيَزِيدُ ؛
وَيَحُوزُ مِنَ الْفَضْلِ الشَّأَوَ الْبَعِيدَ ، وَكَتَبَ الْمَلُوكُ هَذِهِ الرِّقْعَةَ خَاطِبًا كَرِيمَةً فَلَانَةً
[لِيَكُونَ لَهَا] كَالْفِئْمَدِ الضَّامِنِ لِلْهَنْدِ ، وَالْخِلْدِ الْحَافِظِ لِلْجَلْدِ ؛ وَيَكُونُ لِمَوْلَانَا كَالْوَلَدِ
الْبَرِّ أَبِيهِ ، وَلَأَخِيهَا كَالصَّنْوَ الشَّفِيقِ عَلَى أَخِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَى سَيِّدِي أَنْ يَتَدَبَّرَ مَا كَتَبَهُ
الْمَلُوكُ وَيَسْمَعَ مِنْ تَوْكِيدِ رُقْعَتِهِ مَا حَمَلَتْهُ ، وَيَجِيبُهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ فَلَهُ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ ؛
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رُقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَوْلَانَا بِمَا تَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَحَاسِنِهِ وَمَنَاقِبِهِ ، جَدِيرٌ أَنْ يَلْقَى مَنْ خَطَبَ الْأَعْتَصَامَ بِعُرَى مَازَجَتِهِ ، وَسَعَى فِي نَيْلِ عُلُقِهِ مِنْ مُوَاشَّجَتِهِ ، بِالتَّجَبُّولِ ، الْقَاضِي بَيْنَ الْمَأْمُولِ ، وَدَرَكِ الرَّغْبِ وَالسُّوْلِ ؛ وَلَا سِيَّماً إِذَا كَانَ عَارِقًا مِنْ سُموِّ خَطَرِهِ ، وَاعْتِلَاءِ قَدْرِهِ ، مَا يُقْضَى عَلَيْهِ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ فِي مَعَاشَرَتِهِ ، وَغَضِّ الطَّرْفِ فِي مَعَامَلَتِهِ ؛ وَالْوُقُوفِ دُونَ دَرَجَةِ الْمَسَاوَةِ وَالْمِثَالَةِ ، وَالتَّرَجُّحِ عَنْ رُتْبَةِ الْمُبَارَاةِ وَالْمُطَاوَلَةِ ؛ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْأَتْبَاعِ وَالْحَاشِيَةِ ، وَالْحُدُودِ وَالْغَاشِيَةِ ؛ وَكَثِيرًا مَا وَجَدَ الْمَمْلُوكُ الْبَرَكَةَ فِي مِشَارَكَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْفَرُ مِنْهَا فِي مِشَارَكَةِ النَّظَرَاءِ ، وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ فِي مِشَابَكَةِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ أَجْمَلُ مِنْهَا فِي مِشَابَكَةِ الْأَكْفَاءِ ؛ الَّذِينَ يُصَادِفُونَ فِي الْحَقُوقِ شَطَطًا ، وَلَا يُغْضُونَ عَنْ يَسِيرِ الْوَاجِبَاتِ تَبَسُّطًا : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْوَصْلَةَ مِمَّنْ دَانَاهُمْ فِي الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ لَيْسَتْ عَائِدَةً عَلَيْهِمْ بِشَرَفٍ ، وَلَا مُظْهِرَةً لَهُمْ مِنْ نُحُولٍ . وَلَئِنْ يَسْتَخْلَصَ مِثْلُ سَيِّدَى مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، مِثْلُ الْمَمْلُوكِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَيَخْتَصَّصَ بِأُتْرَةِ الْإِجْتِبَاءِ وَالْإِصْطِفَاءِ ؛ فَيَكُونُ مَفْخَرُهُ إِلَيْهِ مَنْسُوبًا ، وَمَا يَرْقِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِبَرَكَتِهِ مِنْ دَرَجِ الْفَضْلِ فِي نَفْسِهِ مُحْسُوبًا ؛ أَوَّلَى مِنْ طَلَبِ مُمَائِلٍ يَنَاقِشُ بِقَدْرِهِ وَيُطَاوِلُ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ طَلَبَ ذَلِكَ لَطَلَبَ مُعْوِزًا ، وَرَامَ مُعْجِزًا : لِمَا أَفْرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ السِّيَادَةِ الَّتِي لَا يُتْرَاقُ إِلَى مَنْزِلَتِهَا ، وَلَا يُتَسَامَى إِلَى مُطَاوَلَتِهَا ؛ وَإِذَا كَانَ النَّظِيرُ مَعْدُومًا ، وَالْكُفُوُ مَفْقُودًا ؛ وَلَوْ وَجِدَ لَمَالَ مَتَسَلِّطًا ، وَوَقَعَ سُومُهُ مَتَبَسِّطًا ؛ وَمَوْلَانَا يُطَلَّبُ إِلَيْهِ وَلَا يَطْلُبُ ، وَيُرْغَبُ فِيمَا عِنْدَهُ وَلَا يَرْغَبُ ، فَقَدْ سَهَّلَ السَّبِيلُ إِلَى مَا يُرِوْمُهُ الْمَمْلُوكُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَيُؤْثَرُهُ مِنْ مُوَاسَلَتِهِ ؛ وَاتَّسَعَ الْحَجَالُ فِيمَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي تَقْلِيدِهِ شَرَفِ مُصَاهَرَتِهِ ، وَإِضَافَتِهِ بِذَلِكَ إِلَى يَطَانَتِهِ وَأَهْلِ خَاصَّتِهِ ؛ وَيُخْرِجُهُ عَلَى مَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ الْوَالِدُ وَلَدَهُ ، وَالسَيِّدُ عَبْدَهُ ؛ وَقَدْ حَمَلَ الْمَمْلُوكُ مُوَصَّلَ

(١) لعله يشير إلى المثل العربي «عرض عليه سوم عالة» يضرب لمن يمرض عليك ما أنت عنه غني تأمل .

مطالعة هذه مالم تسع إيداعه المكاتبه ، فإن رأى مولانا أن يصنعي إليه ويحبب عبده بما يعتمد المملوك في ذلك فله الفضل ، إن شاء الله تعالى .

رقعة : وينهى أن لذوى المناجب الطيبة الأنساب ، والمناحت الزكية الأحساب ، والأخلاق الكريمة والآداب ، بين الأنام لسان صدق يخطب لهم بالمحسن والمحامد ، ويعطر بثنائهم الصادر والوارد ، ويدعو القلوب إلى نيل علقه من ممازجتهم ، وأتمسك بطرف من مواصلتهم ، وقد جمع الله لمولانا من كريم المتلد^(١) والمطرف ، وقديم وحديث الفضل والشرف ، ماتفرق في السيادات ، وتوزع على أهل الرياسات ، وجعله في طهارة المولد ، وطيبة المختد ، وأستكمال الماتر ، وأستتمام المفارح ، علما ظاهرا ، ونجما زاهرا ، فما من رئيس سوى مولانا تعجزه حلة من خلال الرياسة إلا وجدها لديه ، ولا نفيس تعوزه خصلة من خصال النفاسة إلا أستمحها من يديه ، ولذلك أمتدت الأعناق إلى أتمسك بحبله ، وتطلعت الهمم إلى مؤانستته في كريم أصله ، وصار مرغوبا إليه لارغبا ، ومطلوبا لديه لاطالبا ، وهو جديرا بما وهبه الله من هذا الفضل الذائع ، والنبل الشائع ، أن يحبب سائله ، ويصدق أملة ، ولا يتجهم في وجه قاصده ، ولا يرده عن مقصده ، ولا سيما إذا كان قد أسلفه الظن الجميل ، وبدأه بالثقة والتأويل ، وتعذر عليه قدر العارف بقدره ، العالم بخطره ، المرتضى بشرائطه ، النازل على حكمه ، المتدبر برأيه ، وقد علم الله تعالى أن المملوك مذنبا نشأ وصالح للتأهل مرغوب فيه ، مخطوب إليه ، من عدة جهات جليلة ، وجنات رئيسة ، والمملوك صاذا عن الإجابة ، صارفا عن المطاوعة : لشذوذ بعض الشروط التي يروم أن تكون مجتمعة في النسب ، الذي أعده شريكا في الولد والنسب ،

(١) المتلد (أى كرم) ما ولد عندك من مالك أو نتج وما لم يولد قديم .

ومفاوضاً في الحال والسبب؛ مرتاداً من يقنع بالمواقفه، ويرتض، بالعشرة والمراقفه؛ حتى أفضى في الانتقاد إلى مولانا فوجد المراد على اشتراط، وألقى المقصود على اشتطاط؛ فدعاه ذلك إلى التهجم بعد الإحجام، وحمله على التجاسر والإقدام؛ والتوسل إلى مولانا بما يتوسل به الأحرار، إلى الأخيار، وأمه بصادق الرغبة وصميم المحبة والانبساط، في خطبة كريمته فلانة؛ على أن يعاشرها بغاية الأئس، ويصحبها ضحبة الجسد للنفس؛ ويعرف لها من قدر أبوتها وأمومتها ماتستحق برياستها، وقد أصدر هذه الرقة نائبة عنه في ذلك؛ فإن رأى مولانا أن يتحققه بالقبول، ويجعله أهلاً لإجابة السؤل، فله الفضل في ذلك؛ إن شاء الله تعالى.

ومن النادر الغريب ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل" في الكتابة إلى شخص في تزويج أمه، وهو:

هذه المكاتبة إلى فلان - جعله الله ممن يؤثريه على الهوى، وينوي بأفعاله الوقوف مع أحكام الله تعالى فإنما لكل أمرئ ما نوى؛ ويعلم أن الخير والخيرة فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن الشر والمكروه فيما طوى؛ نعرض له بأمرٍ لا حرج عليه في الإجابة إليه؛ ولا خلل يلحقه به في المروءة وهل أخل بالمروءة من فعل ما حصى الشرع المطهر عليه؟ وأظهر الناس مروءة من أبلغ النفس في مصالح حرمه عذرها، ووفى من حقوق أخصن بيه كل ما علم أن فيه رها؛ وإذا كانت المرأة عورة، فإن كمال صونها فيما جعل الله فيه سترها، وصالح حالها فيما أصلح الله به في الحياة أمرها، وإذا كانت النساء شقائق الرجال في باطن أمر البشرية وظاهره، وكان الأولى تعجيل أسباب العصمة فلا فرق بين أوف [وقت] ^(١) الاحتياج [إلى ذلك]

وآخره ؛ وما جَدَعَ الحلالُ أَنْفَ الْغِيَرَةِ إِلَّا لِيُزَوَّلَ شَمُّ الْحِمْيَةِ ، وَتُنْزَلَ عَلَى حَكَمِ اللَّهِ فِيهَا
 شَرَعَ لِعِبَادِهِ النَّفُّوسَ الْأَيَّيَّةَ ، وَيُعَلِّمُ أَنَّ الْفَضْلَ فِي الْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى
 بَعْضُ الْوَلِيَّةِ ؛ وَإِذَا كَانَ رُ الْوَالِدَةِ أَتَمَّ ، وَحَقُّهَا أَعَمَّ ؛ وَالنَّظَرُ فِي صَلَاحِ حَالِهَا أَهَمُّ ؛
 تَعَيَّنَتِ الْإِجَابَةُ إِلَى مَا يَصْلُحُ بِهِ حَالُهَا ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ بَالُهَا ، وَيَتَوَقَّرُ بِهِ مَالُهَا ، وَيَعْمُرُ
 بِهِ فَنَآؤُهَا ؛ وَيَحْصُلُ بِهِ عَنْ تَقْلُدِ الْمَنِّ أَسْتِغْنَاؤُهَا ، وَتُحْمَلُ بِهِ كُلْفَةُ خَدَمِهَا عَنْهَا ،
 وَتُدْفَعُ بِهِ ضَرُورَاتُ الْأَبْدِ لَدَوَاتِ الْحِجَابِ وَالْمَجَالِ مِنْهَا ، وَيَضْفَوْ بِهِ مِسْتَرُ الْإِحْصَانِ
 وَالْحَصَانَةِ عَلَيْهَا ، وَيُظْهَرُ بِهِ سِرُّ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ لَهَا مِنْ تَتَبُّعِ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا .

وقد تقدّم من ساداتِ السَّلفِ مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ لَوَالِدَتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَاعْتَدَّهُ مِنْ أَسْبَابِ
 رِيُومِهِ الَّذِي قَابَلَ بِهِ مَا سَلَفَتْهُ إِلَيْهِ فِي أُمِّهِ ؛ عَلِمَا مِنْهُمْ أَنَّ اسْتِكْمَالَ الْبِرِّ مِمَّا يُعَلَى
 قَدَرِ الْمَرْءِ وَيُعَلَى ؛ وَقَدْ أَجَابَ زَيْدُ بْنُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ هِشَامًا مِمَّا سَأَلَهُ : لِمَ زَوَّجْتَ
 أُمَّكَ بَعْدَ أَبِيكَ ؟ فَقَالَ : لَتُبَشِّرَ بآخرِ مِثْلِي ، لِأَسِيَّاءِ الرَّاعِبِ ^(١) [إِلَى الْمَوْلَى] فِي ذَلِكَ
 مَنْ يُرْغَبُ فِي قُرْبِهِ ، وَيُغَبَطُ عَلَى مَالِدِيهِ مِنْ نِعَمِ رَبِّهِ ؛ وَيَعْظَمُ لِاجْتِمَاعِ دُنْيَاهُ وَدِينِهِ ،
 وَيُكْرَمُ لِمَنْ نَقِيَّتِهِ وَجُودِ يَمِينِهِ ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعَقِيلَةَ تَحُلُّ مِنْهُ فِي أَمْنٍ حَرَمٍ ، وَتَسْتَظِلُّ
 مِنْ ذَرَاهِ بِأَضْفَى سُتُورِ الْكَرَمِ ، مَعَ أَرْتِفَاعِ حَسَبِهِ ، وَأَشْهَارِ نَسَبِهِ ، وَعُلُوِّ قَدَرِهِ
 فِي مَنْصِبِهِ وَحَالِهِ وَسَبِيهِ ، وَأَنَّهُ مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يُحَلَّ مِنَ الْمَوْلَى حَمْلٌ وَالِدِهِ ، وَأَنْ يَتَجَمَّلَ
 مِنْ دُرِّيَّتِهِ بَمَنْ يَكُونُ فِي الْمِلَلَاتِ بَنَانًا لِيَدِهِ وَعَضْدًا لِسَاعِدِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ ،
 وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ بِحَكَمِ الْحَاجَزِ لَفْظُ الْعُمُومَةِ ، فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ ؛ وَأَنَا أَتَوَقَّعُ
 مِنَ الْمَوْلَى الْجَوَابَ بِمَا يَجْمَعُ شَمْلُ التَّقَى ، وَيُعَلِّمُ بِهِ أَنَّهُ تَخَيَّرَ مِنَ الْبِرِّ أَفْضَلَ مَا يُتَّقَى ؛
 وَيَتَحَقَّقُ بِفَعْلِهِ أَنَّ مِثْلَهُ لَا يَهْمِلُ وَاجِبًا ؛ وَلَأَمْرِ مَا قَالَ الْأَحْنَفُ وَقَدْ وُصِفَ بِالْأَنَانَةِ :
 لَكِنِّي أَتَعَجَّلُ أَنْ لَا أَرْدُّ كُفُوءًا خَاطِبًا .

النوع التاسع

(في الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار)

قال في "موادّ البيان" : المكتبة في استعطاف الرؤساء ، وملاطفة الكبراء ، تحتاج إلى حُسن تأت : لما تشتمل عليه من إيجاب حقوق الخدمة ، وما أسلفوه من مرعى الخدم ، وما يتبع هذا من التنصل والاعتذار الذي يسأل السخائم من القلوب ، ويستنزّل الأوغار من الصدور ، ويُطلع الأنس وقد غرّب ، ولها موقع في تأليف الكلام .

قال : وينبغي للكاتب أن يستعمل فيها فكره ، ويوفّيها حقها من جودة الترتيب ، واستيفاء المعاني ، وأن يذهب إلى استعمال الألفاظ الجامعة لمعاني العذر ، الملوحة بالبراءة مما قُرف به ؛ ولا يُخرج لفظه مُحرج من يُقيم الحجة على براءة الساحة مما رُمي به ، فإنّ ذلك مما يكرهه الرؤساء : لأنّ عادتهم جارية بإيثار اعتراف الخدام لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالفروض : ليكون لهم في العفو عند الإقرار عارفة توجب شكرا مستأنفاً ، فأما إذا أقام التابع الحجة على براءته وسلامته مما رُفع عنه ، فلا يوضع الإحسان إلا إليه في إقراره على منزلته ، والرضا عنه والاستعطاف ، بل ذلك واجب له ، في منعه منه ظلم .

(١) في الاصلين «مما قرب منه» وهو تصحيف من النسخ .

(٢) المراد أن إقراره والرضا عنه ليس من الاحسان بل من الواجب تأمل .

وهذه نسخ من ذلك :

لأبي الحسين بن سعد :

فإن رأيت أن تنظر في أمرى نظراً يُشبه أخلاقك المرضية ويكونُ لحسن ظنى بك مصداقاً، ولعظيم أملى [فيك] محققاً، ولما لم تزل تعدنيه منجزاً، ولحق حُرمتى بك وقديم اتصالى بأسبابك قاضياً، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

ومنه : لسليمان بن وهب .

من أنصرف في الاحتجاج إلى الإقرار بما يلزمه وإن لم يكن لازماً، فقد لطف الاستغفاف، وأستوجب المسامحة والإنصاف .

ومنه : وقد نالني من جفوة الأمير بعد الذي كنتُ أتعرف من ربه وألطافه أمرٌ أحلني محلَّ المذنب في نفسى مع البراءة من الذنب ، وألزمى الإساءة مع الخروج من التقصير، وزاده عندى عظماً وشدةً أتى حاولت الخروج منه بالإعتذار، فلم أجِدْلى إلى الأمير ذنباً أعذر منه ، ولا على فيما ألزمنى من معيبتة حجةٍ أحاول دفعها والتخلص منها؛ فأصبحتُ أعالجُ من ذلك داءً قد خفى دواؤه، وأحاول صلاح أمرى لم أجِنِ فساده؛ فإن رأيت أن تفعل كذا وكذا فصِلَ قديم ما أصبح عندى من معروفك بحديثه ، فليس عندى في مطالبة حجةٍ أنجح من التوجه إلى الأمير بنفسه ، والثقة عنده بفضله، فإن كنتُ مُذنباً عفاً، وإن كنتُ بريئاً راجع .

ومنه : لأبى على البصير .

وأنا أحد من أسكته ظلك، وأعلقتَه حبلك ، وحبوته بلطف برِّك ، وخاصَّ عيانتك، وانتصف بك من الزمان، وأستغنى بإخائك عن الإخوان؛ فهو لا يرغب

إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَنْجِحُ طَلَبُهُ إِلَّا بِكَ ، وَقَدْ كَانَ فَرَطَ مَنْ
قَوْلٌ : إِنْ تَأَوَّلْتَهُ لِي ، أَرَاكَ أَوْجَهُ عُدْرِي ، وَقَامَ عِنْدَكَ بِحُجَّتِي ، فَأَغْنَانِي عَنْ تَوْكِيدِ
الْإِيمَانِ عَلَى حُسْنِ نَيْتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَى ، أَحَاقَ بِي لِائِمَّتِكَ وَحَبْسِنِي عَلَى [أَسْوَا]
حَالِ عِنْدَكَ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ مَعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْوَجْدَةِ ، عَائِدًا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ،
فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقَرَّرَ عَيْنًا قَرَّتْ بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تُسَلِّبْنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي ، وَأَنْ تَقْتَصِرَ
مِنْ عَقُوبَتِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَالَني بِسَبَبِ عَثْبِكَ عَلَيَّ ، وَتَأْمُرَ بِتَعْرِيفِي رَأْيِكَ بِمَا
يُطَافِئُ هَلَعِي ، وَتُسَكِّنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ بِهِ رُوعِي ، فَعَلْتُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لابی الحسین بن أبی البغل .

نُبُو الطَّرْفِ مِنَ الْوَزِيرِ دَلِيلٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ عِنْدَهُ ، وَالْجَفَاءُ مِنْ عَوْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْهُ
شَدِيدٌ ، وَقَدْ أَسْتَدَلْتُ بِإِزَالَةِ الْوَزِيرِ إِيَّايَ النَّحْلَ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُنِي بِتَطَوُّلِهِ ، عَلَى مَا
سُوِّتَ لَهُ ظَنًّا بِنَفْسِي ، وَمَا أَخَافُ عَثْبًا : لِأَنِّي لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا ، فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنَّ
يُقَوِّمُنِي لِنَفْسِي ، وَيَدُلَّنِي عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنِّي ، فَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لأبی الربیع .

أَصْدَقُ الْمَقَالِ ، مَا حَقَّقَهُ الْفَعَالُ ، وَأَفْضَلُ الْخَبَرِ ، مَا صَدَّقَهُ الْأَثَرُ .

ومنه : لِمَوْلَانَا سِيرَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا أَمَلَهَا أَمَلٌ إِلَّا جَادَتْ وَسَخَتْ
وَمَتَحَتْ ، وَعَوَائِدُ فِي الْعَفْوِ مَارَجَاهَا رَاجٍ إِلَّا صَفَحَتْ وَسَمَحَتْ ، وَأَحَقُّ مَنْ تَلَقَّاهُ
عِنْدَ الْعِتَارِ ، بِالْإِقَالَةِ وَالْإِغْتِفَارِ ، وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ حَدِّ التَّقْوِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلَمْ يُعْرِضْهُ

لنقيصة الإقضاء والإطراح، مَنْ شَقَّ الحَقْوَةَ بِالْإِعْتِذَارِ، وَخَطَبَ التَّعَمُّدَ بِلِسَانِ
 الْإِقْرَارِ؛ وَدَلَّتِ التَّجَارِبُ مِنْهُ عَلَى حَسْمِ الْأَضْرَارِ؛ وَكَانَ لَهُ مِنْ سَالِفِ الْخِدْمِ سَائِلُ
 وَذَرَائِعُ، وَمِنْ صَحِيحِ الْإِخْلَاصِ مَمَّهْدٌ وَشَافِعٌ؛ فَلَا تَحْجَبُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ يَهْفُو فَيَعْفُو،
 وَيَظْلِمُ فَيَكْظِمُ، وَيَجْهَلُ فَيَعْلَمُ، وَيُخْطِئُ فَيُصِيبُ، وَيَدْعُو مُتَنَصِّلًا فَيُجِيبُ؛ وَقَدْ جَعَلَ
 اللَّهُ سَهْمَهُ الْمَعْلَى، وَيَدَهُ الطُّوْلَى، وَأَلْهَمَهُ التَّفَضُّلَ بِالْإِنْعَامِ، وَالتَّغْيِصَ عَنْ زَلَّاتِ
 الْكِرَامِ؛ وَقَدْ حَصَلَ لِلْمَمْلُوكِ فِي هَذِهِ النُّبُوَّةِ مِنْ إِزْرَائِهِ عَلَى عَقْلِهِ، وَتَقْيِيحِهِ لِفِعْلِهِ؛
 أَعْظَمُ تَجْرِبَةٍ، وَأَكْبَرُ مَادَّةٍ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ إِحْسَانَ سَيِّدِي أَنْ يُعِيدَهُ إِلَى رِضَاهِ
 وَلُطْفِهِ، وَيُؤْنِسَ مِنْهُ مَسْتَوْحِشَ إِقْبَالِهِ وَعَظْفِهِ؛ وَيَصَدِّقَ رَجَاءَهُ فِيهِ، وَيُجْزِلَ
 ثَوَابَ وَفَادَتِهِ عَلَيْهِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

رقعة : الْمَمْلُوكُ يُخْطِبُ صَفْحَ سَيِّدِهِ وَإِقَالَتَهُ بِلِسَانِ الْاِغْتِفَارِ، وَيَسْتَعِيدُ
 مَا عَرَفَ مِنْ رِضَاهِ وَعَاطِفَتِهِ بِوَسَائِلِ الْاِغْتِذَارِ: لِيَكُونَ الْمُتَفَضِّلُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ،
 وَالْمُنْعِمَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ؛ وَقَدْ عَرَفَ السُّهُوَ وَالنَّسِيَانَ، الْمُعْتَرِضِينَ لِلْإِنْسَانِ؛ وَأَنْهَمَا
 يَحُولَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، وَيُزَوِّرَانِ عَلَيْهِ خَطَاةَ فِي صُورَةِ صَوَابِهِ؛ فَيَتَوَرَّطُ فِي السَّقَطِ
 غَيْرَ عَامِدٍ، وَيَتَهَوَّرُ فِي الْغَلَطِ غَيْرَ قَاصِدٍ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ
 فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾. وَمَا أَوْلَى مُوْلَانَا بِأَنْ يُحْفَظَ
 عَلَى الْمَمْلُوكِ جَمِيلُ آرَائِهِ، وَلَا يَسْلُبَهُ مَا شَبَّهَ مِنْ ظِلِّ آلَانِهِ؛ وَلَا يَسِمَهُ بِمِيسَمِ الْعُقُوقِ
 فَإِنَّهُ يَجِدُ نَفْسَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ فِي طَاعَتِهِ، وَمُرْتَبَتِهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الرِّتَبَةِ فِي خِدْمَتِهِ.

فصل : وَقَدْ آوَى سَيِّدِي الْمَمْلُوكُ مِنْ ظِلِّهِ، وَأَعْلَقَهُ مِنْ حَبْلِهِ، وَأَسْنَعَ عَلَيْهِ
 مِنْ فَضْلِهِ، مَا أَنْصَفَهُ بِهِ مِنَ الزَّمَانِ، وَأَغْنَاهُ عَنِ الْإِخْوَانِ، وَوَقَّفَ رَغْبَاتِهِ عَلَيْهِ،
 وَصَرَفَ أَمَالَهُ إِلَيْهِ، وَنَزَّلَهُ مَنَزِلَةً مَنْ لَا يَشْكُ فِي أَعْتِقَادِهِ، وَلَا يَسْتَرِيبُ بِوَدَادِهِ؛ وَكَانَ

المملوك أرسل لفظاً على سبيل الإشفاق ذهب به الحاسد إلى غير معناه ، وخالف في تفسيره حقيقة مغزاه ، وأحاله عن نيته ، وعرضه عليه على غير صورته : ليوحش محل المملوك المانوس من رعايته ، وينقر سر به المطمئن بملاحظته وعنايته ، وقد أرسل المملوك هذه العبودية سائلاً في نحو إظلام موجدته ، وأن يعيد المملوك إلى مكانه من حضرته ، إن شاء الله تعالى .



لا أتوسل إليك إلا بك ، ولا آتيك إلا من بابك ، ولا أستشفع إليك بسواك ، ولا أكل رجعة هোক إلا إلى هোক ، ولا أنتظر إلا عطفتك التي لا تقودها زخارف الأموال ، ولا تعيدها شفاعات الرجال :

إذا أنت لم تعطفك إلاشفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع

شعر في معنى ذلك :

هبنى تحطيت إلى زلة * ولم أكن اذنبت فيما مضى !

أليس لي من قبلها خدمة * توجب لي منك سبيل الرضى !

غيره :

وحقك ما هجرتك من ملال * ولا أعرضت إلاخوف مقت !

لأن طبائع الإنسان ليست * على وفق الإرادة ككل وقت !

اعتذار عن التأخر ، من ترسل أبى الحسين بن سعد .

إن لم يكن في تأخرى عنك عذر تقبله ، فاجعله ذنباً تغفره .

على بن خلف :

الأعذار - أطل الله بقاء سيدي - تنأى على الامتناع ، ونضيق على الاتساع ؛
وذلك بحسب ما تُصادفه من قبول ورد ، ومساحة ونقد ؛ وأنا أحمد الله على أن
جعل عُذري إلى من يتمحل العذر للعذر ، ويصفح صفح المالك المقتدر ، كما
اتم بقول الشاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالاً لزلة عذرا

ولم يجعله إلى من يغلب هاجس الظنون ، على واضح الحجة ، ومعتل الشك على
صحيح اليقين . ومي إلى أن غابط المكنى من حضرته ، حسدني على محلي من
مودته ، وزور ما ينكشف عن الإفك والبهتان ، ودلس الكذب في صورة البرهان ؛
فلما جلاه في معارض زخارفه أظهر لسيدى عواره ، وأبدى لطرفه شواره ؛ فشَلَّ
سمعه عن وعيه ، وطرف طرفه عن رعيه ؛ وأستمَّ عَلَانِمْ شِمِيته ، في حُسن الظنِّ
بأحبته ؛ فقدمت من الاعتذار ما يقدمه المذنبُ نَزولاً على طاعته ، وتأدباً في خدمته ،
وشفاعة من الشكر بما يقتضيه إحسانه ويوجهه .

أبو الفرج البيهقي :

أحقُّ المعاذير بالتقبل وأولها بسعة القلوب ما صدر عن استكانة الأقدار ، ودَلَّ
على حَسَمِ موادِّ الأضرار ، وصفاً من كَدَرِ الإحتجاجات ، وتَنَزَّهَ عن تمحلِّ الشبهات ؛
ليخلص به ملكُ العفو ، وتكاملَ نعمة التجاوز . ولستُ أكره شرف تأديبه ، ونبل
تثقيفه وتهذيبه ؛ ما لم يتجاوز في العقوبة والتقويم إلى مؤلم الإعراض ، ومضيق

(١) أى عيبه وشل سمعه أى طرده والمراد أنه لم يصغ إليه .

التنكر والإقباض ؛ ولا أخطبُ الإقالة من تفضله إلا بلسان الثقة وشافع الخدمة ،
 هارباً إلى سعة كرمه مما دفعني المحبة إليه ، وأشفى بي عدم التوفيق عليه ؛ فإن رأى أن
 يكون عند أحسن ظني به في الصّفح ، كما هو عند أصدق أمل في الإنعام ، فعَل .
 وله في مثله :

ليس يَحُلُو الإغراق في التنصّل والمبالغة في الاعتذار من إقامة الحجّة ، أو تمسك
 باعتراض شبهة ، وأنا أجل ما أخطبه من عظيم عفوه ، وأكبر ما أحاوله من نعمة
 تجاوزه ؛ عن المقابلة بعين الاعتراف بالزلل وبعد الإستهقاق من الصّفح ، ما لم يُوجِبْ
 لي بسعة تأوله ، ويعدّ عليّ فيه بعداد تفضله : لتصفّو منه الأعضاء ، وتلزمي
 واجبات الشكر والثناء ؛ غير ممتنع مع ذلك من التبرّي إليه مما أنكره من تجاوز السهو
 إلى العمل ، والتوجه إلى ما فرط بالاختيار والقصد اللذين يُغفّر بتجنّبهما مذموم
 الأفعال ، ويتعمد سيّئ الأعمال ؛ فإن رأى أن يجعل أمرى فيما قصدتني الأيام بتوجه
 الظنون فيه على غير النية لظاهر الفعل ، إذ كانت صفات الإنسان بالأشهر من
 أخلاقه والأكثر من أفعاله ، ولا صفة لي أعرف بها وأنسب إليها غير الاعتراف
 بإنعامه ، والتطاول من اصطناعه ، آخذاً من كلّ حال بالفضل ، ومشفقاً بسطة
 الرياسة والتبّل .

وله في مثله :

لست أخلو في المدة التي تجاوز الدهر لي عنها في خدمته من توصّل بقرط
 الاجتهاد ، إلى ما وصل من رأيه إلى رتبة التقبّل والإحماد ؛ وليس يحبط ما أتيتُه من
 مرضى الخدمة بالنية والعمد بما لعله قرط من غير مُراد ؛ إذ كان - أيده الله بفائض

طَوَّلَهُ ، وَمَأْثُورَ فَضْلِهِ - أَخَذًا مِنْ آدَابِ اللَّهِ بِمَا أَحَاكَمَهُ مِنْهُ : ^(١) « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ » . و [لو] لَا يُبَارَى مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ وَاسْتِكَانَةِ الْإِعْتِدَادِ ؛ وَأَنْ لَا أُخْطَبَ رِضَاهُ بِلِسَانِ الْإِحْتِجَاجِ ، وَلَا أُلَمِّسَ عَقْوَهُ بِوُجُوبِ الْإِسْتِحْقَاقِ : لَتَسَلَّمَ لَهُ صِفَاتُ التَّفَضُّلِ ، وَلَى مَوَاتُ الْإِعْتِرَافِ بِسَالِفِ التَّطَوُّلِ ؛ لِبَرَهْنَتِهِ عَلَى سَلَامَتِي بِمَا قُصِرَ عَلَى تَبَوُّجِهِ الظُّنُونُ وَاعْتِرَاضِ الْأَوْهَامِ ؛ وَلَا أَقُولُ بِشَعَثِ النَّيْسَةِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَحْفَظَ مَا أَبْتَدَأَهُ مُحْتَارًا مِنْ أَصْطِنَاعِي بِمَا يَصُورُهُ عَنِ التَّنَكُّرِ ، وَيَصُورَتِ عَادَتِي فِي شُكْرِ ذَلِكَ وَالْإِعْتِدَادِ بِهِ عَنِ الْفُتُورِ وَالتَّغْيِيرِ ، فَعَلَّ .

أجوبة الأسترضاء والاستعطاف

قال في "موادّ البيان" : لَا يَخْلُو الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَقْبَلَ الْعُذْرَ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمَوْجِدَةِ وَيَرْفُضَ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ حُجَّةٍ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ قَبِلَ الْعُذْرَ ، وَجَبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابُ عَلَى وُصُولِ الْكِتَابِ ، وَالْوُقُوفِ عَلَيْهِ ، وَالتَّاقِبِلِ لِمَا تَضَمَّنَهُ ، وَتَبَرُّئِهِ الْمُعْتَذِرِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، وَالْإِقْيَادِ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ وَالْإِفْرَارِ ، إِكْرَامًا لَخُلُوتِهِ عَنِ التَّهْمَةِ ، وَلِلوَدَةِ عَنِ الظَّنَّةِ : فَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي أَوْجَبَ الْعُذْرَ لَوْ صَدَرَ مِنْهُ ، لَأَقْتَضَى وَدَادَتَهُ التَّأَوُّلَ لَهُ بِأَنَّهُ مَا صَدَرَ إِلَّا عَنْ بَاطِنٍ سَلِيمٍ وَمَصْلَحَةٍ أَوْجَبَتْهُ . قال : وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يُجَابُ بِهِ مَنْ قَبِلَ عُذْرَهُ فَقَطْ : لِأَنَّهُ يَحْجُوزُ أَنْ يَجِبَ بِأَنَّهُ قَدْ قَبِلَ الْعُذْرَ ، وَصَفَحَ عَنِ الْجُرْمِ ، عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ . وَإِنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى الْقَصْدِ ^(٢) ، بَنَى الْجَوَابُ عَلَى إِبْطَالِ الْعُذْرِ وَمُعَارَضَتِهِ بِمَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ « إِلَيْهِ » .

(٢) فِي الْأَصُولِ « وَلَا يُبَارَى عَلَى مُفْتَرَضٍ ... لَا أُخْطَبُ الْخ » .

(٣) أَيْ قَصْدَ الْبَصَّةِ وَفِيهِ عَلَى هَجْرِهِ وَلَمْ يَقْبَلِ الْإِعْتِذَارَ .

يقتضيه ؛ والدلالة على خطا المعتذر ، وأنه مما لا يسوغ الصفح عنه ، ولا يليق بالحزم إقالتة .

قال : وهذان معنيان يجلان من العبارة مالا يكاد ينحصر في قول مشروح مبسوط ؛ فضلا عن قول مجمل موجز ، إلا أن المتدرب بالصناعة إذا مرت به هذه الأصول أمكنه التفريع عليها .

النوع العاشر

(في الشكوى - أعاذنا الله تعالى منها)

قال في " مواد البيان " : رِقَاعُ الشَّكْوَى - عَصَمَنَا الله من مُوجِبَاتِهَا - يجبُ أن تكون مَبْنِيَّةً من صِفَةِ الحَالِ المُشْكِيَةِ ، على ما يُوجب المشاركة فيها وَيُقْضَى بالمُسَاعَدَةِ إن أَسْتُدْعِيَتْ عليها ، من غير إغراق يُقْضَى إلى تَطْلِيمِ الأَقْدَارِ وإِحْبَاطِ الأَجْرِ ، وَشَكْوَى المَبْتَلَى بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ويدلُّ على التَّهَالُكِ بِالْجَزَعِ ، وَضَعْفِ التَّمَأْسِكِ وَقُوَّةِ الهَلَعِ ؛ بِأَسْتِيلَاءِ القُنُوطِ والإِيَّاسِ ، وَأَنْ يَشْفَعَ الشَّكْوَى بِذِكْرِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ ، وَالتَّسْلِيمِ إِلَيْهِ ، وَالرِّضَا بِأَحْكَامِهِ ، وَتَوَقُّعِ الفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ ، وَتَلَقُّ آخْتِبَارِهِ بِالصَّبْرِ ، كَمَا تَتَلَقَّى نَعْمُهُ بِالشُّكْرِ ، وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا يَلِيْقُ بِهِ وَيَجْرَى بِجَرَاهِ . قال : وقد يَكْتُبُ الأَتْبَاعُ للرُّؤَسَاءِ رِقَاعاً بِشِكَايَةِ الأَحْوَالِ وَمَسْأَلَةِ النِّظَرِ ؛ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ سَبِيلَ هَذِهِ الرِّقَاعِ أَنْ يُعَدَّلَ بِهَا عَنِ التَّصْرِيحِ بِالشَّكْوَى إِلَى لَفْظِ الشُّكْرِ وَمَعْنَاهُ ، وَطَلَبُ الزِّيَادَةِ وَالْإِلْحَاقِ بِالنُّظَرَاءِ فِي الإِحْسَانِ : لَمَّا فِي إِطْلَاقِ الشُّكَايَةِ ، وَالتَّصْرِيحِ بِهَا مِنْ التَّعْرِيزِ بِإِخْلَالِ الرِّئِيسِ بِمَا يَلْزِمُهُ النِّظَرُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ خَاصَّتِهِمْ وَتَعَهُّدِ مَرَافِقِهِمْ مِنَ الكَفَايَةِ .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة شكوى هموم :

كتب المملوك هذا الكتاب وهو رهين فكري وغم ، وقلبي وهم ، وحليف جوي
قد سكن القلب ، وخوف قد أطار اللب ، وبالله العياد ، وهو الملاذ ، وبيده تحل
العقده ، وبأمره تزل الشده ، وقد ألهم الله سبحانه المملوك صبرا يسر أمره ، وأملا
في الفرج خفف ضره ، وليس بأئس من عطفته ، ولا قانط من نعمته .

رقعة في معنى ذلك :

كتب المملوك وهو شاك لتجاهل الأيام ، وقيد من مواقع سهامها الرغية الكلام ؛
منهم بهموم تضعف الجليد ، وتسوء الوديد ، وتسر الحسود ، لاق من قسوة الدهر
وقطاطته ، ونبوة العيش وفقرته ، ما يرد الجفون عن الهجوع ، ويفرق العيون
بالدموع ، والله تعالى في عبادته أقضية يقضيها ، وأقدار يمضيها ؛ والله أسأل حسن
العاقبة والختام ، وتمحيص الأوزار والآثام .

رقعة : كتب المملوك وجسمه صحيح ، وقلبه قريح ، وجنانه سليم ، وجنابه
سقيم : لما يتبادر إليه من نكايات تفدح وتقرح ، وحادثات تكلم وتجرح ؛ ونوب
تهض ، وتهدم وترض ، وخطوب تحاطب شفاها ، وتوصل من اليد إلى اليد أذاها ؛
إلا أن الله يهب ريح الميع ، وقد تداكت الحن فينشفها ، ويشق عمود الفرج ؛ وقد
أدلمت فيكشفها ؛ وظن المملوك بالله تعالى جميل ، وله في صنعه ولطفه تأميل .

رقعة : وينهى أنه قد كتب هذه العبودية بيد قد أعرشتها الآلام ، يملئ عليها
قلب قد قلبته الأسقام ؛ لجسمه ناكل ، وجسده بعد النضرة قاحل ؛ وقواه قد

وَهَنَتْ ، وَجَلَادَتُهُ قَدْ وَهَتْ ؛ وَصَبْرُهُ قَدْ تَحَلَّى وَأَضْطَرَبَ ، وَتَحْمَلُهُ قَدْ نَأَى وَأَقْتَرَبَ ؛
وَعَادَ شَبَحًا مِنَ الْأَشْبَاحِ ، وَهَبَاءَ تَذَرُوهُ الرِّيحَ ؛ فَلَوْ أَعْتَلَقَ بِشَعْرَةٍ لَمْ تَتَصَرِّمْ ، أَوْ وُلِّجَ
نَحْرَتَ إِبْرَةٍ خَيَاطٍ لَمْ تَتَفَصِّمْ ؛ وَلَوْلَا الثَّقَةُ بِاللَّهِ وَأَنَّهُ يُتْبِعُ السُّقْمَ بِالصَّحَّةِ ، وَيُسْقِعُ الْحِمْنَةَ
بِالْمِنْحَةِ ؛ لَذَهَبَ مَا بَقِيَ مِنْ ذِمَّائِهِ ، وَأُطْلِيَ عَلَى شَفَا شَقَائِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْتَشْرِفُ مِنْهُ
تَعَالَى لُطْفًا يُعِيدُ الْكَلِيلَ حَدِيدًا ، وَالْمُخْلَقَ جَدِيدًا .

رقعة : وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ ، وَقَدْ سَاءَ أَثَرُ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ ، وَقُبِحَ
صُنْعُهَا لَدَيْهِ ؛ وَأَبْتَلَتْهُ بِمَوْلِمِ الْبَلْوَى ، وَأَنْطَقَتْهُ بِلِسَانِ الشُّكْوَى ؛ فَهُوَ مُحْتَرِّقٌ بِنَارِ الْغَيْظِ ،
يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِالْفَيْظِ ؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ يَفْرُجُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَلُطْفٌ يُرِيحُ مِنْ هَذَا
الْجِهَادِ ؛ وَكُلَّمَا طَلَبَ الْمُزَايِلَةَ عَوَّقَ ، أَوْ طَلَبَ الْفِكَالَ أَعْتَلَقَ ؛ فَهُوَ قَاطِنٌ فِي صُورَةِ
الظَّاعِنِ ، وَحَالٌ فِي حَالِ الرَّاحِلِ ، وَاللَّهُ يَمُنُّ بِالْمَخْرَجِ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ .

رقعة : وَقَدْ سَطَّرَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَقَدْ أَنْجَلَتْ هَذِهِ النَّبُوَّةَ ، عَنِ الْبَلَاءِ
وَالشُّقْوَةِ ، وَنَقَادِ الْمَالِ ، وَاسْتِحَالَةِ الْحَالِ ، وَاسْتِيلَاءِ الْعُدُوِّ ، وَاسْتِعْلَاءِ السُّوءِ ، وَكَذَا
الدَّهْرِ خُدُوعِ غُرُورِ ، خُثُونِ غَدُورِ ؛ إِنْ وَهَبَ آرْتَجِعَ ، وَإِنْ أَلْبَسَ آتَرَعَ ؛ وَإِنْ
أَعْطَى أَعْطَى قَلِيلًا وَقَلَعَ ؛ وَإِنْ أَحْلَى أَمَرَ ، وَإِنْ تَقَعَ ضَرَبَ ؛ وَإِنْ أَبْرَمَ نَقَضَ ، وَإِنْ
رَفَعَ خَفَضَ ؛ وَإِنْ أَقْبَلَ أَعْرَضَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَمْرَضَ ؛ فَنِعْمَهُ مَقْرُونُهُ بِالزُّوَالِ ،
وَمِنْحَهُ مَعْرُضَةٌ لِلِانْتِقَالِ ؛ وَصِفْوُهُ مَشُوبٌ بِالْكَدَرِ ، وَعَيْشُهُ مَمْزُوجٌ بِالْغَيْرِ ؛ مَا أَجَنَّ
إِلَّا أَوْجَدَ خِلَالَ ، وَلَا أَمَّنَ إِلَّا أَتْبَعَ الْأَمْنَ جَلَلًا ؛ وَالْمَمْلُوكُ يُحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَوْسَعَهُ
فِي حَالِ الْبَلَاءِ شُكْرًا ، وَفِي حَالِ الْإِبْتِلَاءِ صَبْرًا .

أجوبة رِقَاع الشكوى

قال في "مواد البيان" : يجب أن تبنى أجوبة هذه الرقاع على الارتماض في الحال المُشكِية، والتوجع منها، وبذل الوسع في المعونة عليها، والمشاركة فيها، وما يجري هذا الجرى مما يليق به .

النوع الحادى عشر

(فى استماعة الحوائج)

قال فى "مواد البيان" : ورقاع الاستماعة يُختار أن تكون مُودعة من الألفاظ ما يُحرك قوئ السّباح ، ويبعث دواعى الارتياح ؛ ويُوجب حرمة الفضل المسهلة بذل المال الصّعب بذله ، إلّا على من وفرّ الله مُروءته ، وأرخص عليه أثمان المحامد وإن غلت .

قال : وينبغى للكاتب أن يتلطف فيها التلطف الذى يعود بنجاح المرام ، ويؤمن من الحصول على إراقة [ماء] الوجه ، والخيبة بالرد عن البغية ، ويعدل عن التثقل والإلحاف المضجرين ولا يضيق العُذر على السّباح إلّا أن يتمكن للثقة به ، ويعلم المشاركة فى الحال .

وهذه نسخ من ذلك :

من كتاب [أبى] الحسين بن سعد .

أفضل القول أصدقه ، وأهنى المعروف أعجله ، وأبلغ الشكر أظهره .

ومنه : إن حضرتك نية في قضاء حاجة فعبثها ، فإن أهني المعروف ما عجل ، وأنكده ما تنازعه العليل ، وأعرضته كثرة الاقتضاء .

ومنه : أنت أعزك الله واجد السبيل إلى أصطناع المعروف واكتساب الثواب ، وأنت أعرف بما في استنقاذ أسير من أسرى المسلمين ، من وارد الأسر ، وعرضة الكفر ، وأنياسه من الذلة والفاقة ، والبلاء والمشقة ، من جزيل ثواب الله وكريم جزائه [وأجل] من أن تحاطب في ذلك مخاطبة من يحتاج إلى زيادة في بصيرته ، وتقوية لنيته ، وبالله توفيقك وعونك .

على بن خلف :

قد تمسك أمل بضمانك ، وتطلع رجائي إلى إحسانك ، وكفّل لي النجاح مشهور كرمك ، ورغبتك في ربّ نعيمك ، ولي من فضلك تسبب أعترى إليه ، ومن شكرى شفيع أعتد عليه .

وله : المواعيد - أطال الله بقاء مولاي - غروس ، حلّو ثمرها الإنجاز والتعجيل ، ومُرّه المَطْل والتطويل ؛ وقد شام أمل من سحاب فضله ، حقيقاً بأن ينهر ويهيم ، وآرتاد من روض بُبله ؛ جديراً بأن يزيد وينمي ، فإن كانت هذه المخيلة صادقة ، فلتكن منه همة للرجاء محققه ، إن شاء الله تعالى .

وله : هممت أن أستصحب إلى مولاي ذريعة تحجب مطلي ، وتكون حجاباً على وجهي في المطالعة بأربي ، فلاح لي من أساريه برق أوضع مقصدي ، ومن أخلاقه أنبساط أمال تجعدي ، ولست مع معرفته بحق نعمة الله تعالى وحق مؤمله ، محتاجاً عنده إلى ذريعة ولا مفتقراً إلى وسيلة .

(١)
وله : ولا يَجْنِي مَوْلَايَ عَلَى ظَاهِرِ تَجَمُّلِي ، وَجَمِيلِ تَوَكُّلِي ، عَلَى حَالٍ قَدْ أَحَالَتَهَا
الْعُطْلَةُ ، وَتَحَلَّلَتْهَا الْحَلَّةُ ؛ وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِالتَّجَمُّلِ عَلَى دِيبَاجَةِ هِمَّتِي ، وَأَصُونُ بِالتَّخْفِيفِ
عَنِ الصَّدِيقِ مُرَوَّتِي ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الشُّكُوءَ تَحَفَّفَ مَتَحَمِّلُ الْبَلَوِّ ، لَأَضْرَبْتُ
عَنْ مُسَاءَلَتِهِ ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ تَذَكِيرِهِ ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لِلْوَصِيبِ الشَّاكِي ، مِنْ ذِكْرِ حَالِهِ
لِلطَّيِّبِ الشَّافِي ؛ وَقَدْ كَانَ بَرَقَ لِي مِنْ سَحَابٍ وَعَدَهُ مَا هُوَ جَدِيرٌ بِالْإِنْهَامِ ، وَأُورِقَ
مِنْ نَمَاتِهِ مَا هُوَ حَقِيقٌ بِالْإِنْهَامِ ؛ فَإِنِ رَأَى أَنْ يَسِمَ وَجْهَ التَّأْمِيلِ ، بَعْدَ الْإِنْجَازِ
وَالْتَعَجِيلِ ، فَعَلَ .

وله : مَا حَامَتِ آمَالِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَّا وَقَعْتُ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَا صَعُبَتْ عَلَيَّ
جَوَانِبُ الرَّجَاءِ إِلَّا سَهَلْتُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَلَا كَذَّبَتْنِي الظُّنُونُ إِلَّا صَدَقَهَا بَعْلُو هِمَّتِهِ ؛
فَلِذَلِكَ أَتَلَقُّ فِي الْمُهَمِّ بِجَنَابِهِ ، وَأَعْتَصِمُ فِي الْمَلَمِّ بِظِلِّهِ ؛ وَقَدْ عَرَّضَ لِي كَذَا وَعَلَيْهِ فِيهِ
الْمُعَوَّلُ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمُؤْمَلُ ؛ وَمَا أَوْلَاهُ بِالْجَرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي رَيْشِ جَنَاحِي ، وَالْمُعَوَّنَةُ
عَلَى صَلَاحِي .

في طلب كسوة، من كلام المتأخرين :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي نَهَرُ جُودِهِ * يَزِيدُ وَعَاصِي أَمْرِهِ الدَّهْرُ يَنْقُصُ !
إِلَيْكَ أَشْتَكِي مِنْ دِمَشْقَ وَبَرْدَهَا * وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ تُنْغِصُ !
وَأَنَا فِي عُرْسٍ مِنَ الْبَرْدِ دَائِمٍ * تُصَفِّقُ أَسْنَانِي وَقَلْبِي يَرْقُصُ !

الْمَمْلُوكُ يُنْهِى بَعْدَ الْإِثْبَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِدَامَةِ نِعْمَتِهِ ، وَإِدَالَةِ دَوْلَتِهِ ،
أَنَّهُ مَا أَلِفَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُضَاعِفُ رِسْمَ الْإِنْعَامِ ، وَيُؤَاتِرُ إِرْسَالَهُ عَلَى مَرَّ الْأَيَّامِ
وَالْأَعْوَامِ ؛ وَلِلْمَمْلُوكِ فِي خِرَازِنَتِهِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ عَامٍ تَشْرِيفٌ يُفِيضُهُ عَلَى جَسَدِهِ ،

وَيُسِّرْ بِهِ قُلُوبَ أَوْلِيَانِهِ وَيُقِثْ أَبْكَادَ حُسْنِهِ، وَيَتَّقِ بِهِ سُورَةَ الشَّتَاءِ وَقَرَّهُ، وَيَجْعَلْهُ
قُرَّةً وَيَجْعَلْ بِهِ مِنَ الدَّعَةِ وَقَرَّهُ، وَقَدْ دَرَسَ رَسْمُهُ، وَقَدْ مِنْ الدِّيَوَانِ المَعْمُورِ أَسْمُهُ،
وهو يسألُ بِرُوزِ الأَمْرِ العَالِي بِإِجْرَائِهِ عَلَى عَادَتِهِ المُسْتَمَرَّةِ، وَقَاعِدَتِهِ السَّالِفَةِ المُسْتَقَرَّةِ؛
بِتَشْرِيفِهِ بِأَخْذِ التَّشْرِيفِ وَلُبْسِهِ : لِيُدْفَعَ بِذَلِكَ شِدَّةَ البَرْدِ وَالْأَيْمِ مَسَّهُ؛ وَيَتَذَكَّرُ بِهَا
فِي يَوْمِهِ مَا يُوجِبُ حَمْدَ المَوْلَى وَذَمَّ أَمْسِهِ، وَرَأْيَهُ العَالِي .

وله في طلب ورق :

يَا أَسْمَحَ النَّاسِ وَيَأْمَنْ غَدًا * جَبِينُهُ يُجْحِلُ ضَوْءَ الشَّفَقِ !
جُودُكَ بِالْوَرقِ عَمِيمٌ ^(١) [فَلِمَ] * أَخَرْتَ يَا مَوْلَايَ بَعَثَ الْوَرقَ ؟

وله في طلب رَسْم :

رَسْمِي يَا مَوْلَايَ غَدًا * مُؤَخَّرًا وَلَوْ حَضَرَ !
وَلَوْ أَرَادَ سَيِّدِي * إِحْضَارَهُ، كَانَ أَمْرًا !
فَقَدْ مَضَى مُحَرَّمٌ * وَرَاحَتِي مِنْهُ صَفَرًا !

وكتب كاتبٌ إِلَى مُحَمَّدِومِهِ، وَقَدْ تَأَخَّرَ صَرْفُ مَعْلُومِهِ :

وَتَعْلَمُ أَنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ * قَلِيلُ الْحِرَايَةِ وَالْوَاجِبِ !
فَلَسْتُ عَلَى ظَلَمٍ قَانِعًا * بِوَرْدٍ مِنَ الْوَشَلِ النَّاضِبِ !
وَلَا شَنْكَ فِي أَنِّي هَارِبٌ * [فَ] قَدَّرْتُ لِنَفْسِكَ فِي كَاتِبٍ !

(١) الورق مثله وككتف وجبل الدراهم المضروبة اهـ من القاموس .

قلت : وكتبتُ نظماً لأُمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس : خليفة العصر؛ أَسْتَمِيعُه حاجةً في مجلسٍ كان فيه هو وولده يحيى وأخواه داودُ ويعقوبُ ماصورته :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْطَى بَيْنَ مَارِبٍ * فبادِرْ إِلَى الْعَبَّاسِ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ !
إِمَامٌ بِهِ تَفَرُّ الْخِلَافَةُ بِاسْمٍ * وَعِزُّهَا يَسْمُو عَلَى قِسَّةِ الرَّاسِ !
أَبِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِهِ * [دواماً] وَأَنْ يُدْعَى أبا الْفَضْلِ فِي النَّاسِ !
فَالْمُسْتَعِينَ أَقْصِدْ خَيْرَ مُنْجِدٍ * حَرِيصٌ عَلَى الْمَعْرُوفِ بَرٌّ بِلَيْتَانِ !
فِيحْيَا لَهُ يَحْيَى وَدَاوُدُ صَنُوهُ * وَيَعْقُوبُ أَعْضَادًا وَحُصْنًا مِنَ الْبَاسِ !



وكتبت لقاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام عمر البلقيني أَسْتَمِيعُه حاجةً أيضا :

أَيَا شَيْخَ إِسْلَامٍ وَقَاضِي قَضَايَتِهِ * وَمَنْ قَدَّ سَمَا فِي النَّاسِ عِلْمًا وَمَنْصِبًا !
لَقَدْ عَمَّ نَوَاءُكَ كُلَّ مُؤْمِلٍ * وَحَاشَى لَبْرِيقِ شِمْتٍ يَظْهَرُ خُلْبًا !
أَأَحْرَمَ مَعْرُوفًا لَهْ كُنْتُ أَرْجِي * وَيَحْجُبُ دُوبُعْدٍ مِنَ الْقَوْمِ أَقْرَبًا !
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فِي زَمَانِكَ رِفْعَةً * وَلَكِنْ جَوَادُ الْحِطِّ بِالْبُعْدِ قَدْ كَبَا !
وَلَنْ يَسْتَعِصَ الْخَفِضُ بِالرَّفْعِ مَا جُدَّ * خُصُوصًا وَمَنْ أَخْرَتَ مَا نَالَ مَطْلَبًا !
وَلَسْتَ تَرَى مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلَةً * سِوَاكَ وَحَسْبِي بِاعْتِلَاكَ تَقَرُّبًا !



وكتبت للقاضي القضاة جمال الدين محمود القيسراني^(١) ، وهو يومئذ قاضي قضاة الحنفية وناظر الجيوش المنصورة ؛ أذكر بطالة عرّضت لي من وظيفة مباشرة كانت بيدي :

إلى الله أشكوا من زمانى بواره * فامسيت في الحزمان يضر المثل !
تماديت بطالا وأعوزت حيلة * ولم يبرح البطال تعرف له الحيل !
فلا ملتجى جاء ولا عز صاحب * ولا مالك يحنو فياقوم ما العمل ؟
ولكن (محمود) العواقب أرني * ومن يهد العقبى على القصد قد حصل !



وكتبت للقاضي شمس الدين العمرى كاتب الدست الشريف في حاجة تجزها :
إن لا أرى عمرا حتى ألى به * ألفت من نسله من كان لي عمرا .
لم يغف عن حاجتي حتى أنبهه * وكيف يغفو في المعروف كم سيرا ؟
جعلته مبتدا في رفعه خبري * وعادة المبتدا أن يرفع الخبرا !

أجوبة استماعة الحوائج

قال في "مواد البيان" : لا يخلو المستراح والمكلف حاجة من أن يسعف أو يمنع ، فإن أسعف فقد غنى عن الجواب ، وربما أجاب المسعف بجواب مبنى على حسن موقع أنيساط المستمع ، والاعتذار عن التقصير في حقه وإن كان قد بلغ به فوق

(١) نسبة إلى قيسارية على غير قياس .

ما يَحِبُّ له - تَكْرُماً وتَفَضُّلاً ، وإن منع فربما أجاب بعُذر في الوقت الحاضر أو عُذر في المستأنف ؛ وربما أخلَّ بالجواب تغافلاً .



وهذه نسخة جواب بالإسعاف بالمقصود ، كُتِبَ بها في جوابٍ لكاتبِ السرِّ عن نائب الشام ، في طَلَبِ إقطاع ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَة إجابةً للمطلوب ، وهي :

لا زال قَلَمُها يَمُدُّ على الإسلام ظِلًّا ظَلِيلًا ، وَيَسْتَجِدُّ صُنْعًا جَمِيلًا ، وَيَأْخُذُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَعْدَاءَ دِينِهِ أَخْذًا وَبِيلًا ، وَيَقُومُ بِاجْتِهَادِهِ فِي مَصَالِحِ الْمُلْكِ النَّهَارُ كُلَّهُ وَاللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ؛ تَقْيِيلُ مُوَاطِئٍ عَلَى وِلَاءٍ لَا يَجِدُّ لَهُ تَبْدِيلًا ، وَثَنًا لَوْ سَمِعَهُ الْحُبُّ فَشَافَهُ الْأَحْبَابُ إِذَا لَا تَحْدُوهُ خَلِيلًا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مَشْرِفَةِ مَوْلَانَا الْقَدِيمِ فَضْلُهَا ، الْكَرِيمِ وَصْلُهَا وَأَصْلُهَا ؛ فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهَا ، وَأَضْغَى بِجَلَّتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَعَلِمَ مَارَسَمَ بِهِ مَوْلَانَا ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ تَيَانًا ؛ وَكَذَلِكَ بَلَّغَهُ مَمْلُوكُهُ الْوَلَدُ فَلَانَ الْمَشَافَهَةِ الْكَرِيمَةِ فَخْبَدًا مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا ؛ وَشَكَرَ لَهَا مَشْرِفَةً وَمَشَافَهَةً أوردوا الإحسانَ مَتْنِي مَتْنِي ، وَسِرًّا سَمِعَهُ الْمَمْلُوكُ لَفْظًا وَأَسْتَهْدَاهُ مَعْنَى ؛ فَمَا مِنْهُمَا فِي الْإِحْسَانِ إِلَّا زَائِدُهُ ، وَلَا فِي الصَّلَاتِ إِلَّا عَائِدُهُ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ أَقْبَلَ عَلَى قَيْلِهِمَا بِسَمْعِهِ وَنَاطِرِهِ ، وَقَلْبِهِ وَخَاطِرِهِ ، وَجَمَلَتِهِ وَسَائِرِهِ ؛ وَأَمْتَلَّ الْإِشَارَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُقَدَّمَ عَلَى كُلِّ مِهْمٍ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، وَأَمْرٍ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ ، وَيَدُ الزَّمَانِ مَشْكُورَةً يَأْخُذُهَا مِنْهُ بِكُلِّمَا يَدَيْهِ ؛ وَعَيْنَ الْمَمْلُوكِ لَوْقَتَهُ الْإِقْطَاعَ الْمَطْلُوبَ ، وَتَقَدَّمَ بِكَاتِبَةٍ مَرَبَّعَتِهِ حَسَبَ مَارَسَمٍ مِنْ تَجَرُّي السَّعَادَةِ مِنْ سَطْرِهِ تَحْتَ مَكْتُوبٍ ؛ وَجَهَّزَهَا قَرِينَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ وَمَنْ ذَا يُقَارُنُ سَبْقَ ذَلِكَ الرَّامِدِيدِ ، وَكَيْفَ تُوَازِي

الرُبْعَةُ كِتَابًا هُوَ بِالْإِحْسَانِ لِلْعُنُقِ تَقْلِيدٌ؛ لَا بَرِحَتْ مَرَامِسُ مَوْلَانَا مَعْدُودَةٌ مِنْ رُسُومِ نِعَمِهِ، وَمُشْرِفَاتُهُ مُحَسَّبَةٌ مِنْ تَشْرِيفَاتِهِ الَّتِي يَحْمِلُهَا عَلَى أُنْبَاءٍ مَحْيِيَةٍ وَخَدَمِهِ .

النوع الثاني عشر

(في الشكر)

قال في "موادّ البيان" : رِقَاعُ الشُّكْرِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُودَعَةً مِنَ الْاعْتِرَافِ بِأَقْدَارِ الْمَوَاهِبِ، وَكِفَايَةِ الْاِسْتِقْلَالِ بِحُقُوقِ النِّعَمِ، وَالْاَضْطِلَاعِ بِحِجْلِ الْاَيَادِي، وَالتَّهَوُّضِ بِأَعْيَانِ الصَّنَائِعِ، مَا شَحَذَ الْهِمَمَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا، وَيُوَثِّقُ الْمَصْطَلَحَ بِإِفَاضَةِ الصَّنْعِ؛ وَيَعْرُبُ عَنْ كَرِيمِ سَجِيَّةِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ .

قال : وَيَنْبَغِي لِلكَاتِبِ أَنْ يَفْتَنَ فِيهَا، وَيَقْرَبَ مَعَانِيهَا، وَيَنْتَحِلَ لَهَا مِنْ أَلْفَاظِ الشُّكْرِ أَنْوَطَهَا بِالْقُلُوبِ : تَسْتَيْقِنَ نَفْسُ الْمُتَفَضِّلِ أَنَّهُ قَدْ آجَنِيَ ثَمَرَةَ تَفَضُّلِهِ، وَحَصَلَ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى أَضْعَافٍ مَابَذَلَهُ مِنْ مَالِهِ أَوْ جَاهِهِ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ صَادِرَةً مِنَ الْاِتِّبَاعِ إِلَى رُؤَسَائِهِمْ، وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَى اخْتِصَاصٍ وَاثَرَةٍ، أَنْ لَا تَبْنِي عَلَى الْإِغْرَاقِ فِي الشُّكْرِ : لِأَنَّ الْإِغْرَاقَ فِي الشُّكْرِ يَحْمِلُ هَذِهِ الطَّبَقَةَ عَلَى التَّمَلُّقِ الَّذِي لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالْأَبَاعِدِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَ الدَّلَالََةَ عَلَى اِسْتِقْلَالِهِمْ بِحُقُوقِ مَا أُسْدِيَ إِلَيْهِمْ؛ فَأَمَّا مَنْ ضَفَّأَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ مَا يَدْفَعُ الشُّكَّ فِي اعْتِرَافِهِ بِالذَّلِّ لَدَيْهِ، فَإِنَّهُ يَغْنَى عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي الشُّكْرِ وَالِاعْتِدَادِ؛ ثُمَّ قَالَ : وَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ فِيمَا يَكْتُبُ عَنْ هَؤُلَاءِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ مَذْهَبَ الْإِخْتِصَارِ، وَالِإِتْيَانِ بِالْأَلْفَاظِ الْوَحِيدَةِ الْجَامِعَةِ لِمَعَانِي الشُّكْرِ، دُونَ مَذْهَبِ الْغُلُوفِ وَالِإِفْرَاطِ، وَذُو الطَّبَعِ السَّلِيمِ، وَالْفِكْرِ الْمُسْتَقِيمِ؛ يَكْتَفِي بِسِيرِ التَّمَثِيلِ .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البيهقي ، في شكر تابع لمتبوع :

أنا في شكره - أيده الله - مبرهن عن مواقع إحسانه إلي ، وتظاهر إنعامه علي ،
لامقدر أني مع المبالغة والإشهاب ، والإطالة والإطناب ؛ أجازي عفو تفضله ،
ولا أجامل أيسر تطوله ؛ وقد سئني أيده الله من شرف أصطناعه ، بما بواني به
أرفع منازل خدمه وأتباعه ؛ وإلى الله أرغب في توفيق من مقابلة ذلك بالاجتهاد
في خدمته ، والمبالغة في طاعته - لما أكون به للزيد مستوجبا ، وللخطوة مستحقا .

وله في شكر قريب :

فرض الشكر - أعزك الله - لا يسقط بقرب الأنساب ، ولذلك لا أستحيز إغفال
الواجب علي منه ، ولا أجد عدولا في التسامح فيه والإضراب عنه ، وإن كنت
غنيا عن الإفاضة فيما أعتقد من ذلك وأضمره ، وأبديه وأظهره ؛ بالمتعالم من خلوص
النية وصحة الاعتقاد ، فلا أخلاك [الله] من جميل تسديده ، وتفضل توليه ؛ يمتري
لك المزيد من سوايغ النعم وفوائده الشكر .

وله : قد استنفدت مادة شكرى ، ووسع اعتيادي ونشرى ؛ نتاج تفضلك ،
وتوالي تطورك ؛ ولست أقدر على النهوض بشكر منية حتى تطرقني منك منة ،
ولا أحاول مجازاة نعمة حتى تفد علي منك نعمة ؛ فبأي عوارفك أعترف ، أم بأي
أياديك بالثناء أنتصف ؛ فقد فزعت إلى الإقرار بالعجز عما يلزم من فروضك ،
وواجبات حقوقك ؛ وأنصرفت إلى سؤال الله جل اسمه بإيزاعي شكر ما وهب منك ،
والتجاوز للكارم والفضل عنك .

وله : وقد شكرت بِرَّكَ الْجَلِيلِ مَوْقِعَهُ ، اللطيفَ مَوْضِعَهُ ، الخفيفَ حَمَلَهُ ، العَنَبَ مَنَلَهُ ، وشافهتُكَ من ذلك بما اتَّسَعَتْ لَهُ الْقُدْرَةُ لا ما تَقْتَضِيهِ حَقُوقُ الْمِنَّةِ .

وله : أنا في الشكر بين نعمةٍ تُنْطَقَنِي ، ونَجْمٍ عما يَجِبُ لَكَ يُخْرِسُنِي ؛ وَلَسْتُ أَفْرُعُ إِلَى غَيْرِ تَجَاوُزِكَ ، وَلَا أَعْتِمِدُ عَلَى غَيْرِ مَسَاعِجِكَ ؛ وَلَا أَتَطَاوُلُ إِلَّا بِمَكَانِي مِنْكَ ، وَلَا أَفَاحِرُ إِلَّا بِمَوْقِعِي مِنْ إِثَارِكَ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي بَوَلَاةِكَ مَشْهُورًا ، وَفِي شُكْرِكَ مَقْصُورًا .

على بن خلف :

رقعة : وَيَنْبِى أَنْ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَلْهَمَ مَوْلَانَا الْبِرَّ ، أَلْهَمَ الْمَمْلُوكَ الشُّكْرَ ؛ فَهُوَ لَا يَزَالُ يُوسِّعُ فِي الْبِرِّ وَيَزِيدُ ، وَالْمَمْلُوكُ لَا يَزَالُ يُبْدِي فِي الشُّكْرِ وَيُعِيدُ ، وَلَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ فَاعِلٍ وَقَائِلٍ ، وَمُعْطٍ وَقَائِلٍ ، وَوَاهِبٍ وَسَائِلٍ ، وَرَافِدٍ وَحَامِدٍ ، وَشَاكِرٍ وَشَاكِدٍ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا جَعَلَ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَحَظَّهُ الْأَعْلَى .

رقعة : وَصَلَ بِرُّ مَوْلَانَا وَقَدْ أَحَالَتِ الْخَلَّةُ مِنَ الْمَمْلُوكِ حَالَهُ ، وَأَمَالَتِ آمَالَهُ ؛ فَلَأَمْتُ مَا صَدَعَهُ الدَّهْرُ مِنْ مَرُوتِهِ ، وَجَدَّدَتْ مَا أَخْلَقَهُ مِنْ قُرُوتِهِ ، فَكَفَّ الْمَمْلُوكُ يَدَيْهِ [عَنْ] أَمْتِحَانِ الْخُلَّانِ ، وَقَبَضَ لِسَانَهُ عَنْ شِكَايَةِ الزَّمَانِ ؛ وَأَقْرَمَاءَ وَجْهِهِ فِي قَرَارَتِهِ ، وَحَفِظَ عَلَى جَاهِهِ لِبَاسَ وَجَاهَتِهِ ؛ فَيَالَهُ مِنْ بَرُّوقٍ مِنَ الْفَقْرِ ، مَوْقِعَ الْقَطَرِ مِنَ الْفَقْرِ ؛ وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ مِنْ قَدَامَةِ الْوَعْدِ ، مَا يَتَقَدَّمُ الْقَطَرُ مِنْ جَهَامَةِ الرَّعْدِ ؛ وَكُلُّ مَعْرُوفٍ وَإِنْ فَاضَتْ يَتَابِعُهُ ، وَطَالَتْ فُرُوعُهُ ، قَاصِرٌ عَنِ الْأَمَلِ فِي كَرَمِهِ ، وَاقِعٌ دُونَ غَايَاتِ هِمَمِهِ ؛ كَمَا أَنَّ الشُّكْرَ وَلَوْ وَكَبَّ النُّجْمُ ، وَسَاكِبَ السَّجْمُ ؛ قَاصِرٌ عَنِ مَكَافَاةِ تَفَضُّلِهِ ، وَتُجَازَاةِ تَطَوُّلِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَهُ قُدُورَةً

الكرام، وحسنة الأيام، وربّ الإنعام، وواحد الأنام؛ أن يُلهم المملوك من حمده، بقدر ما أسبغه عليه من رفده .

رقعة شكر : عند المملوك لسيّدى أيّاد وصلت سابقة هَواديها ، وظلّت لاحقة تَوالِها ؛ فصارتُ صُدورها نسبا أعتري إليه ، وأعجازها [سبباً أعول في الملمات عليه] .

رقعة : لولا أن الله تعالى جعل الشكر ثمرة البرّ، والمجد جزاء الرّفد، وأراد إقرارهما على أهلها من الغابرين ، وأن يجعلَ لهم مِنّا لسانَ صدق في الآخرين ؛ لكان الذى غمّره مولانا من الإنعام ، يُحدّثُ عنه تحدّث الرّياح بآثار الغمام ؛ ويكفى المملوك بالإشارة، مَثونة العبارة ؛ والمملوك وإن رام تادية ما يلزمه من شكره، قاصر عن غاية برّه ؛ ولو استخدَم ألسنة الأفلام ، واستغرق أمدى النّثار والنّظام ؛ ومولانا جدير بقبول اليسير، الذى لا يُمكِنُ الزّيادة عليه ؛ والصفح عن التقصير، الذى تُقوّد الضرورة إليه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : لو أنّ هذه العارِفة بِكرِّ عوارِفه ، وبأكورة لطائفه ؛ لعجزت عن شكرها ، وقصّرت عن نشرها ؛ فكيف وقد سبقها قرائن ونظائر، وتقدّمها أترابٌ وصَرَائِرُ [مما] أثقل من المملوك كاهله ، وبَسَطَ به يَدَي أمله ؛ فما يَعدم شيئاً فِرَجِيه ، ولا يَفقده فِرْعَب فيه ؛ والذى تُربّه من المملوك جوارحه ، وتَحويه جوانحه ؛ علمه بأنه لا يُجارى أيّاده ، ولا يُجازى مَساعيه ؛ والله تعالى يَخْصُه من الفضائل ، بمثل ما تَبَرّع به من القواضل .

رقعة : ومثل مولانا من [ذوى الشرف] ^(١) والسودد من حسن محضره، وطاب
 محبره، وكرم غيبه ومشهده، وصح على تغاير الأحوال عقده ووذه؛ وقد اتصل بالملوك
 ما أعاره له مولانا من أوصافه، وجرى فيه على عادة فضله وإنصافه؛ فطفق لفضله
 شاكرا، ولطوله ناشرا؛ وأضاف ذلك إلى تواليد إحسانه، ونظمه في عقد أمتيناه .

رقعة : قد طوق مولانا [مملوكه] من فضله طوقا كأطواق الحمام لا يُزرع ،
 وألبسه بردا من ربه لا يُخلع ؛ وأولاه من مزیده ما قصرت الهمة عن تمنیه ، ولم تهتد
 القريحة إليه فتستدعيه ؛ ولو وجد الملوك جزاء على عارفته ، وكفاء لمثوبته ، غير
 الموالاة الصريحة ، وعقد الضائر على المودة الصحيحة ؛ واللهج بالشكر ، في السر
 والجهر ، لرمي من وراء عنايته ، ولا استبعد طول شقته ؛ ولكن الملوك عادم
 لما يقابل به يده الغراء ، عاجز عما يقضى به حق موهبته الزهراء ؛ مالم يحسن كرمه
 أمره ، ويقبل منه على التقصير شكره ؛ ويضيف ذلك إلى لطائفه ، وينظمه في سلك
 عوارفه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : واجتهاد الملوك في نشر أياديه وشكرها ، كأجتهاد مولانا في كتمانها
 وسرّها ؛ فكلما أبديتها بالثناء أخفاها ، أو نشرتها بالإشادة طواها ؛ وهيئات أن يخفى
 عرف كرم المسك نشرها ، ومن كالروضة نورا والغزاة نورا ؛ ولو كان الملوك
 والعياد بالله ستر هذا العرف بكفر ، وأغتمصه مانعا لشكر ؛ لنم عليه حسنه بموم
 الصباح ، وتوقد توقد المصباح ؛ فكيف والملوك مقل لا يسامى ^(٢) [يعجم سواد]
 الليالى بالإحماذ ، ويرقم صفحات النهار بالأعتداد .

(١) بياض في الاصول والتصحيح من المقام .

(٢) في الاصول « ولا يسامى الليالى » الخ وزدنا ما يقتضيه المقام ويتم الكلام تأمل .

الأجوبة عن رِقَاع الشكر

قال في "موادّ البيان" : [ان كانت] هذه الرّقاع من المرؤسين إلى الرؤساء فلا جواب لها . وإن كانت من النّظير فالواجب أن يُستعمل في أجوبتها مندوبُ التناصّف والتفاوض .

جواب عن فعل المعروف والشكر عليه من كلام المتأخرين :
من ذلك ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الصدر :

خَلَدَ اللهُ عَلَى الْمَالِكِ نِعْمَهُ ، وَعَلَى الْمَالِكِ دَيْمَهُ ، وَحَرَّمَ بَيْقَانَهُ ذَمَّ الزَّمانَ وَأَوْجَبَ ذِمَّتَهُ ؛ وَلَا بَرَحَ نَحْوُ الْحَامِدِ يُنَادِي يَوْمَ الْكَرَمِ مُفْرَدَهُ وَيَوْمَ الْهِجَابِ عَلمَهُ . تَقْبِيلًا يَسْحَبُ فِي الْفَخَّارِ بُرُودَهُ الْمُعْلَمَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ بِالْقُرْبِ فَلَا يَزَالُ الشَّوْقُ يُتَبَّعُهُ حَيْثُ كَلَّا التَّدْكَارَ وَالْعَهْدَ مُقَدِّمَهُ .

وينهى ورود المثال العالى بما مَلَأَ القلبَ خيرا واليدَ برأ ، والسمعَ إشارةً والوجهَ بُشرا ، حَتَّى تَنَافَسَتِ الْأَعْضَاءُ عَلَى تَقْبِيلِهِ ، وَالْجَوَارِحُ عَلَى تَأْمِيلِهِ ؛ فَالْيَسْدُ تَسَابَقَ إِلَى مَنَّتِهِ بِالْإِمْتِدَادِ ، وَالْقَلْبُ يَسَاقُ إِلَى كَرَمِ عَهْدِهِ بِالْإِعْتِدَادِ ؛ وَالْوَجْهُ يَقْلُبُ نَظْرَهُ فِي سَمَاءِ مَوَاقِعِ الْقَلَمِ ، وَالسَّمْعُ يَنْعَمُ بِمَا تُقْصُّ عَلَيْهِ الْمَسَارُّ مِنْ أَخْبَارِ جَيَرَةِ الْعَلَمِ ؛ حَتَّى كَادَ الْمَمْلُوكُ يَحْوُ بِالتَّقْبِيلِ أَسْطَرَّهُ ، وَيَشْتَغِلُ بِذَلِكَ عَنْ اسْتِجْلَاءِ مَا ذَكَرَهُ الْمُنْعِمُ لِاعْدِمِ الْمَمْلُوكُ فِي مَصْرِ وَالشَّامِ تَكَرَّرَهُ ؛ وَفِيهِمْ مَا أَشَارَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي مَوْلَانَا أَهْلُهُ ، وَكَرَمِ الْعَهْدِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ مِنْ مِثْلِهِ وَأَيْنَ مِثْلُهُ ؛ وَقَابِلِ الْمَمْلُوكِ جَمِيعَ ذَلِكَ بِجَهْدِهِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ ، وَبِسَمَاحَةِ الْحَمْدِ الْمُتَفَاوِحَةِ ؛ وَالْإِعْتِدَادِ بِنِعْمَةِ مَوْلَانَا الَّتِي لَوْلَا [مُوَالَاتُهَا ^(١)] كُلِّ وَقْتٍ لَقِيلَ فِيهَا « مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ » وَتَضَاعَفَ

هُوَ الْمَمْلُوكُ عَلَى قَدَمِ الْمَوَالَةِ الَّتِي [يَسْتَشْهِدُ] فِي دَعْوَاهَا بِشَهَادَةِ الْخَاطِرِ الشَّرِيفِ ، وَيَتَقَدَّمُ بِهَا تَقْدَمًا تَحْتَ لَوَاءِ الْوَلَاءِ وَتَأْتِي بَقِيَّةَ الْأَوْلِيَاءِ فِي اللَّفِيفِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوزِعُ الْمَمْلُوكَ شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ الْمُتَّصِلِ مَدَدُهَا ، وَالْمِنَّةِ الَّتِي لَا يَعْدُمُهَا وَلَا يَعْذُهَا ، وَيُطِيلُ بَقَاءَ مَوْلَانَا لِحَمْدِ يَحْيَاهُ وَيَحْيِيهِ ، وَشَرَفِ دُنْيَا وَأُخْرَى يَهْدُمُ وَفَرَهُ وَنُحْمَهُ وَيَنْتِنِيهِ .

النوع الثالث عشر (العتاب)

قال في "مواد البيان" : المكتبة بالمعانة على التحول عن المودة والاستخفاف بحقوق الخلّة من المكتبات التي يجب أن تستوفي شروطها، وتكمل أقسامها : لأن ترخيص الصديق لصديقه في المقاطعة والمصارمة دالٌّ على ضعف الاعتقاد ، واستحالة الوداد .

من كلام المتقدمين :

إِنِّي مَا أَحْدَثْتُ نَبْوَهِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَحْدَثْتُ جَفْوَهُ ؛ وَلَا أَبْدَيْتُ هَجْرًا ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَبْدَيْتُ غَدْرًا ؛ وَلَا لَوَيْتُ وَجْهًا عَنِ الصَّلَاةِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ ثَبَيْتُ عِطْفًا إِلَى الْقَطِيعَةِ ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَّا جَانٌ ، وَالثَّانِي حَانٌ ؛ وَالْمُتَقَدِّمُ مُؤَثِّرٌ ، وَالْمُتَأَخِّرُ مُضْطَّرٌّ ؛ وَكَمْ بَيْنَ فِعْلِ الْمُخْتَارِ وَالْمُكْرَهِ ، وَالْمُبْتَدِعِ وَالْمُتَّبِعِ .

آخر : إِنْ أَمْسَكْتُ يَاسِيدِي عَنْ عِتَابِكَ ، مُرْخِيَا مِنْ عِنَانِكَ ؛ كُنْتُ بَيْنَ قَطْعِ لِحْبَلِكَ ، وَرِضَا بِفِعْلِكَ ؛ أَوْ اقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى التَّلَوُّجِ بِهِ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ مَعَ كَثْرَةِ جُوحِكَ ، وَشِدَّةِ جُنُوحِكَ ؛ وَمَا آرَتَكْبَتَهُ مِنْ رَائِكَ ؛ وَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ جَفَانِكَ .

رقعة عتاب : لمولانا لدى المملوك عَوَارِفُ لا يَتَنَدَى إلى معرفتها فيوفيا كُنْهَ المراد، وأيادٍ لا يُلْتَمَعُ ما تستحقه من الإحاد ؛ ولو عَصِدَتْهُ خُطْبَاءُ إِيَادٍ ، أَجْلُهَا في نفسه خَطَرًا ، وأَحْسَنُهَا عليه أَثَرًا ؛ ما يَفْرِضُهُ له من رِءٍ وإِكْرَامِهِ ، وتعْهْدِهِ وأَهْتَامِهِ ؛ وقد غَيَّرَ مولانا عَادَتَهُ ، وَتَقَضَّ شِمَّتِهِ ؛ وَبَدَّلَ المملوك من الانعطاف بالإعراض ، ومن الإِنْسِاطِ بالإِنْقِبَاضِ ؛ وَحَمَلَهُ من ذلك ما أَوْهَى قُوَى صَبْرِهِ ، وَأَظْلَمَ بَصَائِرَ فِكْرِهِ ؛ فَإِنْ يُكُنْ ذَلِكَ لَخَطًا واقعه المملوك سَاهِيًا ، وَجُرْمَ أَجْرَمِهِ لَاهِيًا ؛ فَنُشِلَ مولانا لا يُطَالَبُ إِلَّا بالقَصْدِ ، ولا يُعَاقَبُ إِلَّا على العَمْدِ ؛ إِذْ كَانَ المملوك لا يُعَصِّمُ من زَلَلٍ ، ولا يَسْلَمُ من خَلَلٍ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مولانا أَرَادَ من المملوك تَقْوِيمَهُ وتَأْدِيبَهُ ، وإِصْلَاحَهُ وتهْدِيَهُ : لِيُحْسِنَ أَثَرَهُ في خِدْمَتِهِ ، وَيَسْلُكَ السَّبِيلَ الواضِحَ في تِبَاعَتِهِ ، فلا أَعْدَمَ الله المملوك تَثْقِيفَهُ ، ولا سَلَبَهُ تَبْصِيرَهُ وتعْرِيفَهُ ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَشَكٍّ عَرَضَ من المملوك في وِدَادِهِ ، وَآرْتِيَابِ خَاصَرٍ في حُسْنِ اعْتِقَادِهِ ؛ فَأُعِيدَهُ بالله من القَطْعِ بالشُّبُهَاتِ ، وَالْعَمَلِ بِمُنْقَلِ السَّعَايَاتِ ؛ وَمولانا خَلِيقٌ بَانَ يُطْلِعُ من أُنْسِ المملوك ما غَرِبَ ، وَيُنْظِطُ من سُورِهِ ما نَضَبَ ؛ وَيُعِيدُهُ لِرِضَاهُ ، وَيُجْرِيهِ عَلَى ما أَحَدُهُ مِنْهُ وَأَرْضَاهُ .

رقعة : ليس المملوك يَرْفَعُ مولانا في إِعْرَاضِهِ ، إِلَّا إلى فَضْلِهِ ، ولا يُجَاكِمُهُ عَلَى انْقِبَاضِهِ ، إِلَّا إلى عَدْلِهِ ؛ وَلَا يَسْتَعِينُ عَلَيْهِ إِلَّا بما يَسْتَمْلِيهِ من آدَابِهِ ، ولا يَنَاطِرُهُ إِلَّا بما أَخَذَهُ عَنْهُ من مُحَافَظَتِهِ وإِيجَابِهِ ؛ إِذْ كَانَ المملوك مُدَّ وَصَلَتِهِ السَّعَادَةُ بِجِبَالِهِ ، نَاسِجًا عَلَى مَنَوَالِهِ ؛ مُتَقَبِّلًا شَرَائِفَ خِلَالِهِ . وما عَهْدَتُهُ عَمَرُ الله مَعَاهِدَهُ ، وَكَبَتَ

(١) لعله الولي .

(٢) يقال أنظلم حديثا سمعه ثم إليهم به أنظر اللسان ج ١٤ ص ١٩٤ .

حاسده ؛ يغضبُ تقليدًا قبل الاختبار، ويُخَوِّج البريء إلى مَوْقِف الاعتذار ؛ ولا سِيَّما إذا كان المظنونُ به عالمًا بشروط الكرم ، عارفاً بمواقع النعم ؛ لا يَنْسَخُ الشكرَ ، بالكُفْر ، ولا يتعوّضُ عن الحمد ، بالتحذُّ ؛ وقد عرفَ مولانا شَاءَ المملوك على تفضّاله ، ووقف على بَلَاءه لأعماله ؛ وهو وقيُّ ربِّ عوارفه وصنائه ، وتتميز مارهنَ لديه من ودائعهِ ؛ وتنزيهِ سمعهِ عن الإصغاءِ إلى ما يَخْتَلِفُه حاسد ، ويصوغُهُ كائد ؛ وقد حَكَمَ المملوكُ على نفسه نَقْدَه الذى لا يُبهرجُ عليه ولا يدلسُ ، وكشفه الذى لا يُعطى عليه ولا يُلبسُ ؛ فليحْكُ أفعالَ المملوك على حَكِّ بصيرته ، وليجُلْ فى تأملِ مقاصده طَرْفَ فكرته ؛ فإنه ممن لا تُحِيلُهُ الأحوال ولا تُحوِّلُهُ ، ولا تُغيِّرُهُ الغيَرُ ولا تُبدِّلُهُ ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : أفعالُ شكرِ المملوكِ فى الحِلْم والغَضَب ، والرِّضا والسَّخَط ، إذا لم يقتضِ الحِزْمُ إيقاعها مَوْقِع الفضل ، واقعةٌ مَوْقِع الإنصاف والعدْل ؛ ولا يُغلبُ هواه على رأيه ، ولا بادرتَه على أناته ؛ وقد جانبَ مع المملوك عادته ، وبأينَ فيه شيمته ؛ ونالهُ من إغراضه ، وجفائه وأنقباضه ، وتغيُّر رأيه ، ما وسمَ المملوكُ فيه بالذَّنْب ولم يُذْنِبْهُ ، وحمله على الجُرم ولم يَحْتَقِبْهُ ؛ وأوقفه لديه مَوْقِف الاعتذار ، وأخوجه إلى الاستقالة والاستغفار ؛ وليس المملوكُ يُحاكِمُهُ إلَّا إليه ، ولا يُعولُ فى الانتصاف إلَّا عليه ؛ وما أولاه بأن يُعيدَ المملوكُ إلى محله من رضاه ، فإنه لم يُواقِعْ فى خدمته إلَّا ما يَرْضاه ؛ وحسبُهُ شاهدًا بذلك ما يعلمُ من المملوك من سَلَامَةٍ غِيْهِ ، وطهارة جَنِيْهِ ؛ وفضلُ ودِّهِ ، وصحَّة معتقده ؛ إن شاء الله تعالى .

(١)

رقعة بمعاتبية على :

كُلُّ مانعٍ مَالِدِيهِ مَنْ رَغِبَهُ ، دافعٍ عَمَّا عنده مَنْ طَلَبَهُ ؛ فستغنى عنه إِلَّا الله تعالى
 المُتَبَدِّئُ بالنَّعمِ ، العَوَّادُ بالكَرَمِ ؛ ولو عَرَفَ مَوْلَانَا بَطْءَ شَجَرَةِ المَعْرُوفِ ، ^(٢) لَأَسْرَعَ
 إِلَى أَحْثَاضِهَا ، ولو علم مَالَهُ تعالى عليه من الحُقُوقِ في مَالِهِ وَجَاهِهِ ، لم يُقْصِرْ عن
 أدائها ؛ غيرَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ القَوْرَ بالوُجْدِ ، غَايَةُ المَجْدِ ، وَأَنَّهُ إِذَا أَحْمَدَ النَّسَبَ غَنَى عن
 الحمد ؛ وَأَنَّ النِّعْمَةَ تُرْتَبِطُ بِالرِّبْطِ عَلَيْهَا ، وَتَنْصَرِفُ بِالنَّصْرِ فِيهَا ؛ وما ساءَ المملوكُ
 أَنْ تَنَزَّهَ عن تَقَلُّدِ مَنَّةٍ لَيْمٍ ، وَحُرْمِ مَحَمْدَةٍ من كَرِيمٍ ؛ وهذا الحِرْمَانُ أَحْسَنُ وَاللهُ
 فِي عَيْنِ المَمْلُوكِ مِنَ التَّوَالِ ، وهذا الإِكْدَاءُ أَبْرَأُ لَدِيهِ مِنْ بُلُوغِ الآمَالِ ؛ وسينشرُ المملوكُ
 مَذْهَبَهُ فِي كُلِّ نَادٍ ، وَيَكْفُفُ عَنْهُ أَمَانِي الْقُصَادِ ؛ وَيَكْفِيهِ مَثُونَةُ الاعتذارِ ، وَيَصُونُهُ
 عَنْ أَنْ تُبَدَّلَ إِلَيْهِ وَجُوهُ الْأَحْرَارِ : لِيَعْلَمَ أَنَّ المَمْلُوكَ عَلَى مَنْعِهِ لم يُقْصِرْ فِي بُلُوغِ
 أَوطَارِهِ ، وَالسَّعْيِ فِي إِيْثَارِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رقعة في المعنى : مَارَدَ المَمْلُوكُ بِمَوْلَانَا مُسْتَنْزِرًا لِقَلِيلِهِ ، وَلَا لَائِمًا لِنَفْسِهِ عَلَى
 تَأْمِيلِهِ ؛ لِكِنَّهُ آتَجَعَهُ أَنْتِجَاعَ مَنْ ظَنَّنَهُ عَارِفًا بِقُدْرِهِ ، رَاغِبًا فِي شُكْرِهِ ؛ فَلَوْ اغْضَى
 المَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى الْإِطْرَاحِ لِأَمْرِهِ ، لَأَسْتَدَلَّ مِنْهُ عَلَى قِصْرِ الهِمَّةِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَوْمُهُ
 بِدُونِ الْقِيَمَةِ ؛ لَا سِيَّامًا وَهُوَ يَقْرَضُ لِمَنْ لَا يُجَارِي المَمْلُوكَ فِي مِضْمَارٍ ، وَلَا يُسَاوِيهِ
 فِي مِقْدَارٍ ؛ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بِتَأْمِيلٍ وَرَجَاءٍ ، وَتَقْدِيمِ ذَرِيعَةٍ مِنْ تَقْرِيطِ وَثَاءٍ ، مَا تَضِيقُ
 عَنْهُ الهِمَمُ الفِسَاحَ ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِقْتِرَاحُ .

(١) بياض في الأصل ولعله « على منع عطاء » .

(٢) لعله « ثرة المعروف ... الى اجتنائها » تأمل .

رقة عتاب، على تقصير في خطاب :

حوشي مولاي أن يحرق الذيل على آثار فضله ، وميت من غروس إحسانه
 ماهو جدير أن يتعهده بوبله ؛ ويعني مني رسوم كرمه ، ويصدع بجانبه الإنصاف
 صفاة صفاته وصفائه ، وينطق الألسن بعبابه ؛ ويصلي سيف التأنيب من قوابه ؛
 بما استحسنه من مستقبح المصارمة في مخاطبه ، وأستوطاه من جاح التريث
 في المكاتبه ؛ ولا سيما وهو يعلم أن موقع الإكرام من الكرام ، ألطف من موقع
 الإنعام ؛ وأن محلّ القول ، أفضل من محلّ النوال ، وأن تغير العادة في البر ، مقوّض
 لمعاهد الشكر ؛ وسبيح (؟) السنة في الإنصاف ، قاض بالإنصراف بعد الإنعطاف ،
 وقد كان المملوك أزعج أن يتحمل تقصيره به ، وأن يقلّ من غربه ، غير مطاوع
 للحمية ، ولا متقاد لنفس العصبية ، ولا يقرع سمعه بعتاب ، ولا يورد عليه مضمض
 خطاب ؛ ثم رأى المملوك أن يرشده إلى الأزين ، ويبعثه على اعتماد الأحسن ؛
 ويحضه على مراجعة الأفضل ، ومعاودة الأجمل : ليتحفظ مع سواه ، ولا يحرق
 جواره ؛ فليس كل أحد يتحمّله ، ويرضى رضا المملوك بما يفعله ؛ فولانا حبب الله
 إليه الرشد ، ووفقه إلى المنهج الأسد ؛ هل هو من شيء سوى بشر ؛ فما هذا التيه
 والبطر ؟ ولم هذا الأزل والأشهر ؟ وما فعل الرئيس إلى ما يصغر عنه قدر ؛
 ولا يتأس من نيئه عمر ؛ ولا مضت أعلامك في الأقاليم ، ولا أشير إليك بننان
 التعظيم ؛ ولا فوضت إليك الوزارة والردافة ، ولا تأمرت على الكافة ؛ ولا طاولت
 الأكفاء فطلت ، ولا ناضلت القرناء فنضلت ؛ وإنما سرق إليك الخط من ميماده
 وشلا مضرّدا ، وأدرك الدهر من أخلافه مجدّدا ، فافتتحت المعاملة بظلم
 الإخوان ، ونسخ شرائع الإحسان ؛ كذبتك نفسك ، وغرّك حدّسك ؛ كيف بك
 غدا إذا استردّ الزمن ما خولك ، وأسترجع ما نولك ؛ وصحوت بالزل من سكرة

(١) الولايه، وتقررت بعد طلب الغايه ؛ وعُدت إلى إخوانك فوجدت أوطانَ أنسهم بك نايه ، ونفوسهم للإقبال عليك آييه ؛ ولو كان الزمن أمكنك من رقتي ، وطرق لك الطريق إلى إيداع عُرفك في جهتي ؛ لقبج بك أن تطول بطولك ، وتدعي الفضل بفضلك ، ولم يحسن أن تبدل الإنعام ، وتضمن بالالتزام ؛ فإن كنت تفخر بسلفك وأبوتك ، وتطاول بأوليتك وأسرتك ؛ فلو كان أبوك كسرى ، لما جبر منك كسرا ، ولو كان جدك بُحت نصر ، لما أنتفعت به في مظاهرة ولا نصر ، فدع أكثر مافات ، ولا تعول على العظام الرفات ؛ فاستند إليها إلا عار من الفضل عايل من الحيل . على أنك لو فخرتنا بها لفخرناك ، وتقديمنا وأخرناك ؛ وإن كنت تستند إلى دياتك ، وتعتمد على نسك وأمانتك ؛ فهذه خالص حال لا تخلص مرتبتها ولا تتم فضيلتها إلا باستشعار التواضع ، والأخذ بمكارم الأخلاق لدى التنازع ؛ فارجع هديتك إلى الأجل^(٢) ، وأعمل بالأفضل ، وقف بحيث ربتك ؛ ولا تشوف إلى غير درجتك ؛ وإن أبيت ذاك فأقطع المراسله ، وأعفها من المواصله ، والسلام .

رقعة عتاب على تأخر المكاتبة :

من حُكم الوداد - أطال الله بقاء سيدي - الزيارة عند المقاربة ، والمكاتبة عند المباعده ؛ وإن كانت المودة الصريحة لا يغيرها اجتناب ، إلا أن الكتب السن العاد ؛ والأعين التي تنظر حقائق الوداد ، ولها في القلوب تأثير ، وموقعها فيها أثير ؛ وحوشي مولانا أن أهم أزيجه لما يؤكّد الثقة بإخائه ؛ ويشهد بوفائه ؛ ولا سيما وهو يقرض ذلك لأحبته ، وقوله واجب في شرع مودته .

رقعة في معناه :

إِنْ أَبْتَدَأَ الْمَلُوكُ مَوْلَانَا لَمْ يُحِبْ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْإِبْتِدَاءُ لَمْ يُوجِبْ ؛ فَلَا حَقَّ
الْإِجَابَةِ تُؤَدِّيهِ ، وَلَا نَاجِرَ الْمَسْأَلَةِ تَقْضِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ إِذَا شَخْصَ غَابَتْ عَنْ فِكْرِهِ
أَشْخَاصُ أَحَبَّتِهِ ، وَإِذَا بَعُدَ عَامِلُهُمْ بِتَجَافِيهِ وَجَفَوْتِهِ ؛ فَقَدْ كَانَتْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّفَ
وَيَتَجَمَّلَ ، وَيَتَصَنَّعَ وَيَتَعَمَّلَ : فَإِنَّهُ لَوْ عَلَّلَ مُشُوبًا بِالْإِنْتِظَارِ ، أَوْ اعْتَذَرَ مَرَضًا
بِالْاعْتِذَارِ ؛ لَأَقَمْتُ ذَلِكَ مُقَامَ الْمُكَاتَبَةِ ، وَصُنَّتُهُ عَنْ تَحْضِ الْمُعَاتَبَةِ ؛ لَكِنَّهُ مَالٌ مَعَ
الْمَلَالِ ، وَرِضَى الْإِطْرَاحِ وَالْإِهْمَالِ ؛ وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَقِيلٌ بِالْإِخْوَانِ ، مُتَنَقِّلٌ مَعَ
الزَّمَانِ ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَصُدُقَ الْمَخِيلَةُ ، وَيَرْجِعَ إِلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ .

رقعة معاتبية رجل كريم الأصل لثيم الفعل :

قَدْ عَرَفَ مَوْلَانَا وَفَقَهُ اللَّهَ وَوَقَفَهُ عَلَى مَنَهِجِ الرَّشَادِ ، أَنَّ جُنَايَةَ الْغَضَبِ الذَّمِيمِ ،
تَقْدَحُ فِي كَرَمِ الْحَنِثِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنَّ قَبِيحَ الصِّلَفِ ، يَنْسَخُ تَلِيدَ الشَّرَفِ ، وَخِيثَ
النَّدْبَةِ ، يُعْنَى عَلَى طِيبِ الْمَنَاحِثِ الزَّكِيَّةِ ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِمَنْ تَحَلَّى بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ،
وَتَلَبَّسَ بِاللُّعْنَةِ وَالْعَدْرِ ، وَسَاحَ نَفْسَهُ بِإِطْرَاحِ الْحُقُوقِ ، وَأَسَدِطَاءِ الْعُقُوقِ ؛
إِلَّا إِضَاعَةُ الْحُرْمِ ، وَإِخْفَارُ الذَّمِّ .

المعاتبية من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ صَارَ يَرَى قُرْبَهُ أَزْوَارًا ، وَطَوِيلَ سَلَامِهِ اخْتِصَارًا ؛
وَيُغَالِطُ فِي ذَلِكَ حَتَّى شَاهَدَهُ عِيَانًا مَرَارًا ؛ هَذَا وَيُكْرِ الْوَلَاءَ ، صَقِيلَةُ الْحِلَابِ ،

وعروسُ الشَّاءِ، جميلةُ الزَّيَّةِ حَسَنَةُ الشَّبَابِ، وهو لا يفتأ من المُوَالاةِ في صَدَدٍ وَقَدْرِهِ
 فِي صَبَبٍ ؛ فَكُلُّهَا مَكْنٌ وَتَدَ الْإِسْتِعْطَافِ يَرْجُو عَدَمَ تَخْلُصِهِ فُصْلَ بَأْيَسَرِ سَبَبٍ ؛
 بِحَيْثُ أَطْفَأَ الْإِهْمَالُ نَارَ الْمُسَاعَفَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ، وَأَنْتَقَلَ تَوَهُمُهُمْ عَدَمَ الْعِنَايَةِ إِلَى تَيَقُّنِ
 وَجُودِهِ بِالْمَشَاهِدَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ يُرْفَعُ قَدْرُهُ نَحْفُضُ، وَعَوَّضُ فِي الْحَالِ عَنِ الرَّفْعِ
 بِالْإِبْتِدَاءِ، أَنَّهُ مُقَرَّدٌ وَيُنْصَبُ كَالنِّكَرَةِ فِي النَّدَاءِ، وَأَهْمَلُ حَتَّى صَارَ كَالْحُرُوفِ لَا يُسْنَدُ
 وَلَا يُسْنَدُ إِلَيْهَا، وَأُلْفِيَ حَتَّى شَابَهَ ظَنَنْتُ إِذَا وَقَعَتْ مُتَأَثِّرَةٌ عَنْ مَفْعُولِيهَا ؛ وَمَتَى
 يَقْلُقُ لِأَمْرٍ، أُنْسَدَ نَفْسُهُ * مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ *

وَكَانَ يَغْنَى مُجْلِسُهُ الْكَرِيمَ خِدْمَةً وَأَدَاءً لِلوَاجِبِ، وَطَلَبًا لِعَادَةٍ أَكَّدهَا إِحْسَانُهُ
 حَتَّى صَارَتْ ضَرْبَةً لِازِبٍ ؛ فَلَا يَخْلُو مُجْلِسٌ مِنْ إظهارِ تَغْيِيرِ عَادَةٍ وَطَلَدِ الْجُودِ
 أُسَاسَهَا، وَأَتَتْقَاضِ قَاعِدَةِ أَهْلِ الْكَرَمِ أَمْرَاسَهَا؛ فَيَنْقَطِعُ سُلُوكًا لِلْأَدَبِ وَتَخْفِيفًا عَنِ
 الْخَوَاطِرِ، وَيَتَلَقَّى مَا يَصْدُرُ بِقَلْبٍ شَاكِ وَلِسَانٍ شَاكِرٍ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ عَزَمَ مَوْلَاهُ
 عَلَى طَرْدِهِ، وَعَوَّضَهُ عَنْ مِثْنَةِ الْقُرْبِ الْمَحَنَّةِ بَعْدَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْبَى ذَلِكَ جُودُهُ وَلُطْفُهُ،
 وَمَعْرِفُهُ يُشْكِرُ وَيَزِيدُ لَا يَمَكُنُ صَرْفَهُ؛ وَلَوْ جَازَ الصَّرْفُ لِحَبْرَةٍ ^(١)
 الْعَدْلُ مِنْ سَيِّدِهِ، وَالْحِلْمُ الَّذِي عُرِفَ مِنْ كَرِيمٍ مُحْتَدِهِ؛ فَكَانَ الْمَمْلُوكُ يَسْتَحْسِنُ
 فِي حَبْرَةٍ وَسَبْرِهِ، وَيَعَوَّضُ عَنْ مَقَابَلَتِهِ بِجَبْرِهِ ؛ فَقَدْ صَارَ سَمِيئُهُ غَنًّا وَشَحْمُهُ وَرَمًا،
 وَحَدِيثُهُ رَتًّا وَسَهْلُهُ عَلَمًا :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ * كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
 وَمَا تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ وَلَا بَعْضُهُ، وَلَا يُحْدِثُ ذَمَّ الْمَمْلُوكِ وَبُغْضَهُ ؛
 وَلَوْ بَدَأَ مِنْهُ زَلَلٌ، أَوْ لَمَحَ مِنْهُ خَطَلٌ؛ فَكَارُمُ مَوْلَانَا أَوْسَعَ مِنْ إِقْبَاءِ ذَلِكَ فِي صُدُورِ
 الصُّدُورِ، وَ[أُخْرَى بِ] مَحْوِ آيَاتِ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّهُ لِيَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ .

(١) بياض بالأمل ولعله « ليجرد الشك بالعبودية » :



وله : يُحْدِثُ بُدْعَاهُ ، وَصَادِقَ وِلَايَتِهِ ؛ وَيُنْهِي أَنَّهُ أَنْكَسَرَ خَاطِرُهُ ، وَأَرِقَ جَفْنُهُ
وَنَاطِرُهُ ؛ وَتَضَاعَفَ بَلَاءُهُ ، وَتَزَايَدَتْ فِي النَّقْصِ أَحْوَالُهُ ؛ مِنْذُ تَأَخَّرَتْ الْأُمَثِلَةُ الْكِرَامُ ،
وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهُ بَانِقَطَاعِهَا الْمِنْنُ الْحَسَامُ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْ ذَنْبٍ وَقَعَ ، وَتَشْرِيفَهُ
بِمِثَالٍ يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ مَا وَضَعَ ؛ وَاسْتَعْمَالَ الصَّفْحِ عَنْهُ كَسَائِرِ عَادَاتِهِ ، وَإِجْرَاءَهُ عَلَى
اللُّطْفِ الَّذِي أَلْفَهُ مِنْ تَفَضُّلَاتِهِ ؛ فَقَدْ ضَعُفَ صَبْرُ الْمَمْلُوكِ وَجَنَانُهُ ، وَتَفَرَّقَ لِلْفِرَاقِ
جَفْنُهُ وَإِنْسَانُهُ ؛ وَصَغُرَ قَدْرُهُ ، وَأَهْمِلَ جَانِبُهُ وَمِنْ أَمْرِ بِلَاهَاتِهِ نَحْرُهُ ، وَلِهَذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ ، وَكَانَ لِسَانُ حَالِهِ [يَنْشُدُ] فِي ذَلِكَ :

وَاهْتَنَيْتِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا * مَا مِنْ يَهُونٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَكْرُمُ !

وَالْمَمْلُوكُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّهُ مَازَالَ يَجْهَلُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحِدْمِ ، وَمُقَرَّرٌ بِتَقْصِيرِهِ عَنِ الْقِيَامِ
بِحَمْلِ مَا يُوَاصِلُ بِهِ مِنَ النِّعَمِ ؛ لَكِنَّهُ أَلْفَ مِنْ مَوْلَانَا أَنْ يَقَابِلَ إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ ،
وَجَهْلَهُ بِصَفْحِ لَا يَقُومُ بِشُكْرِ اللِّسَانِ ، بَلْ جَمِيعُ الْجُنَّانِ ؛ فَإِنْ كَانَ ذَنْبٌ مِنَ الْمَمْلُوكِ
هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ أَطْرَاحَهُ ، وَأَوْجَدَ أَسْفَهُ وَأَذْهَبَ أَفْرَاحَهُ ؛ وَكَانَ أَيْسَرَ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ جَهْلِهِ وَإِسَاءَتِهِ ، فَحُلْمُكَ جَدِيرٌ أَنْ يُلْحِقَهُ بِإِخْوَتِهِ ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ تَزَايَدَ مِقْدَارُهُ ،
فَالْمَوْلَى قَدْ تَضَاعَفَ عَلَى الْعَفْوِ اقْتِدَارُهُ ؛ وَإِذَا كَبُرَتْ الْخَطِيئَةُ كَثُرَ أَجْرُ غُفْرَانِهَا ،
وَعَلَّتِ الْمَجَاوِزَةُ عَنْهَا عَلَى أَقْرَانِهَا ؛ وَعَلَى كَلَا الْأُمْرَيْنِ فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْمَمْلُوكُ الْمَغْفِرَةَ بِكُلِّ
طَرِيقٍ ، وَأَنْ يُقَابِلَ رَجَاؤُهُ بِالْتَّحْقِيقِ ، وَأَمْلُهُ بِالتَّصْدِيقِ .



وله : وَيُنْهِي أَنَّهُ مَازَالَ يَشْلُو آيَاتِ مَحَاسِنِهِ وَحَمْدِهِ ، وَيَرْفَعُ رَايَاتِ إِحْسَانِهِ
وَعَجْدِهِ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ وَلَا يَتَوَلَّى عَنْ مَحَبَّتِهِ ، وَيُكْثِرُ الثَّنَاءَ عَلَى أَلْمَعَى فِطْسَتِهِ وَجَزِيلِ

مُرُوتِهِ ؛ وَقَدْ صَارَ يُشَاهِدُ مِنَ الْمَوْلَى مَلَالًا وَصُدُودًا ، وَإِعْرَاضًا يَغِیْظُ بِهِ صَدِيقًا
وَيُسْرِبُهُ حَسُودًا ؛ وَأَطْرَاحًا أَوْهَمَهُ أَنَّهُ أَلْفٌ وَصَلَّ دُرُجَتٌ ، أَوْ لَفْظَةً هُجْرٍ لُقِطَتْ ؛
وَلَا يَعْرِفُ لَهُ ذَنْبًا يُوجِبُ إِعْصَادَهُ ، وَلَا جُرْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ أَنْ يَنْقُصَ حَبْلَ وَصْلِهِ
وَيَرْفُضَ وِدَادَهُ ؛ وَلَا يَعْلَمُ سَبَبًا يُوجِبُ سَبَّهُ ، وَلَا شَيْئًا يُحْدِثُ عَتَبَهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ
أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْإِعْرَاضِ ، وَيَرْفُلَ مِنْ إِغْفَالِ مَوَدَّتِهِ فِي الثَّوْبِ الْقَضْفَاضِ ؛ فَإِنَّ
الْمَوْلَى أَلَمَهُ بِالْقَوْلِ مِرَارًا ، وَجَعَلَ سَحَابَةً حَيْفَهُ تَهْمِي عَلَيْهِ مِذْرَارًا ؛ وَهُوَ يَحْتَمِلُ
الْأَذَى ، وَيُغْضِي عَلَى الْقَذَى ؛ وَلَا يُظْهِرُ إِلَّا مَحَبَّةً ، وَلَا يُبْطِنُ لَهُ إِلَّا مَوَدَّةً ؛ فَإِنْ
شَاهَدَ الْمَوْلَى بَعْدَ إِعْرَاضِهِ إِعْرَاضًا فَلْيَلِمُ نَفْسَهُ ، أَوْ أَحْرِقْهُ لَهَبُ نَارِ الْجَفَاءِ فَلَا يَشْكُو
مَسَّهُ ؛ يُحِيطُ بِذَلِكَ عُلَمَاءُ ، وَرَأْيُهُ الْعَالَى .

شعر في العتاب :

مَوْلَايَ قَدْ طَالَ التَّبَاعُدُ بَيْنَنَا * أَوْ مَا سَمِيتَ قَطِيعَتِي وَمَلَالِي !
إِنْ لَمْ تَرَقَّ لِحَالَتِي يَا هَاجِرِي * مَوْلَايَ قُلْ لِي مَنْ يَرِقُّ لِحَالِي !

غيره :

يُبَاعِدُنِي عَنْ قُرْبِهِ وَلِقَائِهِ * فَلَمَّا أَذَابَ الْجِسْمَ مِنِّي تَعَطَّفَا

غيره :

إِنْ كَانَ هِجْرَانُنَا يَطِيبُ لَكُمْ * فَلَيْسَ لِلْوَصْلِ عِنْدَنَا ثَمَنُ

غيره :

سَمَّيْتُ فِي الْأَعْدَاءِ حِينَ هَجَرْتَنِي * وَالْمَوْتُ دُونَ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ !

غيره :

تَسَامُ عَيْنَاكَ وَتَشْكُو الْهَوَى * لَوْ كُنْتَ صَبًّا لَمْ تَكُنْ نَائِمًا !

ولبعضهم : سیدی بادانی بلطف من غیر خبره ، وأعقبنی جفاء من غیر ذنب ؛
فاطمعتی أؤله فی إخوانه ، وآیسنی آخره من وفائه ؛ فسبحان من لو شاء لكشف
بإيضاح المبهم عن غزیمة الرأی فیہ ؛ والمملوك يقول :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ أَنْقَلَبَ * وَصَفَوْ وِدَادَكَ أَنِّي ذَهَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنِّي * أُرَاكَ بَعَيْنِ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ

أجوبة رقاع العتاب

قال فی ” موادّ البیان “ : حكم أجوبة هذه الرقاع حكم رقاع أجوبة الاعتذار
إلا أنها لا تخلو من الإجابة بالاعتاب أو الإصرار على العتاب . قال : ويجب
أن يسلك فيها المذهب المحيى عن رقاع الاعتذار .

زهر الآداب :

فی جواب العتب على تأثر مكاتبة .

وعلم المملوك ما أشار به من العتب بسبب تأثر خديمه عن جنابه ، وما توهمه
من اشتغال المملوك بأهله وأصحابه ؛ وحاشاه أن يتوهم فى المملوك غير الولاء ، والملازمة
على الحمد والثناء ؛ فهو لا يعتمد ذلك إلا تخفيفاً عن خاطره ، ووئوقاً بما يتحققه
المولى من خالص مودته فى باطنه وظاهره ؛ حرسه الله ووفقه ، وفتح له باب السعادة
ولا أغلقه ، بمنه وكرمه .

زهر الربيع :

جواب عتاب :

زاد الله جَنَابَهُ حَنَانًا ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ إِنْعَامًا وَإِحْسَانًا ، وَخَلَّدَ لَهُ عَلَى كُلِّ عَدُوٍّ سُلْطَانًا .
ولا زالت هِمَّتُهُ سَمَاءً لَنَا كِبَ الْكَوَاكِبِ ، وَأَيَادِيهِ تُفِيضُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ غَرَائِبَ
الرَّغَائِبِ ؛ وَلَا بَرَحَتْ سَحَابُ إِنْعَامِهِ هَامِيَةً ، وَقُطُوفُ إِحْسَانِهِ دَائِمَةٌ دَائِيَةً ؛ وَشَرَائِعُ
مِيَاهِ جُودِهِ تُجَفِّفُ جُفُونَنَا مِنَ الْفَاقَةِ دَائِمِيَةٍ .

المملوك يَحْدُدُ خِدْمَتَهُ ، وَيُؤَاتِرُ لِلْوَلِيِّ أَدْعِيَتَهُ ؛ وَيَعْتَرِفُ بِمِنَنِهِ الَّتِي أَقْرَتْ بِهَا أَلْسِنَةُ
جَوَارِحِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَهَا ؛ وَيَعْتَرِفُ بِيَدِ تَضَرُّعِهِ مِنْ بَحَارِ جُودِهِ الَّتِي تَتَعَبُ
الْوَلِيَّ مِنْ سَحَابِهَا إِلَى كُلِّ وَلىٍّ وَتَقْدِفُ لَهُ جَوَاهِرَهَا .

وينهى ورود المكاتبه والعلم بمضمونها ، وَالْأَخْتِوَاءَ عَلَى سَائِرِ مَعَارِنِ فُنُونِهَا ؛
وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَتَبِ الَّذِي يَرْجُو بِهِ بَقَاءَ الْوِدَادِ ، وَأَسْتِصْحَابَ حَالِ التَّوَاصُلِ
مِنْ غَيْرِ تَقَادٍ ؛ وَالْمَمْلُوكَ فَلَا يُنْكِرُ ذَنْبَهُ ، وَلَا يَتَنَصَّلُ وَلَا يَتَوَصَّلُ بَلْ يَعْتَرِفُ بِجُرْمِهِ وَقَلَّةِ
خِدْمَتِهِ ؛ وَيَسْتَمْسِكُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مِنْ إِحْسَانِهِ وَحِلْمِهِ ، وَيَسْأَلُ مَكَارِمَهُ إِجْرَاءَهُ
عَلَى عَادَتِهِ بِالصَّفْحِ عَنْهُ وَرِسْمِهِ ؛ وَهُوَ يَرْجُو أَنَّ أُمَّ هَذِهِ الْهَفْوَةَ لَاتِلِدَ لَهَا أُخْتًا ، وَأَنَّهُ
لَا يَعْتَمِدُ إِلَّا مَا يَزِيدُهُ إِلَى الْمَوْلَى مِقَّةً وَيُزِيلُ مَقْتًا ؛ فَإِنَّ مَعَاتِبَةَ مَوْلَانَا قَدْ وَعَتْهَا أُذُنٌ
وَاعِيَةٍ ، وَمَرَاضِيَهُ لَا تُخْفَى عَلَى الْمَمْلُوكِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهَا خَافِيَةً ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

آخِر : أَسْعَدَ اللَّهُ الْمَجْلِسَ وَعَطَفَ لِلْأَوْلِيَاءِ قَلْبَهُ ، وَنَصَرَ تَائِبِيَهُ وَأَنْفَذَ كُتُبَهُ ؛
وَأَرَاهَفَ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ سِنَانَهُ وَعَضْبَهُ ؛ وَأَلْهَمَ حَبَّةَ قَلْبِ الزَّمَانِ حُبَّهُ ؛ وَأَقْدَرَهُ
عَلَى الْحِلْمِ الزَّائِدِ حَتَّى يَغْفِرَ بِهِ لِكُلِّ مُذْنِبٍ ذَنْبَهُ .

[وينهى] وُرودَ الكتابِ الذي أَعَدَّته يَدُ مولانا فصارَ كَرِيماً ، وكَسَتَهُ عِبارَتُهُ ثَوْبَ بَرَاعَتِهِ فَأَصْبَحَ مَنَظَرُهُ وَسِيماً ، وَأَسْتَشَقُّ عَرَفَ نَسِيْمِهِ الْمُبَارِكِ فَطابَ شَمِيماً ؛ وعِلْمُ الْمَمْلُوكِ مِنْهُ شِدَّةٌ عَتَبُهُ ، وَمُرُّ التَّجَنِّيِّ الَّذِي ظَهَرَ مِنْ حُلُولِ لَفْظِهِ وَعَدْبُهُ ؛ وَلَمْ يَعْرِفْ لَعَتَبَهُ مُوجِباً ، وَلَا تَغْيِيرَ مَوَدَّتِهِ سَبَباً ؛ فَإِنَّهُ ماحِدٌ عَنِ طَرِيقِ وَلَانِهِ وَلَا حَالٍ ، وَلَا زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنْهُ وَلَا زَالَ ؛ وَلَا مَادَ عَنْ مَنَهِجِ المَوَدَّةِ وَلَا مَالَ ؛ وَمَا قَيَّ لِحَاسِنِهِ نَاشِراً ، وَلَا احْسَانَهُ شَاكِراً ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ ثَقُلَ عَنْهُ إِلَى مَوْلَانَا شَيْءٌ أَرْجَحَهُ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ عَادَةِ حِلْمِهِ وَأَخْرَجَهُ ؛ فَإِنْ الْوُشَاةُ قَدْ آخَلَقُوا قَوْلَهُمْ وَثَقَلَهُمْ ، وَقَصَدُوا تَشْتِيتَ الْمُصَاحِبَةِ شَتَّ اللَّهُ شَمْلَهُمْ :

وقد نَقَلُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفْهَمْ بِهِ * وَمَا أَفْهَمَ الْأَخْبَارِ إِلَّا رُؤُوسَهَا !

آخِرُ : وَرَدَتْ الْمَشْرِفَةُ الْعَالِيَةُ أَعْلَى اللَّهِ نَجْمٌ مُرْسِلُهَا ؛ وَأَسْبَغَ أَيَادِيَهُ وَشَكَرَ جِسِيمَ تَفَضُّلِهَا ؛ فَابْتَهَجَتْ الْأَنْفُسُ بِحُلُولِهَا وَحُلَّ بِجَمَالِهَا ، وَعُومِلَتْ بِمَا يَجِبُ مِنْ إِكْرَامِهَا وَإِجْلَالِهَا ، وَفُضَّ خِتَامُهَا فَفَاحَ مِنْهَا أَرْجُ الْعَبِيرِ وَالْعَنْبَرِ ، وَتَلَيَّتْ أَلْفَاظُهَا الَّتِي هِيَ أَهْبَى مِنْ الرِّيَاضِ وَأَحْلَى مِنَ الشُّكْرِ ؛ فَأَغْنَتْ كُتُوسُ فَصَاحَتِهَا عَنِ الْمُدَامِ ، وَأَزَالَ مَأْوَاهَا الزَّلَالُ الْبَارِدَ حَرَّ الْأَوَامِ ؛ وَأَعْرَبَ مُنْشِئُهَا عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ مِنَ الْعَتَبِ ، وَالضَّيْقِ الَّذِي حَصَلَ فِي ذَلِكَ الصَّدْرِ الرَّحْبِ ؛ وَهُوَ يُقْسِمُ بِنِعْمَتِهِ ، وَيَصَادِقُ بِحُبَّتِهِ ؛ أَنَّهُ لَمْ يَبْدُ مِنْهُ مَا يُوجِبُ عَلَيْهِ عَتَباً ، وَلَا آتَنِي عَنِ النَّاءِ عَلَى [مَحَاسِنِهِ] ^(١) الَّتِي شَغَفَتْهُ حُبّاً ؛ فَإِنْ كَانَ الْمَوْلَى قَدْ تَوَهَّمَ شَيْئاً أَخْرَجَهُ وَأَقْلَقَهُ ، وَإِلَى أَلِيمِ الْعَتَبِ شَوْقَهُ ؛ فَلْيَزِلْ ذَلِكَ الْوَهْمَ مِنْ خَاطِرِهِ ، وَلْيَتَّقِ بِمَا تَحَقَّقَ مِنْ مُوَالَاتِهِ فِي بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ ؛ وَرَأْيُهُ الْعَالَى .

آخِر : أعزَّ الله عزَماته ، وشكَّر جِسْمَ تفضُّلاته .

ولا زالت نِعْمَتُهُ بِأَقْبِهِ ، وقَدَّمَهُ إلى دَرَجِ المَعَالَى رَاقِبِهِ ؛ وَهَمَّتْهُ إلى السَّمَوِّ على الكَوَاكِبِ سَامِيهِ ، وسَمَاءُ جُودِهِ على العُقَاةِ هَامِيهِ ؛ وَعَزَمَتْهُ لِنُغُورِ الإسلامِ حَامِيهِ ، عَبْدُ نِعْمَةٍ ، وَغَرَسَ كَرَمَهُ ، يُعَلِّمُهُ بِصِدْقِ وَدِّهِ ، والمداوِمَةِ على شُكْرِهْ وَحَمْدِهِ ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ على مُشْرِفِهِ وَفَهَمِهِ ، وشَاهَدَ مِنْهُ عَتَبَهُ وَعَلِمَهُ ؛ وَهُوَ لَا يَشْكُو مِنَ المَوْلَى جَفَاءً وَلَا يَعْيبُ ، و[عن] طريقِ المَصَافَاةِ والمُخَالَصَةِ فَلَا يَغِيبُ ؛ بَلْ يَقُولُ :

أَنْتَ الْبَرِيُّ مِنْ الإِسَاءَةِ كُلِّهَا * وَلَكَ الرِّضَا وَأَنَا الْمُسِيءُ الْمُذْنِبُ

والمَرْجُوُّ مِنْ لَطَافَةِ أَخْلَاقِهِ ، وَطَهَارَةِ أَعْرَاقِهِ ، أَنْ يَصْفَحَ عَنْ زَلَّتِهِ ، وَيَعْفُو عَنْ ذَنْبِهِ وَإِسَاءَتِهِ :

فَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لَتَخْفِيفِ زَلَّتِي * وَتَحْقِيقِ آمَالِي وَنَيْلِ مَا رِي !

وَقُرْبِكَ مَقْصُودِي وَبَابُكَ كَعْبَتِي * وَرُؤْيَاكَ يَأْسُؤُنِي أَعَزُّ مَطَالِي !

قلت : وكتبْتُ إلى المَوْلَى شِهَابِ الدِّينِ الدُّنْيَسَرِيِّ وقد بَلَغَنِي عَنْهُ مُسَاعَدَةُ بَعْضِ الْجَهَّالِ عَلَى فِى بَعْضِ الْأُمُور :

عَهَدْتُ شِهَابَ الْفَضْلِ بِرَبِّي بِسَمِهِ * شَيَاطِينَ جَهْلٍ أَنْ تُدَانِي جَنَابَهُ !

قَالَ بَالُ مَوْلَانَا عَلَى فَرْطِ فَضْلِهِ * يُعْرِفُ شَيْطَانَ الْجَهَالَةِ بِآبِهِ ؟

النوع الرابع عشر (العبادة والسؤال عن حال المريض)

رقعة عبادة :

ويُنهي أنه اتصل بالملوك من ألم مولانا - أطال الله بقاءه ، وحرس حوابعه -
ما أحمى مدامعه ، وأحمى أضالعه ؛ ومزق جلده ، وحرق خَلده ؛ وأطار الوسن عن
عينه ، ونقر الهدوء عن مضجعه ؛ حتى تدارك الله تعالى بكنايه الناطق بإفلاع الملم ،
المغرب عن دفاع المهيم ؛ فرقا من دُموعى ما أرفض ، وجبر من ضلوع الملوك
ما أرتض ؛ والتأم من جلده ما فطر ، وبرد من خَلده ما توقد ؛ وجثم ما طار من وسنه
وآس من الهدوء ما نقر عنه ، والتأمت الآمال بعد أنيلامها ، وبرزت ثمار الأمانى
من أكلامها ؛ وطلع من الرجاء آفله ، وروى من الشرور ماحله ؛ وتجدد من السؤدد
طامسه ، وصحك من الزمان عاسه ؛ والله تعالى يغض طرف الحدان ، عن مهجته ،
ويصرف صروف الزمان ، عن ساحته ؛ ويهنيه بما أعاده إليه من الإبلال ، ويمليه
بما أفاضه عليه من الاستقلال ، بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : ويُنهي أن ما خامرته من قلق وجزع ، وفريق وهلع ، بسبب ما بلغه من
شكوى مولانا لا تحصره الأوهام ، ولا تُسطره الأفلام ؛ ولولا ثقة الملوك بالله تعالى
لو هت عقد صبره ، ولا نلخ فؤاده من صدره ؛ وقد علم الله تعالى أن هذا الألم
لو نُقل إلى الملوك لما ثقل عليه ، وكيف يستثقل ما يخفف عن مولانا وصبه
ويحسمه ، ويعكف له سلك الشفاء وينظمه ؛ والله تعالى يجعله في أمان من
كفائته ، وضمان من حيأطته ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) في الاصل "توفر" بالقاء والراء وهو لا يناسب المعنى .

أجوبة كُتِبَ الشِّفَاعَاتِ وَالْعَنَايَاتِ^(١)

قال في "موادِّ البيان" : هذه الكُتُبُ إذا أُجِيبَ الملتَمِسُ إلى حاجته فينبغي أن تُبْنَى أجوبتها على شُكْرٍ مقصد الشافع ، والإدلال والاسترسال وإنالته المشفوع له وطَّره إيجاباً لحقِّ الشافع ؛ وإن وقع الامتناع والتوقف عن الإجابة إلى الملتَمِسِ ؛ فالواجب أن تُبْنَى على إقامة العُدْر لا غير .

زهر الربيع :

جوابُ شفاعَةٍ في حقِّ كاتب :

جَدَّدَ اللهُ [له] السَّعَادَةَ وَخَلَّدَهَا ، وَأَصَارَهَا لَهُ شِعَارًا وَأَبْدَهَا ؛ وَوَدَّ بِهِ الْمَالِكَ وَمَهَّدَهَا ؛ وَعَصَّدَ بِهِ طَائِفَةَ الْإِسْلَامِ وَأَيْدَهَا ؛ وَشَكَرَ لَهُ صَنَائِعَ يُعَدُّ مِنْهَا وَلِيُّ وَلَا كُلُّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْدَّهَا .

المملوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الشَّرِيفَةَ أَدَاءً لِلْفَرْضِ الْإِزْمِ ، وَشُكْرًا لِمَا أَوْلَتْهُ مِنَ الْإِيَادِي وَالْمَكَارِمِ ، وَحَمْدًا لِلْإِطْفَافِ الَّتِي أَطْمَعَتْهُ بِالتَّمْيِيزِ فَأَصْبَحَ بَرْقِ قَدْرِهِ كَالْجَازِمِ .

وَيَنْهَى وَرُودَ الْمَشْرِفِ الَّذِي تَزَّهَ نَاطِرُهُ ، وَجَبَرَ قَلْبَهُ بِحُسْنِ الْفَاطَةِ وَخَاطِرِهِ ؛ وَالْعَلَمَ بِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَشَفَعَ إِلَى الْمَمْلُوكِ بِسَبَبِهِ ؛ وَهُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ رَكَّنَ إِلَى مَا شَكَرَهُ بِهِ الْمَوْلَى وَأَخْنَى بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَاعْتَقَدَ يُثْنِ إِغَارَةَ الشَّافِعِ فَقَعَّدَ عَلَى الْمَشْفُوعِ فِيهِ خَنْصَرَهُ ، وَتَقَدَّمَ بِتَرْبِيئِهِ فِي دِيْوَانِ إِنْشَائِهِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ خَوَاصِّهِ وَخُلَصَائِهِ ؛ وَفَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ اتِّبَاعًا لِإِسَارَتِهِ ، وَقَبُولًا لَشَفَاعَتِهِ ؛ فَالْمَوْلَى يُوَاصِلُ بِمِرَاسِمِهِ وَأَمَثَلَتِهِ ، فَإِنَّهَا تَرِدُ عَلَى مَرَّتَيْمٍ مِمْتَلِ .

(١) حق هذه الأجوبة أن تكون تابعة للنوع الرابع فهي مؤخره من تقديم فتنه .

(٢) لعله إشارة الشافع .

ومنه : جواب شفاعَةٍ في استخدام جُنْدِي :

ضاعفَ اللهُ تعالى نِعَمَهُ ، وأَرْهَفَ في نُصْرَةِ الإسلامِ سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ ولا بَرَحَتْ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ ناطقةً بَوْلَانِهِ ، وأَيْدِي ذَوِي الرِّجَاءِ مملوءةً من فَوَاضِلِ نِعَمَائِهِ .

المملوكُ يُواصلُ بِأَدْعِيَتِهِ الصَّالِحَةِ ، وَيَسْتَنْشِقُ رُوحَانِيَّ رِيحَكُمُ فَيَسْكُنُ مِنْهُ بِالذِّيدِ تِلْكَ الرَّائِحَةِ ؛ وَيَشْكُرُ لَهُ مَا مَتَّعَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ ، وَيَبَاهِي بِعِزِّمَاتِهِ اللَّيُوثِ الضَّرَاعِمِ ؛ فلا يَجِدُ مُضَاهِيًا لتِلْكَ الْعِزَّائِمِ .

ويَنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الَّذِي أَشْرَقَتْ الْوُجُوهُ بِنُورِهِ ، وَأَبْتَهَجَتْ الْأَنْفُسُ بِبِلَاغَةِ مُنْشِيهِ وَوَشْيِ سَطْوَرِهِ ، وعَلِمَ إِشَارَةَ الْمَوْلَى في مَعْنَى فُلَانٍ : أَدَامَ اللهُ سَعْدَهُ ، وَأَعْدَبَ مَنَّهُلَهُ وَوَرَدَهُ ، وَالتَّوَصَّيَةَ بِأَمْرِهِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنْ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ، وَأَنْ يُقْطَعَ إِقْطَاعًا يَلِيْقُ بِأَمثَالِهِ ، وَيَتَفَيَّأُ مِنْ نَحْرَاجِهَا ضَافِي ظِلَالِهِ ، وَغِنْدُ مَثُولِ مِثَالِهِ الْعَالِي أَمْتِثِلَ وَالْتِمِ ، وَاسْتَعْدَمَ الْمَشَارَإِلِيهِ لِإِشَارَتِهِ وَخَدَمَ ، وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِهِ ، وَتَعْظِيمِ كِتَابِهِ وَتَجْيِيلِ قَدْرِهِ ، فَيُواصلُ بِمَراسِمِهِ فَإِنَّهَا تُقَابِلُ بِالْإِرْسَامِ ، وَمُشْرِفَاتِهِ فَإِنَّهَا تُعَامَلُ بِوَأَفْرِ الْإِكْرَامِ .

جوابُ شفاعَةٍ في الجملة :

قُلْ مَا تَسْأَلُ فَإِنِّي لَكَ طَائِعٌ * مَا أَنْتَ عِنْدِي شَافِعٌ بَلْ أَمِيرٌ !

جَعَلَهُ اللهُ لِكُلِّ خَيْرٍ سَبَبًا ، وَحَقَّقَ بِهِ لِأَوْلِيائِهِ ظُنُونًا وَحَصَلَ أَرْبَابًا ؛ وَوَفَّرَ لَهُ مِنْ لَبْرِ شَفَاعَتِهِ الْحَسَنَةِ نَصِييَا ، وَأَدَامَهُ عَنْ كُلِّ شَرٍّ بَعِيدًا وَإِلَى كُلِّ خَيْرٍ قَرِيبًا .

المملوكُ يَنْهِي نَأْلَهُ لِإِفْرَاقِهِ ، وَمَا يَجِدُهُ مِنْ صَبَابَتِهِ وَشِدَّةِ أَشْوَاقِهِ ؛ وَيُعَانِيهِ مِنْ جَنِينِهِ وَأَتَوَاقِهِ ، وَأَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَاسْتَلَمَهُ وَلَتَمَهُ ، وَبِجَلِّهِ وَعَظَمَتِهِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ

إليه ، وأخذ أمر المشفوع فيه بكننا يديه ، وجعل قضاء أربه أمراً لازماً ، وما قني
على ساق الاجتهاد قائماً ، إلى أن حصل غرضه ، وأدى من حسن القيام بأمره
ما أوجبه مشرفه العالی وأقرضه ، والمولى أمر غير شفيح ، ومهما ورد من جهته
على المملوك فوارد على سميع مطيع ؛ فيواصل من مراسمه بما سنع ، ومن أخباره بما
تأرج طيب عرفه ونفع ؛ ورأيه في ذلك العالی .

آخر : شكر الله عوارفها ، وتالد جودها وطارفها ، ووافر ظلالها ووارفها ؛
وينهى ثناءه على معاليه ، وملازمته ومداومته على بث محاسنه ونث آياديه ؛ وحمد
عواقب إحسانه ومباديه ، وشدة أشواقه إلى جنابه ، ولذيد مشاهدته وخطابه ؛
وما يعانيه من غرام لازمه ملازمة الغريم ، وداء صباية يضاعف شوقه إلى رؤية
وجهه الوسيم ؛ ومداومته على التعوض بشكر محاسنه عن المدامة والنديم ؛ ونظم
جواهر مدحه لجيد جوده ، وحمد المولى على ذلك التنظيم ؛ وأنه ورد عليه مشرفه
العالی فقبله ، ودعا لمُرسله دعاء يرجو من الله تعالى أن يستجيبه ويتقبله ؛ وحصل له
بوصوله آتجاج عظيم ، وقال لمن حضر وروده ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾
وفهم مضمونه وفحواه ، وعلم معناه وما أظهره فيه وأبداه : من الوصية بفلان
وما يؤثر من تسهيل مطالبه ، وتيسير مآربه ؛ ووصل المشار إليه وحصل الأئس
برؤيته ، وتمتعت البواظر والمسامع بمشاهدته ومشافهته ؛ وقام المملوك في أمره قياماً
تاماً ، وجعل عين اجتهاده في مصلحته متيقظة لاتعرف مناماً ؛ وشمر عن ساق
الاجتهاد ، في تحصيل المرام والمُراد ، إلى أن حصل له الفوز ببذل أمله ، وعاد راتعاً
من العيش في أخضره وأخضله ؛ رافلاً من الشُرور في أبهى حُلله ، فيحيط علمه
بذلك ، والله تعالى يعضد به الدول والممالك ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر: جعله الله مفتاحاً لكل باب مُرْتَجٍّ، وَصَدَّقَ بِهِ [أَمَلٌ] كُلُّ أَمَلٍ وَحَقَّقَ رَجَاءَ كُلِّ مُرْتَجٍّ، وَلَا زَالَتْ سَحَابُ جُودِهِ هَامِيَةً بِالْوَسْمِيِّ وَالْوَلِيِّ، مَا طَرَّةً بَوْبُهَا وَطَلَّهَا عَلَى الْوَلِيِّ.

المملوك يُخْدَمُ بِحَيَّةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ، وَسَلَامٍ أَطْيَبَ عَرَفًا مِنْ بَانَ النَّقَا إِذَا تَحَلَّتْ عَرَفَهُ رِيحُ الصَّرِيمِ.

وينهى إلى عليه الكريم ورود مشرقه وأنه أحاط بمضمونها علماً، وشاهد منها في حال طيها مكارم أصارت تفضيله على حاتم الطائي حتماً، ووقف منها على در لفظ قذفه بحر خاطره نثراً ونظماً، وبراعة عبارة زادت قلب مواليه غراماً وأتق مئاويه رعماء، وفصاحة عرفته قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحُكْمًا»^(٢) وفيهم عنايته بفلان نفع الله بعلمه وعمّله، وقرب له من الخير مالا يُطعمه به بعيد أمله، وإشارته بسبب التنبيه والإرشاد على جمل فضائله، ومفصل مناقبه المشهورة في البلاد، وإيضاح كفايته في وجيز تلك الفصول الصّحاح الإسناد، فحال قدوم المذكور وحلوله، وورود مشرقه ووصوله، أنهى المملوك أمره إلى مخدومه، وطالع به شريف علومه، ولا زال يُحسِّن سعيه، ويعتمد على مشيئة الله ولا يترك حرصه ومشيه، إلى أن حقق قصده بقضاء شغله، وقرب له أمد أمله، وكتب توقيعه ولم يرد الله تعويقه، ونجى طعم قصده وأنجح الله طريقه، وقد عاد مصحوباً بالسّلامه، معروفاً بتحصيل هذا القصد بأنه (طَلَّاعُ الثَّنَايَا) من غير وضع العلامه، حسب إشارة المولى وأمره، والله تعالى يُمِدُّه بصونه ونصره.

(١) الولي المطر الذي يأتي بعد الوسمي ووقع في الأصول "الولي" وهو تحريف واضح.

(٢) هو بضم الحاء وسكون الكاف العلم والفقّه أى إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه.....
ويروى إن من الشعر لحكمة وهو بمعنى الحكم. انظر اللسان ج ١٥ ص ٣٠.

آخر : في استخلاص حق .

شَكَرَ اللهُ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ، وَحَصَّلَ بِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ مَرَامَهُ ، وَحَمَدَ تَطَوُّلَهُ وَتَفَضُّلَهُ ،
وَأَنَالَ بِهِ لِكُلِّ آمِلٍ أَمَلَهُ ، وَخَلَّدَ دَوْلَتَهُ ، وَأَدَامَ نِعْمَتَهُ ، وَأَنْفَذَ كَلِمَتَهُ ؛ وَلَا زَالِ فَضْلُهُ
كَامِلًا ، وَإِحْسَانُهُ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ وَإِصْلَاحًا ؛ وَنَوَالُهُ لِبَنِي الْآمَالِ شَامِلًا .

المملوك يخدم بدعاء أحسن من نور الربا ، وثناء لطف من ربح الصبا ؛ وسلام
أطيب بمروءة من تدشكر أيام الصبا .

وينهى ورود الكتاب الذى طاب بالمولى محتده ونجاره ، وزاد على كتاب الكتاب
نقاره ، وأنه وقف عليه وقوف مشتاق إلى مرسله ، شاكر أنعم فضله وجسيم
تفضله ؛ فأسكرته تلك الفصاحة بشداها الأرج ، ونزهت لحظه في درلفظها البهج ؛
فظنها لما استنشق رائحتها راحا فرقا ، ولما أهبه لفظها بالفاظ تزي على الرياض
روضة أنفا ؛ وعلم الإشارة الكريمة في معنى فلان والوصية بخدمته ، وما أمر به من
مساعدته ومساعدته ؛ وعند وصول مشرف المولى وقبل وضعه من يده ، نوى
المملوك مساعدة المذكور على مقصده ، فتقدم بإحضار غريمه فوجده عن البلد
غائبا ، فانتظره إلى أن عاد آثبا ؛ فعند وصوله طلبه وأحضره ، وسأله عما يدعيه
عليه خصمه فأذكره ؛ وطلب الحضور إلى القاضى ، وحث على ذلك حتى أوهم أنه
المتقاضى ؛ فلما رأى المملوك أن حجة المشفوع فيه لا تقوم بصدق دعواه وحجج ،
ولا يظهر بها على غريمه إلا من طريق حرج ؛ بذل في مصالحتهما جهد الاجتهاد ،
وما زال يرشدهما إلى طريق الرشاد ؛ ويدلهما على سبيل السداد ، ويعرفهما أن
التضارر ضرير ، وأن الصلح خير ؛ فكل منهما يهيم في واد ، ويسلق خصمه بالسنة
حداد ؛ إلى أن تراضيا وتوافقا ، وسلكا طريق الرفق وتوافقا ؛ وصدق الخصم

خَصَمَهُ فَصَادَقَا ، وَأَنْفَصَلَا وَكُلٌّ مِنْهُمَا قَدْ أَرْضَى خِذْنَهُ ، وَعَنِ الْحَاكِمَةِ وَالْمَحَاقِقَةِ
أَغْضَى جَفْنَهُ .

آخر : أَيْدِ اللَّهُ سَعْدَ الْمَوْلَى وَأَبْدَهُ ، وَأَثْلَ مَجْدَهُ وَمَجْدَهُ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى إِسْدَاءِ
الْعَوَارِفِ وَعَصْدِهِ ؛ وَأَمَدَهُ مِنَ الْمَسَرَّاتِ بِمَا يُزِيلُ عَنْ الْأَيَّامِ أْبْدَهُ ^(١) ، وَأَنَالَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُ
الْأَنَامُ أَمَدَهُ ؛ وَلَا زَالُ بُرْدُ جَدِّهِ مِنَ السَّعَادَةِ جَدِيدًا ، وَنَجْمُ عُدُوهِ آفِلًا وَنَجْمُهُ سَعِيدًا .
الَّذِي يُحِيطُ بِهِ عِلْمُهُ الْكَرِيمُ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ فَسَرَى هَمُّ الْأَنْفُسِ وَسَرَّهَا ، وَضَاعَفَ
بِمَا ضَاعَ مِنْ نَشْرِهَ بِسَرَّهَا ؛ وَفَاحَ مِنْهُ شَدًّا عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتِ الْقُبُولُ ،
وَرَجَّحَ الْأَوْلِيَاءُ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتْ رِيحُ الشَّمَالِ وَأُدِيرَتِ الرِّيحُ الشَّمُولُ ؛ وَأَنَّ الْمَمْلُوكَ
وَقَفَ مِنْهُ عَلَى أَلْفَاظِ سَقْتِهِ كُثُوسَ سُورٍ لَا كُثُوسَ مُدَامَ ، وَرَوَتْ لَهُ أَخْبَارَ حِلْمٍ
لَوْ أُسْنِدَتْ إِلَى سِوَاهُ لَتَوَهَّمَتْ أَضْلَافَاتُ أَحْلَامِ ؛ وَرَوَتْ أَوْ كَادًا أَضْرَبَهَا لَغَيْبَتِهِ حُرٌّ
ظَلَمًا وَأَوَامَ ؛ وَبَيَّنَّتْ سِحْرَ الْبَيَّانِ ، وَأَعْرَبَتْ بِلِسَانِ حُسْنِهَا عَمَّا لَمُنْشِيهَا بِلِ مَوْشِيهَا مِنْ
الْإِحْسَانِ ، وَأَعْرَبَتْ فِي الْفَصَاحَةِ نَحْلُنَا كُلَّ كَلِمَةٍ تَنْطِقُ عَنْ سَحْبَانِ بِلِسَانِ ؛ وَزَهَتْ
بِيَانِجِ ثِمَارِ فَضْلِهَا فَتَزَهَتْ كُلُّ عَيْنٍ فِي بُسْتَانِ ؛ وَعِلْمُ إِشَارَةِ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانِ ،
وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي حَقِّهِ ، وَالْإِنْشَارِ لِصِلَةِ رِزْقِهِ ؛ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَتْرَافِ ؛ وَالَّذِينَ
يَجِبُ مَعَامَلَتُهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ التَّامِ ؛ وَعِنْدَ مَا شَاهَدَ الْمَمْلُوكُ كِتَابَ مِنْ شَرَفِهِ ،
وَسَمِعَ أَلْفَاظَهُ الَّتِي بَلُطْفُهَا أَتَحَفُّهُ ؛ بَلِ يَرْدَأُهَا عَلَى الْبَرْدِ أَحْلَفَهُ ، تَقَدَّمَ بِإِجَابَةِ سُؤَالِهِ ،
وَتَرْتِيبِهِ فِي جِهَةٍ تَلِيْقُ بِأَمَثَالِهِ ؛ وَقَصَصَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ قِمِيصًا لَا يَلْبِي ، وَجَمَعَ لِحَاطِرِهِ وَالِدَّةَ
شَمْلًا ؛ وَهَذَا حَسَبَ إِشَارَةِ الْمَوْلَى الَّتِي لَا تُخَالَفُ ، وَأَمْرِهِ الَّتِي يَقِفُ كُلُّ أَحَدٍ عِنْدَهُ
وَلَا يَسْتَوْقِفُ وَلَا يُوَاقِفُ ^(٢) .

(١) أى غضبه فهو مصدر أيد عليه كفرج إذا غضب .

(٢) هذا آخر ما حقه التقديم بعد النوع الرابع وقبل الخامس فتنبه .

كتاب إلى مريض بالسؤال عنه من كلام المتأخرين :

حاشي مَرَجَكَ مِنْ أَدَى * وَكَرِيمَ جِسْمِكَ مِنْ وَصَبِ !
يَا غَايَةَ الْمَأْمُولِ وَالْمَرْجُوءِ كُلِّ الطَّلَبِ !
مُدْ غَبَتَ عَنِّي لَمْ أَزَلْ * مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ فِي نَصَبِ !
جَفَنِي غَرِيقٌ بِالْدُمُوعِ * عِوَاءُ صَبْرِي قَدْ نَصَبِ !
وَاللَّهِ مَالِي فِي الْبَقَا * وَأَنْتَ نَائٍ مِنْ أَرْبِ !
فَتُرَى أُبَشِّرُ سَيِّدِي * أَنَّ الْلِقَاءَ قَدْ أَقْتَرَبِ !^(١)

حَرَسَ اللَّهُ مِرَاجَ الْمَوْلَى ! وَأَصَارَ الْعَاقِبَةَ لَهُ شِعَارًا ؛ وَالصَّحَّةَ لَهُ دِنَارًا ؛ وَلَا زَالَتْ
سَاكِنَةً فِي جَوَانِحِهِ ، مَقِيمَةً حَشَوَ أَعْضَائِهِ الْمُبَارَكَةِ وَجَوَارِحِهِ .

أَصْدَرَهَا الْمَمْلُوكُ تُعْرِبُ عَنْ شَوْقٍ يَكُلُّ عَنْ وَصْفِهِ اللِّسَانُ ، وَتَوْقٍ لَا يُحْسِنُ وَصْفَهُ
الْبَنَانُ ؛ وَلَا يَجِيعُ عَنْ حَمْلِ بَعْضِهِ الْحَنَانُ ، مَلْتَمِسًا الْمَوَاصِلَةَ بِأَخْبَارِهِ ، وَوَصْفًا
مَا يَجِدُهُ الْقَلْبُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ وَنَارِهِ ؛ وَشَايِكًا مِنْ جَوْرِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ ، وَرَاجِيًا أَنْ يُبَشِّرَ
بِالْإِبْلَالِ مِنْ مَرَضِهِ وَالْإِفْرَاقِ ؛ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِتَعْجِيلِ أَيَّامِ التَّلَاقِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ
رُئِمَتْ أَنْ أُشْرَحَ كُلُّ مَا أَجِدُهُ مِنَ الصَّبَابَةِ لِأَسَامَتِي وَأُسْهَبَتْ ، بَلْ لَوْ ذُكِرَتْ مَا أَعَانِيهِ
لَأَلِمَسَهُ لَثَقْتُ عَلَى خَاطِرِهِ وَشَوَّشَتْ ، لَكِنْ خَاطِرُ الْمَوْلَى شَاهِدٌ بَوَاجِدِي ، وَعَارِفٌ
بِمَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْكَاتِبَةِ الَّتِي لَمْ يَحْمِلْهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا تُحْمَلُ بَعْدِي ؛ فَيُوَاصِلُ بِأَخْبَارِهِ ،
وَاللَّهُ يَحْرُسُهُ أَنَاءَ لَيْلِهِ وَأَطْرَافِ نَهَارِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) مراده فتى أبشر . ولعله تصحيف من الكاتب .

(٢) قل هذا الفعل الفارابي وتبعه الجوهرى وأستعمله كاتب هذه الرسالة وأنكره بعض الخذاق وقال الصواب هو شئت .

في معناه :

يَا مَنْ شَكَ فَشَكَ قُوَادِي حُرْفَةً * لَا تَنْطَفِي وَصَابَةً لَا تَبْرَحُ !
وَعَدَا سَقِيمَ الْحَسَمِ يَوْمًا وَاحِدًا * فَتَرَحْتُ دَمْعًا لِلدَّمَاعِ يَجْرَحُ !
وَأَزْدَادَ شَوْقٍ نَحَوْتَ طَلْعَتِهِ الَّتِي * أَبَدًا يُؤْمِنُ بِهَا أَسْتَجِجُ !
لَا زِلْتُ فِي عِزٍّ وَسَعْدٍ دَائِمٍ * أَيَّامُنَا بِيَقَانِهِ تَبْجَحُ !
وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُؤَيَّدًا * تُنْمِسِي قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيهِ وَتُصْبِحُ !

كَلَّمَ اللَّهُ عَافِيَةَ الْمَوْتَى وَحَرَمَهُ ، وَلَا سَلَبَهُ ثَوْبَ الصَّحَّةِ بَلْ قَصَصَهُ إِيَّاهُ وَأَلْبَسَهُ ؛
وَأَخَذَمَهُ الْأَيَّامُ فَلَا تَسْتَطِيعُ مَخَالَفَةَ أَمْرِهِ وَلَا الْخُرُوجَ عَنْ حُكْمِهِ ، وَرَزَقَهُ أَنْ يَمْلِكَ
الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا وَهَذَا يَحْصُلُ بِعَافِيَةِ جِسْمِهِ .

الْمَمْلُوكُ يَنْهَى أَنَّهُ آتَصَلَ بِهِ تَأْلُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَوَصَلَ مِنْ الْقَلْقِ إِلَى حَدِّ
لَمْ يَصِلِ الْمَوْتَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَيْهِ ؛ وَأَبْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ فِي مُعَافَاةِ جَسَدِهِ ، وَأَنْ يُعْضِدَهُ بَقَاءَ
وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ؛ وَيُضَاعَفَ تَسْهِيلَ مَا رِيَهُ وَمَقَاصِدِهِ ، وَيَرْفَعَ كَلِمَتَهُ وَقَدْرَهُ عَلَى رَغْمِ
مَعْطَسِ شَانِيهِ الْأَبْتَرِ وَحَاسِدِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

جوابٌ إلى من قَنَطَرَهُ فَرُسُهُ ^(١) :

ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَ مَجْدِهِ ، وَبَلَّغَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُهُ الْأَمَالُ لِبُعْدِهِ ؛ وَأَهْمَى عَلَى حَبِيئِهِ
سَحَابَ جُودِهِ وَرَفَدَهُ .

(١) جَارَى فِي هَذَا الْفِعْلِ اللَّغَةُ الْعَامِيَّةُ وَالصُّوَابُ قَطَرُهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَدْ عَلِمْتُ سَلْبِي وَجَارَاتَهَا * مَا قَطَرَ الْفَارِسُ إِلَّا أَنَا

المملوك يُخدم بتجئة أرق من النسيم ، ويشكر مواهبه التي مازالت تحنو عليه حنو
المرضعات على القطيم .

ويُنهي ورود الخبر بأنه بكاه جواده عند مازلت قوائمه ، وأثقلته فضائل المولى
ومكارمه ؛ فأنزع لذلك وتألّم ، وكاد قلبه لولا المبشر بسلامته أن يتكلم ؛ وجواد
المولى لا سبيل إلى ذمه ، فإنه أشمخ جواد ، ولا آثم به بالعجز ، فإنه عرّف بإتهام
وإنجاد :

لِكنّه نظّر الأفلاك ساجدة * إلى علاك فلم تثبت قوائمه !

والمولى أولى من قابل عذر طرفه بطرف القبول ، وأعتمد عليه دون سائر
الخيول : فإنّ المولى ولله الحمد في صحة دائمه ، وسلامة ملازمه ؛ وهذا هو القصد
والمُراد ، والاستبشار الذي تفتّره ثغور الثغور وتعمّره به البلاد ؛ جعله الله في سعيد ماله
فراع ولا نقاد ، ورزقه مادعا به العادُ الفاضل والفاضلُ العاد ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة كُتب العيادة

قال في "موادّ البيان" : يجب أن تبنى هذه الأجوبة على وُصول الرقعة ،
وما صادفت المريض عليه من المرض ، وأنها أهدت روح الهدوء ، وأركدت رياح
السوء ؛ وأقبلت بنسيم الإبلال ، وتضوّعت بأرج الاستقلال ؛ وبشرت بالعافية
والسلامه ، وأذنت بالصّلاح والاستقامه ؛ وأشابه هذا .

ابن نباتة المصري :

شكر الله آفتقاده وأنسها ، وقلّبتها وطرسها ؛ وحمى من عارض الخطب لامن
عارض الخصب شمسها ؛ ولا أعدم الأولياء قصدها الجميل ، ووُدّها الجليل ، وإحسان

رسائلها التي كُرِّمَتْ فما صَوَّبُ النِّعَمَ لها رَسِيلٌ ؛ وأُمْتُعَ المَمَالِكُ بِمُنْهِنِهَا التي صَحَّتْ
بتدبيره فليس غَيْرَ النَّسِيمِ عَليْلٌ .

وَيُنْهَى وَرُودَ المَشْرِفِ الكَرِيمِ فَيَتَلَقَّاهُ المَمْلُوكُ حَيِّبًا وَارِدًا ، وَطَيِّبًا بِإِحْسَانِهِ وَلِلْجَسَدِ
عَائِدًا ؛ وَفِيهِمُ المَمْلُوكُ مَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الصَّدَقَاتِ التي مَازَالَتْ فِي فَهْمِهِ ، وَالحُبَّةِ
الصَّادِقَةِ التي مَاعَزَبَتْ عَنْ عِلْمِهِ ؛ وَمَا تَضَمَّنَ مِنْ فُصُولٍ كَانَتْ أَنْفَعَ مِنْ فُصُولِ
أَقْرِاطٍ لمُعَالَجَةِ جِسْمِهِ ؛ وَأَيْنَ أَقْرِاطُ مِنْ بَرَكَاتِ كِتَابِ مَوْلَانَا الَّذِي طَالَعَ مِنْهُ كِتَابُ
الشِّفَاءِ عَلَى الحَقِيقَةِ ، وَالتَّجَاةِ مِنْ عُرْوَةِ البَاسِ الوَثِيقَةِ ؛ وَأَذْنَى وَرَقَّةِ الحِمَاءِ لِرَأْسِهِ
تَبَرُّكًا وَإِكْرَامًا وَقَالَ : نِعْمَ الجَلَنَارَةُ المَعْوَدَةُ مِنَ الشَّقِيقَةِ ، وَاسْتَنْطَبَ حُرُوفَهَا فَإِنهَا عَنْ
أَيْدِي الكَرِيمِ وَالكِرَامَاتِ ، وَلَمْ الْعَلَامَةُ وَتَمَسَّكَ بِالسُّطُورِ فَإِنهَا مِنْ أَسْبَابِ الصَّحَّةِ
وَالْعَلَامَاتِ ؛ وَوُافَقَتْ عِيَادَةَ مَوْلَانَا مَبَادِي العَافِيَةِ وَأَذْنَتْ بِالزِّيَادَةِ ، وَصَلَحَ خَطُّهُ
الْكَرِيمُ عَائِدًا وَمَا كُلُّ خَطٍّ يَصْلُحُ لِلْعِيَادَةِ ؛ وَمَا تِلْكَ الجَارِحَةُ المَتَأَلِّمَةُ إِلَّا يَدٌ أَثْقَلَتْهَا
مِنْ مَوْلَانَا فَأَعْيَتْ وَتَأَلَّمَتْ ؛ ثُمَّ أَعَاتَهَا بِرُكْنَتِهِ هِيَ وَالْقَدَمُ بِالْحَمْلِ العَظِيمِ وَتَقَدَّمَتْ ؛ وَمَا
بَقِيَّةُ الجَوَارِحِ إِلَّا عَيُونٌَ كَانَتْ تَنْتَظِرُ لُطْفَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَتَهُ وَقَدْ قَدِمَتْ ، فَشَكَرُوا لَهَا
مِنْ بَرَكَاتٍ تَنْعَمُ بِهَا قَبْلَ الجُسُومِ أَرْوَاحُهَا ، وَأَدْوِيَّةٍ قَلِيلَةٍ تُعَالِجُ بِهَا ذَوَاتُ النُّفُوسِ
فَكَيْفَ أَشْبَاحُهَا ؛ لَا بَرَحَ جَوْهَرُ كَلِمَاتِ مَوْلَانَا يُؤْذِنُ بِالشِّفَاءِ مِنَ الْعَرَضِ ، وَسِيَّامِ
أَقْلَامِهِ إِذَا كَتَبَتْ عَائِدَةً أَوْ جَائِدَةً أَصَابَتْ الْغَرَضَ وَفُوقَ الْغَرَضِ .

وَلَهُ : تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَفِيهِ صَالِحُ الْأَدْعِيَةِ ، وَمَلَأَ بِحَاسِنِ ذِكْرِهِ وَبِرِّهِ الْآفَاقَ
وَالْأَنْدِيَةَ ، وَشَكَرْهُ بِاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ التي تَنْزِلُ بِعَارِضِ الْغَيْثِ قَبْلَ الْإِسْتِمَارِ وَتَرْفَعُ عَارِضَ
الْأَلَمِ قَبْلَ الْأَدْوِيَةِ ؛ تَقْيِيلَ مَعْرِيفٍ بِسَاقِ النِّعَمِ ، مُقِيمٍ عَلَى صِحَّةِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْوَلَاءِ
فِي حَالَتِي الصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ .

وينهى وُرُودَ مشرّف مولانا الكريم على يد فلان عائداً من جهة العيادة ، وعائداً من جهة الصّلات المعتادة ؛ ومُفتقداً لأعدِم الأولياء في الشّدّة والرّخاء آفتقاده ، ما كان إلّا رَيمًا شَقَّ العليلُ نَسَمَاتِهِ الصّحيحة ، وتناولَ كأسَ ألفاظه الصّريحه ؛ وإذا بقائون المزاج قد همّ باعتداله ، وكتاب الشفاء والنجاة قد تسنّت فوائده إقباله ؛ فتميّز حال الصّحة من المَرَض ؛ وأستعمل جوهر الألفاظ فعزم على زواله العَرَض ؛ وبلغ الولد فلان المشافهة وكلّ مقاصد مولانا مبتدأة مبتدعة ، والمملوك جوابها وكلّ أجوبته مُنَوَّلَةٌ مُنَوَّعة ؛ شكر الله عوارِفَ مولانا المتّصلة ، ورُسل آفتقاده التي منها العائد ومنها الصّلة .

وله : في جواب كتاب عيادة وارد في يوم عيد على يد من أسمه جمال الدين محمود . شكر الله منّنها التي إذا أبدت أعادت ، وإذا جادت أجادت ؛ وإذا كُثِرَت الأتقَادَ حَلَا وإذا تصدّت لمَوَدّات القلوب صادّت ؛ تقيّلَ مَخْلَص في ولّائه وآبئها ، مُقيم على صحة العهد والحمد في صحّته وأعتلّله .

وينهى وُرُودَ مشرّفة مولانا الكريمة على يد الولد جمال الدين محمود متفقداً على العادة ، مكرراً لعيادة الإحساب وإحسان العيادة ؛ فقابل المملوك بالحمد وإردها ، وبعوائد الاعتدال عائدها ؛ وفهم ما تضمّنته من تألم قلب المالك على ضعف المملوك ، وقلّق خاطره على بدّن كَيْت العُروض منهوك ؛ وأنه كان آبتداً ضعف المملوك فتألم ، ثم تلا خبر الصّحة فتلا : ولكنّ الله سلّم ؛ ثم بلغه أنّ الآما تراجعت ، وموَادّ واصلت بعد ما قاطعت ؛ فحملته خواطرُ الإشفاق على تكرير العيادة ، وارتقاب فَعَلَات الشفاء المستجاده ؛ جارياً من إحسانه وآفتقاده على أجمل معهود ، باعنا مشرّفه

(١) مراده وناول أى أوصل المملوك الخ تأمل .

(٢) في الأصول "كثير" وهو تصحيف من النسخ .

وحاملها وكلاهما حسن الحال محمود ؛ فعند ما وصلأ أوصلأ كآل العافيه ، وحققت
أخيلة البرء الشافيه ؛ وما كان المشكو إلا مادة يسيرة وزالت ، وبقية ضعف تولت
بحمد الله وبركة مولانا وما توالأ ؛ وما عيأ المملوك إلا وشفأ الجسد في آزدياد ،
والنفس بالوقت وبالمشرفة في عيدين قائمين بأعياد ؛ لا زالت من مولانا إزاء اللحظ
حيث دار ، ووؤده وجمأ جامعين فضل الجار والدار .

زهر الربيع :

لا زال محروس الشيم ، هاطلة سحابه بالديم ، مشكوراً بلساني الإنسان والقلم .
المملوك يقبل يده الشريفة مؤدياً للواجب ، ويواصل بدعاء صالح أصاره إنعامه
ضربة لازب .

وينهى إلى كريم علمه ورود مشرفه الذي أبهج الأنفس وضاعف الصبابة ؛
وأفنى الصبر عن حياه وإن كان مأفناه أيسر صبابة ؛ وأنه علم منه إنعامه وتشوقه
إلى المملوك وإلى سماع أخباره ، وما أبداه من شفقة ألفت من إحسانه وعرفت
من كريم نجاهه ؛ وتحققت من شيمه على من ينأى عن بابه العالى وداره ، فالله يحرس
هذه الأخلاق التى هى أرق من الماء الزلال ، والشئال التى تفعل بلطفها فعل
الجريال ؛ والمملوك فوائده لا يحصى شوقه إلى الخدمة العالية ولا يحضره ، ولا يقدر
على وصف مايسره من الاتواق ويظهره ؛ إنما الاعتماد فى ذلك على شاهدى عدل
من خاطره وقلبه ، وهما يغنيان المملوك عن شرح ولآئه بالسنه أقلامه ووجوه كتبه ؛
وأما السؤال عن أخبار مزاج المملوك فإنه كان فى أليم دائم ، وسقيم ملازم : لشدة
المرض ، الذى كاذ يحتوى على جوهر جسمه والعرض ؛ فؤد ورد كتاب المولى
انتعشت قوته ، واشتدت متته ؛ وصدقت فى طلب تناول الغذاء شهوته ؛ وترجى

الشفاء بعد أن كان على شفا التَّلف ، وكان له كالطبيب الآسى فى إزالة مَرَضِ
الأسا والآسَف . وقد حصلت للملوك مَسَرَّتَانِ بكتاب المولى وعافيته ، وفرحتان
بما أهداه إليه من عفو إنعامه ومحو أثر الألم وتعفيته ؛ وكلُّ ذلك بسعادته .

ومنه : ورد المُشرفُ العالى لا زال قدراً مُرسِله شريفاً ، وشرفه الباذخ يجعل
كلَّ شريف مشروفاً ؛ وسحابُ جوده تُهدى إلى الأولياء من مكارمه تليداً وطريقاً ؛
وقواضيه تُردُّ [طرف] حوادثِ الأيام عنه مطروفاً ؛ وأياديه تبعثُ لمحبيه نُحفاً ،
وهيبته تُهدى إلى الأعداء خوفاً ، والدهرُ بخدمة جنابه العالى مشغوفاً ؛ فوقف عليه
وقوفٌ مشتاقٍ إلى مُسَطِّره ، متزّهٍ فى ربيع الفاطه وحسن أسطوره ؛ وعرف منه
إحساناً ما قُيَّ يعرفه ، وتفَضُّلاً ما زال المولى بمثله يُحْفِه ؛ وما أشار إليه من شدة
إيثاره ، لرؤية الملوك وسماع أخباره ؛ والذى يُنبئه أن جسده كان قد تضاعف
ضِعْفُهُ ، حتى أتعَبَ الألسنة وصفه ؛ فلما وقف من مشرف المولى على خطِّ هو
الوشى المنعم ، وألفاظُ هى الرِّحيق المُحتم بل الدُّر المنظم ؛ وسحر هو محلل وكلِّ سحر
مُحَرَّم ؛ أبلَّ الملوك وبردت غلته ، وبرأت عِلته ؛ وكان كمن آستوفى نصيبه من
النَّصب ، وأخذ قِسمه من السُّقم والوصب ؛ فسقاه مشرفه الصِّحة فى كاس ،
وأفاض عليه من العافية أنغر لباس .

آخر :

وَرَدَ الْكِتَابَ فَعَمَّتِ الْأَفْرَاحُ * وَأَضَاءَ فى لَيْلِ الْأَسَا الْإِصْبَاحُ !
وَأَفْتَرَّ نَغْرُ الْزَّمَانِ بِفَرْحَةٍ * وَلِلْفُظهِ طَرِبَتْ رَبِّى وَبَطَاحُ !
وَتَضَوَّعَتْ أَرْوَاحُ طِبِّ عَرَفُهَا * نَحْيَا بِهِ الْأَجْسَامُ وَالْأَرْوَاحُ !
وَسَقَى سُلَافَ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ * مَا الْمَسْكُ عِنْدَ شَيْمِهَا مَا الرَّاحُ !

شكر الله منته ، وأخدمه زمته ، ومنحه من العيش أغضه وأحسنه ، وشرف ببقائه
الدهر وشنف بمدحه أذنه .

المملوك ينهى إلى علمه ووصول مشرفه الذى تزهت الأعين في حسن منظره ،
ويانح ثمار لفظه البديع ووحي أسطره ، وأنه استنشق من ريحه أطيب نفعه ،
وتقمص منه ثوبى دعة وصحه ، فشفي داء شف منه جسمه ، وزاد لوروده سروره
وزال همه ، وعلم إنعام المولى الذى لا يشك فيه ، وإحسانه الذى لا يحضره لسان
مادح ولا ينحويه ، وما ذكره من الألم الملم به واشتغال خاطره الكريم لما ألم
بجسمه ، والمرض بسعادة المولى قد بقي منه قلبه ، وتقلص بعد ما امتد ظله ، والعافية
تتكمل إن شاء الله تعالى برؤية نجاهه الكريم ومشاهدته ، والمثول بين يديه العاليتين
في خدمته .

النوع الخامس عشر (فى الذم)

ذم نجيل : لأحمد بن يوسف :

كأن البخل والشؤم صارا معاً في سهمه ، وكانا قبل ذلك في قيسمه ، فحازهما
بالوراثه ، واستحق ما استملك منهما بالشفعة ، وأشهد على حيازتهما أهل الدين
والأمانة ، حتى خلاصا له من كل مانع ، وسلبا له من تبعه كل منازع ، فهو لا يصيب
إلا مخطيا ، ولا يحسن إلا ناسيا ، ولا ينفق إلا كارها ، ولا ينصف إلا صاغرا .

وفى مثله : وصل كمالك قرأناك قد حلتته بزخارف أوصافك ، وأخلتته من
حقائقي إنصافك ، وأكثرت فيه الدعاوى على خصمك ، من غير برهان أتيت به
على دعواك وزعمك .

ومنه : ولو أراد غير ذلك من الأخلاق السنية ، الشريفة الهنيئة ؛ لاستوحش في سبلها ، ووقع في مضرة منها ، ولن يجد من سلفه ولا نفسه دليلاً عليها ، ولا هادياً إليها .

ومنه : لأبي العيناء :

أما بعد ، فلا أعلم للعرف طريقاً أحذر ولا أوعر من طريقه إليك ، ولا مستودعاً أقل زكاءً ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عنده : لأنه يحصل منك في حسب ذاتي ، ولسان بذى ، ونسب قصي ، وجهل قد ملك طباعك ، فالمرء لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ؛ وإنما غايتك في المعروف [أن] تُحرزه ، وفي وليه أن تكفربه .

ومنه : لمحمد بن الليث :

بكم علن الظلم ، وظهرت البدع ، وأندفن الحق ، وعز الفاجر ، وظهر الكافر ، وفشت الآثام ، وقضت الأحكام ، وأخذ عباد الله خولا ، وأمواله دولا ، ودينه دخلا .

ومنه : لأبي علي البصير :

عدوك منزعز عنك ، وصديقك على وجل منك ؛ إن شاهدته عاقك ، وإن غبت عنه حاقك ؛ تسأله فوق الطاقه ، وترهقه عند الفاقه ؛ وإن أعذر إليك لم تعذره ، وإن استنصرك لم تنصره ؛ وإن أنعم عليك لم تشكره ؛ ولا يزيدك السن إلا نقصا ، ولا يفيدك الغنى إلا حرصا ؛ تسمو إلى الكبير ، بقدر الصغير ، وتشف للتطفيف لا للتخفيف ؛ تعترض الناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملا ، ولا كاره لأن ينظر إليك بعين الاستقلال ؛ حتى لقد أخرجت الأضغان ، وقبحت الإحسان ؛ وزهدت

فِي أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ ، وَالنَّاسُ مِنْكَ بَيْنَ أَسْرَارِ تَفْشِيٍّ ، وَبَوَائِقِ تَحْشِيٍّ ، وَشَنَاعَاتِ وَارِدِهِ ، وَنَوَادِرَ بَارِدِهِ ، وَدُكَّ تَحَلُّقٍ ، وَشُكْرِكَ تَمَلُّقٍ .

ومنه : لسعيد بن حميد :

رَجُلٌ يَعْزِفُ بِالنِّعَمِ عُنْفَ مَنْ قَدْ سَاءَتْهُ يُجَاوِرَتَهَا ، وَيَسْتَخِفُّ بِحَقِّهَا أَسْتِخْفَافَ مَنْ لَا يَخْشَفُ عَلَيْهِ مَحْمَلُهَا ، وَيُقَصِّرُ فِي شُكْرِهَا تَقْصِيرَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الشُّكْرَ يَرْتَبُطُهَا ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ ، فَكَيْفَ أَرْجُو حُسْنَ اخْتِيَارِهِ لِي ؟ وَمَنْ كَانَ فِي مُدَّةٍ مِنْ آتِلَاءِ اللَّهِ بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ لَا أَدْرَى أَيْنُفِذُ بِي الْأَجَلَ إِلَى أَقْصَاهَا ، أَمْ يَقْصُرُ بِي فِي أَذْنَاهَا ، فَكَيْفَ يَتَّسِعُ الصَّدْرُ لِلصَّبْرِ عَلَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَخَافُ الْفُوتَ فَهُوَ يَمِيلُهُ ، وَإِنَّمَا إِنْ مَاتَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ جَلٍّ وَعِزٍّ إِلَى سُلْطَانٍ غَيْرِهِ فَيُعَاجِلُهُ ، وَأَنَا عَلَى خَوْفٍ مِنْ إِعْجَالِ الْمَدَى عَنْ بُلُوغِ [مَنَآئِ فَأَذْهَبُ] ^(١) حَرَجًا صَدْرِي ، وَعَلَى ثِقَةٍ مِنَ الشُّغْلِ فِي الْآخِرَةِ بِنَفْسِي عَنِ التَّشْنِيِّ مِنْ أَهْلِ عَدَاوَتِي وَتَرْتِي ، وَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْمِحْنَةِ ، وَأَسْأَلُهُ تَعْجِيلَ رَوْحِ النِّعْمَةِ ، وَفُسْحَةِ الْعَافِيَةِ .

النوع السادس عشر

(فِي الْأَخْبَارِ) .

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : كُتِبَ الْأَخْبَارُ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ الدَّوَرَانِ فِي الْأَسْتِعْمَالِ فَلَيْسَتْ مِمَّا يُمَكِّنُ تَمْثِيلَهُ ، وَلَا حَضَرَ الْمَعَانِي الْوَاقِعَةُ فِيهِ بُرُؤُومُ ^(٢) تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا ، نَعَمْ وَلَا أَنْ تَقْدِّمَ لَهُ مَقْدِمَةً تَكُونُ تَوَطُّئَةً لَهَا بَعْدَهَا ، كَمَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِي سَائِرِ فُنُونِ الْمَكَاتِبَاتِ الْأَحْرَالِ الَّتِي لَا تَحْتَلُّو مِنْ مَقْدِمَاتٍ تُجَلُّ مِنْهَا مَحَلُّ الْأَسَاسِ مِنَ الْبَيَانِ ،

(١) هذه الزيادة يقتضها المقام .

(٢) مراده الواقعة فيه ولعله مصحف عنه تأمل .

والرأس من الجثمان ؛ لكن المقدمات التي تُوضَعُ في الكتب من شرطها أن تكون مشتقةً من نفس معنى الكتاب ، ومنه الخبر لا يمكنه أن يستنبط من كل خبرٍ ينهيه مقدمة تكون بساطاً له ، وإنما يقول : كتبت من موضع كذا يوم كذا ، والذي أنهيه كذا ؛ بل الذي يلزمه أن يتحداه بطاقته ، ويتحرّاه بجهده ، أن يبين ما يطالعُ به من الأخبار ؛ ويكشفه ويوضحه ويُفصح عنه ، ولا يقف منه إلا عند الشفاء والإقناع لتتقرر صورته في نفس من ينهيه إليه ؛ اللهم إلا أن يكون الخبر مما يوجب الأدب العدول عن لفظه الخاص به ، والإخبار عنه بالفاظٍ تؤدي معناه ، ولا يهجم على المخبر بما يسوء سماعه ، كأن يكون خبراً يرفعه إلى سلطانٍ عن عبده له قد أطلق فيه ما يضع منه ويُسقط مهابته ، أو نحو من ذلك مما يتثقل على السلطان المنفص منه ، فإنه ينبغي أن يعدل في هذا وأمثاله عن التصريح إلى التعريض ، ومن التصحيح إلى التمرّيص ، وعن المكاشفة إلى التورية ، وأن يأتي بالفاظ تدلُّ على معاني ما يروم إبداءه ، ويحرص [على] صورة منزلة السلطان وتوقيره عن قرع سمعه بما يكرهه ولا تجوز مقلّباته به ؛ وأن يقصد إلى استعمال الإيجاز والإطناب في المواضع التي تحتمل كلا منهما ، فهذا ما يمكن أن يُتعرّف من رسوم هذا الباب .

قال : ومن نفذ فهمه وخاطرُه في الصناعة وتدرّب فيها ، يكتفي بهذه اللُمة ولا يحتاج إلى زيادةٍ عليها .

في الإخبار بوقوع مطر وسيل

من ترسل أبي الحسين بن سعد :

فالماء منه يفيض على العمران ، بعد أن ضاقت به المغايص والغدران ؛ فأني على كثير من التلال والروابي ، فضلاً عن الرساتيق والقرى ؛ وصار الوادي على اتساع

عَرْضُهُ ، وَامْتِدَادِ طَوْلِهِ ، وَسَعَةِ مَصَبِّهِ ، وَفُسْحَةِ مَغِيْضِهِ ، لَا يَفِي بِهَضْمِهِ ، وَلَا يَقُومُ بِحَمْلِهِ ؛ فَفَاضَ مِنْهُ مَا عَطَّلَ الْعُمُرَانُ وَنَسَفَ الدُّورَ وَحَقَّ الزُّرُوعَ ، فَعَظُمَ بِهِ الْبَلَاءُ ، وَكَثُرَ لَهُ الْجَلَاءُ ، وَشَمِلَ النَّسَادُ ، وَعَظُمَ الْخَرَابُ .

صدر كتاب بإخبار عن الخليفة :

كُتِبَتْ ، وَمَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَطُّدٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَتَمَهُّدٍ مِنْ دَوْلَتِهِ ، وَعُلُوٍّ مِنْ رَأْيِهِ ، وَنَفَازٍ مِنْ كَلِمَتِهِ ، وَعِزٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ؛ وَنِعَمٌ سَابِغَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ ؛ قَالِصَةٌ عَنْ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَخَالَفَتِهِ ، وَاسْتِقَامَةٌ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتُبُورُهُ ، وَاسْتِثْبَابٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأُمُورِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ حَمْدًا لَا يَقِفُ دُونَ رِضَاهُ ، وَلَا يَحِيطُ بِمَقْدَارِهِ سِوَاهُ .

صدر بإخبار عن الوزير :

كُتِبَتْ ، وَحَضْرَةُ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ فِي نِعَمٍ مُحْصَبَةٍ الْأَكْثَافِ ، بَعِيدَةِ الْأَطْرَافِ ، سَادِرَةِ الْوَيْلِ ، سَاحِبَةِ الدَّلِيلِ ؛ وَمَا أَنْظَرُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دَوْلَتِهِ مَنِتْظِمٍ ، وَأَرَاغِيهِ مِنْ أَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ مُلْتَمٍ ؛ وَقَدْ وَطَّأَ اللَّهُ لَهُ أَوْعَارَ السِّيَاسَةِ وَالتَّذْيِيرِ ، وَوَقَفَهُ عَلَى جَوَادِّ الْمَصْلَحَةِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَسْتَقِلُّ بِحَقِّهِ فَيُقْضِيهِ ، وَبِوَاجِبِهِ فَيُؤَدِّيهِ ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ عِزُّ سُلْطَانِهِ فَيُرِضِيهِ .

صدر بإخبار عن أمير :

كُتِبَتْ ، وَالْأَمِيرُ فِي عُلُوٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ، وَظَفَرٍ يُوَاكِبُ أَلْوِيَّتَهُ ، وَنُفَيْرٍ يُصَاحِبُ دَوْلَتَهُ ؛ وَوَافِيٌّ عَلَى مَنْ ظَلَّهَ ، وَشَمِلَنِي مِنْ فَضْلِهِ ، مَا سَبَغَ لِبَاسُهُ ، وَطَابَتْ أَغْرَاسُهُ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِرَافًا بِنِعْمَتِهِ ، حَمْدًا يُوجِبُ شُمُولَ مَتْنِهِ ؛ وَيَسْتَدْعِي الشُّكْرَ عَلَيْهَا ؛ وَيَقْضِي بَمَزِيدٍ مِنْهَا .

صدر باخبار عن عافية المكتوب عنه :

كُتِبْتُ ، وأنا صالحُ الحال ، وقد مَنَّ اللهُ تعالى بالعافية والإنعاش ، والإقالة
والا^(١)ش ؛ وأعاد إلى الصحة بعد نبوها وذهابها ، والسلامة بعد تجمعها وإغرابها ؛
وأَسْبَلَ النعمة بعد الإنذار ، والتحذير من الإغترار ؛ ممحّصاً بما أَلَمَّ من الآلام
عَصَبَ الأيام ؛ والحمد لله أولى ما نليت به النعم ، وطُرِّز به المفتَح والمختَم ؛ حمداً
يؤمن من التغيير والتبديل ، ويُعيد من الانتقال والتحويل .

أَبْنِي الخصال ، في الإخبار عن زلزلة عظيمة وقعت بمدينة قُرْبَة من الأندلس .
الشيخُ الأجل ، الوليُّ الأكرمُ الأفضل ؛ أبو فلان ، الذي أطرّفه الله تعالى
بعجائب الأخبار ، وأذهب به في مسلك الإعجاز ومنهج الإدّكار ؛ أبقاء الله أَخْداً
في سنن الأثرعاج ونهج الإزديجار . المخلص له المحض الناصع من الولاء ، ومعرفة
غريب الآثار وعجيب الأنباء ؛ فلان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي جعل عبره أنواعاً متلوّنةً وصُنُوفاً ، وأرسل الآيات
(وما نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً) . والصلاة على سيدنا محمد المصطفى صلاة طيبة
تُعَبِّقُ تَأْرِيفاً وتَضُوعُ تَعْرِيفاً ؛ وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين حَضَرُوا حُرُوباً
وشَهِدُوا زُحُوفاً ؛ والدعاء لسيدنا الإمام أمير المؤمنين في نصير عزيز يُؤَسِّسُ مَدْعُوراً
ويؤمن مخوفاً ، فإني كتبتُ - كتب الله لكم دعةً حافظةً وأماناً ، وتصدقاً بآيات الله
البينة وبرهاناً - من موضع كذا ، عند ما طرأ علينا ما حلّ العيون بقداها ، ومنعها لذيد
كرهاها ، وأخفق الضلوع الحانية وأقلق مصارين حشاها : وهو أن الله عز وجل

(١) بيض في الأصول لهذا الحرف .

ذَكَرَ عِبَادَهُ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ، وَنَبِيَّهُمْ إِنَّ تَنْبَهُوا وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ كَيْدًا مُبِيرًا وَلَا مَكْرًا؛
وَذَلِكَ بِزَلْزَالِ قَضَى بِهِ عَلَى قُرْطُبَةَ وَبَعْضِ أَعْمَالِهَا، وَمَلَأَ نَفُوسَ سَاكِنِيهَا مِنْ رَوْعَاتِهَا
وَأَوْجَالِهَا؛ وَحَالَتْ لَذَلِكَ فِي الْخَوْفِ وَالْأَرْتِفَاعِ أَقْبَحَ حَالِهَا؛ حَتَّى نَحْوًا إِلَى الْإِسْتِكَانَةِ
وَالضَّرَاعَةِ، وَأَطَاعَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ طَاعَةٌ، وَخَشُوا بَلْ كَانُوا يُوقِنُونَ
أَنَّهَا زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ . وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ آثَارِهَا، وَكَرِيهِهِ إِيرَادِهَا وَإِصْدَارِهَا، أَنَّهُدَامُ الْقُبَّةِ
الْعُظْمَى فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ صَانَهُ اللَّهُ ، وَكَانَتْ قُبَّةٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بِنَاؤُهَا ، وَذَهَبَ
فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ذِكْرُهَا الْعَاطِرُ وَتَشَائُؤُهَا ؛ وَتَهَدَّمَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْهَدْمِ دِيَارٌ
كَثِيرَةٌ، وَحَدَّثَ بِهِ خَوَادِثُ مُبِيرَةٍ . وَأَمَّا تَلَوُّكَ مِنْ أَعْمَالِهَا، وَكَانَ فِيهَا مَبْنَى مِنْ مَبَانِي
الرُّومِ، فَإِنَّهُ غَادَرَهَا قَاعًا صَفْصَفًا، وَقَرَأَ نَفَقًا؛ وَأَضْطَرَّ ذَلِكَ الْخَطْبُ الْقَادِحُ، وَالرَّيْحُ
الْقَادِحُ؛ إِلَى أَنْ نَجَرَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْحَاقَ وَكَافَّةُ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَفَرُّوا مِنْ
الْمَوْتِ بِأَقْوَانِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَدَارَكَ بِالرَّحْمَى ، وَكَشَفَ تِلْكَ
الْغُمَّيْ، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ صَقْلًا لِقُلُوبِنَا ، وَتَوْبَةً عَمَّا سَبَقَ مِنْ ذُنُوبِنَا ؛ وَعَصَمَنَا
مِنْ جُرْمِنَا الْمُؤْبِقِ وَخُوبِنَا ، وَأَوَّلَانَا وَإِيَّاكُمْ أَمْنًا مِنَ الْغَيْرِ، وَأَزْدَجَارًا بِمَا ظَهَرَ مِنْ
الْعَبْرِ؛ وَجَعَلَ كَلَامًا جَمِيلَ الْخَوَادِثِ طَيِّبَ الْخَبَرِ، بِمَنَّةٍ؛ وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

من كلام المتأخرين في الإخبار بقدوم نائب إلى نيابة .

من ذلك نسخة كتاب عن نائب الشام إلى كافل الممالك الإسلامية مُخْبِرًا لَهُ بِوُصُولِهِ
إِلَى دِمَشْقَ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ . وَهُوَ بَعْدَ الْأَلْقَابِ :

(١) لعله في الخفض .

(٢) جرى الكاتب في كلامه لغة من يعزبها أعراب المقصور على حد قوله :

نعم الفتى عمدت إليه مطبق * في حين جد بنا المسير كلانا شرح الأشموني

لا زالت آفاق الممالك مُضيئةً بأنوار شمسِهِ، هنيئةً بأنس سعادتهِ وسعادةِ أنسِهِ ؛
سنةً المقاصد التي قام في كفالتها بنقاسةِ نفسه ؛ ولا يرح يستثمر من خير الدنيا
والآخرةِ ما قدّم صنعه الجليل من غرسه . تقبلاً يُشافه به القلمُ القِرطاس ، ويودّ
المملوكُ لو شافه به الخدم ساعياً سعى القلم على الرأس . وينهى قيامه بوظائف دُعاء
يُسِر الحلك ، ولّاءٍ يدورُ بكواكب الإخلاص إدارةَ الفلك ؛ وخميدٌ تذهب به
صفحاتُ الصحف حيث ذهب وتسلُّك عُقودُ الأفلاك حيث سلك ، وأنه خدم
بهذه العبوديّة عند وُروده إلى دِشق المحروسة لنيابة كانت عناية مولانا سفيرة
أمرها ، ومميّزة يرّها ، يوم كذا ؛ وسعادة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - تعلّمه
وتعلّمه ، والغيث يركب الدولة القاهرة يُسارِه ويقدمه ؛ وتغرُّ المطر يسابقُ تغرُّ
المملوك إلى مشافهة الثرى ويلثمُه ؛ والرعية منه آمنه في سربها ، وادعةٌ بظلال
الأبواب الشريفة مع بُعدها دعة الصّوارم في قُرُيها ، وباكر المملوك يوم الاثنين
الذي بُورك فيه : في الخميسين من يوم وجيش ، وأنتصب لمهمات على مثلها
في الخدمة يطيب أن يرفعَ لِن العيش ؛ مجتهداً فيما هو بصددِه ، مستمداً من ربه
عز وجل وسعادة سلطانه برشدِه ، معتدداً نعم مولانا فيما يأتي [في] ذلك من أوفى وأوفر
عُده ومدّده ، والله تعالى يُعين المملوك على شكر من مولانا الباطنة والظاهره ،
والغائبة والحاضرة ، والمقيمة والمسافره ، ويصلُ نفع المملوك بولائه في الدنيا والآخرة ؛
ويقيم الرعايا بالأمن في كفالاته التي ما برحت بعيون الأعداء فإذا هم بالساهره .

الأجوبة عن كتب الأخبار

قال في "موادّ البيان" : الأخبارُ على أكثر الأحوال لأجوبة لها ، وإنما هي
مطالعاتُ بأمور يُنهى الخدام ، وأصحابُ البرد إلى السلاطين ، مما تتخرج أو أمرهم

إلى الولاية بما تَضَمَّتْه : مما يقتضيه كل خبر ينهى من سياسة عامة ، أو مصلحة تامة . قال : فأما ما يستعمله الإخوان في المكاتبة بالأخبار التي يكلُّ بعضهم إلى بعض الأخبار بها ، فمنها ما يقتضى الجواب ، ومنها ما لا يقتضيه . قال : وأجوبة ما يقتضى الجواب منها تُفَتَّنُ بحسبِ آفتان الأخبار والأغراض التي يحجب الحجب بها ، وهو أيضا مما لا يعبر عنه بقوى جامع ولا برسم رسم كُلِّي ، وإنما يرجع فيه إلى الأمور التي يتبدأ بها ويُجاب عنها .

النوع السابع عشر (المداعبة)

قال في "موادّ البيان" : ومَعَانِي المَدَاعِبَاتِ التي يستعملها الإخوان غيرُ مُتَنَاهِيَةٍ ، والأغراض التي يَنْتَظِمُهَا المِزَاجُ وتُعَدُّ من طَلَاقة النفس لا تَقِفُ عند قاصيه : لأنها مستملاة من أحوال متباينة ؛ وماخوذة من أمور غير معينة ، وحضرها في رسوم جامعة يستحيل ، وتمثيلها غير مفيد : لأنه لا تعلق لبعضها ببعض ؛ ولا نسبة بين الواحد والآخر ؛ ثم قال : والأحسنُ بأهل الوداد والصفاء ، والأليقُ بذوى المخالصة والوفاء ؛ أن يتزَّهوا في المداعبة الدائرة بينهم عن بدى اللفظ ومفحشه ، ومؤلم الخطاب ومقذعه ؛ ويكفُّوا اللسان واليد عن الإطلاق بما يدل على خفة الأحلام ، والرضا بالرذل من الكلام اللائق بسفهاء العوام ؛ ويتعرجوا من إرسال قول ينقُ وضمة على [مدى الأيام] إذ لا فرق بين جرح اللسان وجرح اليد ، وقد نطق بهذا المثل : لما في ذلك من الترفع عن دنايا الأمور التي لا يتنازل إليها الكرماء ، والتزَّه عن المساقط التي لا يستعملها الأدباء ؛ وصيانة المروءة عما يشينها ويحْدِثُهَا ، وتوقيها

عما يَنْقُصُهَا ، والأَمْنِ من الجواب الذي رُبَّمَا قَدَحَ في النفس وأَثَّرَ ، وأَحْمَى الصَّدْرَ وأَوَغَّرَ ، وتَقَلَّ عن التَّوَادُّدِ إلى التَّضَادُّدِ ، وعن التَّدَانِي إلى التَّبَاعُدِ ؛ وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين على كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بقوله من أبياته المنسوبة إليه :

فَرُبَّ كَلَامٍ يُمِصُّ الْحَشَا * وَفِيهِ مِنَ الضَّحْكِ مَا يُسْتَطَابُ

مع مُرَاعَاةِ السَّلامَةِ من المُدَاخَلَةِ المُنْطَوِيَةِ على الفِئْلِ ، والمُرَاآةِ المَبْنِيَةِ على المَكْرَبِ ؛ إذا لم يَكُنْ لِلْمُقَابَلَةِ على الْاِبْتِدَاءِ المِصُّ بالجواب المريض ، وغير ذلك مما لَا تُؤَمِّنُ عَاقِبَتُهُ ، وَلَا تَحْسُنُ عَائِدَتُهُ . قال : ويكون المستعمل في هذا الفنَّ مَا خَفَّ مَوْقِعُهُ ؛ وَلَطْفُ مَوْضِعِهِ ، وَهَشٌّ لَهُ سَامِعُهُ ؛ وَتَلَقَّاهُ الْوَارِدُ عَلَيْهِ مُسْتَحْلِيًا لِنَارِهِ ، مُسْتَدْعِيًا لَأَنْظَارِهِ ، وَلَا يُعَدِّلُ بِهِ عَنْ سَمْتِ الصَّدْقِ ، وطريقِ الْحَقِّ ، وَمَذْهَبِ التَّحَرُّزِ من المَذَقِ ؛ وَيُقْتَصَرُ فِيهِ على النَادِرَةِ المُسْتَطَرَفَةِ ، والنُّكْتَةِ المُسْتَظَرَفَةِ ؛ واللُّغَةِ المُسْتَحْسَنَةِ ، والفِقْرَةِ المُسْتَغْرَبَةِ ، دُونَ الإِطَالَةِ المِثْلَةِ ، وَلَا يَجْعَلُ المَرْحَ غَالِبًا على الكلامِ ، مُدَاخِلًا لْجَمِيعِ الْأَقْسَامِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ معَانِي المَكَاتِبِ ، وَيُجِلُّ نِظَامَ المَخَاطَبِ ، وَيَضَعُ من مَعْنَاهَا وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا ، وَيُوْخِمُ لَفْظَهَا وَإِنْ كَانَ لَطِيفًا ؛ وَيَذْهَبُ بِجِدِّهَا فِي مَذْهَبِ الهَزْلِ وَيُمِيلُهُ عَنِ الْقَصْدِ ؛ وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ بَعْضُهُمْ بقوله :

أَفَدِ طَبَعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً * بَلْهُوٍ وَعَلَّةٌ يَشْنِي مِنَ المَرْحِ !

ولكن إذا أُعْطِيَتْهُ المَرْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارٍ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ المِلْحِ !

وَأَنْ يَقْتَصِدَ مع ذَلِكَ . ثم قال : وينبغي أَنْ يَقْصِدَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الدَّعَابَةِ في المَوَاضِعِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، والأَحْوَالِ المِثَالِيَةِ لَهَا ؛ وَلَا يُودِعَ بَابًا من الأبواب ، مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مِنَ الخَطَابِ : فَإِنَّ الْقَصْدَ في هذا النَّوعِ من المَكَاتِبَاتِ إِنَّمَا هُوَ الْإِعْرَابُ عَنِ الظَّرْفِ والبَرَاةِ ، والإِبَانَةُ عَنِ طَلَاقَةِ النَّفْسِ ؛ وَالْإِنْسِلَاخُ من تَعْبِيسِ الْفَدَامَةِ

والجَهَامَةُ ؛ ثم عَقَّبَ ذلك بأن قال : وَمَنْ وَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الْكَافِي ، وَلَزِمَ فِيهِ الْأَدَبَ اللَّائِقَ بِأَهْلِ النَّصَافِي ، دَلَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَشَهِدَ لِمُسْتَعْمَلِهِ بِإِحْرَازِ مَا وَصَفْنَاهُ ؛ وَمَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْمُجُونِ وَالْمُلَاعِبَةِ ، وَحُسِبَ مِنْ رَذَالَةِ الطَّبَعِ وَتَذَالَةِ الْحَلِيمِ وَسَفَهَةِ اللِّسَانِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِالْكَاتِبِينَ الْكَرَامِ ، الَّذِينَ هُمْ خِيَارُ الْأَنْامِ ، وَوُلاةُ النِّقِصِ وَالْإِبْرَامِ . وَخَتَمَ ذَلِكَ بِأَن قَالَ : وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مَهِيًّا طَبِيعًا لِلْإِنْطِبَاعِ بِرُسُومِ الصَّنَاعَةِ وَمُنَاسِبَةِ أَوْضَاعِهَا ، أَغْنَاهُ الْوُقُوفُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَجْمَلِ فِي اسْتِعْمَالِ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ تَمْثِيلِ مَفْصَلٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مِثَالًا .

ابن أبي الخصال :

سَيِّدِي وَوَاحِدِي الَّذِي أَبْجَلْتُ ذِكْرَهُ ، وَأَوَّلِي شُكْرَهُ ؛ لَا زَالَ مَعْنَاكَ رَحِيبًا ، وَزَمَانُكَ خَصِيْبًا ؛ وَلَا زِلْتَ تَأْخُذُ لِأَنْحَاكِ نَصِيْبًا ؛ عَبْدُكَ فَلَانٌ مُؤَدِّبُهَا يَنْتَجِعُ الْكَرَامَ ، وَيُبَارِي فِي جَرِيهَا الْأَيَّامَ : فَتَارَةً يَجْمَعُ ، وَأُخْرَى يُفَرِّقُ ؛ وَطَوْرًا يُغْرِبُ ، وَطَوْرًا يُشْرِقُ ؛ وَأُمُّ الْحَضْرَةِ - وَصَلَّ اللَّهُ حِرَاسَتَهَا ، وَأَدَامَ بَهْجَتَهَا وَتَقَاسُتَهَا - وَالْمُلُوكُ بِهَا غَضُّ الشَّبَابِ ، أَخْضَرُ الْحُلُبَابِ ؛ وَإِحْسَانُكَ إِحْسَانُكَ ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مَكَانُكَ ؛ فَأَوْسَعُهُ قِرَى ، وَأَمْلَأَ عَيْنِيهِ عَلَى الشَّبَعِ كَرَى ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، بَلْ أُنْجِدُهُ تَبْنَا وَعَلَفَا ، وَأَرْكَبُهُ حَزْنَا مِنَ الْأَرْضِ ظَلَفَا ؛ وَدُونَكَ لَمْ يَقْلَبْ أَرْضَهُ بَيْطَارٌ ، وَلَا لِحْنَايَةٌ بِهِ جَبَّارٌ ، وَجُرْحُهُ جُبَّارٌ ؛ وَعِنْدَهُ كَمَا عَلِمْتَ دَعَاءُ مُبَاحٍ ، وَتَشَاءُ فِي الشُّكْرِ مَسَاءٌ وَصَبَاحٌ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) الظلف بالتحريك ما غلظ من الأرض فلم يؤد [أى لم يظهر] أثرًا . انظر اللسان ج ١١

من كلام المتأخرين :

كتب بعضهم إلى كمال الدين بن الأثير ، وقد جاء إليه في بستانه فلم يجده ولا وجد من أنصفه .

حضر المملوك البستان ، مستديناً قُطوف الإناعام والإحسان ؛ واستمطر سحاب فضله ، وهز إليه يجذع نخله ؛ فلم تتساقط عليه رطباً جنيّاً ، فعلم أنه قد جاء شيئاً قريباً ؛ فنبت نفسه مع تصاعد الأنفاس ، والطمع ينشده :

* مافي وقوفك ساعة من بأس *

فانطلق حتى أتى القرية مستطعياً أهلها فأبوا أن يضيفوه ، مستعطفا حاشيته الرقيقة فأبوا^(١) حاشيته أن يستعطفوه ؛ وقال كل منهم : تُطالب بالقرى كما تُطالب بدنياك ! أرجع حيث شئت هذا فراق بني وبنيك ! وعلم أنه لو أقام بها جداراً لمّا أُعطى عليه أجراً ؛ ولو حاول قرى لسمع من التوبيخ ما لم يستطع عليه صبراً ؛ فرجع بخفي حنين ؛ بعد مشاق جرعت كاسات الحين ؛ فأين هذه المعاملة مما تُشيعه عنه من كريم الخلال ، وكيف تشكو نقص حظ وله كمال الإحسان وإحسان الكمال .

الأجوبة عن رقاع المداعبة

قال في "مواد البيان" : ينبغي للجيب عن المداعبة أن يشتق من نفس الابتداء جواباً مناسباً لها ، وأن يبيّن متى أحب الأخذ بالفضل على المسامحة ، وأطراح المناقشة ، والإغضاء عما يُمض إبقاء على المودة ، وتحسيناً لقبح الصديق ، وتعوذاً لعادة الحلم والإحتمال ؛ وأن يَهَب في الجواب مذهب الاختصار ؛ وإيراد النكت الرائعة كما في الابتداء ، على ما تقدم .

(١) كذا في النسخ وهو على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة .

الفصل الثامن^(١)

(في إخفاء ما في المكتوب من السر)

وهو مما تمس الحاجة إليه عند اعتراض معترض من عدو ونحوه يحول بين المكتوب عنه والمكتوب إليه : من ملكين أو غيرهما حيث لم تُفد الملطّفات لضرر الرصد وزيادة الفحص عن الكتب الواردة من الجانيين، وهو على نوعين :

النوع الأول

(ما يتعلق بالكتابة، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يتعلق بالمكتوب به)

وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلا يكون مقررا بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة، أو مسح به شيء، أو عرّضه على النار ونحو ذلك .

وقد ذكروا لذلك طرقا :

منها — أن يكتب في الورق بلبن حليب قد خلط به نواشيد فإنه لا ترى فيه صورة الكتابة، فإذا قرب من النار ظهرت الكتابة .

ومنها — أن يكتب في الورق أيضا بماء البصل المعتصر منه فلا ترى الكتابة فإذا قرب من النار أيضا ظهرت الكتابة .

(١) أي من الباب الثاني من المقالة الرابعة وهو آخر فصولها فهي ثمانية لاسعة وتقدم في ج ٦ ص ٣٦٥

أنها ستة موافقة للأصول فتنبه .

ومنها — انه يَكْتُبُ فيما أراد من وَرَقٍ او غيره بماءٍ قد خُلِطَ فيه زاجٌ، فلا تَظْهَرُ الكتابةُ، فإذا مُسِحَ بماءٍ قد خُلِطَ فيه العَفَصُ المدقَّق، ظهرتِ الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتُبَ في الورق غيرِ المُنَشَّى بالشَّبِّ المحلول بماء المطر؛ ثم يُلقِيه في الماء أو يَمْسَحُه به، فإنه إذا جَفَّ ظهرت في الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتُبَ بِمِرَّةِ السَّلْحَفَةِ فَإِنَّ الكتابةَ بها تُرَى في الليل ولا تُرَى في النهار .

ومنها — أن تأخُذَ الليمونَ الأسودَ وعُروَقَ الحَنْظَلِ المَقْلُوءَ بِزَيْتِ الزَيْتُونِ جَزَائِنَ مُتَسَاوِيَيْنِ وَتَسْحَقَهُمَا نَاعِمًا، ثم تُضَيِّفُ إِلَيْهِمَا دُهْنَ صَفَارِ الْبَيْضِ وتَكْتُبُ به على جسد من شئتَ، فإنه يَنْبُتَ الشَّعْرُ مَكَانَ الكتابةِ، وهو من الأسرارِ الْعَجِيبَةِ؛ فإذا أُريدَ إرسالُ شَخِصٍ بِكَاتِبٍ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ، فُعلَ به ذلك، فإنه إذا نَبَتِ الشَّعْرُ قُرِئَتِ الْكَاتِبَةُ .

الضرب الثاني

(ما يتعلق بِالْخَطِّ الْمَكْتُوبِ)

بأن تكون الكتابةُ بِقَلَمٍ أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ الْمُرْسَلُ وَالْمُرْسَلُ إِلَيْهِ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمَا مِنْ لَعَلِّهِ يَقِفُ عَلَيْهِ، وَيُسَمَّى التَّعْمِيَّةُ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَعْبُرُونَ عَنْهَ بِحَلِّ الْمُرْجَمِ، وَفِيهِ نَظَرٌ: فَإِنَّ التَّرْجُمَةَ عِبَارَةً عَنْ كَشْفِ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَعْبَرُ لِغَيْرِهِ عَنْ لُغَةٍ لَا يَعْرِفُهَا بُلُغَةً يَعْرِفُهَا بِالتَّرْجُمَانِ؛ وَإِلَيْهِ يَنْحَلُّ لَفْظُ الْحَلِّ أَيْضًا؛ إِذَا الْمُرَادُ مِنَ الْحَلِّ إِزَالَةُ الْعَقْدِ فَيَصِيرُ الْمُرَادُ بِحَلِّ الْمُرْجَمِ تَرْجُمَةَ الْمُرْجَمِ أَوْ حَلَّ الْحَلِّ، وَلَوْ عَبَّرَ عَنْهُ بِكَشْفِ الْمَعْنَى لَكَانَ أَوْفَقَ لِلْفَرْضِ الْمَطْلُوبِ .

ثم مبنى ذلك على قاعدتين :

القاعدة الأولى — كيفية التعمية .

اعلم أن التعمية بالنسبة إلى كل واحد من الناس باعتبار ما يجهله من الخطوط ، فيعمى على العربى في اللغة العربية بالخطوط غير العربية ، كالرومية والعبرانية ونحوهما ، إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب ، أو بقلم مصطلح عليه على وفق حروف العربية ؛ وكذلك يعمى على غير العربى من الرومى ونحوه ممن يجهل الخط العربى بالقلم العربى ، وعلى ذلك .

ثم للناس في التعمية مذهبان :

المذهب الأول — أن يكتب بالأقلام القديمة التي ليست بمتداولة بين الناس مما لا يعرفه إلا الآحاد ، إذا وافق ذلك القلم اللغة التي تريد الكتابة [بها] .

وقد ذكر ابن الدريهم أن أقل اللغات المغل وهو سبعة عشر حرفاً ، وأطولها الأرمني ، وهو ستة وثلاثون حرفاً^(١) . ثم قال : والتركي عشرون حرفاً^(٢) ، وكذلك الفارسي إلا أن في الفارسي ثلاثة أحرف ليست في التركي ، وهي الهاء والفاء والدال . وفي التركي ثلاثة ليست في الفارسي : وهي الصاد والطاء المهملتان والقاف ، والعبراني والسرياني اثنتان وعشرون حرفاً [من أول أبيجد إلى آخر قرشت^(٣) . واليوناني والرومي القديم أربعة وعشرون حرفاً] ولهم قلم آخر ثلاثون حرفاً ، والقبطي اثنتان وثلاثون حرفاً ، وذكر أن جميع الأقلام مقطعة الحروف على اصطلاح أبيجد ، خلا العربى والمغلى

(١) في هذا المحصر مخالفة لما تقدم في ج ٣ ص ١٩ من هذا المؤلف فراجعه وحرر .

(٢) قد تقدم أنه من أربعة وعشرين إلى ستة وعشرين حرفاً فتنبه .

(٣) زائد في بعض النسخ .

والسرياني فإن حروفها توصل وتقطع، وقطع السرياني كالعربي، وأقلام المتقدمين المقررة : كالرومي والفرنجي وغيرهما معلومةٌ لاحاجة إلى التمثيل بشيء منها .

المذهب الثاني — أبْنِ يَصْطَلِحِ الإنسانُ مع نفسه على قلم يبتكره وحروف يصورها ؛ وقد ذكر ابن الدريهم أن الناس اختلفت مقاصدهم في ذلك :

فمنهم — من يصطليح على إبدال حرف معين بحرف آخر معين حيث وقع في القلم المعروف بالقمى ، وهو أنهم جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ؛ فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واواً وبالعكس ، والدال المهملة راءً مهملةً وبالعكس ، والسين المهملة عينا مهملةً وبالعكس ، والفاء ياءً مثناةً تحتيةً وبالعكس ، فيكتب محمد « كطكر » وعلى « سفف » ومسعود « كعسار » وعلى ذلك ، وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف تلو ما يُبدل به ، وهو :

كَمْ أَوْ حِطَّ صِلَا لَهُ دَرَّ سَعٌ * فِي بَزْ خَيْشٍ غَضٌّ ثَجَّ تَدَفَّقْ

قال : ومنهم — مَنْ يَعْكِسُ حُرُوفَ الْكَلِمَةِ فَيَكْتُبُ مُحَمَّدٌ « دَحْمُ » وعلى « يلع » .

ومنهم — مَنْ يُبَدِّلُ الْحُرُوفَ الْأَوَّلَ مِنَ الْكَلِمَةِ ثَانِيَةً مُطْلَقًا فِي سَائِرِ الْكَلَامِ فَيَكْتُبُ مُحَمَّدٌ أَخُو عَلَى « حَمْدُ خَا عَوِيل » إلى غير ذلك من التمييزات .

ومنهم — مَنْ يُبَدِّلُ الْحُرُوفَ بِأَعْدَادِهَا فِي الْجُمْلِ ؛ فَيَكْتُبُ مُحَمَّدٌ أَرْبَعُونَ ، وَثَمَانِيَةً ، وَأَرْبَعُونَ ، وَأَرْبَعَةً ، وَتَعْمَلُ التَّعْمِيَةُ صِفَةً مُحَاسَبَةً .

ومنهم — مَنْ يَكْتُبُ عِوَضَ عَدَدِ الْحُرُوفِ حُرُوفًا وَهُوَ الْبَلْغُ فِي التَّعْمِيَةِ ؛ فَيَكْتُبُ مُحَمَّدٌ « لِي بُو لِي اِج » لِأَنَّ الْاِلَامَ وَالْيَاءَ بِأَرْبَعِينَ وَهِيَ عَدَدُ مَالِئِ الْأَوَّلَى ، وَالْبَاءَ

والواو ثمانية وهى عدد ما للحاء، واللام والياء أيضا بأربعين وهى عدد ما لليم الثانية،
والألف والجيم بأربعة وهى عدد ما للدال، فكأنه قال : م ح م د . وإن شاء
أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن هذه الأعداد .

ومنهم — من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره .

ومنهم — من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين على ترتيبها
على حروف أبجد : فيجعل الألف للشرطين ، والباء للبطين ، والجيم للثريا ، وهكذا
إلى آخرها ، فيكون بطن الحوت للغين من ضغط . وربما أصطلح على الترتيب
على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من
الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التعمي التي لا يأخذها حصر . وأكثر أهل هذا
الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختارها قلبا له مقطعة على ترتيب حروف
المعجم . والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ثم يرتب تحت كل واحد شكلا
لا يماثل الآخر ، فكلما جاء في اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط ،
ثم يفصل بين كل كلمتين : إما بخط أو بنقط أو بياض أو دائرة أو غير ذلك ، وأكثر
المتقدمين يجعلون الحرف المشدد بحرفين ، والمتأخرون يجعلونه حرفا واحدا ، وهذه صور
حروف مترجم كان قد وصل إلى الأبواب السلطانية من مناصحين في بغداد يقاس عليه

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
هـ	ظ	لا	س	م	ع	هـ	م	ح	ر	ط	ع	ح	و
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	لاي
ل	ن	هـ	م	ع	هـ	م	ح	ر	ط	ع	ح	و	لاي

القاعدة الثانية — حلّ المعنى، وهو مقصودُ الباب ونتيجته .

ويحتاج المتصدى لذلك مع جودة الحدس وذكاء الفطرة أن يعرف اللغة التي يروم حلّ مترجمها مما وقع به التعمية فيها، ومقدار عدد حروفها؛ ولا خفاء في أن حروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً، ويجب أن يعرف الحروف التي تدخل كل لغة والحروف المتنعة الوقوع فيها كما تقدم .

ثم المعول عليه، والمنصب القول إليه، فيما هو متعارف في هذه المملكة لغة العرب التي [هى] أشرف اللغات وأبذلها .

والناظر في حلّ مترجمها يحتاج إلى أصليين :

الأصل الأول — معرفة الأسس الذي يترتب عليه الحلّ ؛ والذي تمس إليه الحاجة من ذلك سبعة أمور :

أحدها — أن يعرف مقادير الحروف التي تتركب منها الكلمة .

وأعلم أنّ كلام العرب منه ما يُبنى على حرف واحد مثل «ق» من الأمر بالوقاية، و«ع» من الأمر بالوعى؛ ومنه ما يُبنى على حرفين من الأفعال مثل «قم» في الأمر بالقيام، و«كل» في الأمر بالأكل؛ ومن الحروف نحو : من في ربّ هل بل وما أشبه ذلك؛ ومن الأسماء المبنية نحو : ذى ذا من كم؛ ومن الضمير مع حروف الجرّ نحو : بك له؛ ومنه ما يُبنى على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة في الحروف والأفعال والأسماء، ثم تدخل فيه أحرف الزيادة العشرة، وهى «هويت السمان» وثلاثة أحرف آخر، وهى الفاء وباء الجرّ وكاف التشبيه

قال ابن الدريهم : وليس في كلام العرب كلمة رُبَاعِيَّةُ الأصل أو نُحْمَاسِيَّةُ الأصل ليس فيها حرف من الحُرُوفِ الذَّقِيَّةِ كاللام والنون والواو، والشفوية كالفاء والميم والباء إلا ما شُدَّ مثل «عَسَجَد» من أسماء الذهب .

الثانى - أن يعرف الحروف التي لا يقارب بعضها بعضا بمعنى أنها لا تجتمع في كلمة واحدة .

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الْأَحْرَفِ مَا لَا يُقَارِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا مَطْلَقًا بِتَقْدِيمِ وَلَا تَأْخِيرِ كَالْثَاءِ
الْمُثَلَّثَةِ ، فَإِنَّهَا لَا تُقَارِبُ الذَّالَ الْمُعْجَمَةَ وَالزَّيَّ الْمُعْجَمَةَ وَالسَّيْنَ وَالضَّادَ الْمُهِمْلَتَيْنِ
وَالضَّادَ الْمُعْجَمَةَ ، وَكَذَلِكَ الْجِيمُ لَا تُقَارِبُ الطَّاءَ الْمُهِمْلَةَ وَلَا الظَّاءَ الْمُعْجَمَةَ وَلَا الْغَيْنَ

(١) يبيض له في الاصول وقد صححناه من المقام ، ولكن لم نترع على هذا البناء في كتب اللغة ولعله عامي تأمل .

(۲) بیاض فی الاصل .

المعجمة ولا القاف ولا الكاف، وما وقع من ذلك في الكلام نحو : نَعْجَةٌ وَبَرْجَقٌ وَجُرْمُوقٌ وَجَوْلَقٌ وَجُلَاهِقٌ وَمَنْجَنِيْقٌ وَجَوْقَةٌ وَجَوْسَقٌ وَصَنْجَقٌ وَسَنْجَقٌ وَجَرْدَقٌ ونحو ذلك فليست عربية : لأنه لا يجتمع في كلام العرب جيم وقاف في كلمة واحدة ؛ وكذلك الدال المهملة لا تقارن الظاء المعجمة والذال المعجمة لا تقارن الزاي المعجمة والصاد والصاد والطاء والظاء ، وما وقع في الكلام من ذلك فليس بعربي ، مثل طبرزد فارسي والزط نبطي ، ولا تقارن السين المهملة الصاد المهملة والصاد المعجمة والطاء المعجمة ؛ ولا تقارن الصاد المهملة الضاد المعجمة ولا الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن الضاد المعجمة الشين والطاء المعجمتين ؛ ولا تقارن الطاء المهملة الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن القاف الغين المعجمة ولا الكاف في كلمة أصلية ، وشَدَّ نَفَقِي الْغُرَابُ وَنَاقَةٌ نَفِيقٌ ؛ ولا تقارن الكاف الخاء المعجمة في كلمة أصلية ، ولا تقارن الميم الباء الموحدة والفاء في كلمة أصلية إلا في فَمٍ وَأَصْلُهُ فَوْهٌ ، وأما بَمٌ لأحد أوتار العود فليس بعربي ؛ والحروف الحلقية لا يُقَارَنُ بعضها بعضاً خلا الهاء فإنها تعقبها زائدة ، كهاء الضمير وهاء التأنيث ، وتعقب العين أصلية كالعهد والعهر وغيره ؛ وليس في كلمة أصلية حرفان حلقيان سوى ما تقدم من الهاء ، وقد تعقب بواسطة كغَيْهَبٌ وَعَبْهَرٌ ، أما حَيْهَلٌ فمرگبة ، ولا يجتمع حرفان من هذه الخمسة : وهي الهاء والطاء المهملة (١) والعين والغين والحاء المعجمة في أول كلمة سوى ما ذكر ، ولا في أثناء الكلمة إلا الهاء مع العين كهَلَعٌ والهاء مع الغين كَاهْنِغٌ ، والحاء مع الغين كأخْنِغٌ ، والهاء مع الخاء المعجمة في كلمة واحدة وهي هَيْيَخَةٌ ؛ ولا تجتمع الهاء

(١) في الأصول العين المهملة وهو غير مستقيم . وفي كتب اللغة ناقة نفیق «أى بإعجام الغين» إذا كانت

تبغم مرة بعد مرة .

(٢) لم توجد في كتب اللغة التي بأيدينا .

الأصلية مع الخاء المعجمة ، ولا الخاء المهملة والعين المهملة إلا أن تكون مركبة مثل هر قضع (٩) والحيعة .

الثالث — أن يعرف الحروف التي لا تقارن بعض الحروف في الكلمات إلا قليلا ، كمقارنة السين المهملة للشين المعجمة في شسع والسين مع الزاي كشزر والراء مع اللام كورك .

[وأعلم] أن الحرف الواحد يتكرر في الكلمة الواحدة كثيرا مثل دَهْدَه وَتَهْتَه وَنَهْنَه وَحَصْحَصَ وَجَبَجَبَ وَخَمَخَمَ وَجَلَجَلَ وَخَلَخَلَ وَشَعَشَعَةً وَزَعَزَعَ وَدَغَدَغَ وَبَغَبَغَ وَنَعَنَعَ وَعَسَعَسَ وَزَعَزَعَ وَغَوَّاءَ وَصَحْصَاحَ وَخَوَّخَ وما أشبه ذلك .

الرابع — أن يعرف ما يجوز تقديمه على غيره من الحروف وما يمتنع ، فالثاء لا تتقدم الشين المعجمة ، والدال المهملة لا تتقدم على زاي ولا صاد مهملة (١) ولا طاء مهملة بدليل أنهم لما عرّبوا مُهَنْدِزَ ، أبدلوا الزاي سينا فقالوا مُهَنْدِسَ وَهَنْدَسَةَ ، والدال المعجمة لا تتقدم الجيم ولا السين المهملة ولا الشين المعجمة ولا العين المهملة ، ومن هنا لما عرّبوا الفالودج من الفارسي قالوا فالودق ، والسين المعجمة لا تتقدمها الزاي المعجمة ولا السين المهملة ولا الصاد المهملة ، والطاء المهملة لا تتقدم الكاف في كلمة أصلية ، والسين المهملة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كسَدَابَ ، والدال المعجمة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كقولك في الأمر دُدِ الغنم .

(١) في الأصل "على نون" وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) أورده القاسوس بالدال المعجمة وتكلم عليه شارحه ثم قال ويوجد في بعض كتب النبات بالدال المهملة .

الخامس — أن يَعْرِفَ مَا لَا يَبْقَى فِي أَوَّلِ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْحُرُوفِ كَالْجِمْ لَا تَقَعُ بَعْدَهَا التَّاءُ الْمُثَنَاءُ فَوْقَ وَلَا الصَّادُ الْمَهْمَلَةُ وَلَا الضَّادُ الْمُعْجَمَةُ وَلَا الْغَيْنُ الْمُعْجَمَةُ؛ أَمَّا الْحِصْنُ فَمُعَرَّبٌ .

السادس — أن يَعْرِفَ أَنَّهُ لَا يَتَكَرَّرُ حَرْفٌ فِي أَوَّلِ كَلِمَةٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْعَشْرَةِ الْأَحْرَفِ وَهِيَ: الْكَافُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ وَالتَّاءُ الْمُثَنَاءُ فَوْقَ وَالْأَلْفُ وَالبَاءُ الْمُوحَّدَةُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ وَالْيَاءُ الْمُثَنَاءُ تَحْتُ وَيَجْمَعُهَا قَوْلُكَ «كُلُّ مَنْ تَابَ وَتَقِيَ» وَأَقْلَاهَا وَقَوْعًا كَذَلِكَ الْيَاءُ .

السابع — أن يَعْرِفَ أَكْثَرَ الْحُرُوفِ دَوْرَانَا فِي اللُّغَةِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ مِنَ الْحُرُوفِ فِي الْكَثْرَةِ إِلَى أَقْلَاهَا دَوْرَانَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَكْثَرُ مَا يَبْقَى فِيهِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْأَلْفُ ثُمَّ اللَّامُ ثُمَّ الْمِيمُ ثُمَّ الْيَاءُ الْمُثَنَاءُ تَحْتُ ثُمَّ الْوَاوُ ثُمَّ النُّونُ ثُمَّ الْهَاءُ ثُمَّ الرَّاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْفَاءُ ثُمَّ الْقَافُ ثُمَّ الدَّالُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الذَّالُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ اللَّامُ أَلْفُ ثُمَّ الْحَاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْجِيمُ ثُمَّ الصَّادُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْخَاءُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ الشَّيْنُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ الضَّادُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ الزَّايُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ النُّونُ الْمُثَلَّثَةُ ثُمَّ الطَّاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْغَيْنُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ الظَّاءُ الْمُعْجَمَةُ؛ وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ أَحْرَفَ الْكَثْرَةِ فِي قَوْلِهِ (الْيَوْمَنُ) وَبَعْضُهُمْ يَجْمَعُهَا فِي قَوْلِهِ (الْيَوْمَ هُنَّ) وَجَمَعَ الْحُرُوفَ الْمُتَوَسِّطَةَ فِي قَوْلِهِ (رَعَفْتُ بِكَدْسٍ نَجِجٍ) (١) وَجَمَعَ أَحْرَفَ الْقَلَّةِ فِي قَوْلِهِ (طَظَنَ صَخْذَرُ قَشٍ) .

(١) تأمل هذا المثال وما بعده وحررها .

قال ابن الدريهم : وقد يقع في لفظ غير القرآن على خلاف ذلك كما يتعمدون النظم والنثر بغير ألف أو بغير نقط أو بغير عاطل الحروف أو ألفاظ قليلة، وقد يكون الكلام ألفاظا قلائل لا تستوعب الحروف .

الأصل الثاني - كيفية التوصل بالحدس إلى حل المترجم :

قال ابن الدريهم : إذا أردت حل ما ترجم لك، فأبدأ أولاً بعدد الحروف، وكم تكرر كل شكل منها مرة فأنبئه أولاً فأولاً . قال : وأول ما تستخرج الفاصلة إن كان الذي عمي قد بالغ في التعمية، يعني بإخفاء الفاصلة في ضمن الحروف؛ وذلك أنك تأخذ حرفاً فتظن أن الفاصلة تكون الثاني فتجربه على ما تنظر من الكلمات من المقادير على ما تقدم؛ فإن وافق وإلا أخذت الثالث، فإن وافق وإلا الرابع وهكذا حتى يصح لك انفصال الكلمات، ثم تنظر أكثر الحروف دورانا في الكلام فتقاربه من الترتيب المتقدم في أكثر الحروف دورانا على ما تقدم، فإذا رأيت حرفاً قد وقع في الكلام أكثر من سائر الحروف فتظن أنه الألف؛ ثم الأكثر وقوعاً بعده فتظن أنه اللام؛ ويؤيد صحة ظنك أن اللام يدار في أكثر استعماله تابعاً للألف؛ ثم تنظر إن كان في الكلام حرف مفرد فتظن أنه اللام ألف؛ ثم أول ما تلقى من الكلام الثنائية بتقريب حروفها حتى يصح معك شيء منها فتنظر أشكالها وترقم عليها، وتجرى الكلام في الثلاثيات حتى يصح معك شيء منها فترقم نظائره؛ ثم تجرى الكلام في الرباعيات والخماسيات على الوزن المتقدم؛ وكل ما أشبهه فاحتمل احتمالين أو ثلاثة أو أكثر تثبته إلى حين يتعين من كلمة أخرى؛ فما انتظم لك من ذلك

قال : وينبغي أن يكتب للبندى أولاً كل كلمة على حدة منفصلة، وأن يكتب له الشَّعْرُ دون الثَّوْبِ؛ فإنَّ الوزن يساعده على ظُهور بعض الحُرُوف، كهاء التَّائِيث وتاء التَّائِيث الساكنة وتاء المتكلم والساكن الذي لا يمكن أن يكونَ إلا أحد حروف العِلَّةِ الدَّائِرَةِ في الكلامِ وأمثال ذلك؛ ثم ضرب لذلك مثلاً بأنك إذا رأيت هذه الأسطر مكتوبةً بهذا القلم

:: I 3 9 J H :: I :: A 9 3 T :: 8 10 :: 5 10 H :: 2 6
 :: 8 :: T 0 9 9 3 :: 4 7 11 :: 10 9 10 9 3 10 0 :: T 11 3
 :: 10 9 9 10 9 3 0 :: I 10 10 0 10 0 :: 2 4 :: 3 4 T
 :: 10 10 0 :: T 0 I 11 3 0 7 :: 10 10 10 I :: T 0 10 11
 :: I 3 11 0 T 10 0 10 10 10 9 9 3 10 0 T I 7 3 0
 :: I 3 9 9 9 3 0 9 10 10 10 3 0 10 7 0

قال : فينبغي قبل كل شيء أن يبدأ فيرقم تحت كل شكل من هذه الأشكال كم
تكرر مرة أولاً فثانياً على هذا المثال

4	3	T	2	0	1	0	H	2	0
Y	18	9	r	9	11	1	r	r	r
7	7	=	1	1	0	3	9	1	0
1	8	1	2	2	1	8	8	9	10

فيجد قد تكرر معه هذا الشكل ه أكثر من كل الأشكال بكثير، فيعلم أنه الألف
 فيرقم عليه في مواضعه، ثم المكرر بعده أكثر من باقي الأشكال هذا الشكل 3
 فيظن أنه اللام ويحقق ظنه كونه تابعا للألف في سبعة مواضع من الكلام؛ ثم ينظر
 فيجد فيه حرفا واحدا كلمة فيظن أنها اللام ألف؛ ثم يجد الكلمة الثالثة ثنائية
 ثانيها اللام ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه: بلا تلا جلا حلا خلا سلا علا
 غلا فلا كلا هلا ولا؛ ثم يجد هذا الشكل ٥ الذي مع اللام ألف قد ورد
 مكررا في أول كلمة أمتنع أن يكون جيا أو حاء أو خاء أو سينا أو عينا أو غينا
 أو هاء فلم يبق معنا سوى بلا تلا فلا كلا ولا؛ ثم يجد الكلمة الخامسة ثنائية
 ثانيها ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه: با جا دا ذا سا شا ضا فا ما نا يا،
 ثم يترجح أنها ما أو يا لأن هذا الشكل ٦ قد تكرر أكثر من باقي الحروف
 فيكون إما الميم أو الياء وإن قاربهما النون لكن ما ويا أكثر وقعا في الكلام
 من نا فإنها غريبة الوقوع، ثم رأينا هذا الشكل المتقدم قد تلا الشكل الذي مع
 اللام ألف الذي ظننا أنه أحد هذه ه ب ت ف ك وفي الكلمة الثلاثية
 المكرر أولها ٧ ٨ ٩ فحربنا الحروف مع الميم فظهر منها لفظة
 «فقى» لا غير؛ ثم نظرنا هذا الحرف ١٠ فوجدناه وقع في أربعة مواضع في الكلام
 لا غير، فقلنا إنه الفاء: لأن الياء بنسبة هذا الكلام تقع أكثر من ذلك غالبا، فصَحَّ
 معنا أن الكلمة الثالثة «فلا» والكلمة الخامسة «يا» والحرف المفرد «لا»
 والكلمة الخامسة منه هي رايد ذلك أننا وجدنا الكلمة الحادية عشرة قد تكرر
 [فيها] بعد الألف واللام حرفان تلاهما ألف بعده حرف آخر، ولا يمكن أن يتكرر
 حرف في مثل هذا المكان سوى الميم إذا جربته على جميع الحروف، فقلنا: المئات

المَح المَآر المَاس المَاع؛ ورأينا هذا الشكل **ت** الذى هو آخر الكلمة قد تكرر أكثر من باقى الحروف بعد الألف واللام والباء، فبقي أن تكون هذه ر س ت ع لأن الميم قد صح معنا ولم يكن النونَ فعلمنا على الميم فى مواضعه؛ ونظرنا فرأينا هذا الشكل **ط** أولَ الكلمة الرابعة الثلاثية وقد صح ثانياها اللام وثالثها الميم فخرَّبناها على هذه الحروف فسقطتِ الرَّاءُ وبقي أحد هذه: سلم تلم علم؛ ثم نظرنا الكلمة المجارية للمات المَاع المَاس، فرأينا قبل الألف واللام حرفا يكون أحد هذه ب ل و: لأن الفاء علمناها؛ ونظرنا هذا الحرف **م** قد تتبع الألف واللام قبل الياء، ووجدناه بين البين فى كلمة ثلاثية تكون إحدى هذه أبا إذا أسا أنا، فخرَّبنا الكلمة على الباء والذال والسين والنون على أن يكون الحرف الآخر السين فلم يتفق منه لفظ فسقط «سلم» ثم جَرَّبناها على أن تكون العين فصل منه بعدَ الحرف الأول البياع؛ ثم على أن تكون تاء فصل منه الثبات السيئات فسقط وبقي أبا أسا أنا؛ ثم نظرنا الكلمة السابعة وهى ثلاثية أولها اللام وثانيها هذا الحرف **م** الذى قبل الياء وثالثها هذا **ت** الدائر بين العين والتاء قلنا يقوم منها «لست» وسقط الباء والنون، وإنما لم يَقم منه «كسع» لأنه لما سقطت الباء سقطت العين من البياع، فصَحَّ أن تلك «السيئات» ونظيرها «المات» والثلاثية «تلم» وسقط علم، فوقفنا على التاء فى مواضعها وعلى السين فى مواضعها، فصارت الثلاثية «أسا» فقد صح معنا من الكلمات: «فلا تلم يا لستُ المات لا أسا ففى» وبقي الحرف الذى قبل السيئات؛ ثم نظرنا الكلمة العاشرة الثلاثية فيها ت ي جَرَّبناها على الحروف فظهر منها «حتى» لا يشارِكها شيء فعلمنا على الحاء فى مواضعها؛ ثم نظرنا كلمةً خماسيةً قد بقي منها الحرفُ

الوسط، فخرّبناها على الحروف فقام من ذلك : « حَسَرَات حَسَكَات حَسَنَات »
 فعلنا أنه حسنات : لأن هذا الشكل ٥ تكرر أكثر من باقي الحروف بعد
 الألف واللام والياء والتاء، وقد صحّ الميم فأثبتنا النون في موضعها؛ ثم نظرنا هذا
 الشكل ١٨ في أول كلمتين ثلاثيتين وقد صحّ من إحداها ن ي ومن الأخرى
 ل ي، فخرّبنا الحرف فوجدناه إما عينا أو واوا، فيقوم منهما عني على وبى ولى
 فتعين أن يكون عينا لقلة الحرف عن مرتبة الواو؛ ثم نظرنا كلمة سباعية قد بقي
 منها حرف مجهول، فخرّبناها على الحروف فصحت «البَيَانُ» لا يشاركها لفظة أخرى،
 ولحرف هذا الشكل ٨ الذى قبل السينّات فتعيّنت الباء في مواضعها؛ ثم نظرنا
 كلمة سداسية نالّتها حرف مجهول، فخرّبناها فظهر منها «الكتاب»؛ ثم نظرنا كلمة
 نحاسية قبل التي قبل «هذه» قد بقي حرف الوسط [منها] مجهولا، فخرّبناها على الحروف
 فقام لمحيّف لمدنف لمصنف فتعيّنت «لمصنف» بسبب سياق الكلام بلفظ
 «الكتاب» ورقمنا على الصاد؛ ثم نظرنا الكلمة الأخيرة قد بقي منها رابعها مجهولا،
 فخرّبناها على الحروف فصحت «الموصل» وصحّت الكلمة التي بعد لست أنها «أسلو»
 فرقنا على الواو؛ ثم نظرنا الكلمة الأولى وهى ثنائية أولها ص فخرّبناها فصحت
 صدّ، وإنما كالأخرى لقلّة وقع حروفها، ثم علمنا على الدال فوجدنا كلمة ثنائية آخرها
 «د» فخرّبناها على باقي الحروف التي لم تظهر، فقام منها ج د حد قد هد؛ ثم نظرنا
 كلمة ثلاثية فصح أولها ت وآخرها ل وسطها هذا الحرف ٢ الذى قبل الدال
 فى الثنائية، فخرّبناها على الجيم والحاء والقاف والهاء، فسقطت الهاء وبقي تجل
 تقل تجل؛ ونظرنا فرأينا سياق الكلام يدل على أن الكلمة قبل أسا «قد» والثلاثية
 «تقل» فانتظم الكلام «لا تقل قد أسا» ثم نظرنا الكلمة السادسة قد بقي منها

ثانيها مجهولا ، فخرّبناها على باقي الحروف فصحت « عَدُولِي » ، فرقنا على الذال في مواضعه ؛ ثم نظرنا الكلمة الثلاثية التي بين « لمصنف » وبين « الكتاب » أولها هذا الشكل **د** وقد صح منها « ذا » فغلّمنا أنها « هذا » ورقنا على الهاء ؛ ثم نظرنا الكلمة الخماسية التي بين « فني » وبين « منه » قد بقي رابعها ، فخرّبناها على باقي الحروف فصحت « الوجه » ؛ ثم نظرنا الكلمة السباعية التي قبل الأخيرة وقد بقي منها رابعها مجهولا ، فخرّبناها فظهر منها الدّرِيْم ، فتكلّ الحلّ وظهر الكلام :

صُدَّ عَنِّي فَلَا تَلُمُ يَا عَدُولِي * لَسْتُ أَسْلُو هَوَاهُ حَتَّى الْمَمَاتِ

لَا تَقُلْ قَدْ أَسَا فَنِي الْوَجْهِ مِنْهُ * حَسَنَاتٌ يَذْهَبْنَ بِالسَّيِّئَاتِ

هذا البيان لمصنف هذا الكتاب ، عليّ بن الدّرِيْم الموصلي .

وعلى مثل هذا المنوال يجرى الحلّ ؛ ثم آنظر إلى حروف هذا الكلام كيف جاءت أحداً وعشرين حرفاً ، ونقص منه ثمانية لم توجد فيه ، فإذا نظرت إلى ما قررت لك من ترتيب وقع الحروف كما جاءت في الكتاب العزيز ، رأيت الثمانية الناقصة هي آخر الترتيب سواء لم يختلط منها شيء بتقديم أو تأخير ، وهذا اتفاق : لأنه قد يقع الحرف قريباً من رُبْنِه كما تقدّم ؛ وكما تقدّمت الياء على الميم في هذا الكلام ، والفاء على الميم والثون ، وتقدّمت الهاء على الميم أيضاً ؛ لكن الأصل معرفة وقع الحروف بالتقريب وتجربة الكلمات ، ومقارَبة ما دلّ عليه سياق الكلام .

ولنضرب مثالا آخر : لتتضح أنواع الحلّ .

من الجميع فلم يوافق : لأنه قد تقتصر أن اللام تكون تابعة للألف في أكثر المواضع ولم نجد تبعه البتة ، بل وجدنا العكس فعلمنا أن هذا **ج** هو الألف وهذا **ح** هو اللام ، ورقننا عليهما في مواضعهما فإذا الكلمة الثانية الثلاثية فيها لآمان ، بقي حرف آخرها مجهول ، فحربناها على الحروف فظهرت الهاء لا يمكن غيرها ، فعلمنا أنها « لله » ورقننا على الهاء في مواضعها ، ثم وجدنا الكلمة الخماسية قد بقي رابعها مجهولا ، فحربناها فظهر لها ألها ألها ألها ، ووجدنا الحرف قد تكرر أكثر من كل الحروف بعد الألف واللام ، فظننا أنه الميم ، لكنه يحتمل أن يكون النون ، وسقط الباء والجيم فوجدناه في الثنائيات في كلمتين قبل الألف ، فعلمنا أنها « ما » فرقنا على الميم في مواضعها ، ثم رأينا الميم قد تبعه في الثنائيات حرف يحتمل أن يكون مد مر مس مض مط مع من ، ورأينا الحرف كثير الوقوع ، وقد تكررت ثلاث لفظات ، فعلمنا أنها « من » ورقننا على النون في مواضعه ، ثم رأينا هذا الشكل **ن** أكثر من غيره وهو قبل الألف واللام وفي أوائل الكلمات فقلنا إنه الواو ، ثم رأينا آخر كلمة قد بقي منها رابعها مجهولا ، فحربناها فظهر والبهم والتهم والجهم والدهم والسهم والشهم والفهم واليهيم ، ثم وجدنا هذا الحرف **هـ** الذي فيها قد جاء قبل حرف في الثنائيات وذلك أكثر ما وقع بعد الألف واللام والميم ، فيحتمل أن يكون الياء ، ووجدنا قد بقي من كلمة هذا الحرف فصَحَّ أن يكون النهى وأخرى أولى ، فعلمنا أنها الياء ، فحربنا الحرف معها ، فظهر بي ني ، ووجدنا كلمة خماسية هذا الحرف **ي** رابعها وبعد حرف آخر ، فحربناها على الياء والفاء فظهر اللبث اللبد اللبس اللبط اللبك اللفت اللفج اللفح اللفظ اللفق ، ثم وجدنا هذا الحرف الآخر **ذ** أول كلمة بعده لآمان وهاء ، فحربناها فظهر منها الحرف الثالث مجهولا ، فحربناها فظهر

الْتَّمَامُ الحَمَامُ الذَّمَامُ الشَّمَامُ الغَمَامُ الكَمَامُ ؛ فرأينا سياق الكلام يدلُّ على أنه «ظَلَّلَ الغَمَامُ» وتعينت تلك اللفظة والأخرى الفَهْمُ والثَنائية، فرقنا على الفاء ؛ ثم رأينا الكلمة الثالثة الثلاثية ثانياً لام وآخرها ياءٌ وبعدها «ما ألهمًا» فدل سياق الكلام على أنها «على» فرقنا على العين، فرأينا الرابعة التي بعد «وآله» قد بقي ثالثها مجهولاً ؛ فخرَّبناها فظهرت مَعِجَن مَعِدَن فتعين مَعِدَن والثَنائية التي بعدها ؛ وقيل «علم كل» فرقنا على الدال في مواضعه ورأينا الكلمة الأولى قد بقي وسطها مجهولاً ؛ فخرَّبناها وظهرت التمدُّ التمدُّ الحمد الصمد، فدلَّ سياق الكلام أنها الحمد : لأن بعدها «لله على ما ألهمًا» فرقنا على الحاء في مواضعها، ورأينا الثالث من الرابعة التي بين على وظلَّلَ ، فخرَّبناها فظهرت «الذى» ورأينا الكلمة الخامسة التي بعد «محمد» قد بقي رابعها [مجهولاً] ، فخرَّبناها فظهرت «النبي» فرقنا على الياء في مواضعها ورأينا قد بقي ثالثُ السادسة التي بعد «من» هذا الشكل ٥ وهو ثالثُ رُبَاعِيَّةٍ أوَّلها الألفُ وثانيها فاء وآخرها حاء، وثاني خماسية أوَّلها واو وثالثها حاء ورابعها باء وخامسها هاء ؛ فتعينت الصاد، فالأولى «البصواب» والأخرى «أنصح» والأخرى «وصحبه» وتعينت الثَنائية التي هي أول البيت الثاني بعد السطر الأوَّل «ثم» والتي تليها «صلاة» وتعين السين في السلام ؛ فصار، «ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ» وكلمتا تمزُن الإنسان في ذلك ظهر له أَسْرَعُ بكثرة المباشرة، ثم تعين رابع السادسة التي بعد أفصح من أنه الضاد، وتعين بسياق الكلام أن بعد بالضاد «في اللَّفْظِ نَطَقَ» فرقنا على القاف فرأينا مجاريها الثلاثية من رأس المِصْرَاعِ «خَلَقَ» فرقنا على الخاء، وتعينت الكلمة التي قبل «مَنْ خُلِقَ» أنها «خير» فتكلت الأبيات وظهر أنها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا * مِنَ الصَّوَابِ وَعَلَى مَا عَلَّمَنَا
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ * عَلَى الَّذِي ظَلَّلَ لَهُ الْغَمَامُ
عَدِ النَّبِيِّ خَيْرٍ مِنْ خَلْقٍ * أَفْصَحَ مِنَ الْبُضَادِ فِي اللَّفْظِ نَطَقُ
وَالِهِ مَعْدِنِ كُلِّ عِلْمٍ * وَصَحِّهِ أُولَى النَّهْيِ وَالْفَهْمِ

قلت : وما يلتحق بتعمية الخطّ المتقدمة الذكر ما حكاه ابنُ شيثٍ في معالم
الكتابة : أنَّ بعض الملوك أمر كاتبه أن يكتب عنه كتاباً إلى بعض أتباعه يُطمّنه
فيه ليقبض عليه عند آتهازِ فرصةٍ له في ذلك ؛ وكان بين الكاتب والمكتوب إليه
صدّاقةٌ فكتب الكاتب على ما أمر به من غير خروج عن شيءٍ من رسمه ، إلا أنه
حين كتب في آخره « إن شاء الله تعالى » جعل على النون صورة شدة ، فلما قرأه
المكتوب إليه ، عَرَفَ أنَّ ذلك لم يكن سُدى من الكاتب فأخذ في التأويل والحدس
فوقع في ذهنه أنه يُشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ .
فأخذ حذره ، وأحترز على نفسه ، وبلغ الملكَ احترازه على نفسه فاتهم الكاتب في أنه
ألحق في الكتاب شيئاً نبه به على قصد الملك ، فأحضره وسأله عن ذلك ، وأمره
بأن يكتب الكاتب على صورة ما كتب به من غير خروج عن شيءٍ منه ،
فكتبه ولم يغيّر شيئاً من رسمه حتّى إنه أثبت صورة الشدة على النون ؛ فلما قرأه
الملك ونظر إلى صورة الشدة أنكرها عليه ، وقال : ما الذي أردتَ بذلك ؟ قال :
أردت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ . فأعجب بذلك وعفا عنه
لصدقه إياه .

النوع الثاني

(الرُمُوزُ والإشاراتُ التي لا تَعْلَقُ لها بالخطِّ والكتابة)

وهي التي يعبر عنها أهل المعاني والبيان بالإستعارة بالكناية « بالنون بعد الكاف » وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة .

ومن غريب ما وقع في ذلك ما حكاه العسكرى في "الصناعتين" : أن رجلا من بني العنبر أسرف في بني حنظلة ، وفهم عنهم أنهم يقصدون الغارة على قومه بني العنبر ، فقال لبني حنظلة : إن لي حاجة عند أهلي وأريد رسولا من قومكم أرسله فيها ، فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يخاطبه في حاجته بحضورهم ، فأحضروا له رجلا في الليل وقد أوقدت العرب نيرانها ، فأقبل على الذي أتوه به وقال له : أنتقل ؟ قال : إني لعاقِل . فقال : أنظر إلى السماء ونجومها ، فنظر ، ثم قال : أنظر إلى نيران العرب ، فنظر ، فقال له : ما أكثر ؟ نجوم السماء أو نيران العرب ؟ فقال : إن كلاً منها لكثير ، قال : إنك إذا لعاقِل ، ثم دفع إليه حنظلة وصرة فيها رمل وصرة فيها شوك ، وقال أذهب إلى قومي فادفع إليهم هذه الحنظلة وهاتين الصرتين ، وقل لهن يعروا ناقتي الحمراء ، ويرحلوا بحمل الأورق ، وسلوا أخى الأعور يُخبركم الخبر . فقال الحاضرون : ليس في هذا ما يُنكر ، أذهب في حاجته ، فذهب إلى بني العنبر ودفع إليهم ذلك وقص عليهم القصة ورجع ، فبعث القوم إلى أخيه الأعور فحضر ، فأخبروه الخبر . فقال إنه يقول : أناكم بنو حنظلة في عد الشوك والرمل ، وإن نيران العرب تُعادُ بنجوم السماء ، ويأمركم أن ترحلوا عن الدَّهْناء وانزلوا مكان كذا ، ففعلوا ورحلوا لوقتهم فصبَّحهم بنو حنظلة فلم يذكروا منهم أحدا .

وفي معنى ذلك ما حكاه المَقَرَّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلٍ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ "التَّعْرِيفُ" :
 فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَكَاتِبَةِ إِلَى الْأَدْفُونِشِ مَلِكِ الْفَرَنْجِ بِطُلَيْطَلَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ؛ كَانَ
 خَبِيثَ النِّيَّةِ ، سَيِّئَ الْمَقَاصِدِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ مَرَّةً إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
 مُحَمَّدِ بْنِ قِلَادُونَ : صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ هَدِيَّةً فِيهَا سَيْفٌ وَثَوْبٌ بُنْدُقٌ وَطَارِقَةٌ
 مُسْتَطِيلَةٌ تُشَبِّهُ النَّعْشَ كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَقْتُلْكَ بِهَذَا السَّيْفِ ، وَأَكْفَنْكَ فِي هَذَا الثَّوْبِ ،
 وَأَحْمِلْكَ عَلَى هَذَا النَّعْشِ . قَالَ : وَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ حَبْلًا أَسْوَدَ وَحَجَرًا ،
 أَى إِنَّهُ كَلَبٌ يُرْمَى بِهَذَا الْحَجَرِ أَوْ يُرَبِّطُ فِي هَذَا الْحَبْلِ .

قلت : ومما وقع من ذلك في زماننا أنه في الدولة الظاهرية «برقوق» وتمرنك
 يومئذ ببلاد العراق يُغَاوِرُ الْمَمَالِكَ الشَّامِيَّةَ لِقَصْدِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَرَدَّ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ
 الْمَمْلُوكَةِ الْحَلِيبِيَّةِ فِيهِ : أَنَّهُ وَقَعَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ سَيْلٌ عَظِيمٌ سَاقَ جَمَلَةً مِنَ الْأُسْدِ وَالنَّمُورَةِ
 وَالْحَيَّاتِ ، وَأَنَّهُ دَفَعَ حَيَّةً عَظِيمَةً سَعَةً رَأْسُهَا بِقَدْرِ قَوْسٍ ، وَقَرَأَ الْكِتَابُ بِحَضْرَةِ
 السُّلْطَانِ ، وَحَمَلُوا ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ : مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ حَقِيقَةَ السَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لِقَوْتِهِ سَاقَ
 تِلْكَ الْحَيَّةَ وَالسَّبَاعَ وَغَيْرَهَا ، وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ الْكَافَّةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَسَائِرِ
 الرِّعِيَّةِ ، وَمَضَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ؛ ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذَلِكَ السَّيْلِ وَمَا فِيهِ
 هُوَ تُمَرُّنُكَ وَعَسَاكِرُهُ ؛ وَأَنَّهُ كُنِيَ بِالْحَيَّةِ الْعَظِيمَةِ عَنْهُ نَفْسِهِ ، وَبِالسَّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ
 عَنْ عَسَاكِرِهِ .

ومن لطيف ما وقع في ذلك أنه ورد على السلطان الملك الناصر «فرج بن برقوق»
 في أواخر دولته كتابٌ عن صاحب تُوُسْ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ فِي آخِرِهِ خُطَابًا لِلْسُّلْطَانِ
 (وعلى إحسانكم المَعُولَ ، وَبَيْتُ الطُّغْرَائِيَّ فِي لَامِيَّةِ الْعِجْمِ لَا يُتَأَوَّلُ) فَسَأَلَنِي بَعْضُ
 أَعْيَانِ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ عَنِ الْمُرَادِ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْكِتَابُ مُتَضَمِّنًا لَغَيْرِ الْوَصِيَّةِ

على بُحْبُوحِ الْمَغَارِبَةِ ، وكان رَكِبَ الْمَغَارِبَةَ قَبْلَ تِلْكَ الْجَمَّةِ قَدْ عَرَضَ لَهُمْ عَارِضٌ
مِنْ عَرَبِ دَرْبِ الْحِجَازِ أَجْتَا حُومَهُمْ فِيهِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَنَهَبُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا
جَمَّةً ، فَعَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَى أَيْبَاتِ الْإِمَامِيَّةِ ، فَلَاحَ لِي أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ فِيهَا :

فَقُلْتُ أَرْجُوكَ لِلْجُلِيِّ لَتَنْصُرَنِي * وَأَنْتَ تَحْذَرُنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

وَالْجُلِيُّ بَضْمُ الْجِيمِ هِيَ الْأَمْرُ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ ، وَالْجَلَلُ بِفَتْحِ الْجِيمِ فِي اللَّغَةِ مِنْ أَسْمَاءِ
الْأَضْدَادِ ، يَقَعُ عَلَى الشَّيْءِ الْجَلِيلِ وَعَلَى الشَّيْءِ الْحَقِيرِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَنَا كُنْتُ
أَرْجُوكَ لِلْأُمُورِ الْعِظَامِ لَتَنْصُرَنِي فِيهَا نَفَذْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَسِيسِ ، وَهُوَ الْأَخْذُ
بِثَّارِ حُجَّاجِ بِلَادِي مِنْ أَعْتَدَى عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَبِ بِلَادِكَ : نَخَابَ ظَنِّي فِيمَا كُنْتُ
أَرْجُوهُ فِيكَ ، وَأَوْفَلَهُ مِنْكَ ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ لَا يَتَأَوَّلُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ الْجَلَلَ فِي قَوْلِ
الطُّغْرَائِيِّ عَلَى الشَّيْءِ الْجَلِيلِ كَمَا قَالَ الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ فِي شَرْحِ الْإِمَامِيَّةِ ، بَلْ عَلَى
الْأَمْرِ الْخَسِيسِ : لِأَنَّهُ هُوَ اللَّائِقُ بِالْمَقَامِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ تَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةِ ذِكَاءٍ وَاحْتِدَامِ قَرِيحَةٍ مِنَ الَّذِي يَقَعُ
مِنْهُ الرَّمْزُ ، وَإِلَى قُوَّةِ حَدْسٍ مِنَ الَّذِي يَحَاوِلُ إِدْرَاكَ الْمَقْصَدِ مِنْ تِلْكَ [الْمَعَامِي]
كَمَا يَقَعُ فِي الْأَلْفَازِ وَالْأَحَاجِي لِللِّغَزِّ ، وَالْمَتَصَدِّى حَلَّ الْأَغَاذِ وَالْجَوَابِ عَنْهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
هُوَ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ .

المقالة الخامسة

(١)
في الولايات ، وفيها [أربعة] أبوابٍ

الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت ، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في بيان طبقات الولايات ، وهي على ثلاث طبقات

الطبقة الأولى — الخلافة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : إما عهد من الخليفة الأول ، وإما بيعة من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله على ماسأى بيانه إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية — السلطنة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : أحدهما العهد من الخليفة ، والثاني العهد من السلطان قبله . قال في " التعريف " : أما من قام من الملوك بغير عهد ، فلم تجر العادة أن تكتب له مبايعة .

الطبقة الثالثة — الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر والشام والحجاز : مما يكتب من ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية .

وهي على خمسة أنواع :

(١) بياض في الأصل والتصحيح مما تقدم في ج ١ ص ٢٤ من هذا المؤلف .

النوع الأول

(ولايات أرباب السيوف ؛ وهم على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول — الثواب من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف ، وغالب من يكتب له منهم بالبلاد الشامية ومضافاتها ؛ كتواب السلطنة بدمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرک ، ومقدمى العسكر بغزة وبيس ؛ وتواب القلاع بالمدن العظام ذوات القلاع الرفيعة القدر : كالتائب بقلعة دمشق ، والتائب بقلعة حلب ، والتائب بقلعة صفد . أما طرابلس وحماة ، فليس بهما قلعة ؛ وكذلك الثياب الصغار المضافة إلى القواعد الكبار : كالقدس الشريف وخمص ومضيف من مضافات دمشق ، وقلعة المسلمين والرحبة والبيرة والرها وشيزر وعنتاب وبهسن وملطية وآياس والأبلستين وأذنة وطرشوس من مضافات حلب ، والألاذقية وحضن عكار من مضافات طرابلس وما يجرى مجرى ذلك ، على ما سيأتى بيانه مفصلا في مواضعه ؛ إن شاء الله تعالى .

أما مادونها من الثياب فإن ثواب السلطنة بالملكة يستقلون بالتولية فيها .

قلت : والضابط في ذلك أن كل نيابة كان نائبها تقدمه ألف فوليتها عن السلطان بمرسوم شريف من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ وكل ولاية كان نائبها جندياً أو مقدّم حلقة فوليتها عن نائب السلطنة بالملكة التي هي مضافة إليها بتوقيع كريم من ديوان الإنشاء بها ؛ وكل نيابة كان نائبها أمير طبخاناة أو عشرة ربما وثى فيها السلطان وربما وثى فيها نائب السلطنة ، إلا أن تولية السلطان لثواب الطبخاناة أغلب ، وتولية ثواب السلطنة لثواب العشرة أغلب .

أما الديار المصرية فإنه كان يُكتب فيها أولاً لولاة الوجهين : القبلى والبحرى
بحراً على ما كان الأمر عليه فى زمن الخلفاء الفاطميين ، وكذلك والى الإسكندرية
قبل أن تستقر نيابة ، ووالياً لولاة الوجهين قبل أن يستقرتا نيابتين ، فى جماعة
أخرى من أرباب الوظائف : كالنائب الكافل وأتابك الجيوش كاستادآر وأميرأخور
ومقدم الممالك ووالى مصر والقاهرة ؛ ثم صارت الكتابة لذوى الوظائف من أرباب
السيف قاصرة على النائب الكافل إذا كان موجوداً والثواب المستجدين
بالإسكندرية والوجهين : القبلى والبحرى ؛ وبطل ما عدا ذلك مما كان يكتب ،
وكان المعنى فيه الترتب من مقرة السلطان ؛ والكتابة إنما تقع فى الغالب مع البعد :
لتكون حجة للتولى على بعد المدى ، ولا ينتقص ذلك بما يكتب للخلفاء والملوك
فى الحضرة ، فإن ذلك من الأمور العامة التى يخاف انتقاضها أو مجودها ، إذ مثل
ذلك لا يجوز فى الولايات عن السلطان : لأنه متى شاء عزل من ولّاه .

الصنف الثانى — ولاية أمراء العربان ، وهؤلاء لاحظ لهم فى الكتابة بالولاية
بالديار المصرية الآن ؛ وربما يكتب لأمرائهم بالملكة الشامية : كأمير آل فضل ،
وأمير آل مرا ، وأمير آل على ، ومقدم بحر ، وكذلك أمير مكة المشرفة ،
وأمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ،
والنائب باليتبع من البلاد المجازية . والمعنى فى اختصاص من بعد منهم ماتقدم
فى الكلام على أرباب السيف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم
الإهتمام بأمرهم .

الصنف الثالث — ولاية المقدمين على الطوائف : كمقدمى الترتبان ، والأكراد ،
والجبلية بالبلاد الشامية ، وأتابك طائفة الإسماعيلية بقلاع الدعوة ، وحاكم البندق

ونحوهم ؛ وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن ؛ أما حاكم البندق ، فإنه لم يعهد له كتابة من ديوان الإنشاء بمصر والشام . على أن المقر الشهابي بن فضل الله قد ذكر وصيته في " التعريف " ولعله ممن كان يكتب [له] في زمانه أو قبله ثم ترك ، وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البندق وعدمه كما في لباس الفتوة ، وأنه ربما اعتنى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك .

النوع الثاني

(ولاية أرباب الأقاليم ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على ثمانية أضرب)

الضرب الأول — أ كابر القضاة بأقطار المملكة : كقضاة القضاة بالحضرة السلطانية بالديار المصرية ونظر الإسكندرية ، وكذلك قضاة القضاة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرك ، وقضاة العسكر بالديار المصرية ؛ أما القضاة بالنيابات الصغار المضافات إلى دمشق وحلب ونحوهما فولايتهن إلى قضاة القضاة بها ، وقضاة العسكر بدمشق وحلب وما في معنهما إلى الثواب بتلك الممالك .

الضرب الثاني — المفتون بدار العدل بالديار المصرية ؛ أما المفتون بدار العدل بالممالك الشامية فولايتهن إلى نائبيها .

الضرب الثالث — أكابرُ المحتسبين : كمحتسبي مصر والقاهرة ؛ أما الممالك الشامية فلا يُؤلَّى فيها إلا نُوابُها .

الضرب الرابع — أكابرُ المدرّسين في عامّة العلوم بأما كنّ مخصوصة : كالزوايا الخشائية بالجامع العتيق بمصر ، والمدرسة الصلاحية بترّة الإمام الشافعي بالترافة ، ونحو ذلك بأقطار المملكة من مدرّسي الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم الدينيّة .

الضرب الخامس — أكابرُ الخطباء بجوامع مخصوصة بأقطار المملكة : بجامع الناصري بقلعة الجبل ، والجامع الأموي بالشام ونحوهما .

الضرب السادس — وكلاء بيت المال بالديار المصرية وغيرها .

الضرب السابع — المتحدّثون على الوظائف المعتبرة : كتنابة الأشراف ، ومشيخة الشيوخ ، فما كان بالديار المصرية فولايته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى نواب السلطنة بها .

الضرب الثامن — المتحدّثون على جهات البرّ العامّة المصلحة : كنظر الأعباس وأنظار البيمارستانات ونحوها : فما كان منها بالديار المصريّة : كنظر الأعباس والبيمارستان المنصوري وما أشبه ذلك فتوليته ^(١) إلى نوابها ، ما لم يكن لها ناظر خاص فيكون ذلك مختصاً به .

(١) لعله فتوليته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ، وما كان منها بالممالك الشامية فتوليته الخ

كما لا يخفى تأمل .

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدِّيوانية)

ودَوَاوِينُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ :

الضرب الأول — دَوَاوِينُ الْمَالِ؛ وَأَرْبَابُ الْخِدْمِ بِهَا مِنْ تَكْتَبَ وَلَا يَأْتُهُمْ مِنْ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ : إِمَّا نَاطِرٌ، أَوْ وَزِيرٌ، أَوْ صَاحِبُ دِيَوَانٍ، أَوْ شَهَادَةٌ، أَوْ أَسْتِيفَاءٌ؛ فَأَمَّا الْوِزَارَةُ فَلَا يُصَرِّحُ بِهَا إِلَّا لِلْوَزِيرِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَرَبَّمَا صُرِّحَ بِهَا لِلْوَزِيرِ دِمَشْقَ إِذَا وَلِيَهَا مِنْ أَرْفَعَتْ مَرْتَبَتُهُ، وَإِلَّا عَبَّرَ عَنْهُ بِنَاطِرِ الْمَمْلَكَةِ .

وَأَمَّا النَّظَرُ، فَكَنْظَرُ الدَّوَاوِينِ الْمَعْبَرِّ عَنْهُ بِنَظَرِ الدَّوْلَةِ، وَنَظَرِ الْخَاصِّ، وَنَظَرِ الْخِزَانَةِ الْكُبْرَى، وَنَظَرِ الْيُبُوتِ « الْحَاشِيَةِ » وَنَظَرِ بَيْتِ الْمَالِ، وَنَظَرِ الْإِصْطِبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَنَظَرِ دَارِ الضِّيَافَةِ وَالْأَسْوَاقِ، وَنَظَرِ خَزَائِنِ السَّلَاحِ، وَنَظَرِ الْبَهَارِ وَالكَارِمِيِّ، وَنَظَرِ الْأَهْرَاءِ، وَنَظَرِ الْمَوَارِيثِ الْحَشْرِيَّةِ، وَنَظَرِ ثَغْرِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ الْمَحْرُوسِ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ الْأَنْظَارِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ . وَكَذَلِكَ نَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِدِمَشْقَ إِذَا لَمْ يُصَرِّحْ لِمَتَوَلِّيهِ بِالْوِزَارَةِ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِحَلَبَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِطَرَابُلُسَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِحِمَاةَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِصَفَدَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِسَيْسَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِغَزَّةَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِالْكَرْكِ .

وَأَمَّا صَحَابَةُ الدِّيَوَانِ، فَكَصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْجَيْشِ وَصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْخَاصِّ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الشَّهَادَةُ، فَكَشَهَادَةُ الْخِزَانَةِ الْكُبْرَى، وَشَهَادَةُ خِزَانَةِ الْخَاصِّ وَنَحْوَهُمَا .

وأما الإِسْتِيفاءُ ، فكَاسْتِيفاءِ الصُّحْبَةِ ، وَاسْتِيفاءِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتِيفاءِ الْخِصَّصِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَلاَحَظُّ لغيرِ النَّظَّارِ مِنْ دَوَاوِينِ الْأَمْوَالِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ : مِنْ صَاحِبِ دِيوانٍ وَلَا شَهِيدٍ وَلَا مُسْتَوِفٍّ ، فِي الْكِتَابَةِ بِالْوِلَايَةِ مِنْ دِيوانِ الْإِنْشَاءِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ؛ بَلْ وَلَايَتُهَا مِنْ تَوَابِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ بِتَوَاقِعِ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ بِهَا .

الضرب الثاني — دَوَاوِينُ الْجُيُوشِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ . وَأَرْبَابُ الْخِدْمِ بِهَا لَا يُخْرِجُونَ عَنْ نَاطِرٍ ، وَصَاحِبُ دِيوانٍ ، وَشَهِيدٌ ، وَمُسْتَوِفٌّ .

وَالَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ عَنِ السُّلْطَانِ مِنْهُمْ [وَ] تُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ مِنْ دِيوانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ نَاطِرُ الْجَيْشِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَنَاطِرُ الْجَيْشِ بِدِمَشْقَ ، وَنَاطِرُ الْجَيْشِ بِحَلَبَ ، وَنَاطِرُ الْجَيْشِ بِطَرَابُلُسَ ، وَنَاطِرُ الْجَيْشِ بِحَمَّاءَ ، وَنَاطِرُ الْجَيْشِ بِصَفَدَ ، وَنَاطِرُ الْجَيْشِ بِغَزَّةَ ، وَنَاطِرُ الْجَيْشِ بِسَيْسَ ، وَنَاطِرُ الْجَيْشِ بِالْكَرْكِ ، وَصَاحِبُ دِيوانِ الْجَيْشِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالشُّهُودُ ، وَالْمُسْتَوِفُّونَ بِهَا ؛ أَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ : مِنْ نَظَّارِ الْجَيْشِ وَأَصْحَابِ الدَوَاوِينِ وَالشُّهُودِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ ، فَوَلَايَتُهُمْ إِلَى تَوَابِ السُّلْطَانَةِ بِهَا .

الضرب الثالث — دَوَاوِينُ الْإِنْشَاءِ ؛ وَأَرْبَابُ الْخِدْمِ بِهَا لَا يُخْرِجُونَ عَنْ كَاتِبٍ سِرٍّ ، وَكَاتِبِ دَسْتٍ ، وَكَاتِبِ دَرَجٍ .

وَالَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ عَنِ السُّلْطَانِ مِنْ كُتَّابِ هَذِهِ الدَّوَاوِينِ وَتُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ مِنْ دِيوانِ الْإِنْشَاءِ السُّلْطَانِيِّ صَاحِبُ دِيوانِ الْإِنْشَاءِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَصَاحِبُ دِيوانِ الْإِنْشَاءِ بِدِمَشْقَ ، وَصَاحِبُ دِيوانِ الْمَكَاتِبَاتِ بِحَلَبَ ، وَصَاحِبُ دِيوانِ الْمَكَاتِبَاتِ

بطرأئلس ، وصاحب ديوان المكاتب بحمّة ، وصاحب ديوان المكاتب
بصفد ، وكتب الدرج بسيس ، وكتب الدرج بغزة ، وكتب الدرج بالكرك ،
وكتب الدرج بالإسكندرية ، وكتب الدست وكتب الدرج بالأبواب السلطانية ؛
أما كتاب الدست وكتب الدرج بالممالك الشامية فإلى نوابها بتوقيع من دواوين
الإنشاء بها .

النوع الثالث

(ولايات أرباب الوظائف الصّناعيّة)

كالأطباء ، والكحّالين ، والجرائحية ، ومن جرى مجراهم من سائر أرباب الوظائف
التي هي من تيمّة نظام الملك ؛ فما كان منها بالأبواب السلطانية فولايته عن السلطان
بتوقيع من ديوان الإنشاء السلطاني ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى
نواب السلطنة بها .

النوع الرابع

(ولايات زعماء أهل الذمّة . وهي ضربان)

الضرب الأوّل — ولاية بطاركة النصارى من البعاقة والملكيّة^(١) .

الضرب الثاني — ولاية رئيس اليهود الحاكم على طوائفهم .

(١) لم ينص على من له توليتهما .

النوع الخامس

(ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع)

كصغار الأمور التي يكتب فيها لكل فرد فرد : إما ابتداءً ، وإما بالمثل
على ما بيده من ولاية سابقة : من نائب أو قاض أو ناظر وقف أو غير ذلك ؛
مما لا ينحصر كثرة .

قلت : وربما ولي السلطان في بعض الوظائف بالممالك الشامية مما تختص
توليته بتواب السلطنة إذا كانت الوظيفة وضعية المنزلة وأدركت المولى عنايته ،
وربما ولي بعض تواب السلطنة ما تختص توليته بالسلطان إذا عظمت رتبة النائب
وآرتفعت منزلته ؛ خصوصاً إذا كان نظام المملكة محلولا وأمرها مضطربا .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(فى بيان ماتجِبُ على الكاتب مراعاته فى كتابة الولايات على سبيل الإجمال)

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى "حُسن التوسل" : يجبُ على الكاتب أن يراعى فى ذلك أموراً .

منها - براعة الاستهلال بذكر الرتبة ، أو الحال ، أو قدر النعمة ، أو لقب صاحب الولاية ، أو أسمه ؛ بحيث لا يكون المطلع أجنبياً من هذه الأحوال ، ولا بعيداً منها ، ولا مبيناً لها ؛ ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها .

ومنها - أن يراعى المناسبة وما تقتضيه الحال : فلا يعطى أحداً فوق حقه ، ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله ؛ ويراعى أيضاً مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنّة بها على مقدار ذلك .

ومنها - أن لا يصف المتولى بما ^(١) [يكون] فيه تعريض بدم المعزول [وتقيص له ^(١)] ؛ فإن ذلك مما يؤغر الصدور ، ويورث الضغائن فى القلوب ، ويدلّ على ضعف الآراء فى اختيار الأول ، مع إمكان وصف الثانى بما يحصل به المقصود من غير تعريض بالأول .

ومنها - أن يتخير الكلام والمعاني فإنه مما يشيع ويذيع ، ولا يُعذر المقصر فى ذلك بعجلة ولا ضيق وقت ، فإنّ مجال الكلام متسع ، والبلاغة تظهر فى القليل والكثير .

قلت : ومنها أن يَحْرِصَ الكاتبُ على أن تكون نهاية السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني ولا يُؤخِّرُها عن ذلك . ومما كان يراعى في ذلك أن تكون الخطبة من أولها إلى آخرها على رَوى واحد في السَّجْع ، وكذلك الدعاء في أول صِغار التواقيع والمَراسيم المبتدأة بلفظ « رُسم » بخلاف ما بعد ذلك إلى آخر ما يكتب ، فإنه يتَّفِق فيه روى السجعتين والثلاث فما حوَّلها ، ثم يخالفُ رويها إلى غيره ؛ ولا يكلف الكاتبُ الإتيانَ بجميعها على روى واحد ؛ وعلى ذلك كانت طريقةُ فُحول الكُتَّاب بالدولة التركية ، كالقاضي محيى الدين بن عبد الظاهر ، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، والمقرّر الشهابي بن فضل الله ، ومن عاصرهم إلّا في القليل النادر ؛ فإنه رُبَّما وقع لبعضهم مخالفة روى الخطبة ؛ وإلى هذا قد جَنَحَ غالب كُتَّاب ديوان الإنشاء في زماننا ومألوا إليه : لما في اتِّزام الرَوى الواحد في جميع الخطبة من التكلف وعُسْر التلْفِيق على مَنْ يتعاناها .

ثمَّ الكلامُ فيما يُكْتَب في الولاية قد يكون جميعه بلفظ الغيبة ؛ مثل أن يقال : عهد إليه بكذا ، أو قلده كذا ، أو فوض إليه كذا ، أو أن يستقر في كذا ، ونحو ذلك ، ثم يقال : وأمره بكذا ، أو ونحن نوصيه بكذا ، أو فعله بكذا ، وما أشبه ذلك ؛ وقد يكون جميعه بلفظ الخطاب ، مثل أن يقال : وقد عهد إليك بكذا ، أو قللك كذا ، أو فوض إليك كذا ثم يقال : ونحن نوصيك بكذا ، أو فعلك بكذا ، ونحوه ؛ وقد يُصدَّر بلفظ الغيبة ثم يلتفت منها إلى الخطاب ؛ وقد يُصدَّر بلفظ الخطاب ثم يلتفت منه إلى الغيبة بحسب ما يؤثِّره الكاتب وتؤدّي إليه بلاغته مما ستَقِفُ على تنويعه في خلال كلامهم في أصناف الولايات الآتية في هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات ، وذلك من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء)

وسبيلها الاختصار دون البسط ، اكتفاء بما هو ظاهر من أبهة الخلافة ، وعلو مقام الإمامة ، إذ هي الزعامة العظمى ، والرتبة التي هي أعلى الرتب وأشهى .
وهي صنفان :

الصنف الأول — ألقاب الخلفاء أنفسهم ، وغاية ما ينعى به الإمام وأمير المؤمنين .

الصنف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالخلافة ، وألقابهم نحو السيد الجليل وذخيرة الدين ، ونحو ذلك على ما سيأتي بيانه في عهود الخلفاء عن الخلفاء .

النوع الثاني

(ألقاب الملوك ، وهي صنفان أيضا)

الصنف الأول — ألقاب السلطان نفسه ، والكتاب تارة يتدثونها بالسلطان ، وتارة يتدثونها بالمقام ، ولكل منهما نعوت تخصه ، وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في الكلام على عهود الملوك عن الخلفاء ، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالملك ، والملوك المنفردين بولاية صغار
البلدان عن السلطان الأعظم ، وهي لا تُفتَح إلا بالمقام ليس إلا ؛ ولها نعتٌ تخصها
يأتى الكلام عليها فى الكلام على عهودهم أيضا .

النوع الثالث

(ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان : من أرباب
الوظائف الواقعة فى هذه المملكة)

وقد تقدّم فى الكلام على الألقاب فى مقدّمة الكتاب أن أصول الألقاب
المستعملة فى ذلك خمسة ألقاب على الترتيب : وهى المقرّر ، ثم الحنّاب ، ثم المجلس ،
ثم مجلس مضافا : كمجلس الأمير ، ومجلس القاضى ، ومجلس الشيخ ، ومجلس
الصّدر ، ثم الإقتصار على المضاف إليه وحذف المضاف : كالأمير والقاضى والشيخ
والصّدر ؛ ويلحق بذلك لأهل الذّمة الحضرة ، وحضرة الشيخ ، والشيخ مجزّدا
عن حضرة ، وتقدّم فى الفصل الأوّل من هذا الباب أن أرباب الولايات خمسة
أنواع : أرباب السّيوف ، وأرباب الأقلام ، وأرباب الوظائف الصّناعية ، وزعماء
أهل الذّمة ، ومن لا يختص بطائفة لصغرهم . وجميع هذه الأنواع على اختلاف
أصنافهم لا يخرجون عن الألقاب المتقدمة ؛ وقد تقدّم الكلام على هذه الألقاب
ونعوتها لمن يُكاتب عن الأبواب الشريفة السلطانية من أرباب الوظائف مستوفى
فى المكاتبات ، إلا أنه قد يؤلّى عن السلطان من لم يؤهل للمكاتبه عنه ، كأكثر
أرباب الوظائف من حملة الأقلام وغيرهم ، فاحتجج إلى تعريف مراتب الألقاب
لكل نوع من أرباب الولايات .

فأما أربابُ السُّيوفِ، فاعلى ألقابهم المَقَرُّ، وأدناها مجلسُ الأمير، ثم الأمير مجرّداً عن مجلس .

وأما أرباب الوظائف الصَّنَاعِيَّة، فاعلى ألقابهم المجلس وأدناها مجلسُ الصّدر، ثم الصّدرُ مجرّداً عن مجلس .

وأما من لا يختص بطائفة لصغره، فيقتصر فيه على لقب التعريف وهو فلانُ الدين إن عظم وإلا اقتصر على اسمه خاصّة .

وأما زعماء أهل الدِّمَّة، فاعلى ألقابهم الحَضْرَة، ثم حَضْرَة الشيخ، ثم الشيخ مجرّداً عن حَضْرَة .

وأعلم أن كلَّ مَنْ كانت له مكتبةٌ عن الأبواب السلطانية من أرباب السُّيوف والأقلام وغيرهم، فلَقَبُ ولايته ونُعوته كما في مكتبته، غير أنه يَزَادُ في آخر النُعوت المركّبة ذكر اسمه العلم، ونُسبته إلى السلطان: كالناصرى، والظاهرى، ونحوهما إن كان ممن يَنْتَسِب إليه بِنِيبَةٍ ونحوها؛ ثم إن كانت مكتبته تُفْتَحُ بالدعاء نُقِلَ ذلك الدعاء من أوّل المكتبة إلى ما بعد اسمه والنسبة إلى السلطان في الولاية، كما إذا كانت مكتبته : أَعَزَّ اللهُ تعالى أنصار المَقَرِّ الكريم، فإنه يُدْعَى له عَقِيبَ اسمه والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بأَعَزَّ اللهُ تعالى أنصاره، وكذلك في البواقي .

وإن كانت مكتبته تُفْتَحُ بغير الدعاء : كصدرت هذه المكتبة ونحو ذلك ، فإنه يدعى له في الولاية عَقِبَ الأسم والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بما يدعى له في مكتبته في آخر الأقباب، كما إذا كان من أرباب السُّيوف ومكتبته صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى أو المجلس السامى بالياء فإنه يدعى له بمثل : أدام الله سعادته، وأدام الله رفعة، ونحو ذلك؛ وإن لم تكن له مكتبةٌ عن الأبواب السُّلطانية

كُتِبَ لَهُ فِي الْوَلَايَةِ مَا يُنَاسِبُهُ مِنَ اللَّقَبِ وَالنُّعُوتِ ، ثُمَّ يَذْكُرُ اسْمَهُ وَالِدَعَاءَ لَهُ إِنْ كَانَ مُسْتَحِقًّا لِلدَّعَاءِ ؛ وَسَيَأْتِي لِقَبِّ كُلِّ ذِي وِلَايَةٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْخَمْسَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرُ وَنُعُوتُهُ عِنْدَ ذِكْرِ وِلَايَتِهِ فِيمَا بَعْدُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ لِلْأَقْبَابِ فِي الْوَلَايَاتِ مَحَلَّانِ :

أحدهما — الطَّرَّةُ . وَيُقْتَصَرُ فِيهَا عَلَى اللَّقَبِ : مِنَ الْمُقَرَّرِ أَوِ الْجَنَابِ أَوِ الْمَجْلِسِ أَوِ مَجْلِسٍ مُضَافًا وَمَا بَعْدَهُ مِنَ النُّعُوتِ إِلَى اللَّقَبِ الْمُمَيَّزِ لِلْوِظَافَةِ كَالْأَمِيرِيِّ وَالْقَضَائِيِّ وَنَحْوِهِمَا ، ثُمَّ يَذْكُرُ لِقَبَّهُ الْخَاصَّ بِهِ وَهُوَ الْفُلَانِيُّ أَوْ فُلَانُ الدِّينِ ، ثُمَّ يَذْكُرُ اسْمَهُ وَاتِّسَابَهُ إِلَى السُّلْطَانِ إِنْ كَانَ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ مَفْصَلًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثاني — فِي أَثْنَاءِ الْوِلَايَةِ . وَهُنَاكَ تَسْتَوِفُ النُّعُوتُ وَيُؤْتَى بِمَا فِي الطَّرَّةِ فِي ضَمْنِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُجْعَلُ لِقَبِّ التَّعْرِيفِ — وَهُوَ الْفُلَانِيُّ أَوْ فُلَانُ الدِّينِ — بَيْنَ النُّعُوتِ الْمَفْرُودَةِ وَالْمَرْكَبَةِ فَاصِلًا بَيْنَهُمَا .

الوجه الثاني

(أَلْفَاظُ إِسْنَادِ الْوِلَايَةِ إِلَى صَاحِبِ الْوِظَافَةِ ؛ وَلَهَا سِتُّ مَرَاتِبٍ)

الأولى — لَفْظُ الْعَهْدِ ، مِثْلُ أَنْ يَقَالَ : أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ .

الثانية — لَفْظُ التَّقْلِيدِ ، مِثْلُ أَنْ يَقَالَ : أَنْ يُقَلَّدَ كَذَا ، وَيَكُونُ مَعَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ وَالْجَنَابِ الْكَرِيمِ .

الثالثة — لَفْظُ التَّفْوِيضِ ، مِثْلُ أَنْ يَقَالَ : أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا ، وَيَخْتَصُّ بِالْجَنَابِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ ، وَكَذَلِكَ الْجَنَابُ وَالْمَجْلِسُ الْعَالِي لِأَرْبَابِ الْأَقْلَامِ .

قلت : وَكُتِّبَ زَمَانَنَا يَسْتَعْمِلُونَهَا ^(١) مَعَ الْمُقَرَّ أَيْضًا ، وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ لَفْظَ يُقَلَّدُ فِي التَّقَالِيدِ لِتَوْهُمِهِمُ الْإِكْتِفَاءَ بِلَفْظِ تَقْلِيدٍ عَنْهَا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُقَلَّدُ فَوْقَ يُفَوِّضُ كَمَا تَقَدَّمَ . عَلَى أَنَّ الْمُقَرَّ الشَّهَابِيَّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي "التعريف" كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الرابعة — لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِسْتِمْرَارِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنَّهُ يَسْتَقِرُّ فِي كَذَا ، أَوْ يَسْتَمِرُّ فِي كَذَا . وَلَفْظُ يَسْتَقِرُّ مَخْتَصٌّ بِالْمُسْتَجِدِّ ، وَلَفْظُ يَسْتَمِرُّ مَخْتَصٌّ بِالْمُسْتَقَرِّ ؛ وَيَكُونَانِ مَعَ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِأَلْيَاءِ ، وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِغَيْرِ أَلْيَاءٍ لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ وَغَيْرِهِمْ ؛ أَمَّا الْمَجْلِسُ الْعَالِي فَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِالْإِدْعَاءِ ، مِثْلُ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ كَاتِبِ السُّلْطَانَةِ بِالْكَرْكِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يُفَوِّضَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِصَدْرَتِ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ كَاتِبِ الْقُدُسِ وَنَحْوِهِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ .

الخامسة — لَفْظُ التَّرْتِيبِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُرْتَّبَ فِي كَذَا ، وَيَكُونُ مَعَ مَجْلِسٍ مُضَافًا ، مِثْلُ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ وَمَجْلِسِ الْقَاضِي وَنَحْوَهُمَا ، وَرَبَّمَا اسْتَعْمِلَتْ مَعَ السَّامِيِّ بِغَيْرِ أَلْيَاءٍ .

السادسة — لَفْظُ التَّقَدُّمِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنْ يُقَدَّمَ فَلَانٌ عَلَى الطَّائِفَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قلت : وَهَاتَانِ الْمُرْتَبَتَانِ أَعْنَى السَّادِسَةِ وَالْخَامِسَةِ قَدْ ذَكَرَهُمَا الْمُقَرُّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التعريف" فَقَالَ : وَقَدْ يُقَالُ أَنْ يُرْتَّبَ وَأَنْ يُقَدَّمَ . وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي كِتَابَةِ مُعَاَصِرِيهِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ؛ أَمَّا كُتَّابُ زَمَانِنَا فَقَدْ رَفَضُوهُمَا جَمَلَةً وَأَضْرَبُوا عَنْ اسْتِعْمَالِهِمَا بِكُلِّ حَالٍ ، وَأَكْتَفَوْا عَنْهُمَا بِالْمُرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ وَهِيَ لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ ،

(١) أَيْ لَفْظَةَ "يُفَوِّضُ" .

والواجب إثباتهما لتفاوت ما بين المراتب . على أن استعمال لفظ يرتب موجود في كلامهم بكثرة ، ولفظ يُقدّم لم يستعملوه إلا في التزّر اليسير ، والله أعلم . وهذه الألفاظ تقع في الطّرة وفي أثناء الكلام على حدّ واحد .

الوجه الثالث

(الإفتتاحات ، وهي راجعة إلى أربع مراتب)

المرتبة الأولى — الافتتاح بلفظ : هذه بيعة ، أو هذا ما عهد ، ونحو ذلك في البيعات والعهود على المذهب القديم ؛ أو بالحمد لله . ويقع الابتداء به في العهود والبيعات إذا ابتدئ العهد أو البيعة بخطبة على ما عليه استعمال أهل زماننا ؛ وكذلك في التقاليد لأرباب السيوف والأفلام ، والمراسيم المكبرة لأرباب السيوف ، والتواقيع الجكار لأرباب الأفلام .

المرتبة الثانية — الافتتاح بأما بعد حمد الله . ويقع الابتداء به في المرتبة الثانية من أرباب المراسيم المكبرة من أصحاب السيوف ، والمرتبة الثانية من أرباب التواقيع من أصحاب الأفلام .

المرتبة الثالثة — الافتتاح برسم بالأمر الشريف ، ويقع الافتتاح به في المرتبة الثالثة لأرباب التواقيع والمراسيم من سائر أرباب الولايات .

المرتبة الرابعة — ما كان يستعمل من الافتتاح بأما بعد فإن كذا . أو من حسنت طرائقه ، وحيدت خلايقه ، فإنه أحق ، وما أشبه ذلك ؛ كما أشار إليه في " التعريف " إذ كان الآن قد رُفِض وترك على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وقد كان ذلك يستعمل فيما تقدّم لأرباب السيوف والأفلام جميعاً .

الوجه الرابع

(تعددُ التحميد في الخطبة أو في أثناء الكلام واتحاده)

فقد قال في "التعريف" في الكلام على عهود الملوك للملوك : وكُلِّبَ كَثُرَتِ التحميداتُ في الخطب ، كان أَكْبَرَ : لأنها تدلُّ على عِظَمِ قَدْرِ النِّعْمَةِ ؛ وذكر في الكلام على عهود الخلفاء عن الخلفاء أنه يُنتهى في التحميد إلى سبعة .

الوجه الخامس

(الدعاء . وله ثلاثة مواضع)

الموضع الأول — في طُرَّةِ الْوَلَايَةِ بعد ذكر ما يُكْتَبُ في الطُّرَّةِ من ألقابه ، ولا يُزَادُ فيه على دَعْوَةٍ واحدة تناسبه .

الموضع الثاني — في أثناءِ الْوَلَايَةِ بعد استيفاء الألقابِ وذكرِ الْأَسْمِ ؛ وهو ما في الطُّرَّةِ من الدعوة المناسبة له بغير زائدٍ على ذلك .

الموضع الثالث — [في] آخِرِ الْوَلَايَةِ بالإعانة ونحوها . قال في "التثقيف" : وأقلُّها دعوتان ، وأكثرها أربع . قال في "التعريف" : وَمَنْ آسُضِرَ مِنَ الْمُؤَلِّينَ لَا يُدْعَى له في آخِرِ ولايته .

ثم قد تقدم في المكاتبات أنَّ الدعاء مع تنزيه الله تعالى : كأَعَزَّ اللهُ تعالى أنصارَ المقرِّ ، وضاعف الله [تعالى] نعمة الجَنَابِ ونحو ذلك أَعْلَى من حذفه^(١) ؛ كأدام الله سعدَه ، وأعزَّه الله ونحو ذلك ؛ ولا شك أنه في الولايات كذلك .

(١) أى حذف التنزيه وفي الأصل حذفها أى جملة التنزيه .

الوجه السادس

(طُولُ الكلام وقصره ، فكلُّنا عظمت الوظيفة وآرتفع قدر صاحبها
كان الكلام فيها أبسط)

قال في "حسن التوسل" : ويحسن أن يكون الكلام في التقاليد منقسماً أربعة
أقسام متقاربة المقادير؛ فالرُّبُّ الأوَّل في الخطبة؛ والرُّبُّ الثاني في ذكر موقع الإنعام
في حق المقلِّد ، وذكر الرتبة وتَفخيم أمرها ؛ والرُّبُّ الثالث في أوصاف المولى^(١) ،
وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعْد صيت
وسُمتة وشجاعة إن كان نائباً ؛ ووَصِفَ الرأى والعدْل وحُسن التدبير والمعرفة بوجوه
الأموال ، وعمارة البلاد ، وصَلاح الأحوال ، وما يناسب ذلك إن كان وزيراً ؛
وكذلك في كلِّ رتبة بحسبها ؛ والرُّبُّ الرابع في الوصايا .

قال في "التعريف" : والذي اختاره اختصاراً مقدار التحميدة [التي]^(٢)
في الخطبة والخطب مطلقاً وإطالة ما بعد ذلك ؛ والإطناب في الوصايا [اللهم]^(٢)
إلا لمن جَلَّ قدره [وعظم أمره] فإن الأولى الإقتصار في الوصايا على أهمِّ الجُمليَّات ،
ويعتذر في الإقتصار بما يُعرف من فضله ، ويُعلم من علمه ، ويوثق به من تجربته
ومن هذا ومثله . قال : والكاتب في هذا [كله] بحسب ما يراه ، ولكلِّ واقعة
مَقال يليق بها ، ولملبس كلِّ رجل قدر معروف لا يليق به غيره ؛ وفي هذا غنى لمن
عرَف ، وكفاية لمن عِلِم ؛ على أن المقرَّ الشهابيَّ تابع في ذلك القاضي « محي الدين
أبن عبد الظاهر » رحمه الله ، فإنك إذا تأملت تقاليدَه وتواقيعه ، وجدتها كلها

(١) في حسن التوسل ص ١١٠ « المقلد » وهي بمعناها .

(٢) الزيادة من التعريف ص ٨٨ .

كذلك ، ولكل وجه ظاهر ؛ فإنَّ المطول للخطبة لا يُحليها من براعة الاستهلال ،
المناسبة للحال ؛ والمقصر لها مراعٍ لزيادة الإطناب في الوصف .

قلت : ولا يخفى أن ما ذكره في التقاليد يحىء مثله في العهود لجريها على موجبها
من مؤلٍّ ومؤلٍّ .

أما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البرِّ
والإحسان للخلق ، ووعد النظر في أمور الرعية ، وصلاح أحوالهم ؛ وذكر التحليف
للخليفة ، أوله وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد
والدخول تحت الطاعة . قال في "حسن التوسل" : والأمر الجارى في ذلك على
العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن
التصرف على ما يقتضيه الحال ؛ وذكر من ذلك تقليدا أنشاء لملك سيسى ، وتقليدا
كتبه بالفتوة ؛ وسيأتى ذكر ذلك مع ما شاكلة في مواضعه إن شاء الله تعالى .

الوجه السابع

(قطع الورق)

وأعلم أنَّ الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بمجلتها يحصر قطع
الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها :

أحدها — قطع البغدادى الكامل ؛ وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقا على
أى الافتتاحات كان .

الثاني — قطع الثلاثين من المنصوري، وهو لأجل الولايات السلطانيات لأرباب السيوف وبعض أرباب الأقلام، ولا يفتَح فيها إلا بالحمد .

الثالث — قطع النصف منه، وهو لما دُونَ ذلك، ولا يفتَح فيه إلا بالحمد أيضا :

الرابع — قطع الثلث منه ، وهو لما دُونَ ذلك .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وُلِّيَ صَاحِبُ وَظِيفَةٍ تَسْتَحِقُّ قَطْعَ النِّصْفِ وَظِيفَةً أُخْرَى تَسْتَحِقُّ قَطْعَ الْعَادَةِ ، فَإِنَّهُ يُرَاعَى مَقْدَارُ صَاحِبِهَا وَيُزَادُ عَلَى مِقْدَارِ الْعَادَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ رَتَبَةِ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا ؛ فَيَكْتُبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ لَتَكُونَ رَتَبَةُ بَيْنَ رُتَبَتَيْنِ فَتَحْصُلَ مِرَاعَاةُ تَعْظِيمِهِ مِنْ حَيْثُ الزِّيَادَةُ عَلَى قَطْعِ الْعَادَةِ ، وَمِرَاعَاةُ قَدْرِ الْوِظِيفَةِ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْلُغْ شَأْوَ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ؛ أَمَّا إِذَا وُلِّيَ مَنْحَطٌّ الْقَدْرَ وَظِيفَةً تَسْتَحِقُّ الْقَطْعَ الْكَبِيرَ ، فَإِنَّهُ يَكْتُبُ لَهُ فِيهِ ، وَتَكُونُ تَوَلِيَّتُهُ لَهَا رَفْعًا إِلَى دَرَجَتِهَا .

الخامس — قطعُ العادة، وهو أصغرُها؛ والأصلُ أن يفتَح فيه بلفظ «رُسِمَ بالأمر الشريف» وربما علّت رتبةُ صاحبِ الولاية ولم يؤهّل للكتابة في قطع الثلث فيُكْتُبُ له فيه : أما بعدَ حمد الله، وهو قليلُ الاستعمال، فإن استعملَ أما بعدُ فإن كذا ، أو إنَّ أولى ، أو إن أحقَّ ونحو ذلك كُتِبَ في قطع العادة أيضا .

الباب الثاني

من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معناها)

البيعات جمع بَيْعَة، وهي مصدرُ بَاعَ فلانٌ الخليفةَ يُبَايعُهُ مُبَايعَةً، ومعناها المعاقدةُ والمُعاهدةُ، وهي مُشَبَّهَةٌ بالبيعِ الحقيقيِّ . قال أبو السَّعَادَاتِ بْنُ الْأَثِيرِ فِي نَهَائِيتهِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ : كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ صَاحِبِهِ وَأَعْطَاهُ خَالِصَةً نَفْسِهِ وَطَاعَتَهُ وَدَخِيلَةَ أَمْرِهِ . وَيُقَالُ : بَايَعَهُ ، وَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ ، وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُ إِذَا تَبَاعَعَ اثْنَانِ صَفَقَ أَحَدُهُمَا بِيَدِهِ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ .

وقد عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَ الْبَيْعَةِ وَحَدَّرَ مِنْ نَكْثِهَا بِقَوْلِهِ خُطَابًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورٌ إِلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . وَأَمْرٌ بِمُبَايَعَةِ الْمُؤْمِنَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُسَرِّكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَانٍ يَقْتَرِيَنَّهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ إِنْ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ . وَبَايَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَيْعَتَيْنِ .

(١) ليس مراده المصدر الصناعي كما لا يخفى والأوضح "وهي اسم مصدر لبايع" الخ تأمل .

الفصل الثاني

(في ذكر تنوع البيعات ، وهي نوعان)

النوع الأول

(بَيَعَاتُ الْخُلَفَاءِ ، وفيها سبعة مقاصد)

المقصد الأول

(في أصل مشروعيتها)

فالأصل في ذلك بعد الإجماع ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها "أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادَةَ في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً أعجني خَشِيتُ أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال في كلامه : نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ . فقال الحباب بن المنذر : لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعُ ! مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . فقال أبو بكر : لَا وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ . فبايعوا عمر أَوْ أبا عبيدة . فقال عمر : بَلْ نُبَايِعُكَ فَإِنَّتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايع الناس ."

وهذه أول بيعة بالخلافة كانت في الإسلام ، ولكن لم يُنقل أنه رضي الله عنه كُتِبَ له مبايعة بذلك ، وأعل ذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا بايعوا لا يحدون البيعة بعد صدورها ، بخلاف ما بعد ذلك .

المقصود الثانى

(فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية)

وهى خمسة أسباب :

السبب الأول — موت الخليفة المنتصب من غير عهد بالخلافة لأحد بعده ، كما فى قصة الصديق المتقدمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أو تركها شورى فى جماعة معينة ، كما فعل عمر رضى الله عنه عند وفاته حيث تركها شورى فى ستة : على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وسعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنهم .

السبب الثانى — خلع الخليفة المنتصب لموجب يقتضى الخلع ، فتحياج الأمة [إلى] مبايعة إمام يقوم بأمورها ، ويتحمل بأعبائها .

السبب الثالث — أن يتوهم الخليفة خروج ناحية من النواحي عن الطاعة فوجه إليهم من يأخذ البيعة له عايمهم : لينقادوا لأمره ، ويدخلوا تحت طاعته .

السبب الرابع — أن تؤخذ البيعة للخليفة المعهود إليه بعد وفاة العاهد ، كما كانت الخلفاء الفاطميون تفعل فى خلافتهم بمصر ، وكانوا يسمون البيعة سجلاً كما كانوا يسمون غيرها بذلك .

السبب الخامس — أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولى عهده بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهد ، كما فعل معاوية رضى الله عنه فى أخذه البيعة لولده يزيد .

المقصود الثالث

(في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة)

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يراعى في كتابة البيعة أموراً :

منها - أن يأتي في براءة الاستئلال بما ينهيا له من أسم الخليفة أو لقبه : كفلان الدين ، أو لقب الخلافة : كالمتوكل أو المستكفي ، أو مقتضى الحال الموجب للبيعة من موت أو خلع ونحوهما ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

ومنها - أن يذبه على شرف رتبة الخلافة وعُلُو قدرها ورُبعة شأنها ، وأنها الغاية التي لا فوقها ، والدرجة التي لا بعدها ؛ وأن كل رتبة دون ربتها ، وكل منصب فرع عن منصبها .

ومنها - أن ينبّه على مَسِيس الحاجة إلى الإمام ، ودَيَاة الضرورة إليه ، وأنه لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلا به ، ضرورة وجوب نصب الإمام بالإجماع ، وإن شذّ عنه الأصمُّ خالف ذلك .

ومنها - أن يُشير إلى أن صاحب البيعة استوعب شروط الإمامة واجتمعت فيه ، ويصفه منها بما يعزّ وجوده ، ويتمدّح بمصوله : كالعلم والشجاعة والرأى والكفاية ؛ بخلاف ما لا يعزّ وجوده ولا يتمدّح به وإن كان من الشروط : كالحرية والدُّكورة والسمع والبصر ونحو ذلك ؛ فإن الوصف بذلك لا وجه له .

ومنها - أن ينبّه على أفضلية صاحب البيعة وتقدّمه في الفضل وأستيفاء الشروط على غيره : ليخرج من الخلاف في جواز تولية المفضول مع وجود الفاضل .

ومنها — أن يَنْبَهِ على أَنَّ المختارين لصاحب البيعة ممن يُعْتَبَرُ اخْتِيَارُهُ من أهل الحِلِّ والعقد : من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم على الوجه المعتبر .

ومنها — أن يَنْبَهِ على تعيين المختارين للبيعة ، إن كان الإمام الأول نص عليهم ؛ إذ لا يصح الاختيار [من] غير من نص عليه ، كما لا يصح إلا تقليد من عهد إليه .

ومنها — أن يَنْبَهِ على جريان عقد البيعة من المختارين ، ضرورة أنه إن انفرد شخص بشروط الإمامة في وقته لم يصّر إماما بمجرد ذلك .

ومنها — أن يَنْبَهِ على سبب خلع الخليفة الأول إن كانت البيعة مترتبة على خلع ، إذ لا يصح خلع الإمام القائم بلا سبب .

ومنها — أن يَنْبَهِ على قبول صاحب البيعة العقد وإجابته إليه إذ لا بد من قبوله .

ومنها — أن يَنْبَهِ على أَنَّ القبول وقع منه بالاختيار : لأنه لا يصح الإجبار على قبولها ؛ اللهم إلا إن كان بحيث لا يصلح للإمامة غيره فإنه يجبر عليها بلا خلاف .

ومنها — أن يَنْبَهِ على وقوع الشهادة على البيعة ، خروجاً من الخلاف في أنه هل يُشترط الإشهاد على البيعة أم لا ؟ .

ومنها — أن يَنْبَهِ على أنها لم تقترن ببيعة في الحال ولا مسبقة بأخرى ، إذ لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليهما ، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني حيث جوز نصب إمامين في إقليمين .

ومنها — أن يَنْبَهِ على أنه بمجرد البيعة تجب الطاعة والانقياد إليه ، ويجب على كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه ، وطاعته فيما وافق حكم الشرع وإن كان جائزاً .

ومنها — أن يعزى في الخليفة الميت ويُنْفَى بالمستقر إن كانت البيعة مبنية على موت خليفة ؛ وأن يبين سبب خلع الخليفة الأول إن كانت مرتبة على خلع .

أما التعزية والتمنئة بموت الأول ، فعليه جرى عامة الحُتَاب ؛ إلا أنه يختص في عرفهم بما إذا كان الخليفة الأول شديد القرب من الثانى ؛ كأبيه وأخيه وأبن عمه .

وكان الأولون يتعاونون ذلك في خطاب الخلفاء بالتمنئة بالخلافة بعد أقاربهم ، وقد روى أن عطاء بن أبى صبيح دخل على يزيد بن معاوية فهناه بالخلافة وعزاه في أبيه فقال :

رُزِيتَ بأمر المؤمنين خليفة الله ، وأُعْطِيتَ خلافة الله ؛ قضى معاوية تحبه ، فغفر الله ذنبه ؛ ووُئيتَ الرِّياسه ، وكنتَ أحقَّ بالسياسة ؛ فأحتسب عند الله جليل الرِّزِيه ، وأشكره على جزيل العطييه ؛ وعَظُمَ الله في معاوية أجرك ، وأحسنَ على الخلافة عونك .

وتعرضت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السفاح ، فقالت : يا أمير المؤمنين احتسب الصبر ، وقدم الشكر ؛ فقد أجزل الله لك الثواب في الحالين ، وأعظم عليك المنّة في الحادئين ؛ سبلك خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ؛ فسلم فيما سلك ، وأشكر فيما منحك ؛ وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخار لك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

وأما التعريف بسبب الخلع ، فلائه لا يصح خلع الإمام بغير موجب للخلع .

ومنها — أن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبيعة إن كان القائم بها سلطاناً على ما استقرت عليه قاعدة الحُتَاب في ذلك .

ومنها — أن ينبّه على أنّ من استُخلف في البيعة من وجوه الدولة وأعيان المملكة إن جرى حلفٌ، ويذكر صفة حلفهم وما ألزموه من الأيمان المؤكدة، والمواثيق المغالطة .

المقصود الرابع

(في بيان مواضع الخلاف التي يستدعي الحال كتابة المبايعات فيها)

وهي أربعة أمور :

أحدها — موت الخليفة المتقدم عن غير عهد خليفة بعده ، وهو موضوعها الأصلي الذي عليه بُنيت .

الثاني — أن يعهد الخليفة إلى خليفة بعده ، ثم يموت العاهد ويستقر المعهود إليه بالخلافة بالعهد بعده ؛ فتؤخذ البيعة العامة على الرعية ، لإظهاراً لوقوع الإجماع على خلافته ، والاتفاق على إمامته .

الثالث — أن تؤخذ البيعة للخليفة بحضرة ولايته ، ثم تُفقد الكتب إلى الأعمال لأخذ البيعة على أهلها ، فيأخذ كل صاحب عمل له البيعة على أهل عمله .

الرابع — أن يعرض للخليفة خللٌ في حال خلافته : من ظهور مخالف أو خروج خارجي ، فيحتاج إلى تجديد البيعة له حيث وقع الخلاف .

ولكلٍّ من هذه الأحوال صرّبٌ من الكتابة يُحتاج فيه إلى بيان السبب الموجب لأخذ تلك البيعة .

المقصد الخامس

(في بيان صورة ما يُكْتَب في بَيْعَات الخلفاء، وفيها أربعة مذاهب)

المذهب الأول

(أن تُفْتَح المِبايعة بلفظ « تُبَايِع فلانا أمير المؤمنين »)

خطاباً لمن تُؤْخَذ عليه البيعة)

ويذكر ما يقع عليه عقد المِبايعة، ويأتي بما سَنَح من أمر البيعة، ثم يذكر الحليف عليها؛ وعلى ذلك جرى مصطلح كُتِبَ خلفاء بني أُمَيَّة، ثم خلفاء بني العباس بعدهم ببغداد .

وَأَعْلَم أنه قد تَقَدَّمَ في المقصد الأول من هذا الفصل أنه لم يُنْقَل أنه كُتِب للصديق رضى الله عنه ولا إن وَلِيَ الخِلافة بعده من الصَّحابة من غير عهد بيعة . ولما كانت خِلافة بني أُمَيَّة، وآل الأُمُر إلى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وأقام الحِجَاجَ أَبُو يُوْسُفَ عَلَى إِمَارَةِ الْعِرَاق، وأَخَذَ فِي أَخْذِ الْبَيْعَةِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بِالْعِرَاق، رَتَّبَ أَيْمَانًا مَغْلُظَةً تَشْتَمِل عَلَى الْحَلِفِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالطَّلَاقِ وَالْعَنَاقِ وَالْأَيْمَانِ الْمُحْرِجَاتِ يُحْلَفُ بِهَا عَلَى الْبَيْعَةِ، وَأَشْتَهَرَتْ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ بِأَيْمَانِ الْبَيْعَةِ، وَأَطْرَدَ أَمْرُهَا فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ . وَجَرَى مُصْطَلَحُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ .

وهذه نسخة مبايعة، ذكرها أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّائِي فِي كِتَابِهِ « غُرَرُ الْبَلَاغَةِ » وَهِيَ :

تُبَايِعَ عَبْدَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَنَا بَيْعَةَ طَوْعٍ وَأَخْيَارٍ، وَتَبَرُّعٍ وَإِيثَارٍ، وَإِعْلَانٍ وَإِسْرَارٍ، وَإِظْهَارٍ وَإِخْتِمَارٍ، وَصِحَّةٍ مِنْ نَفْلٍ، وَسَلَامَةٍ مِنْ غَيْرِ دَغَلٍ، وَثَبَاتٍ مِنْ غَيْرِ

تبدیل ، ووقار من غیر تأویل ؛ واعتراف بما فيها من اجتماع الشمل ، واتصال
الحبل ؛ وانتظام الأمور ، وصلاح الجمهور ؛ وحقن الدماء ، وسكون الدهماء ؛
وسعادة الخاصة والعامة ، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة - على أن عبد الله فلانا
أمير المؤمنين عبد الله ، الذي أصطفاه ؛ وخليفته الذي جعل طاعته جارية بالحق ،
وموجبة على الخلق ؛ وموردة لهم موارد الأمن ، وعاقدة لهم معاهد النین ؛ وولایتہ
مؤذنة لهم بحمل الصنع ، ومؤدية بهم إلى جزيل النفع ؛ وإمامته الإمامة التي اقترن بها
الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ؛ وأمل فيها قمع الملحد الجاحد ، ورد الجائر
الحائد ؛ ووقم العاصي الخالع ، وعطف الغازی المنارع - وعلى أنك ولي أوليائه ،
وعدو أعدائه : من كل داخل في الجملة ، وخارج عن الملة ، وحائد عن الدعوة .
ومتمسك بما يديه ، عن إخلاص من رأيك ، وحقيقة من وفائك ؛ لا تقص
ولا تتكث ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع ، ولا تداحي ولا تخايل ؛ علانيتك مثل
نيتك ، وقولك مثل طويتك - وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة
وشرائطها على مر الأيام وتطاولها ، وتغير الأحوال وتقلها ، واختلاف الأزمان
وتقلبها - على أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها ، وأعوان الدولة
العباسية ورعاتها ؛ لا يداخل قولك مواربة ولا مداهنه ، ولا تعترضه مغالطة
ولا تتعقبه مخافة ؛ ولا تخيس به أمانه ، ولا تغله خيانه ؛ حتى تلقى الله تعالى مقياً
على أمرك ، وفيا بعهدك ؛ إذ كان مباعاً ولاة الأمور وخلفاء الله تعالى في الأرض
﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُورٌ عَلَيْهِ أَمْرًا عَظِيمًا ﴾ .

عليك بهذه البيعة - التي أعطيت بها صفة يدك ، وأضيفت فيها سريرة قلبك ؛
والتزمت القيام بها ما طال عمرك ، وأمتد أجلك - عهد الله إن عهد الله كان

مَسْئُولًا ؛ وَمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ مِنْ أَيْمَانٍ مَنْظُطَةٍ
وَعُهُودٍ مُؤَكَّدَةٍ ، وَمَوَاقِيقَ مَشَدَّدَةٍ ، عَلَى أَنْكَ تَسْمَعُ وَتُصْنَعِي ، وَتُطِيعِ وَلَا تَعْصِي ؛
وَتَعْتَدِلُ وَلَا تَمِيلُ ، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَحِيدُ ؛ وَتَفِي وَلَا تَعْدِرُ ، وَتَثْبُتُ وَلَا تَتَغَيَّرُ ؛ فَتَيَّ
زَلْتِ عَنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ حَاقِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِدَيَانَتِكَ ؛ فَحَدَّثَ اللَّهُ تَعَالَى رُبُوبِيَّتَهُ ،
وَأَنْكَرَتَهُ وَحَدَانِيَّتَهُ ؛ وَقَطَعَتْ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَّثَتْهَا ، وَرَمَيْتْ
طَاعَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذَتْهَا ؛ وَلَقِيتِ اللَّهَ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرَضُ عَلَيْهِ ، مُخَالِفًا
لَأَمْرِهِ ، وَخَائِنًا لِعَهْدِهِ ؛ وَهَقِيمًا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ؛ وَمُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ بِهِ ؛ وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ
اللَّهُ لَكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ يَوْمَ رُجُوعِكَ عَنْ بَذَلِكَ ، وَارْتِجَاعِكَ مَا أَعْطَيْتَهُ
فِي قَوْلِكَ : مِنْ مَالٍ مُوجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْرُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ،
وَسَائِمٍ وَمَعْقُولٍ ؛ وَأَرْضٍ وَضَمْنِيَّةٍ ، وَعَقَّارٍ وَعُقُودَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى
الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمَةٌ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ تَمْلِكُ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَى
تَتَرَوُّجُهَا بَعْدَهَا ، طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقُ الْحَرَجِ وَالسُّنَّةِ لَارْجَعَةٍ فِيهِ وَلَا مَثْوِيَّةٍ ؛
وَعَلَيْكَ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، رَاجِلًا
مَاشِيًا ؛ نَذْرًا لِأَزْمَا ، وَوَعْدًا صَادِقًا ؛ لَا يَبْرُئُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ؛
وَلَا قَبِيلَ اللَّهِ مِنْكَ تَوْبَةٌ وَلَا رَجْعَةٌ ؛ وَخَذَلَكَ يَوْمَ الْإِسْتِنْصَارِ بِحَوْلِهِ ، وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ
الْإِعْتِصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قُلْتَهَا قَوْلًا فَصِيحًا ، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا صَحِيحًا ؛
وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتَ فِيهَا عَزَمَكَ صِدْقًا يَقِينًا ؛ وَالنِّيَّةُ فِيهَا
نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ ، وَالطَّوْيَةُ [فِيهَا طَوْيَتُهُ] دُونَ طَوْيَتِكَ ؛ وَأَنْشَدْتَ
اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ بِذَلِكَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا .



وهذه نسخة بيعة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها ابن حمدون في تذكرته ، وربما وافق فيها بعض ألفاظ البيعة السابقة ، وهي :

تُبَاعِ الإمامَ أميرَ المؤمنينَ فلانا بيعة طوع وإيثار ، واعتقاد وإضمار ، وإعلان وإسرار ، وإخلاص من طويتك ، وصديق من نيتك ، وأنشراح صدرك وصحة عزيمتك ، طائعا غير مكره ، ومُنْقَادَا غير مُجْبَرٍ ، مُقَرًّا بفضلها ، مُذِنًا بحَقِّهَا ، مُعْتَرِفًا ببركتها ، ومعتدًا بحسن عائدتها ، وعالمًا بما فيها وفي توكيدها من صلاح الكافة ، واجتماع الكلمة [من] الخاصة والعامة ، ولمَّ الشَّعْثَ ، وأَمَّنَ العَوَاقِبَ ، وسُكُونِ الدَّهْمَاءِ ، وعِزِّ الأولياءِ ، وَقَمْعِ الأعداءِ - على أن فلانا عبدُ الله وخليفته ، المفترض طاعته ، والواجبُ على الأمة إقامته وولايته ، اللازمُ لهم القيامُ بحَقِّه ، والوفاءُ بعَهْدِهِ ، لا تُشْكُ فيه ، ولا ترتابُ به ، ولا تُدَاهِنَ في أمره ولا تَمِيلُ . وأنتَ وَلِيُّ وَلِيِّهِ ، وعدُوُّ عَدُوِّهِ : من خاصٍّ وعامٍّ ، وقريبٍ وبعيدٍ ، وحاضرٍ وغائبٍ ، متمسِّكٌ في بيعته بوفاء العهد ، وذِمَّةِ العَقْدِ ، سريرتك مثلُ علانيتك ، وظاهرُك فيه وفقُ باطنك - على أن أعطيتَ اللهَ هذه البيعةَ من نفسك ، وتوكيدك إياها في عُنُقِكَ ، لفلانِ أميرِ المؤمنينَ عن سلامة من قلبك ، واستقامة من عزمك ، واستمرارٍ من هَوَاكَ ورأيك - على أن لا نتأوَّلَ عليه فيها ، ولا تَسْمَعُ في تَضَيُّعِ شَيْءٍ منها ، ولا تَقْعَدَ عن نصره في الرِّخَاءِ والشَّدَةِ ، ولا تَدَعِ النصرَ له في كُلِّ حَالٍ راهنية وحادثه ، حتى تلقى اللهَ مؤذنا بها ، مؤذيا للأمانة فيها ، إذ كانت الذين يُبايعونُ ولاةَ الأمرِ ، وخلفاءَ الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ - الَّتِي طَوَّقْتَهَا عَنْكَ ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ ، وَأَعْطَيْتَ فِيهَا صَفَقَتَكَ ؛ وَمَا شَرِطَ عَلَيْكَ فِيهَا : مِنْ وِفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ ، وَنُصْحٍ وَمَشَايِعَةٍ ، وَطَاعَةٍ وَمَوَاقِفَةٍ وَاجْتِهَادٍ وَمُتَابَعَةٍ - عَهْدُ اللَّهِ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَكَيْدَاتٍ وَمَوَاقِفَةٍ وَمُحْكَمَاتٍ عُهْدُهُ ؛ وَعَلَى أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهَا وَلَا تُبَدَّلَ ، وَتُسَنِّقِمَ وَلَا تَمِيلَ ؛ وَإِنْ نَكَثْتَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَوْ بَدَّلْتَ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا ، أَوْ عَفَيْتَ رُسُومَهَا مِنْ رُسُومِهَا ، أَوْ غَيَّرْتَ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِهَا ؛ مَعْلِنًا أَوْ مُسِرًّا أَوْ مُحْتَالًا أَوْ مُتَوَلًّا ؛ أَوْ زِغْتَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يَسْلُكُهَا مَنْ لَا يُحْقِرُ الْأَمَانَةَ ، وَلَا يَسْتَحِلُّ الْغَدْرَ وَالْخِيَانَةَ ؛ وَلَا يَسْتَجِيزُ حُلَّ الْعُقُودِ ، فَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرِقٍ أَوْ آتِيَةٍ ، أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ ، أَوْ زَرْعٍ ، أَوْ ضَرْعٍ ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْلاكِ الْمَعْتَدَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْمُدْنَحَةِ ؛ صَدَقَةً عَلَى الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِكَ بِجِيلَةٍ مِنَ الْحَيْلِ ، عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ تَخْرُجَ مِنْ تَحَارِجِ الْإِيمَانِ ؛ وَكُلُّ مَا تَعْتَدُهُ فِي بَقِيَّةِ عَمْرِكَ مِنْ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهُ أَوْ يَجِلُّ فَتَلِكُ سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تَتَوَفَّاكَ مَيِّتُكَ أَوْ يَأْتِيكَ أَجَلُكَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ الْيَوْمَ : وَأُخْرَى تَتَرَقَّجُهَا بَعْدَهَا مَدَّةَ بَقَايِكَ طَالَتْ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَاقَ الْحَرَجِ وَالسَّنَةِ لَامْتَنُوبِيَّةٍ فِيهِ وَلَا رَجْعَةَ ؛ وَعَلَيْكَ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَافِيًا ، حَاسِرًا رَاجِلًا ؛ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِهَا ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَخَذَلَكَ يَوْمَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ وَبَرَكَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَجْلَاكَ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا .

(١) فِي الْأَصُولِ "وَلَمْ يَمْلِكْ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ ذِكْرٍ وَأَنْتَ مَدَّةً" أَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ مُنَاسِبًا كَمَا لَا يَخْفَى .



وهذه نسخة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها أبو الحسين الصابي في "غرر البلاغة" وهي :

تَبَايَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقُوَّةٍ مِنْ بَصِيرَتِكَ ، وَصِحَّةٍ مِنْ سِرِّيرَتِكَ ، وَصَفَاءٍ مِنْ عَقِيدَتِكَ ، وَصِدْقٍ مِنْ عَزِيمَتِكَ ، عَلَى الرِّضَا [بِهِ] وَالْوَفَاءِ لَهُ ، وَالْإِخْلَاصِ فِي طَاعَتِهِ ، وَالْإِجْتِمَاعِ فِي مُنَاصَحَتِهِ ، وَعَقْدِ النِّيَّةِ عَلَى مُوَالَاتِهِ ، وَبَذْلِ الْقُدْرَةِ فِي مَمَالَاتِهِ ، وَأَنْ تَكُونَ لَأَنْصَارِهِ عَوْنًا ، وَلَأَوْلِيَانِهِ حَرْبًا ، وَلَأَعْدَائِهِ حَرْبًا ، عَارِفِينَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِطِّ ، وَمَعْتَرِفِينَ بِمَا يَلْزِمُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، وَمَحَافِظِينَ عَلَى مَاحَسَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالِدَوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَهَا ، وَأَحْكَمَ مَعَاقِدَهَا ، وَزَادَهَا أَسْتِمْرَارًا عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَأَسَـتَمْرَارًا عَلَى كَرِّ الْعُصُورِ ، وَعِزًّا عَلَى ثِقَلِ الْأُمُورِ ، وَأَشَدًّا عَلَى تَغْلِبِ الْمَقْدُورِ ، فَإِنْ خَالَفَتْ ذَلِكَ مُسِرًّا أَوْ مُعَلِنًا ، وَحَلَّتْ عَنْهُ مُظْهِرًا أَوْ مُبْطِنًا ، وَحَلَّتْ عَنْهُ نَاقِضًا أَوْ نَاقِضًا ، وَتَأَوَّلَتْ فِيهِ مُحَاوِلًا لِلْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَاسْتَنْثِيَتْ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلرَّجُوعِ عَنْهُ ، فَبَرَأْنِي اللَّهُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَسَلِّبْنِي مَا وَهَبَ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَمَنْعْنِي مَا وَعَدَ مِنْ رَافَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَخَلَّانِي مِنْ يَدَيْهِ ، يَوْمَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ لَدَيْهِ ، وَحَنَّتْ كُلُّ يَمِينٍ حَلْفَهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى قَدِيمِ الْأَيَّامِ وَحَدِيثِهَا ، وَالتَّنَاهَى فِي تَأْكِيدِهَا وَتَشْدِيدِهَا ، وَأَعْرَوْهَا مِنْ لِبَاسِ الشُّبْهِ ، وَأَخْلَوْهَا مِنْ دَوَاعِيِ الْخِنَايَةِ ، وَهَذِهِ أَلْيَمِينَ يُمْنِي : أَوْرَدْتُهَا عَلَى صِدْقٍ مِنْ نَبِيِّ ، وَصِحَّةٍ مِنْ عَزِيمَتِي ، وَأَتَّفَقَ مِنْ سَرَى وَعَلَايَتِي ، وَسَرَدْتُهَا سَرْدًا مُتَابِعًا مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ ، وَتَلَفَّظْتُ بِهَا تَلَفُّظًا مِنْ غَيْرِ قِطْعٍ ، وَالْيَمِينَةُ فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ : عَلَى حُضُورِ مَنْهُ وَغَيْبٍ ، وَبُعْدٍ وَقُرْبٍ ، وَأَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا عَقَدْتُهُ عَلَى نَفْسِي مِنْهَا ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَى مَنْ أَشْهَدُهُ ، وَحَسْبِيَ عَلَى مَنْ أَجْتَرَأُ عَلَى إِخْفَارِ عَهْدِهِ ، وَتَقْضِ عَقْدَهُ .

قلت : فإن كان من تؤخذ عليه المبايعة اثنين ، أتى في المبايعة بصيغة التثنية ؛ أو ثلاثة فأكثر ، أتى بصيغة الجمع . ولم أتف على كيفية وضعهم لذلك في الكتابة ، والذي يظهر أن المبايعة كانت تكتب على الصورة المنقّدة ، ثم يكتب المبايعون خطوطهم بضدورها عنهم ؛ كما يفعل الآن في تحليف من يحلف من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف بالمملكة المصرية والممالك الشامية ، أو يُشهد عليهم في آخر البيعة بمعاقدتهم عليها ورضاهم بها ونحو ذلك .

المذهب الثاني

(مما يكتب في بيعات الخلفاء)

أن تفتتح المبايعة بلفظ « من عبد الله وولّيه فلان أبي فلان الإمام الفلاني » إلى أهل دولته ، ونحو ذلك بالسّلام عليهم ، ويؤتى بما سَنَح من الكلام ؛ ثم يُقال : أمّا بعد ، فالحمد لله ؛ ويؤتى على وصفه بشريف المناقب ، واستحقاقه للخلافة ، واستنجاعه لشروطها ، وما يجرى هذا المجرى ؛ ثم يتخرط في سلك البيعة ، ويذكر القائم بأخذها على الناس من سلطان أو وزير عظيم أو نحو ذلك ؛ ويذكر من أمر ولاية الخليفة ما فيه استجلاب قلوب الرعية والأخذ بنحواتهم وما يتخرط في هذا السلك .

وهذه نسخة بيعة من هذا الأسلوب ، لوليّ عهد بعد موت العاهد ، كتب بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم بها ، وهي :

(١) لعله ونحو ذلك ويتبع ذلك الخ تأمل .

من عبد الله ووليه «أبى فلان فلان بن فلان» الإمام الفلانى، بأمر الله تعالى أمير المؤمنين، إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أمراء وأعيانها، وكبرائها وأولائها؛ على اتساع شعوبهم، وعساكرها على اختلاف ضروبهم، وقبائل عرَبها الفَيْسِيَّةَ وإيمانيَّة، وكافة من تشمله قطارها من أجناس الرعيَّة : الأمير منهم والمأمور، والمشهور منهم والمغمور؛ والأسود والأحمر، والأصغر والأكبر؛ وفقهم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلى على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهيرين، الأئمة المهديين، وسلم تسليما .

أما بعد، فالحمد لله مولى المنّ الجسيم، ومبدى الطول العيم، ومأنح جزيل الأجر بالصبر العظيم، بفيد النعم المتشعبة الفنون، ومذنى المهج المتعالية لتناول المنون؛ ومُبيد الأعمار ومُفنيها، وناشر الأوائ ومُحييها، والفتاح إذا استغَلَّتِ الأبواب، والقائل : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الذى لا يغير ملكه مرور الغير، ولا يصرف سلطانه تصرف القدر؛ ولا يدرك قدمه وأزليته، ولا ينفد بقاءه وسرمديته؛ مُسلم الأنام للحمام، ومُصمى الأنفس بسهام الاخترام؛ ومورد البشر من المنيّة منهلًا ما برحوا في رنقه يكرعون، ولثزه المشرق يتجرعون؛ ومعر ذلك بقوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمُ بِالنَّشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ .

والحمد لله الذى نصب الأنبياء لمرآشده أعلاما، وحفظ بيعتهم من الحق والهدى نظاما، وجعل نبوة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم لنبواتهم ختامًا، وعصّد بوصيه أبينا

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كلاً للدين وإماماً ، واستخلص من ذريتهما أئمة هادين إتقاناً لصنعتيه وإحكاماً ، وأنام الحجة على الأئمة بأن أقام لكل زمان منهم إماماً ، وعاقب بين أنوار الإمامة فإذا انقبض نور أنبسط نور ، وتابع ظهور بدوره ليشرق طالع إثر غروب يغور ، رحمة شاملة للعالمين ، وحكمة تامة حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ؛ ولم يحل نبياً مع ما شرفه [به] من تناول وحيه وتلقاه ، ولا عصم إماماً مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقيه ، من لقاء المنية ، ووداع الأمانة ؛ بل أجل لكل منهم أجلاً مكتوباً ، وفصح له أمداً محصوراً محسوباً ؛ لا يصرفه عن وُصوله فضيله ، ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيلة ؛ قدرة محكمة الأسباب ، وعبرة واضحة لأولي الألباب ؛ وقضية أوصحها فرقائه الذي أقر بإعجازه الجاحدون ، إذ يقول مخاطباً لنبيه : ﴿ وما جعلنا ليشير من قبلك الخلد أفان ميت فهم الخالدون ﴾ .

والحمد لله الذي منح أمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأنوارها ، وحازله من ذخايرها وأودعه من أسرارها ، ما خوله فانحتراتها ، وأصار له شرف ميراثها ، وجعله القائم بحقه ، والمرشد خلقه ؛ والمأجى بهداه ليلاً من الضلال بهيما ، والحاوي بخلافته مجداً لا يزال ثناؤه عظيماً : ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً ﴾ .

يمجده أمير المؤمنين علي أن أوصح بابائه الأئمة سبل الحقائق ، فأصبحوا خلفاء الخالق وأئمة الخلاق ؛ وخوله ما اختصهم به من الإمامة ، ورفعها بها إلى أشتخ منازل العلا وأرفع مواطن الكرامة ؛ ويستمدده شكريا يوازي النعم التي أثبتت [له] على سرير الخلافة وسرها قدما ، وصبرا يوازن الفجعة التي قل لها فيض المدام دماً .

ويسأله أن يصلي على جده محمد الذي فضَّ بجهاده جموعَ الإلحاد، وحصدَ
باجتهاده من مال عن الهدى وحاد؛ وصدَّع بما أمر به حتى عمَّ التوحيد، ودانت
لمُعجزاته الأئمة وقد دناها وهو المفرد الوحيد؛ ولم يزل مبالغاً في مَرْضاة ربه،
حريصاً على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه؛ حتى استأثر به وقبضه، وبذله من الدنيا
شرف جواره وعوضه؛ وأصاره إليه أفضل نبيٍّ بصر وبشر، وأحيا دين الله وأنشُر؛
وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب إمام الأئمة، وأبي الأئمة؛ وقُدوة
السعداء، وسيد الشهداء؛ وعاضِد الدين بذى الفقار، ومن لم يزل الحق إلى
دَبِّه شديد الإفِقار؛ صلى الله عليه وعلى آبائه والأئمة من ذرِّيتهما الذين
أيقظوا العقول بإرشادهم من السنن، وأفاضوا من العدل والإحسان ما ألهم
بتجديدهم الأئمة.

وإنَّ الإمامَ الفلانيَّ لدين الله أمير المؤمنين كان ولياً لله شرفه الله وأستخلصه،
وأفردَه بإمامة عصره وخصَّصه؛ وفوضَ إليه أمرَ خلافته، وأحلَّه محلّاً تقع مطارحُ
الهمم دون علوه وإنافه؛ فقام بحق الله ونهض، وعمل بأمره فيما سنَّ وفرض؛ وقهر
الأعداء بسطواته وعزائمهم، وصرفَ الأمور بأزمة التذير وخزائمه؛ وبالغ في الذبِّ
عن أشياع الملَّة، واجتهد في جهاد أعداء القبلة؛ ووقف على مصلحة العباد والبلاد
أمله، ووقر على ما يحظى عند الله قوله وعمَله؛ ولم يترك في مَرْضاة خالقه مشقة
إلا احتملها، ولا روية إلا صرفها في إرشاد خلقه وأعمالها؛ حتى بلغ الغاية المَحْدودة،
وأستكمل الألفاس المَعْدودة؛ وأحسن الله له الاختيار، وآثر له الثقل من هذه الدار
والزَّنى بسكنى دار القرار، والفوز بمصاحبة الأنبياء الأبرار، والحلول في حظائر
قُدسه مع آبائه الأئمة الأطهار؛ فسار إليه طاهر السريه، جميل المذهب والصورة؛
مستوجباً بسعيه أفضل رضوانه، ممهداً بالقوى لتذيره أكثاف جنانه.

وأمر المؤمنين [يحتسب] عند الله هذه الرزية التي عظم بها المصائب، وعظم عند
تجزعها الصواب؛ وأضرمت القلوب نارا، وأجرت الآفاق دما^(١) ممارا؛ وأطاشت
بهولها الأبداء بالحرق، وحكمت الأجفان بالآرق؛ وكادت لهجومها الصدور تقذف
أفئدتها، والدنيا تنزع نضرتها وبعثتها، وقواعد الملة تضعف وتهى، والخطوب
الكارثة^(٢) تُبصر ولا تتبى، فإننا لله وإنا إليه راجعون!! تسلياً لأمره الذي لا يُدفع،
وإذعانا لقضائه الذي لا يُصد ولا يُمنع.

وكان الإمام الفلاني لدين الله أمير المؤمنين عند نقلته جعل لي عقد الخلافه،
ونص علي بارتقاء منصبها المخصوص بالإتافه، وأفضى إلى بسرّها المكنون،
وأودعني غامض علمها المصون، وعهد إلى أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف
والحنان، والرحمة والغفران، والمن الرائي الذي لا يكدّره أمتان؛ وأن أكون لأعلام
الهدى ناشرا، وبما أَرْضَى الله مجاهرا، ولأحزاب القبلة مظافرا^(٣) مظاهرا،
ولأعداء الملة مرغما قاهرا، وللمنار التوحيد رافعا، وعن حوزة الإسلام بغاية
الإمكان دافعا؛ مع علمه بما خُصصت به من كرم الشيم، وفُطرت عليه من الخلال
القاضية مصالح الأمم، وأوتيت من استحقاق الإمامة وأسئجابها، ومُنحت من
الخصائص المبرمة لأسبابها.

فتعزوا جميع الأولياء، وكافة الأمراء، وجميع الأجناد، والحاضر من الرعايا والباد،
عن إمامكم الموقول إلى دار الكرامة، بإمامكم الحاضر الموجود الذي أوره الله مقامه؛
وآدخُلوا في بيعته بصُدور مشروحة بغيه، وقلوب على محض الطاعة مطويه؛ ونيات

(١) ما زال الدم سال وأمازه أساله . انظر القاموس .

(٢) أى تدم من قولهم أصر على الأمر داوم عليه .

فِي الْوَلَاءِ وَالْمَشَابَعِ مَرْضِيَّةً ، وَبَصَائِرَ لَا تَزَالُ نُورُ الْهُدَى وَالْإِسْتِجَارُ مُضِيَّةً ؛
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ إِمَامَتَهُ مَحْظُوظَةً بِالْإِقْبَالِ ، دَائِمَةً الْكَمَالِ ؛ ضَافِيَةً
مِنَ الْأَكْثَارِ ، مَعْضُودَةً بِمَوَانَةِ الْأَقْدَارِ ؛ وَيُوَالِي حَمْدَهُ عَلَى مَانَمَتِهِ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ
الَّذِي جَعَلَهُ لَأُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا قَوَامًا ، وَأَقَامَهُ لِلْبَرِيَّةِ سَيِّدًا وَإِمَامًا ؛ فَاعْمَلُوا هَذَا
وَأَعْمَلُوا بِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكُتِبَ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا سَنَةِ كَذَا .



وهذه نسخة بيعة : كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي بعد وفاة
أبن عمه الأمر بأحكام الله ، قام بعقدها الوزير أبو الفتح يانُس الحافظي ؛
أَقْصَرَ فِيهَا عَلَى تَحْمِيدِهِ وَاحِدَةً ، وَعَزَى بِالْخَلِيفَةِ الْمَيَّتِ ؛ ثُمَّ أَتَقَلَّ إِلَى مَقْصُودِ
الْبَيْعَةِ ، وَهِيَ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ عَبْدِ الْمَجِيدِ أَبِي الْمَيْمُونِ ، الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِلَى كَافَّةِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ شَرِيفِهِمْ وَمَشْرُوفِهِمْ ، وَأَمِيرِهِمْ وَمَأْمُورِهِمْ ، وَكَبِيرِهِمْ
وَصَغِيرِهِمْ ؛ وَأَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ ، وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ وَبَارَكَ فِيهِمْ .

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ،
الْأَئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّطِيفِ بِعِبَادِهِ وَبَرِيَّتِهِ ، الرَّءُوفِ فِي أَقْدَارِهِ وَأَقْصِيَّتِهِ ، الْمُهِمِّنِ
فَلَا يُخْرِجُ شَيْءًا عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ ؛ ذِي النِّعَمِ الْفَائِضَةِ الْغَامِرَةِ ، وَالْمِنَّةِ الْمُتَتَابِعَةِ

المتظاهرة؛ والآلاء المتواليّة المتأصّره، القائل في محمّ كتابه : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ . مدبّر أرضه بحلقائه، الذين هم زينةٌ للعالم وبهجته، وهادى خلقه بأوليائه، لئلا يكون للناس على الله حجة؛ فسبحان الذى هو للنعم مُسَبِّغ وبالكرم جدير، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِينُ الْمُلُوكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

يحمّده أمير المؤمنين أن جعله خليفةً دون أهل زمانه، وأوجب ثواب المستحيين له بكفالاته وحنّانه، وجعلهم يوم الفزع الأكبر مكنوفين بحفظه مشمولين بأمانه؛ وأوزعه الشكر على ما أسترعه إياه من أمر هذه الأمة، ونقله إليه من ثراث آبائه الهداة الأئمة، وكشفه بإمامته من أجمع نائبة وأفزع مله .

وصلّى الله عليهم جدنا محمد رسول الله الذى أخبر الأنبياء المرسلون بصفته ونعته، وتداولوا البشرى بما يستقبل من زمانه وبعثه؛ وذكروه فيما أتوا به من كل كتاب أوحاه الله وأنزله، وأعترفوا بأنه أفضل من كل من نبأه الله وأرسله؛ فبسر الله سبحانه ما كان مرقباً من ظهوره، وأذن فى إشراق الأرض بما أنتشر فى آفاقها من نوره؛ وبعثه - جلّت قدرته - إلى الأمة بأسرها قاطبة، وجعل السنة الأئمة المجادلة لمن خالف شرعه مخاطبة؛ فكان لآية الكفر ماحياً، وفى مصالح البرية ساعياً، وإلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة داعياً؛ إلى أن لمعت آيات الحق وسطعت، وأنحسمت مادة الباطل وأقطعت؛ وظهر من آياته ما كبر له المختون، واشتهر من معجزاته ما خيم به المعتون، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله : ﴿إِنَّكَ مِثُّ مَا نَسُوا﴾ . فحينئذ نقله الله إلى ما أعد له من جنّاته، وخصّه بشرف الشفاعة وإنهم ميتون .

في يوم مجازاته ، وصدقته وعده فيما بواه من النعيم المقيم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وعلى أئمتنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أولى الناس بالنبي ، وأول من أتبعه من ذوى قرابة وأجنبي ، وابن عمه الذى اختصه بمواخاته ، وجعله خليفة على كافة الناس بعد وفاته ، وتجل بأمر الله ، فيما ولّاه وأولاه ، وخطب الناس في حجة الوداع فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وعلى ألهما الكرام الأبرار ، وعترتهما المصطفين الأخيار ، وهداة المسلمين وقُدوتهم ، وأمرء المؤمنين وأئمتهم ، الذين حكموا فافسطوا وما قسطوا ، وسلك الحِضرون منهم سنن أسلافهم الذين فرطوا ، وأقنوا أنارهم في السِّياسة فما قصروا ولا تفرطوا ، ولم يزل كل منهم تاملاً من ذلك بما حسن أيامه ، فاعلاً في أمر الدين مارع مناره ونشر أعلامه ، حتى آختر الله له ما عنده فنص على من أقامه الاستحقاق مقامه ، وسلم عليهم أجمعين سلاماً لا أنقضاء لأمدّه ، ولا أنقطاع لمدده ، فنيل المطالب بكرمه وملكوته كل شيء بيده .

وإن الحق إن خفي حيناً فلا بد لهلاله من الإنباد وأنيساط النور ، وإن الشمس إن توارت بالحجاب فما أوشك عودتها إلى البزوغ والظهور ، وإن حسن الصبر إلى أن يبلغ الكتاب أجله يؤمن من تدليّة الشيطان بالغرور ، قال الله عز وجل في كتابه ، الذى هدانا به ، : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

وإن الله تعالى لرأفته بمن أبدعه من خلقه وأنشاه ، ولسابق علمه في عمارة هذه الدار على ما أراد عز وجل وشاه ، لا يُخلى الأرض من نور يستضيء به السارى في الليل البهيم ، ولا يدع الأمة بلا إمام يهتدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فهو جلّ وعلا أعدل من أن يجعل جيد الإيمان من حلى الإمامة عاطلاً ، أو يترك

الخلق هملاً وقد قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِلَآءِ ﴾
بل يقطع أعدار العباد فيما خلقهم له ووقفهم ، ويهديهم بالأئمة إلى التوفيق على عمل
ما ألزمهم وكلفهم ؛ فالأمور محروسة الترتيب محفوظة النظام ، والأرض إذا أظلمت
لفقد إمام ، أضاعت وأشرفت لقيام إمام . وقد علم الكافة أن حجة الله في أرضه ،
والمجتبى من الأعمال ما لم يرضه ، والمحسن إلى البرية ببعثه على المصالح وحضه ؛
الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين الذي آتاه الله الحكم صبيّاً ، ورفعه من إرث
النبوة مكاناً عليّاً ، وأستخلفه على خلقه فكان للفضل باسطاً ولراية العدل ناشراً ،
وجعله لشمل المحاسن جامعاً ولأئمة الخلفاء الراشدين عاشرّاً ؛ لم يزل ناظراً في البعيد
والقريب ، عاملاً في سياسة الأمة عمل المجتهد المصيب ؛ مستقصياً حرصه
في المحافظة على إعزاز الله ، مستنفذاً جهده في الجهاد فيمن خالف أهل القبلة ،
بإذلاً من جزيل العطاء وكثيره ما لا يعرف معه أحد من خاصته بالفقر ولا ينسب
معه إلى القلة ؛ حتى استوفى مدته الموهوبة ، وأستوعب غايته المكتوبة ؛ وناله
من القضاء ما أخرجه من الدنيا سعيداً ، وأقدمه على الله شهيداً ، وأصاره إلى ما أعد
له من نعيم لا يريد به بديلاً ولا يطلب عليه مزيداً ؛ وكان انتقاله إلى جوار ربّه تبارك
وتعالى ، كانتقال أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بغيّاً من الكافرين وأغنياً .
وقد كان يذكر ما علمه من حق أمير المؤمنين تارة مجاهراً وتارة مخفياً ، إلى أن صار
على بسط القول في ذلك وتبيينه مثاراً متهاقياً ، وأفصح بما كان مستتبها مستعجباً ،
وصرح بما لم يزل في كشفه ممرضاً وعن إفصاحه مخجلاً ، وذلك لما ألقاه أشرف
فرع من سنخ النبوة ، وراه أكرم في نقارة الأبوة ؛ وعلمه من أباه الأمير أبا القاسم^(٢)

(١) المراد به الحافظ لدين الله صاحب هذه البيعة .

(٢) جرى الكاتب على لغة القصر .

عَمَّهُ سَلامُ اللَّهِ عَلَيْهِ الَّذِي هُوَ سَيلُ الإِمامَةِ القَليلِ المِثْلِ ، وَنَجَلُ الخِلافةِ المَخصُوصِ
 مِنَ الفَخْرِ بأَجْزَلِ حَظٍّ وَأَوْفَرِ كِفَلٍ ؛ كانَ المُسْتَنصِرُ بِاللَّهِ أَميرُ المُؤْمِنينَ سَماءَ وَلِيَّ عَهْدِ
 المُسْلِمينَ ، وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ ما نَرجَتْ بِهِ تَوقِيعاتُهُ وَتَسوِيفاتُهُ إِلَى الدَواوِينِ ؛ وَبُتِّتْ
 فِي طُرُزِ الأَبْنِيَةِ ، وَكُتِبَ الأَبْيانُ وَالأَشْريَّةُ ، وَعِلْمَتُهُ الكَافَّةُ عَلمًا يَقينًا ظَلَّتْ فِيهِ
 غَيْرُ مُرْتَابَةٍ وَلَا مِمْتَرِيَّةٍ ، وَفِي ضَمَنِ ذَلِكَ باطنٌ لا يَعلِقُهُ إِلَّا العالِمُونَ ، وَلا يُنْكِرُهُ إِلَّا مَنْ
 قالَ فِيهِمْ : ﴿ وَمَا يَمُحِّدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ . وَذلكَ أَنَّ أَميرَ المُؤْمِنينَ الغَرَضَ
 وَالْمَقْصِدَ ، وَالْبُعْيَةَ وَالْمَطْلَبَ ؛ وَلَهُ عَهْدٌ بِالتَّلوِيحِ وَالإِشارَةِ ، وَإِلَيْهِ أَوْحَى بِالنَّصِّ وَإِنْ
 لَمْ يُقْصَحْ فِيهِ بِالْعِبارَةِ ؛ وَكانَ وَالِدُهُ الأَميرُ أَبُو القاسِمِ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - بِمِثْلَةِ
 الأَشجارِ الَّتِي يُتَأَنَّى بِها إِلَى أَنْ يَظْهَرَ زَهْرُها ، وَالْأَكْمامِ الَّتِي يُنْتَظَرُ بِها إِلَى أَنْ يَخْرُجَ
 ثَمَرُها ، وَالزَّرْجُونَةَ الَّتِي نَقَلَتِ المِاءَ إِلَى العُنُقُودِ ، وَالسَّجَابَةَ الَّتِي حَمَلَتِ الغَيْثَ فَعَمَّ
 نَفْعُهُ أَهْلَ السَّهولِ وَالجُودِ ؛ وَمما يَبينُ ذَلِكَ وَيُوضِّحُهُ ، وَيَحَقِّقُهُ وَيَصَحِّحُهُ ؛ وَتَنَلِّجُ
 بِهِ لِلْمُؤْمِنينَ صُدُورَ وَتَقْوَى أَفْئِدَهُ ؛ وَتَشْهَدُ البِصائرُ أَنَّ النِّعْمَةَ بِهِ عَلَى الإِسلامِ مُتتابِعَةٌ
 مُتجَدِّدَةٌ ، أَنَّ الأَمْرَينِ إِذا تَسابَها مِنْ كُلِّ الجِهاَتِ ، وَكانَتْ بَيْنَهُما مُدَدٌ مُتَطاولاتٌ
 مُتباعداتٌ ؛ فَالسَّابِقُ مِنْهُما يُمَهِّدُ لِلتَّالِي ، وَالأَوَّلُ أَبْداً رَمَزٌ عَلَى التَّالِي ؛ وَلا خِلافَ
 بَيْنَ كَافَّةِ المُسْلِمينَ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعالَى أَمَرَ جَدَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقْدِ وِلايَةِ
 أَميرِ المُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَعَقَدَها لهُ يَومَ غَدِيرِخَمٍّ ، وَأَميرَ المُؤْمِنينَ
 عَلِيَّ بْنَ عَمِّهِ وَكانَ لهُ حينئِذٍ عَمٌّ حاضِرٌ ، وَأَمضى ما أَمَرَ بِهِ وَالإِسلامُ يَومئِذٍ غَضٌّ
 وَعُودُهُ ناضِرٌ ؛ وَكَذلكَ أَنَّ أَميرَ المُؤْمِنينَ ، هُوَ ابْنُ عَمِّ الإِمامِ الأَميرِ بِأَحْكامِ اللَّهِ
 أَميرَ المُؤْمِنينَ ؛ وَقَدْ نَصَّ مَعَ حَضُورِ عُمُومَتِهِ عَلَيْهِ ، وَفَعَلَ ما فَعَلَ جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ
 أَقْداءُ بِهِ وَأَتْهاءُ إِلَيْهِ ؛ وَكانَ أَبُو عَلِيٍّ المَنْصُورُ الإِمامُ الحاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَميرَ المُؤْمِنينَ
 صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، جَعَلَ ابْنَهُ عَبْدِ الرَّحيمِ إِلَياسَ وَلِيَّ عَهْدِ المُسْلِمينَ ، وَمِيزَةً بِذلكَ

على كافة الناس أجمعين ؛ ونَقَشَ اسمَه في السَّكَّة ، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمَنِّكَه ؛
والْبَسَه شَدَّة الوَقَارِ المَرْصُوعَةِ بِالْجَوْهَرِ ، وَاسْتَنَابَهُ عَنْهُ إِمَامَ الْأَعْيَادِ فِي الصَّلَاةِ وَفِي رُقِيَّةِ
الْمِنْبَرِ ؛ وَأَقَامَهُ مُنَامَ نَفْسِهِ فِي الْأَسْتِغْفَارِ لِمَنْ يُتَوَقَّى مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَفِي الشَّفَاعَةِ
لَهُمْ بِمَقْبَلِ مُنَاجَاتِهِ وَمَسْمُوعِ دُعَائِهِ ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَنَالُ رُتْبَةَ الْخِلَافَةِ ، وَلَا يَبْلُغُ
دَرَجَةَ الْإِمَامَةِ ؛ وَأَنَّ الْإِمَامَ الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - هُوَ الَّذِي
خَلَقَ لَهَا ؛ وَحِينَ حُمِّلَ أَعْبَاءَهَا أَقْلَهَا وَمَا اسْتَنْقَلَهَا ؛ وَإِنَّمَا تَحْتَ ذَلِكَ مَعْنَى لَطِيفٍ
غَامُضٍ ، وَسَرٌّ عَنْ جُمْهُورِ النَّاسِ مُسْتَرٌّ وَبَرْقُهُ لِأَوَّلَى الْبَصَائِرِ وَامِضٌ : وَهُوَ أَنَّ مَكُونُ
الْحِكْمَةِ ، وَمَكْتُومَ عِلْمِ الْأَمَةِ ؛ يُدْلَلُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ الْمَنْصُورَ أَبَا عَلِيٍّ ، سَيَفْعَلُ فِيمَنْ
يَسْتَخْلِفُهُ بَعْدَهُ مِثْلَ فِعْلِ النَّبِيِّ ؛ وَقَدْ عِلِمَ الْإِمَامُ الْحَاكِمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّ الْمُرَادَ
بِذَلِكَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِمَّنْ أَوْلَدَهُ أَوْ أُنْثَلَهُ ، لِأَنَّ وَلَدَهُ حَاضِرٌ وَالْمَقْصُودُ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ ؛
بِفِعْلِ وِلَايَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْعَهْدِ تَأْسِيسًا لِمَا سَيَكُونُ ، وَتَقَالًا لِلنَّفُوسِ مِنَ الْإِزْعَاجِ إِلَى
أَنْ تَسْمَلَهَا الطُّمَأْنِينَةُ وَالسُّكُونُ ؛ فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ أَبِي عَلِيٍّ الْإِمَامُ
الْأَمِيرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافَةِ الَّتِي جَعَلَهَا وَاجِبًا لَهُ حَقًّا ، وَوَافَقَ جَدَّهُ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَانَ لِقَبِهِ مِنْ لَقَبِهِ مُشْتَقًّا ، ظَهَرَ الْمُنْكَدِمُ ، وَوَضَّحَ الْمُسْتَرِّ ؛ وَعَادَ
التَّعْرِیْضُ تَصْرِیحًا ، وَالتَّمْرِیْضُ تَصْغِیحًا ؛ وَالرَّمْزُ إِبَانَةً ، وَالنَّصُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَمَانَةً ؛ فَاقْتَدَى بِجَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اسْتِخْلَافِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مَعَ حُضُورِ عُمُومَتِهِ ، وَقَعَلَ فِي ذَلِكَ فَعْلَتَهُ وَجَرَى عَلَى قَضِيَّتِهِ ؛ وَكَشَفَ عَمَّا أَهْمُهُ
الْإِمَامُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ قَدَّسَ اللَّهُ لَطِيفَتَهُ فَتَسَاوَى الْخَاصُّ وَالْعَامُّ فِي مَعْرِفَتِهِ ؛ ثُمَّ حَلَّ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَحَلَّ نَفْسِهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَى الْأَسْمَطَةِ ، وَعَمِلَ لِأَوْلِيَائِهِ وَرَعِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ
بِالْقَضَايَا الْمُحِيطَةِ ؛ وَنَصَبَهُ مَنَصِبَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ جَرَتْ عَادَتُهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مِثْلِهِ ؛
وَجَمَعَ فِي اعْتِمَادِ ذَلِكَ بَيْنَ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ وَبَيْنَ امْتِنَانِهِ وَعَدْلِهِ ؛ وَإِذَا قَدْ تَيَّيَّنَ هَذَا

الأمر الواضح الجليّ، وتساوى في علمه الشانئ والوليّ؛ وعلم هو ماخصّ الله به أمير المؤمنين من الإمامه، وأزاله عن العقول من ضباب متكاثف وعمّامه؛ وشمله به من فضله ورافته، ونصّب فيه من منصّب خلافته؛ التي أيدها بوليّه ووزيره، وعصّدها بصفيّه وظهيره، السيد الأجل أبي الفتح يانس الحافظيّ الذي جعله الله على أعنتائه بدولة أمير المؤمنين من أوضح الشواهد والدلائل، وصرف به عن مملكته محذور الصروف والغوائل؛ وأقام منه لمناسبة الخلافه مخلصا جمع فيه أسباب المناقب والفضائل؛ وأيده بالتوفيق في قوله وفعله فأربنى على الأواصر والأوائل؛ ودلّت سيرته الفاضلة على أنه قد عمّر ما بين الله وبينه؛ وحكمت سنته العادلة أن كلّ مدح لا يبلغ ثناءه وكلّ وصف لا يقع إلّا دونه؛ والله يضاعف نعمه عنده ولديه، ويفتح لأمر المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها على يديه؛ وهذا يحقّق أنّ الإسلام قد أحدث له قوّة وتمكينا، وأن دوى الإيمان قد ازدادوا إيمانا واستبصارا ويقينا؛ فيجب عليكم لأمر المؤمنين أن تدخلوا في بيعته منشرحة صدوركم، طيبة نفوسكم؛ مجتهدين له في خدمة تقابلون بها إحسانه، متقرّين بإيّه بمناسحة تحظيكم عند الله سبحانه؛ عاملين بشرائط البيعة المأخوذة على أمثالكم الذين يتبعون في فعلهم، ويقع الإجماع بمنثلهم؛ ولكم على أمير المؤمنين أن يكون بكم رحيا، وعن الصغائر متجاوزا كريما، وبالكافة رؤونا رفيقا؛ وعلى الرعايا عطفوا شفيقا، وأن يصفح عن المسيء ما لم يأت كبيره، ويبلغ في الإحسان إلى من أحسن السيرة؛ ويؤبى من الإفضال ما يستخلص الضمائر، ويُسيغ من الإنعام ما يقتضى لقاء السرائر؛ وأمير المؤمنين يسأل الله أن يعرفكم بركة إمامته، ويؤمن خلافة؛ وأن يجعلها ضامنة بلوغ المطالب، كافلة لكم بركة بسعادة المبدئ والعواقب؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المذهب الثالث

(أن تُفتَح البيعةُ بعدَ البسملةِ بِحُطْبَةٍ مَفْتُوحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ،

ثم يُؤْتَى بِالْبُعْدِيَّةِ وَيُتَخَلَّصُ إِلَى الْمَقْصُودِ ، وَقَدْ يُذَكَّرُ السُّلْطَانُ الْقَائِمُ بِهَا

وَقَدْ لَا يُذَكَّرُ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَكْتُبُ بِيَعَاتُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ

بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمَنْ أَدَّعَى الْخِلَافَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ)

وهذه نسخةُ بَيْعَةٍ كَتَبَ بِهَا طَاهِرُ الْأَنْدَلُسِيِّ ، فِي أَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِ دَانِيَّةَ

مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، لِلرَّشِيدِ بْنِ الْمَأْمُونِ الْأُمَوِيِّ ، وَهُوَ مُتَصَبٌّ فِي الْخِلَافَةِ : تَخَلَّفَ

تَوْهَمُهُ مِنَ الرِّعَايَةِ . أَقْتَصَرَ فِيهَا عَلَى تَحْمِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا تَعَرُّضٌ لِسُلْطَانٍ قَائِمٍ

بَعْدَهَا ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ لِنِعَامِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَسَوَّغَ لِفَضَالِهِ هَامِلًا وَهَامِرًا ، وَأَنْجَزَ

عَنْ وَصْفِ إِحْسَانِهِ نَاطِلًا وَنَازِلًا ، وَقَهَرَ الْخَلْقَ نَاهِيًا وَآمِرًا ، وَتَعَالَى جَدُّهُ فَلَا تَرَى لَهُ

مُضَاهِيًا وَلَا مُظَاهِرًا ، وَلَا مُوَازِيًا وَلَا مُوَازِرًا ، وَنَصَرَ الْحَقَّ وَكَفَى بِهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِهِ

نَاصِرًا ، وَجَعَلَ جَدَّ الْمَطِيعِ صَاعِدًا وَجَدَّ الْعَصِيِّ عَاطِرًا ، وَحَدَّرَ مِنَ الْخِلَافِ بَادِيًا

وَحَاضِرًا ، وَمَاضِيًا وَغَاضِرًا .

نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ حَمْدَ مَنْ أَصْبَحَ لِعُلُقِ الْحَمْدِ ذَاخِرًا ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى مَنِّهِ وَلَنْ

يُعْدِمَ الْمَزِيدَ مِنْهُ شَاكِرًا ، وَنَضْرَعُ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ حِظَّنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْإِعْتِصَامِ وَافِرًا ،

وَوَجْهَ نَيْتِنَا فِي الْإِتِّظَامِ سَافِرًا ، وَأَنْ يَمْنَحَ أَوْلِيَاءَهُ النَّصَرَ ظَاهِرًا وَالْفَتْحَ بَاهِرًا ، وَأَعْدَاءَهُ

الرُّعْبَ شَاجِيًا وَالرُّخَّ شَاجِرًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ أَقْزَلِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ

صَاحِرًا ، وَأُصْحَى لِأَوَامِرِهِ مِمْتِلًا وَلِنَوَاهِيهِ مُحَازِرًا ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ حَزْبَ الْإِيمَانِ

ظافراً، ويمدّه بتصره طالباً للثأر بآثراً، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الذي آتخذه من صفوة الصفوة كابراً فكاراً، وجعله بالفضيلة أولاً وبالرسالة آخراً، فاقطع بالدعاية ساهياً وناسياً وسكن بعد الإبانة منافعاً ومنافراً، وأذهب بنوره ليلاً من الجهالة سائراً، وقام بجهاد الكفرة ليثاً خادراً، وباشر بنفسه المكاره دارعاً وحاسراً، وشهد بداراً مبادراً، وحينئذ منيراً بالخبر نادراً، وظهر عليهم في كل المشاهد غالباً وما ظهروا نادراً، وعلى آله وأصحابه الذين منهم صاحبه وخليفته، المعلومة رأفته، أبو بكر الذي أفتحهم لهول الردّة مصابراً، وسلّ في قتال الروم أهل الجلد والشدة سيفاً باتراً، ومنهم القوى في ذات الله عمر الذي أصبح به ربيع الإسلام عامراً، ولم يحش في الله عاذلاً ولم يرج غادراً، ومنهم الأصدق حياءً عثمان ملاقي البلوى صابراً، والخفير الذي لم ير للأدمة خافراً، ومنهم أقضاهم على الذي قاتل باغياً وكافراً، وبات لخوف الله ساهراً، ورضى الله عن الإمام المهدي الذي أطلعه نوراً باهراً، وبحراً للمعلم زائحاً، وأتى به والضلال يمحّو رسته سادراً، والباطل يثبّت وينفي وإردا وصادراً، فحدد رسم الحق وكان دائراً، وقام بأرائه علماً هادياً وقرماً هادراً، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين من أصبح حائداً عن الحق جائراً، المجاهدين خائلاً بالعهد خاتراً.

أما بعد، فإن الله سبحانه جعل الإمامة للناس عظمة، ومنجاة من ريب الالتباس ونعمة، بها يتمهد همارة الأرض، ويتجدد صلاح الكل والبعض، ولولاها ظهر الظلم، واختلط المرعى والمسل، وأرتكبت المآثم، واستديحت المحارم، واستحلت المظالم، واستقم من المظلوم الظالم، وفسد الائتلاف وأفرق النظام، وتساوى الحلال والحرام، فاختار لأمرهم رعاة أمرهم بالعدل فعدلوا، وبالتواضع

فِي ذَاتِ اللَّهِ وَالتَّقَاطُعِ فَقَطَعُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَوَصَلُوا ؛ وَعَدَلُوا بَيْنَ أَهْلِهِمْ وَأَقْرَبِيهِمْ
 فِيمَا وُلُّوا ، وَنَهَضُوا بِأَعْيَاءِ الْكِفَايَةِ وَالْحِمَايَةِ وَأَسْتَقْلُوا ؛ وَالزَّمَهُمُ الْإِتِّفَاقَ وَالْإِتْقَادَ ،
 وَحَظَرُوا عَلَيْهِمُ الْإِنْتِثَاقَ وَالْعِنَادَ ؛ فَمَلَكُوا بِأَزْمَةِ الْعَقْلِ قِيَادَ الْأُمُورِ ، وَأَشْرَقَتْ بِسِيرَتِهِمُ
 الْمُبَارَكَةِ أَقَاصِي الْمَعْمُورِ ؛ وَشَاهَدَ النَّاسُ فَوَاضِلَ إِمَامِهِمْ ، وَتَبَيَّنُوا مِنْ سِيرَتِهِمُ الْعَادِلَةَ
 عُلُوَّ مَحَلَّتِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ وَمَقَامِهِمْ ؛ وَلَمْ يُطْرَقْ فِي مُدَّتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ جَنَابٌ ، وَلَا أَقْتَحِمَ
 لَهُ بَابٌ ؛ وَأَتَى وَسُيُوفُهُمْ تَقَطَّرَ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ ، وَبِلَادُهُمْ سَاكِنَةُ الدِّهْمَاءِ ،
 وَالْكَفَرَةُ بِالرُّعْبِ الْمُخَايِرِ وَالِدَاءِ الْعِيَاءِ ؛ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ ، يَجْرُونَ ذُيُولَ الْعَزَائِمِ ، وَعَبْدَةُ
 الصُّلْبَانِ ، يَعْثُرُونَ فِي ذَيْلِ الْهَوَانِ الدَّائِمِ ؛ إِلَى أَنْ عَدِمَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ بِحَارَهَا الزَّوَانِحَ ،
 وَأَنْوَارَهَا الْبَوَاهِرَ ، وَرَأَتْ بَعْدَهُمُ الْعُيُونَ الْفَوَاقِيَّ وَالْمُتَوْنَ الْفَوَاقِرَ ؛ وَأَكْفَهَرَّ وَجْهُ
 اللَّوَاءِ ، وَتَفَرَّقَتِ الذَّرَقُ بِحَسَبِ الْأَهْوَاءِ ؛ وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ ، وَرُكِبَتِ الْمَضَلَّةُ الْعَمِيَاءُ ؛
 وَأَحْتَبَّتِ الْجَوَائِرُ ، وَأَهْمِلَ الشَّرْعُ وَالشَّعَائِرُ ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدْنَى فِي كَشْفِ
 الْكُرْبِ ، وَأَطْلَعَ بِالْغَرْبِ نُورًا مَلَأَ الدُّنْيَا إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ؛ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي أَضَاءَ
 لِلْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَطَلَعَ عَلَى الْآفَاقِ طُلُوعَ النَّهَارِ ، وَذُخِرَتْ أَيَّامُهُ السَّعِيدَةُ لِدَرْكِ
 النَّارِ ؛ وَكَفَلَتْ بِهِ الْخِلَافَةُ وَطَالَ بِهَا كَلْفُهُ ، وَقَامَ بِالْإِمَامَةِ مِثْلَ مَا قَامَ بِهَا الْخُلَفَاءُ
 الرَّاشِدُونَ سَلَفُهُ ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ بِاللَّهِ آئِنُ الْخُلَفَاءِ
 الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَخَلَّدَ فِي عَقِبِهِمُ الْإِمَامَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَهُوَ
 الْأَسَدُ الْمَهْصُورُ ، وَمَنْ أَبُوهُ الْمَأْمُونُ وَجَدَّهُ الْمَنْصُورُ ؛ الْعَرِيقُ فِي الْخِلَافَةِ ، وَالْحَقِيقُ
 بِالْإِمَامَةِ وَالْإِنَافَةِ ؛ جَمَعَ مَا اقْتَرَقَ ، وَنَظَّمَ الْأُمُورَ وَتَسَّقَ ؛ وَمَنْعَ الْحَوْزَةَ أَنْ تُطْرَقَ
 وَالْمَلَّةَ أَنْ تَفْتَرِقَ أَوْ تُفَرَّقَ .



وهذه نسخة بيعه كتب بها أبو المطرف بن عُميرة الأندلسي بأخذ البيعة على أهل شاطبة من الأندلس لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي ، قام بعقدتها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود صاحب الأندلس ، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفسه ، وأن يكون أبنته ولي عهده بعده ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأرض قوارا ، وأرسل السماء مذرارا ، وسخر ليلا ونهارا ، وقدر أجالا وأعمارا ، وخلق الخلق أطوارا ، وجعل لهم إرادة واختيارا ، وأوحى لهم تفكرا واعتبارا ، وتعاهدهم برحمته صفارا وكرارا .

نحمده حمد من يرجو له وقارا ، ونبرأ من عانده استنجارا ، وألحد في آياته سفاهة وأغترارا ، وصلى الله على سيدنا محمد الشريف نجارا ، السامي فخارا ، ^(١) فرفع الله من شريعته للأمة منارا ، وأطفأ برسالته للشرك نارا ، حتى علا الإسلام مقدارا ، وعز جارا ودارا ، وأذعن الكفر اضطرابا ، وأستسلم ذلة وصغارا ، ففضى وقد ملأ البسيطة أنوارا ، وعمها بدعوته أنجادا وأغوارا ، وأوجب لولاة العهد بعده طاعة وأتمارا ، فجراه الله أفضل ماجزى نبيا مختارا ، ورسولا أجتباه أخيصاصا وإيثارا ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين آثارا واختيارا ، وعلى أصحابه الكرام مهاجرين وأنصارا ، صلاة نوايلها إعلانا وإسرارا ، وزجوها مغفرة ربنا إنه كان غفارا .

أما بعد ، فإن المستأثر بالدوام ، اللطيف بالآنام ، أنشأهم على التغير والتباين ، وأضطربهم إلى التجاور والتعاون ، وجعل لهم مصلحة الاشتراك ، ومنفعة الالتحام

(١) لعله " الذي رفع الله به من " الخ . تأمل .

والإشتباك ؛ طريقاً إلى الأفضل في حياتهم ، والأسعد لغاياتهم ؛ وبعث النبيين
مرغبين ومحدّرين ، ومبشّرين ومنذرين ؛ فأدّوا عنه ما حمل ، وابتنوا ما حرم وحلّ ؛
وكان أعظمهم دعوهُ ، وأوثقهم عُروهُ ؛ وأعلامهم في المنزلة عنده ذِروهُ ، وأعطفهم
للقلوب وهى كالحجارة أو أشدّ قسوه ؛ المخصوص بالمقام المحمود ، والخواص
المورود ؛ وشفاعة اليوم المشهود ، ولواء الحمد المقود ؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم
أفضل صلاة تُقضى إلى الظلّ المدود ، وتبلغنا من شفاعته أفضل موعود ؛ بعثه الله
للأحر والأسود ، والأدنى والأبعد ؛ فصنّع بأمره وظلام الليل غير مُجّاب ،
والدّاعي إلى الله غير مُجّاب ؛ وأهل الجاهليّة كثير عددهم ، شديد جلدتهم ، بعيد
في الضلالة والغواية أمدهم ؛ فسلك من هدايتهم سيلاً ، وصبر لهم صبراً جيلاً ،
يحبّ صلاحهم وهم العدو ، ويلين لهم إذا جدّ بهم العدو ، ويجهّد في إظهار دينه
ولدين الله الظهور والعلو ؛ حتى أنقادوا بين سابق سبقت له السعادة ، ولاحق
تداركته المشيئة والإرادة ؛ ولما رُفعت راية الإسلام ، وشفعت حجة الكتاب حجة
الإسلام ؛ ودعى الناس إلى التزام الأحكام ، ونهوا عن الاستقسام بالأزلام ، أخذوا^(١)
إلى الربّ المعبود ، وأشفقوا من تعدّى الحدود ، ووعظوا في الإيمان والعهد ؛ فآثمروا
للشرع حين أمر ، وخافوا وخامه من إذا عاهد غدر ؛ فكان الرجل يدع الخوض
فيما لا يعلمه ، ويترك حقّه لأجل يمين تلزمه ، وشرعت الإيمان في كلّ فنّ بحسب
المحلف عليه ، وعلى قدر الحاجة إليه ؛ فواحدة في المال لحق الأداء ، وأربع خمسة
عند ملاءنة النساء ، وخمسون انتهى إليها في أحكام الدماء ، فتوثق للحدود على
مقاديرها ، وجرّت أمور العبادات والمعاملات على أفضل تقديرها ؛ وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم والعدل قائم ، والشرع على القوى والضعيف حاكم ، والربّ

(١) لعل المراد بالأول الدين وبالثاني الاتقياء إن لم يكن مصحفاً عن الاستسلام .

جَلَّ جَلَالُهُ بِمَا تُحْفَى الصُّدُورُ عَالَمٌ ؛ وَقَامَ بَعْدَهُ الْخَلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ أَرْكَانُ الدِّينِ ،
وَأَعْيَادُ الْحَقِّ الْمُبِينِ ؛ يَجْلُونَ النَّاسَ عَلَى سَنَنِهِ الْوَاضِحِ ، وَيَقْدُونَ أُمُورَ الْمَصَالِحِ ،
وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الْأَحْكَامِ وَقُوقًا مَعَ الظَّاهِرِ وَتَرْجِيحًا لِلرَّاحِ ؛ وَكَانُوا يَتَوَقَّفُونَ فِي بَعْضِ
الْأَحْيَانِ ، وَيَطْلُبُونَ لِلشَّيْءِ وَجْهَ الْبَيَانِ ، وَيَسْتَظْهِرُونَ عَلَى تَحْقِيقِ كَثِيرٍ مِنَ الْوَقَائِعِ
بِالْإِيمَانِ ؛ حَتَّى كَانَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ يَسْتَنْبِطُ فِي الدَّرَايَةِ ، وَيَسْتَحْلِفُ الرَّائِيَ
عَلَى الرَّوَايَةِ ؛ وَمَا أَنْكَرَ ذَلِكَ أَحَدٌ ، وَلَا أَعُوْزُهُ مِنَ الشَّرْعِ مُسْتَنْدَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَئِمَّةٌ
بِالْعَدْلِ قَضَوْا ، وَعَلَى سَبِيلِهِ مَضَوْا ، وَالسَّيْرَةُ الْحَلِيلَةُ تَخَيَّرُوا وَأَرْتَضَوْا ؛ وَعَنْ سَيِّدِ
الْأَنْبِيَاءِ ، وَمُسْتَنْزِلِ دَرِّ الْغَمَامِ ، عَمِ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ الْحَامِي الْحَدِّبِ ،
وَالْمُعْقِلِ الْأَشْبِ ؛ وَالغَيْثِ الْهَامِلِ الْمُتَسَكِّبِ ، أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛
وَعَنْ الْفَائِزِينَ بِالرُّتْبَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَالصُّحْبَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَالْمَنَاقِبِ الْعَظِيمَةِ ؛ بُدُورِ الظَّلَامِ
وَبُحُورِ الْحَكَمِ ، وَصُدُورِ أُنْدِيَةِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ؛ وَهَيَّائِ صَحَابِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا عَلَى عُمْرِهِ ، وَأَسْلَفُوا جِدًّا فِي نَصْرِهِ ، وَأَدْرَكُوا مِنْ بَرَكَةِ عِيَانِهِ وَزَمَانِهِ مَا لَمْ يَدْرِكْ
لِحَصْرِهِ ؛ كَرَّمَ اللَّهُ مَا بَهُمْ ، وَأَجَزَلَ ثَوَابَهُمْ ، وَشَكَرَهُمْ صَبْرَهُمْ وَأَحْسَانَهُمْ ؛ فَلَقَدْ عَقَدُوا
نِيَّةَ الصَّدَقِ عِنْدَ قِيَامِهِمْ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْإِطَاقَةِ ، وَاسْتَبَاحُوا صَلَاةَ الشُّكْرِ حِينَ رَفَعُوا
حَدَّثَ الرَّدَّةِ وَأَرَأَقُوا سُورَ الشَّرْكِ وَقَدْ اسْتَحَقَّ بِنَجَاسَتِهِ الْإِرَاقَةَ ، وَأَثَرُوا كَسْرِيَّ زَيْتَةِ
فَإَبْرَزُوا عَلَى سُرَاقِهِ ؛ فَرَأَوْا عِيَانًا مَا أَخْبَرَهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَمَلَكُوا مَا رَوَى لَهُ مِنْهَا
فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ بِحَقِّهِ الْمُبِينِ ؛ وَذَهَبُوا فَاطْلَمَتِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَتَكَرَّرَتِ الْمَعَارِفُ
لِفَقْدِهِمْ ، وَاخْتَلَطَ الْحَمَلُ وَالْمَرْعَى ، وَتَشَابَهَ الصَّرِيحُ وَالِدَّعَى ؛ وَنَارَتِ الْفِتْنُ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ ، وَصَارَتِ الْحَقُوقُ نُهْبَةً [كُلِّ] نَاهِبٍ ؛ وَلَمَّا بَرِحَتِ الْعُهُودُ ، وَتَعَدَّيَتْ

(١) مراده على عهد النبي وفي زمنه .

(٢) لعله ولم تترك العهود . تأمل .

الحُدُودُ ؛ بَلَغَ الْوَقْتُ الْمَحْدُودَ ، وَطَلَعَتْ بَيَاضُ الْعَدْلِ الرِّايَاتُ السُّودُ ؛ تَحْتَمَا سَادَاتُ
النَّاسِ ، وَذَادَةُ مَوْقِفِ الْبَاسِ ؛ وَشَهَبُ الْيَوْمِ الْعَمَاسُ ، وَنُجُوبُ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مِنْ
بَنِي الْعَبَّاسِ ؛ فَأَعَادُوا إِلَى الْأَمْرِ رَوْقَهُ ، وَنَفَوْا عَنِ الصَّفُورَنَقَةِ ؛ وَحَمَوْا حَرَمَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَحْيَوْا سُنَّةَ ابْنِ عَمِّهِمْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَأَصْبَحَتْ الْأُمُورُ مَضْبُوطَةً ،
وَالثُّغُورُ مَحْصُوطَةً ؛ وَالسُّبُلُ آمِنَةً ، وَالرَّعِيَّةُ فِي ظِلِّ الْعَدْلِ وَالْأَمْنِ سَاكِنَةً ؛ وَكَانَ النَّاسُ
قَبْلَهُمْ قَدْ رَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ ، وَامْتَطَوْا الْحَزْنَ وَالسَّهُولَ ؛ فَوَثِقُوا مِنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ ،
وَأَسْتَحْلَفُوهُمْ عَلَى بَيْعَاتِهِمْ ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ أَلْزَمُوهُمْ مِنْهَا وَاجِبًا عَلَى الْقَطْعِ ، لَازِمًا بِالْإِزَامِ
الشَّرْعِ ؛ وَوَجَدُوا لِمَصْلَحَةِ الْإِرْتِبَاطِ بِالْإِيمَانِ شَوَاهِدَ مِنَ الْآثَارِ الْمُقْبُولَةِ ، وَالْأَصُولِ
الْمُقْبُولَةِ ؛ وَمَنْ أُعْطِيَ مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ مَا عَلَيْهَا ، وَرَاعَى حِمْلَةَ الْمَصَالِحِ وَكُلَّ مَا تَطَرَّقَ
إِلَيْهَا ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ فِي سَعَةٍ مِنْ هَذَا التَّكْلِيفِ الْمُسْتَعِدِّ إِلَى الْآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ ،
الِدَاخِلِ فِي أَقْسَامِ الْمَصَالِحِ الْمَرْغِيَّةِ ؛ كَمَا سَلَفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ ؛ أَبَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ابْنِ عَمِّ سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

لَمَّا دَعَا النَّاسَ بِالْمُلْكَةِ الْفُلَانِيَّةِ حَمَاهَا اللَّهُ إِلَى مُجْتَبَاهِ الْقَوِيَّةِ ، وَأَمْرَتِهِمُ الْهَاشِمِيَّةِ ؛
مَجَاهِدُ الدِّينِ ، بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، جَمَالُ الْإِسْلَامِ ، مُجِدُّ الْأَنَامِ ، تَاجُ خَوَاصِّ
الْإِمَامِ ؛ نَخْرُ مَلُوكَهُ ، شَرَفُ أَمْرَائِهِ ؛ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدَ ، أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ، وَنَصَرَ أَعْلَامَهُ ؛ وَقَامَ لِذَلِكَ مُتَوَحِّدًا
الْمَقَامَ الْكَرِيمَ ، مُشْمَرًا عَنْ سَاعِدِ التَّضَمُّيمِ ؛ مَاضِيًا إِلَى الْهَوْلِ مَضَاءَ الْحُسَامِ
الْقَاضِبِ ، غَاضِبًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرِضَاهُ عَلَى غَايَةِ هَذَا الْغَاضِبِ ؛ مَالَتْ إِلَيْهِ الْأَجْيَادُ ،
وَأَتَنَالَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ؛ فَانْتَظَمَ هَا مَدِينَةً مَدِينَةً ، وَجَعَلَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ شَرِيعَةً
مَنْبِئَةً وَذَرِيعَةً مُعِينَةً ؛ وَتَقَدَّمَ - أَيْدِيَهُ اللَّهُ - بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ
قَاطِبَةً لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ

أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين؛ وكان له في ذلك المرام السعيد، والمقام الحميد، والقدم^(١) الذي رضى إبداءه وإعادته المبدئ المعيد؛ وخطب الديوان العزيز النبوي - خلد الله شرفه - متضرعاً لوسائل خدمته، متعرضاً لعواطف رحمته؛ وبعث رسوله على أصدق رجاء في القبول، وأثبت أمل في الإسعاف بالأمول؛ وأثناء هذه الإرادة القويمة، والسعادة الكريمة؛ تفاوض أهل البلاد في توثيق عقدهم للسلطان فلان المشار إليه الذي هو حُكم من أحكام الإجماع المتعقد، وأصل أفضى إليه نظر الناظر واجتهاد المجتهد؛ إذ أجالوا الأمر فيما يزيد وثاقه، ويكسو وجهه على الأيام بشراً وطلاقة؛ ويجعل القلوب مطمئنة برُسوخه في الأعقاب، وثبوتيه على الأحقاب؛ فلم يروا رأياً أسد، ولا عملاً أحصف وأشد؛ من أن يطلبوه بعقد البيعة لابنه الوائى بالله المعتصم به أبى بكر محمد بن مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، على أن يكون ولي عهدهم مدة والده مد الله في حياته، وأميرهم عند الأجل الذي لأبد من موافاته؛ فأمضى لهم ذلك من اتفاقهم، وأثبتوا على ما شرطته بيعته في أعناقهم؛ وبعد ذلك أتى صولة الإسلام، وصلة دار السلام؛ وورد رسول مثابة الجلالة، ونيابة الرسالة؛ وملتزم الملائك، ومعتصم الممالك؛ ومعه الكتاب الذي هو نص أغنى عن القياس، بل هو نور يمشى به في الناس؛ وأدى إلى السلطان فلان المشار إليه من تشریف الديوان العزيز النبوي ماوسمه من الفخار بأجل وشبه، وقلده السيف الصارم وسماه باسمه؛ فلاقى السيفان المضروب والضارب، وأشتبه الوصفان الماضى والقاضى؛ وبرزت تلك الخلج فابيض وجه الإسلام من سوادها، ووضع الكتاب فكادت المنابر تسعى إليه شوقاً من أعوادها؛ وقُرئت وصايا الإمام، على الأنام؛ فعلموا أنها من تراث الرسالة،

(١) ذكر القدم لأنه بمعنى السبق تأمل .

وقالوا : كَافِلُ الْإِسْلَامِ جَدَّدَ لَهُ بِهَذَا الصُّقْعِ الْغَرِيبِ حُكْمَ الْكَفَالَةِ ؛ وَسَمِعُوا مِنْ
التَّقْدِيمِ بِإِنصَافِهِمْ ، وَالتَّهْنِئَةِ بِمَوَاسِطِهِمْ وَأَطْرَافِهِمْ ؛ جُمْلًا عَفَرُوا لَهَا الْحَبَاهُ جُودًا
بِالْجُهِدِ ، وَسَجَدُوا لِلشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ؛ فَأَدْرَكُوا مِنْ بَرَكَةِ الْمَشَاهِدِ أَمْنَتَ شَرَفٍ وَأَبْقَاهُ ،
وَرَأَوْا حَقِيقَةَ مَا كَادَتْ الْأَوْهَامُ تُرْوِلُ عَنْ مَرْقَاهُ ؛ وَازْدَادُوا يَقِينًا بِفَضْلِ مَا صَارُوا
إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا عَيَانًا يُمْنُ مَا بَايَعُوا عَلَيْهِ ؛ فَتَوَافَتْ طَوَائِفُهُمُ الْمَتَّبِعَةُ ، وَجَمَاهِيرُهُمُ
الْمَجْمُوعَةُ ؛ يَدَارًا إِلَى الْمَرَاضِي الشَّرِيفَةِ ، وَبِنَاءٍ عَلَى وَصَايَا عَهْدِ الْخَلِيفَةِ ، أَنْ يُجَدِّدُوا
الْبَيْعَةَ لِمُجَاهِدِ الدِّينِ ، سَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَوَلَّى اللَّهُ عَضُدَهُ ؛ وَلَإِنِّهِ الْوَاقِعُ بِاللَّهِ
الْمُعْتَصِمُ بِهِ أَنْهَضَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ ؛ وَلَمْ تَعُدْ أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ الطَّارِئَةُ شَرْطًا فِي تَقْرِيرِ
الْإِمْرَةِ الْمُؤَدَّةِ وَإِنْجَابِهَا ، أَوْ جَارِيَةِ مَجْرَى السَّنَنِ الَّتِي يُؤَمِّرُ الْمَصْلَى بِالْإِعَادَةِ عِنْدَ
فَوَاتِهَا ؛ فَأَعَادُوا بَيْعَتَهُ أَدَاءً لِلْفَرِيضَةِ وَرَجَاءً لِلْفَضِيلَةِ ؛ وَاسْتَنْدُوا إِلَى الْإِشَارَاتِ
الْجَلِيلَةِ ، بَعْدَ الْإِسْتِخَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ؛ وَرَأَوْا أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا عَادَةَ الْبَيْعَاتِ الْعَبَّاسِيَّةِ ،
وَاتِّخَاذَ حُكْمِ الْأَصْلِ طَرِيقَ الْإِلْحَاقَاتِ الْقِيَاسِيَّةِ ؛ فَبَايَعُوا عَلَى تَذَكُّرِ بَيْعَةِ أَكْثَرِهَا
بِالْعُهُودِ الْمُسْتَحْفَظَةِ ، وَوَقْفِهَا بِالْإِيمَانِ الْمَغْلَظَةِ ؛ وَبَادَرُوا بِهَا نِدَاءً مُنَادِيهِمْ ، وَأَعْطَوْا
عَلَى الْإِضْفَاقِ بِهَا صَفَقَةً أَيْدِيَهُمْ .

وَلَمَّا آتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ أَهْلِ فَلَانَةِ وَجْهَاتِهَا ، رَأَوْا أَنْ يَخْلِفَ مِنْ سَبَقِ ،
وَيَصْدُقُوا النَّيَّةَ مَعَ مَنْ صَدَقَ ، وَيَعْقِدُوا مَا عَقَدُوهُ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الْعَهْدُ الشَّرِيفُ
وَنَطَقَ ؛ فَحَضَرَ مِنْهُمْ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ ، وَالْأَجْنَادُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ ، وَالْكَافَّةُ عَلَى
تَبَايُنِهِمْ فِي الْمَرَاتِبِ ، وَتَفَاوُتِهِمْ فِي الْمَنَاصِبِ ، وَأَخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَوَاطِنِ وَالْمَكَاسِبِ ؛
فَامْضَوْهَا بَيْعَةً كَرِيمَةً الْمَقَاصِدِ ، سَلِيمَةً الْمَعَاقِدِ ؛ عَهْدًا مُحْكَمًا ، وَعَقْدًا مُبَرَّمًا ؛
وَمُوجِبًا طَاعَةً وَسَمْعَ ، وَالتَّقِيدَ بِهَا سُنَّةً وَشَرَعَ ، وَيَعْمُرُونَ بِهَا أَسْرَارَهُمْ ، وَيُقْنُونَ
عَلَيْهَا أَعْمَارَهُمْ ، وَيَدِينُونَ بِهَا فِي عُسْرِ وَيُسْرٍ ، وَرَيْحٍ وَخُسْرِ ؛ وَضِيقٍ وَرَفَاهِيَةٍ ، وَحُبَّةٍ

وَكَرَاهِيهِ ؛ تَبَرَّعُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ طَوْعًا ، وَاسْتَوْفَوْهُ فَضْلًا فَضْلًا وَنَوْعًا نَوْعًا ، وَعَاهَدُوا عَلَيْهِ
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، وَأَضْمَرُوا مِنْهَا عَلَى مَا أَبْرَعَ عَلَى الظَّاهِرِ وَأَوْفَى ؛ وَتَقَبَّلُوا مِنْ
الْوَفَاءِ بِهِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ خَلِيلَهُ إِذْ قَالَ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، وَبِمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ الْكَرَامِ مِنْ
الْعُهُودِ الْمُؤَكَّدَةِ ، وَالْمَوَاقِفِ الْمُشَدَّدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ حَادُوا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَأَتَقَادُوا
لِدَاعِي التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ؛ فَهُمْ بُرَاءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ ،
تَارِكُونَ ذِمَّتَهُ الْوَافِيَةَ لَذِمَّتِهِمْ ؛ وَالْأَيْمَانَ كُلَّهَا لَازِمَةً لَهُمْ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامِ دَارِ الْهِجْرَةِ ،
وَطَلَّاقِ كُلِّ امْرَأَةٍ فِي مِلْكِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَازِمٌ لَهُمْ ثَلَاثًا ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا
فِي الْبِلَادِ الْفُلَانِيَةِ فَطَلَّاقُهَا لَازِمٌ لَهُ ، كُلُّمَا تَزَوَّجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَاحِدَةً خَرَجَتْ طَالِقًا
ثَلَاثًا ؛ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، مُحْرِمًا مِنْ مَنَزِلِهِ
بِحُجَّةِ كَفَّارَةٍ لَاتُحْزَرُ عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَعِيِيدُهُمْ وَأَرْقَاؤُهُمْ عُتْقَاءُ لِحَقُونِ بَاحِرِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَجَمِيعُ أَمْوَالِهِمْ عَيْنًا وَعَرْضًا ، حَيَوَانًا وَأَرْضًا ، وَسَائِرُ مَا يَنْحَوِيهِ الْمُتَمَلِّكُ
كُلًّا وَبَعْضًا ، صَدَقَةٌ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَاشَى عَشْرَةَ دَنَانِيرَ . كُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَشَدِّ
مَذَاهِبِ الْفَتَوَى ، وَأَلْزَمَهَا لِكَلِمَةِ التَّقْوَى ؛ وَأَبْعَدُهَا مِنْ مَخَالَفَةِ الْهَوَى وَالظَّاهِرِ
وَالْفَحْشَى ؛ أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَا الْخِلَافَةِ الْفُلَانِيَةِ وَالْفُلَانِيَةِ (بَلَقِي السُّلْطَنَةِ) لِلسُّلْطَانِ
وَوَلَدِهِ الْمَاخُودِ لَهَا الْبَيْعَةُ بَعْدَ بَيْعَتِهِ ، وَأَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَكَفَى بِذَلِكَ اعْتِرَامًا
وَأَيْتِمَامًا ، وَشَدًّا لِمَا أَمَرَ بِهِ وَإِحْكَامًا : ﴿ مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . وَهُمْ يَرْفَعُونَ دَعَاءَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَضَرُّعًا وَاسْتِسْلَامًا ،
وَيَسْأَلُونَهُ عِصْمَةً وَكَفَايَةً أَفْتِيحًا وَآخِيتَامًا ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَنْفَدْنَا هَذَا الْعَقْدَ اقْتِسَادًا
وَأَهْتِمَامًا ، وَقَضَيْنَا حَقَّهُ إِكْمَالًا وَإِتِمَامًا ، وَأَسْلَمْنَا وَجْهَنَا إِلَيْكَ إِسْلَامًا ؛ فَعَرَّفْنَا
مِنْ خَيْرِهِ وَبَرَكَتِهِ نَمَاءً وَدَوَامًا ، وَأَكْلَانًا بَعَيْنِكَ حَرَكَةً وَسُكُونًا وَبِقِطْعَةٍ وَمَنَامًا :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْعَالَمِينَ إِمَامًا ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
مُنْتَهَى الرِّغْبَاتِ ، وَجِبُّ الدَّعَوَاتِ ، وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على موت خليفة ، أنشأها على هذه الطريقة لموافقتها
رَأَى كُتَّابُ الزَّمَانِ فِي افْتِتَاحِ عُهُودِ الْمُلُوكِ عَنْ الْخُلَفَاءِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ كَمَا سِيَأْتِي بَيَانُهُ
فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَتَعَرَّضْتُ فِيهَا إِلَى قِيَامِ سُلْطَانٍ بِعَقْدِهَا : لِمُطَابَقَةِ
ذَلِكَ لِحَالِ الزَّمَانِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأُمَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ أَبْدَحَ الْأُمَمِ شَرَفًا ، وَأَكْرَمَهَا نِجَارًا وَأَفْضَلَهَا
سَلَفًا ، وَجَعَلَ رُتْبَةَ الْخِلَافَةِ أَعْلَى الرُّتَبِ رُتْبَةً وَأَعَزَّهَا كِتْفًا ، وَخَصَّ الشَّجَرَةَ الطَّيِّبَةَ
مِنْ قُرَيْشٍ بِأَنْ جَعَلَ مِنْهُمْ الْأُئِمَّةَ الْخُلَفَاءَ ، وَأَثَرُ الْأُسْرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْهَا بِذَلِكَ ، دَعْوَةً
سَبَقَتْ مِنْ أَبِي عَمَّهِ الْمُصْطَفَى ، وَحَفِظَ بِهِمْ نِظَامَهَا عَلَى الدَّوَامِ فَجَعَلَ مِنْ سَلَفٍ
مِنْهُمْ خَلَفًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ هَيَّاَ مِنْ مَقَدِّمَاتِ الرَّشْدِ مَا طَابَ الزَّمَانُ بِهِ وَصَفَا ، وَجَدَّدَ مِنْ رُسُومِ
الْإِمَامَةِ بِخَيْرِ إِمَامٍ مَادَّرَسَ مِنْهَا وَعَفَا ، وَأَقَامَ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا تَارِجَ الْحُجُوبِ بَنَشْرِهِ فَأَصْبَحَ
الْوُجُودُ بِعَرَفِهِ مَعْتَرِفًا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً غَلِيصَ تَمَسُّكَ بِعَهْدِهَا فَوْقًا ،
وَأَعْطَاهَا صَفْقَةً يَدُهُ لِلْبَيَاعَةِ فَلَا يَنْبَغِي عَنْهَا مَضْرُفًا ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
تَدَارَكَ اللَّهُ بِهِ الْعَالَمَ بَعْدَ أَنْ أَشْفَى فَشْفَى ؛ وَنَسَخَتْ آيَةُ دِينِهِ الْأَدْيَانَ وَجَلَّ بِشِرْعَتِهِ
الْمُنِيرَةِ مِنْ ظُلُمَةِ الْجَهْلِ سَدَقًا ، وَجَعَلَ مُبَايَعَةَ مُبَايَعَةِ اللَّهِ يَأْخُذُهُ بِالنَّكْتِ وَيُؤْفِيهِ أَيْحَرَهُ
عَلَى الْوَفَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ وَعِثْرَتِهِ الشُّرَفَاءِ ، وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين ليس منهم من عاهد الله ففدر ولا واد في الله بحفا، خصوصاً من جاء بالصدق
وصدق به فكان له قرابة وصفوّة الصفا، والمرجوع إليه في البيعة يوم السقيفة
بعدما أشرأبت نحوها نفوس كادت تدوب عليها أسفا، والقائم في قتال أهل الردة
من بني حنيفة حتى استقاموا على الحنيفيّة السمحة حنفاً. ومن استحال دلو الخلافه
في يده غرباً فكان أفيده عبقري قام بأمرها فكفى، وعمت فتوحه الأمصار وحملت
إليه أموالها فلم يمسكها إقتاراً ولم يبدّر فيها سرفاً. ومن كان فضله لسهم الإختيار
من بين أصحاب الشورى هدفاً، وجمع الناس في القرآن على صحيفه واحده وكانت
قبل ذلك صحفاً. ومن سرى إليه سر: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون
من موسى" فعدا يمتز من ذيل الفخار سجفاً، وأستولى على المكارم من كل جانب
فأز أطرافها طرفاً طرفاً، وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل الحق
ولطريق الهدى أقننى؛ صلاة ورضواناً يذهبان الداء العضال من وخامة الغدر
ويجلبان الشفا، ويرفعان قدر صاحبهما في الدنيا ويؤنان متحلهما من جنات
النعم عرفاً.

أما بعد، فإن عقد الإمامة لمن يقوم بأمر الأمة واجب بالإجماع، مستند لأقوى
دليل تقطع دون نقضه الأطماع، وتنبؤ عن سماع ما يخالفه الأسماع؛ إذ العباد
مجبولون على التباين والتفاير، مطبوعون على التحالف والتناصر؛ [مضطرون
إلى التعاون والتجاور، مفتقرون إلى التعاضد والتوازر] ^(١)؛ فلا بد من زعيم يمنعهم
من التظالم، ويحلهم على التناصف في التداعي والتحاكم؛ ويقيم الحدود فتصان
الحارم عن الإتيهاك، وتحفظ الأنساب عن الإختلاط والإشتراك؛ وينجي بيضة

الإسلام فَيَمْنَعُ أَنْ تُطْرَقَ ، وَيُصَوُّنَ الثُّغُورَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهَا أَوْ يُطْرَقَ : لِيَعْرِ
 الإسلام داراً ، وَيَظْمِنَ المستَغْنَى لَيْلاً وَيَأْمَنَ السَّارِبُ نَهَاراً ، وَيَذُبُّ عَنِ الْحَرَمِ
 فَتُحَرِّمَ ، وَيَذُودُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ فَلَا تُغْشَى بِلَ تَصْطَلَمَ ، وَيُجَهِّزُ الْجِيُوشَ فَتَنْكَأُ الْعُدُوْ ،
 وَتُغَيِّرَ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ فَتَمْنَعَهُمُ الْقَرَارَ وَالْهُدُوْ ، وَيُرْغِمُ أَنْفَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةَ وَيَقْمَعُهَا ،
 وَيُدْغِمُ الطَّائِفَةَ الْمُبْتَدِعَةَ وَيَرْدَعُهَا ، وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحَقِّهَا فَيُطَاوَعُ ،
 وَيَصْرِفُهَا إِلَى مُسْتَحَقِّهَا فَلَا يُنَازِعُ - لِأَجْرَمَ أَعْتَبَرَ لِلْقِيَامِ بِهَا أَكْلَ الشُّرُوطِ وَأَتَمَّ
 الصِّفَاتِ ، وَأَكْرَمَ الشِّمِّ وَأَحْسَنَ السَّمَاتِ .

وكان السيد الأعظم الإمام النبوي ، سليل الخلافة ، ووليُّ الإمامه ؛ أبو فلان
 فلان العباسي المتوكل على الله « مثلاً » أمير المؤمنين ، سلك الله تعالى به جدد آبائه
 الراشدين ؛ هو الذي جمع شروطها فوقها ، وأحاطَ منها بصفات الكمال واستوفأها ؛
 ورأى به أدنى مراتبها فبلغت إلى أغياها ، ونسوز معاليها ففرق إلى أعلاها ، وأتحد
 بها فكان صورتها ومعناها - وكانت الإمامة قد تأيمت من يقوم بأعبائها ، وعزت
 خطبائها لقلّة أكتفائها ؛ فلم تُلف لها بعلًا يكون لها قريناً ، ولا كُفًفاً تحطبه يكون
 لديها مكيئاً ، إلّا الإمام الفلاني المشار إليه ، فدعته خطبته وهي بيت عرسه :
 ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ فأجاب خطبتها ، ولبى دعوته : لتحققه
 رغبته إليه ، وعلمه بوجوب إجابته عليه ؛ إذ هو شبلها الناشئ بغاها ، وغيتها
 المستمطر من سحابها ؛ بل هو أسدها المصور ، وقطب فلكها الذي عليه تدور ؛
 ومعقلها الأمتنع الحصين ، وعقدتها الأنفس الثمين ، وفارسها الأروع وليتها الشهير ،
 وابنُ يجنتها الساقطة منه على الخير ؛ وتلاذدها العليم بأحوالها ، والجدير بمعرفة أقوالها
 وأفعالها ؛ وترجمانها المتكلم بلسانها ، وعالمها المتفنن في أفنانها ، وطبيبها العارف بطبها ،
 ومنجدها الكاشف لكرها .

وحين بلغت من القصد سؤلها ، ونالت بالإجابة منه مأمولها ، وحرّم على غيره أن يسومها لذلك تلويحا ، أو يعرج على خطبتها تعريضا وتصريحا ، أحتاجت إلى وليّ يوجب عقدها ، وشهود تحفظ عهدها ؛ فعندها قام السلطان الأعظم الملك الفلافيّ (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) خلد الله سلطانه ، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه ؛ فانتصب لها وليا ، وأقام يفكر في أمرها مليا ؛ فلم يجد أحق بها منه فتجنب عضلها ، فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ؛ فجمع أهل الحل والعقد ، المعتزين للاعتبار والعارفين بالنقد : من القضاة والعلماء ، وأهل الخير والصلحاء ، وأرباب الرأي والنصحاء ؛ فاستشارهم في ذلك فصوّبوه ، ولم يروا العدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه ؛ فاستخار الله تعالى وبايعه ، فتبعه أهل الاختيار فبايعوا ، وأقادوا لحكمه وطاعوا ؛ فقابل عقدها بالقبول بمحض من القضاة والشهود فلزمت ، ومضى حكمها على الصحة وأبرمت . ولما تم عقدها ، وطلع بصبح الثين سعدتها ، ألتبس المقام الشريف السلطانيّ الملكيّ الفلافيّ المشار إليه أعلى الله شرف سلطانه ورفع محله ، وقرن بالتوفيق في كلّ أمر عهده وحله ، أن يناله عهدها الوفيّ ، ويرد منها موردّها الصفيّ : ليرفع بذلك عن أهل الدين حجبها ، ويزداد من البيت النبويّ قربا ؛ فتعرض لنفحاتها من مقرّاتها ، وتطلب بركاتها من مطنّاتها ؛ ورغب إلى أمير المؤمنين ، وأبن عم سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، أن يحدّد له بعهد السلطنة الشريفة عقدا ، يأخذ له على أهل البيعة بذلك عهدا ؛ ويستحلفهم على الوفاء لها بما عاهدوا ، والوقوف عند ما بايعوا عليه وعاهدوا : ليقترن السعدان فيعمّ نوءهما ، ويجمع الثيران فيبهر ضوءهما ؛ قلباه تلبية راغب ، وأجابه إجابة مطلوب وإن كان هو الطالب ؛ وعهد إليه في كلّ ما تقتضيه أحكام إمامته في الأمة عموما وشيوعا ، وفوض له حكم الممالك الإسلامية جميعا ؛ وجعل إليه أمر السلطنة المعظمة بكلّ

نَظَاقَ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا وَصَرَفَهُ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَأَقَامَهُ فِي الْأُمَّةِ لِعَهْدِ الْخِلَافَةِ وَصِيًّا ، وَجَعَلَهُ لِلْإِمَامَةِ بِتَفْوِضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَلِيًّا ، وَنَشَرَ عَلَيْهِ لَوَاءَ الْمُلْكِ وَقَلَّدهُ سَيْفَهُ الْعِزِّ ، وَأَلْبَسَهُ الْخِلْعَةَ السَّودَاءَ فَابْيَضَ مِنْ سَوَادِهَا وَجْهُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدًا كَبَتَ عُدُوَّهُ ، وَزَادَ شَرَفَهُ وَضَاعَفَ سُمُوَّهُ ، وَطُوْلِبَ أَهْلُ الْبَيْعَةِ بِالتَّوْثِيقِ عَلَى الْبَيْعَتَيْنِ بِالْأَيْمَانِ فَادْعَعُوا ، وَاسْتَحْلِفُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَبَالَغُوا فِي الْأَيْمَانِ وَأَمْعَنُوا ، وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ فِي أَسْرَارِهِمْ وَإِعْلَانِهِمْ ، وَأَعْطَوْا الْمَوَاقِيقَ الْمَغْلَظَةَ الْمَشْدَّدَةَ ، وَحَلَفُوا بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ الْمَعْقَدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ أَوْ أَدْبَرُوا ، وَبَدَّلُوا فِيهِ أَوْ غَيَّرُوا ، أَوْ عَرَّجُوا عَنْ سَبِيلِهِ أَوْ حَادُوا ، أَوْ تَقَصَّصُوا مِنْهُ أَوْ زَادُوا ، فَكُلُّ مَنْهُمْ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَخَارَجَ مِنْ ذِمَّتِهِ الْحَصِينَةُ إِلَى ذِمَّتِهِ ، وَكُلُّ أَمْرَةٍ فِي نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوُجُجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا ، وَكُلَّمَا رَاجَعَهَا فَهِيَ طَالِقٌ طَلَاقًا لَا يَفْتَضِي إِقَامَةَ وَلَا ثَبَاتًا ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ فِي مِلْكِهِ أَوْ يَمْلِكُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حُرٌّ لِأَحَقِّ بِأَحْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُلُّ مَا مَلَكَهُ أَوْ يَمْلِكُهُ مِنْ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَعَلَيْهِ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَسَائِرِ الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ ، مُحَرَّمًا مِنْ دُورِيَةِ أَهْلِهِ مَاشِيًا ، حَاسِرًا عَنْ رَأْسِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ أَذَى حَافِيًا ، يَأْتِي بِذَلِكَ فِي ثَلَاثِينَ حُجَّةً مُتَابَعَةً عَلَى التَّمَامِ ، لَا تُمَجِّزُهُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِهْدَاءُ مِائَةِ بَدْنَةٍ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ كُلِّ سَنَةٍ عَلَى الدَّوَامِ ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ جَمِيعِ الدَّهْرِ إِلَّا الْمَنِيِّ عَنْهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَأَنْ يُفَكَّ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفْرِ فِي كُلِّ عَامٍ ، يَمِينُ كُلِّ مَنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، لَا نِيَّةَ لِلْحَالِفِ فِي ذَلِكَ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَلَا فِي ظَاهِرِهِ ، لَا يُورَى فِي ذَلِكَ وَلَا يَسْتَنَى ، وَلَا يَتَأَوَّلُ وَلَا يَسْتَفْتِي ، وَلَا يَسْعَى فِي قَضَائِهَا ، وَلَا يَخَالِفُ فِيهَا

ولا في بعضها؛ متى جَنَحَ إلى شيءٍ من ذلك كان آثِماً، وما تقدّم من تعقيد الإيمان له لازماً؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يُجْزِئُهُ عن ذلك كفارة أصلاً؛ كلُّ ذلك على أشدّ المذاهب بالتخصيص، وأبعدها عن التساهل والترخيص؛ وأمضوها بيعةً مميّونة، باليمن مبتدأةً بالنجح مقرونة؛ وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس العقد من الأئمة الأعلام، والشهود والحكام؛ وجعلوا الله تعالى على ما يقولون وكيلًا، فاستحقّ عليهم الوفاء بقوله عزّت قدرته: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وهم يرغبون إلى الله تعالى أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَثْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بيعة مرتّبة على خلع خليفة، أنشأتها على هذه الطريقة أيضاً، وتعرضت فيها لذكر السلطان القائم بها، على ما تقدّم في البيعة المرتّبة على موت خليفة، وهي :

الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمناً، وأقام سور الإمامة وقايةً للأنام وحضناً؛ وشدّ لها بالعصاة القرشية أزراً وشاد منها بالعصبة العباسية ركناً؛ وأغاث الخلق بإمام هدى حسن سيرة وصفاً سريرة فراق صورة ورقّ معنى؛ وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن الاتقياد إليه أعلى ولا أدنى؛ ونزع جلبابها عن شغل غيرها فلم يُعْرِها نظراً ولم يُصْنع لها أدناً، وصرف وجهها عن أساء فيها تصرفاً فلم يرفع بها رأساً ولم يعمر لها معنى .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمَ حَلَّتْ لِلنُّفُوسِ حِينَ حَلَّتْ ، وَمِنْ جَلَّتِ الْخُطُوبَ حِينَ جَلَّتْ ؛
وَمَسَارَّ سَرَتْ إِلَى الْقُلُوبِ فَسَرَتْ ، وَمَسَارَّ أَقْرَبَتِ الْعُيُونَ فَقَرَّتْ ؛ وَعَوَارِفَ أَمَّتِ
الْخَلِيقَةَ فَتَوَالَتْ وَمَا وَلَّتْ ، وَقَدِيمَ صِدْقٍ ثَبَتَتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْخِلَافَةِ فَمَا تَزَلَّتْ
وَلَا زَلَّتْ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَكُونُ لَنَا مِنْ دَرَكِ الشُّكُوكِ
كَالْيَمِّ ، وَلِمَهَاوِي الشُّبْهِ دَارِيَهُ ، وَلِلْقَاصِدِ الْجَمِيلَةِ حَاوِيَهُ ، وَلِشُقَّةِ الزَّيْفِ وَالْإِرْتِيَابِ
طَاوِيَهُ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي نَصَحَ الْأُمَّةَ إِذْ بَلَغَ فَنَشْفِي عَلَيْهِمَا ، وَأُورِدَهَا
مِنْ مَنَاهِلِ الرَّشْدِ مَا أَلْفَطْنَا وَهَجَّهَا وَبَرَّدَ غَلِيلَهَا ؛ وَأَوْصَحَ لَهَا مَنَاجِيحَ الْحَقِّ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهَا ،
وَأَبَانَ لَهُمْ سُبُلَ الْهُدَايَةِ : ﴿ فَمَنْ آهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِيَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أُمَّةٍ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْأُمَمَةِ ، وَرَضِيَ عَنْ أَفْخَابِهِ أَوْلِيَاءِ
الْعَدْلِ وَعُدُولِ الْأُمَّةِ ؛ صَلَاةً وَرِضْوَانًا يُعَانِ سَائِرَهُمْ ، وَيُسَمِّلَانِ أَوْطَمَ وَأَجْرَهُمْ ؛ سَيِّمًا
الصَّدِيقِ الْفَائِزِ بِأَعْلَى الرُّتَبَتَيْنِ صِدْقًا وَتَصَدِّيقًا ، وَالْحَازِزِ قَصَبِ السَّبْقِ فِي الْفَضِيلَتَيْنِ
عِلْمًا وَتَحْقِيقًا ، وَمَنْ عَدَلَ الْأَنْصَارُ إِلَيْهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَعْدَ مَا جَمَعُوا عَلَى تَقْدِيمِهِ ،
وَبَادَرَ الْمَهَاجِرُونَ إِلَى بَيْعَتِهِ اعْتِرَافًا بِتَفْضِيلِهِ وَتَكْرِيمِهِ . وَالْفَارُوقِ الشَّدِيدِ فِي اللَّهِ بِأَسَا
وَاللَّيْنِ فِي اللَّهِ جَانِبًا ، وَالْمُؤَفِّي لِلْخِلَافَةِ حَقًّا وَالْمُؤَدِّي لِلْإِمَامَةِ وَاجِبًا ؛ وَالْقَائِمِ فِي نُصْرَةِ
الدِّينِ حَقَّ الْقِيَامِ حَتَّى عَمَّتْ فَتُوْحُهُ الْأَمْصَارُ مَشَارِقَ وَمَغَارِبًا ، وَأَطَاعَتْهُ الْعُنَاصِرُ
الْأَرْبَعَةُ : إِذْ كَانَ لِلَّهِ طَائِعًا وَمِنَ اللَّهِ خَائِفًا وَإِلَى اللَّهِ رَاغِبًا . وَذِي النُّورَيْنِ الْمَعُولِ
عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَهْوَاجِ الشُّورَى تَنْوِيهِهَا بِقُدْرِهِ ، وَالْمَخْصُوصِ بِالْإِخْتِيَارِ تَفْخِيمًا
لَأَمْرِهِ ؛ مَنْ حُصِرَ فِي بَيْتِهِ فَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ عَنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، وَشَاهِدَ
سُيُوفِ قَاتِلِيهِ عَيَانًا فَقَابَلَ فَتَكَاتِهَا بِجَمِيلِ صَبْرِهِ . وَأَبَى الْحَسَنَ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْ
الْخِلَافَةِ حِينَ سُئِلَهَا ، وَاسْتَعْفَى مِنْهَا بَعْدَ مَا أَضْطُرَّ إِلَيْهَا وَقِيلَ لَهَا ؛ وَكُشِفَ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ

الدنيا فإمَّ قِبَلَهَا بَقْلُهُ وَلَا وَلِيَّ وَجْهَهُ قِبَلَهَا، وَصَرَّحَ بِمَقَاطِعَتِهَا بِقَوْلِهِ : « يَا صَفَرَاءُ غُرِّي غُرِّي يَا بَيْضَاءُ غُرِّي غُرِّي » لَمَّا وَصَلَهَا مِنْ وَصَلَتِهَا ؛ وَسَائِرِ الْخُلُقَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُمْ ، النَّاهِجِينَ نَهَجَهُمْ وَالْوَارِدِينَ وَرَدَّهُمْ .

أما بعدُ ، فَإِنَّ لِلْإِمَامَةِ شُرُوطًا يَجِبُ اعْتِبَارُهَا فِي الْإِمَامِ ، وَلَوَازِمَ لَا يَقْتَضِرُ قَوَائِمُهَا فِي الْإِبْتِدَاءِ وَلَا فِي الدَّوَامِ ، وَأَوْصَافًا يَتَعَيَّنُ إِعْمَالُهَا ، وَأَدَابًا لَا يَسَعُ إِهْمَالُهَا ؛ مِنْ أَهْمِّهَا الْعَدَالَةُ الَّتِي مَلَائِكُهَا التَّقْوَى ، وَأَسَاسُهَا مِرَاقِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَبِهَا تَقَعُ الْهَيْبَةُ لِصَاحِبِهَا فَيَجَلُّ ، وَتَمِيلُ النُّفُوسُ إِلَيْهَا فَلَا تَمَلُّ ؛ فَهِيَ الْمَلَكَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى تَرْكِ الْبَكَائِ وَأَجْتِنَابِهَا ، وَالزَّاحِرَةُ عَنِ الْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ وَارْتِكَائِهَا ؛ وَالبَاعِثَةُ عَلَى مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَنَهْيِهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَالصَّارِفَةُ عَنِ انْتِهَاكِ حُرْمَاتِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْحُرْمَاتِ ؛ وَالمَوْجِبَةُ لِلتَّعَقُّفِ عَنِ الْحَاكِمِ ، وَالْحَامِلَةُ عَلَى تَجَنُّبِ الظُّلُمَاتِ وَرَدِّ الْمَظَالِمِ . وَالشَّجَاعَةُ الَّتِي بِهَا حَايَةُ الْبَيْضَةِ وَالذَّبُّ عَنْهَا ، وَالْإِسْتِظْهَارُ بِالْفَزْوِ عَلَى نِكَايَةِ الطَّائِفَةِ الْكَافِرَةِ وَالْقَضُّ مِنْهَا ؛ وَالْقُوَّةُ بِالشُّوْكََةِ عَلَى تَنْفِيذِ الْأَوَامِرِ وَإِمْضَائِهَا ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاسْتِيفَائِهَا ، وَنَشْرِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَإِعْلَانُهَا ، وَدَحْضُ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ وَإِخْفَائِهَا ، وَقَطْعُ مَادَّةِ الْفَسَادِ وَحُسْمُ أَدْوَانِهَا ؛ وَالرَّأْيُ الْمُوَدِّدُ إِلَى السِّيَاسَةِ وَحُسْنُ التَّنْذِيرِ ، وَالْمُغْنَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمَّاكِنِ عَنْ مَزِيدِ الْحَدِّ وَالتَّشْمِيرِ ؛ وَالْمَعِينُ فِي خُدْعِ الْحَرْبِ وَمَكَايِدِهِ ، وَالْمُسْعِفُ فِي مَصَادِرِ كُلِّ أَمْرٍ وَمَوَارِدِهِ .

هَذَا وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ أُمَّةً وَسَطًا ، وَوَعَظَّنَا بِمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ مَنْ تَمَرَّدَ وَعَتَا أَوْ تَجَبَّرَ وَسَطًا ، وَعَصَمَ أُمَّتَنَا أَنْ نَجْتَمِعَ عَلَى الضَّلَالِ ، وَصَانَ جَمْعَنَا عَنِ الْخَطْلِ فِي الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ ؛ وَنَدَّبَنَا إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَسَوَّغَ لَأُمَّتِنَا الْاجْتِهَادَ فِي النَّوَازِلِ وَالْأَحْكَامِ فَاجْتِهَادُهُمْ لَا يُنْكَرُ خُصُوصًا فِي شَأْنِ الْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ

أ كد أسباب المعالم الدينيّة وأقواها ، وأرفع المناصب الدنيويّة وأعلاها ؛ وأعزّ الرُتب رُتبةً وأعلاها ، وأحقّها بالنظر في أمرها وأولاها . وكان القائمُ بأمر المسلمين الآن فلانُ بنُ فلان الفلانيّ ممّن حادّ عن الصّراط المستقيم ، وسلك غير التّهجّ القويم ؛ ومال عن سنن الخلفاء الراشدين فأدركه الزّلل ، وقارف المآثم فعاد بالخلل ؛ فعاث في الأرض فسادا ، وخالف الرّشد غنادا ؛ ومال إلى الغيّ اعتيادا ، وأسلم إلى الهوى قيادا ؛ قد أنتقل عن طور الخلافه ، وعزّيز الإنافه ؛ إلى طور العامّة فأنصف بصفتهم ، وأنسم بسماتهم ؛ فنكر كَيْبُ عليه إنكاره قد باشره ، وصدّق سوء يتعيّن عليه إبعاده قد وازره وظاهره ؛ إن سلك فسيل التّهمة والإرتياب ، أوقصد أمرا نحا فيه غير الصّواب ؛ منهمك على شهواته ، منعكف على لذّاته ، متشاغل عن أمر الأئمة بأمر بنيّه وبناته ؛ الجبن رأس ماله ، وعدم الرأى قرينه في أفعاله وأقواله ؛ قد قنع من الخلافة بأنسمها ، ورضى من الإمامة بوسمها ؛ وظنّ أنّ السّودد في لبس السّواد فال إلى الحيف ، وتوهم أنّ القاطع الغمد قطع النّظر عن السيّف .

ولما أطلع الناس منه على هذه المنكرات ، وعرفوه بهذه السّمات ، وتحقّقوا فيه هذه الوصمات ؛ رغبوا في استبداله ، وأجمعوا على خلعهم وزواله ؛ فلبّجوا إلى السلطان الأعظم الملك الفلاني (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) نصر الله جنوده ، وأسمى جدّوده ، وأزهف على عدّة الله حُدوده ؛ ففوّضوا أمرهم في ذلك إليه ، وألقوا كلّهم عليه ؛ بجمع أهل الحلّ والعقد منهم ، ومن تصدر إليهم الأمور وترد عنهم ؛ فاستخاروا الله تعالى وخلعوه من ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وأنسلخوا عن طاعته ؛ وجرّدوه من خلافته ، تجريد السيّف من القراب ، وطوّوا حكم إمامته ، كطى السّجل للكتاب . وعند ماتمّ هذا الخلع ، وأنطوى حكمه على البتّ والقطع ، ألتمس الناس إماما يقوم بأمور الإمامة فيوفيهما ، ويجمع شروطها ويستوفيها ؛ فلم يجدوا لها أهلا ،

ولا يها أحق وأولى، وأوفى بها وأمل، من السيد الأعظم الإمام النبوى سليل
 الخلافة، وولى الإمامة أبى فلان فلان العباسى الطائع لله «مثلا» أمير المؤمنين .
 لزال شرفه بإذخا، وعزيبته الشريف شاحنا، وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخا،
 فساموه ببعثها فلى، وشاموا برقة لولايتها فأجاب وما تأبى، علمنا منه بأنها تعينت
 عليه، وأنحصرت فيه فلم تجد أعلى منه فتعدل إليه، إذ هو أبى تجدتها، وفارس
 تجدتها، ومزبل نعمتها، وكاشف كرتها، ومجلى غياها، ومجد عواقبها، وموصح
 مذاهبها، وحاكمها المكين، بل رشيدها الأمين، فهض المقام الشريف السلطانى
 الملكى الفلانى المشار إليه : قرن الله مقاصده الشريفة بالنجاح، وأعماله الصالحة
 بالصلاح، وبدر إلى بيعته فبايع، وأتم به من حضر من أهل الحل والعقد فتابع،
 وقابل عقدها بالقبول فمضى، ولزم حكمها وأقضى، وأتصل ذلك بسائر الرعية
 فاتقادوا، وعلموا صوابه فمشوا على سننه وما حادوا، وشاع خبر ذلك فى الأمصار،
 وطارت به مخلقات البشائر إلى سائر الأقطار، فتعرفوا منه اليمن فسارعوا إلى أمثاله،
 وتحققوا صحته وثباته بعد اضطرابه وأعتلاله، واستعادوا من نقص يصيبه بعد تمامه
 لهذا الخليفة وكاله، فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصراها، وجميل
 وفائها وكريم مظهرها، وجادت بجزيل الإمتنان، وتلا لسان كرمها الوفى على وليها
 الصادق : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) بختد له بالسلطنة الشريفة عهدا،
 وطوق جيده بتفويضها إليه عقدا، وجعله وصيه فى الدين، ووليه فى أمر
 المسلمين، وقلده أمر الممالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها، وملكه أزميتها وحقق
 له مواعيدها، وعقد له لواءها ونشر عليه أعلامها، وصرفه فيها على الإطلاق
 وفوض إليه أحكامها، وألبسه الخلعة السوداء فكانت لسودده شعارا، وأسبغ عليه
 رداها فكان له دنارا، وكتب له العهد فسق المعاهد صوب العهاد، ولهج الأنام

بذكره فاطمات العباد والبلاد ؛ وعند ماتم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأصل ،
 وأُستِ الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين ، وبنعمته مستبشرين ، طُوبَ
 أهل البيعة بما يحملهم على الوفاء ، ويمنع بيعتهم من التكرار بعد الصفاء : من توثيق
 عقدها بمؤكد أيمانها ، والإقامة على الطاعة لخليفتها وسُطانها ، فبادروا إلى ذلك
 مُسرعين ، وإلى داعيه مُهطعين ؛ وبالغوا في الموائيق وأكدوها ، وشددوا
 في الأيمان وعقدوها ؛ وأقسموا بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالم
 خائفة الأعين وما تُخفي الصدور في البدء والإعاده ، على الوفاء لها والموالاة ، والنصح
 والمصافاة ؛ والمواقفة والمُشايعة ، والطاعة والمتابعة ؛ يوالون من والاها ، ويُعادون
 من عاداهما ؛ لا يقعدون عن مُناصرتيها عند المنام مُلته ، ولا يرقبون في عدوها
 إلا ولا ذقه ؛ جارين في ذلك على سنن الدوام والإستمرار ، والثبوت واللزوم
 والإستقرار ؛ على أن من بدل منهم من ذلك شرطاً أو عفاً له رسماً ، أو حادَ عن
 طريقه أو غير له حُكماً ؛ أو سلك في ذلك غير سبيل الأمانة ، أو استحل الغدر
 وأظهر الخيانة ، مُعلنًا أو مُسرّاً في كله أو بعضه ، متآولاً أو مُحْتالاً لإبطاله أو نقضه ؛
 فقد برئ من حول الله المتين وقوته الواقية ، وركنه الشديد وذمته الوافية ، إلى
 حول نفسه وقوته ، وركنه وذمته ؛ وكلُّ امرأة في عصمته الآن أو تروجها مدة
 حياته طالق ثلاثاً بصرح لفظ لا يتوقف على نيّة ، ولا يُفترق فيه بين سنة ولا بدعة
 ولا رجعة فيه ولا مشنوية ؛ وكلُّ مملوك في ملكه أو يملكه في بقية عمره من ذكر
 أو أنثى حرٌّ من أحرار المسلمين ؛ وكلُّ ما هو على ملكه أو يملكه في بقية عمره إلى
 آخر أيامه من عين أو عرض صدقة للفقراء والمساكين ؛ وعليه الحج إلى بيت الله
 الحرام ثلاثين حجة ثلاثين عُمرّة راجلاً حافياً حاسراً ، لا يقبل الله منه غير الوفاء بها
 باطناً ولا ظاهراً ؛ وإهداء مائة بدنة في كل حجة منها في عُمرته ويُسرته ، لا تُجزئه

واحدة منها عن حجة الإسلام وعمرته ؛ وصوم الدهر خلا المنهى عنه من أيام
السنة ، وصلاة ألف ركعة في كل ليلة لا يباح له دون أدائها غمض ولا سته ؛
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، ولا يؤجر على شيء من ذلك قولا ولا فعلا ؛ متى
ورى في ذلك أو استثنى ، أو تأول أو استفتى ، كان الحنث عليه عائدا ، وله إلى دار
البوارقائد ، معتمدا في ذلك أشد المذاهب في سره وعلايته ، على نية المستخلف
له دون نيته ؛ وأمضوها ببيعة محكمة المباني ثابتة القواعد ، كريمة المساعي جميلة
المقاصد ؛ طيبة الحنى جليلة العوائد ، فاطمة البراهين ظاهرة الشواهد ؛ وأشهدوا
على أنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإسلام وعلمائه ، وأئمة
الدين وفقهائه ؛ بعد أن أشهدوا الله عليهم وكفى بالله شبيدا ، وكفى به لحائنين
خصما : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . والله تعالى يجعل آتقائهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يسرى إلى يمنى ؛
ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ .
إن شاء الله تعالى .

المذهب الرابع

(مما يُكْتَبُ فِي بَيْعَاتِ الْخُلَفَاءِ أَنْ يَفْتَحَ الْبَيْعَةَ بِقِطْعَةٍ : هَذِهِ بَيْعَةٌ ،
وَيَصِفُهَا وَيَذْكُرُ مَا يَنْبَغُ ، ثُمَّ يَعِزُّ بِالْخَلِيفَةِ الْمَيِّتِ ، وَيَهْنِئُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَقَرِّ ،
وَيَذْكُرُ فِي حَقِّ كُلِّ مِنْهُمَا مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْوَصْفِ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ)

وهذه نسخة بَيْعَةٍ أَنْشَأَهَا الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ ، عَلَى مَا رَأَيْتُهُ فِي " الْجَوَاهِرِ
الْمُلْتَقَطَةِ " الْمَجْمُوعَةِ مِنْ كَلَامِهِ ، لِلْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ^(١) « أَبِي الْعَبَّاسِ » « أَحْمَدُ بْنُ
أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ » [الْمُسْتَكْنَى بِاللَّهِ] ابْنُ الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ .
وَذَكَرَ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ نَازِطٍ الْجَلِيشِيُّ فِي " دُسْتُورِهِ " أَنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَهَا تَجَرُّبَةً ^(٢)
لِحَاطَرِهِ ، وَهِيَ مُرَتَّبَةٌ عَلَى مَوْتِ خَلِيفَةٍ .

ونصها بعد البسملة الشريفة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْيُمُونَكَ إِنَّمَا يَأْيُمُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَوْفٍ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

هَذِهِ بَيْعَةُ رِضْوَانٍ وَبَيْعَةُ إِحْسَانٍ ، وَبَيْعَةُ رِضَا تَشْهَدُهَا الْجَمَاعَةُ وَيَشْهَدُ عَلَيْهَا
الرَّحْمَنُ ؛ بَيْعَةُ يَلْزِمُ طَائِفُهَا الْعُقُوقُ ، وَتَحْمُومُ بَشَائِرُهَا عَلَى الْأَفْقِ ، وَتَجْمَلُ أَنْبَاءُهَا الْبَرَارِيُّ
وَالْبِحَارُ مَشْهُونَةُ الطَّرِيقِ ؛ بَيْعَةُ تَصْلُحُ لِنَسَبِهَا الْأُمَمُ ، وَتُنَمِّحُ بِسَبَبِهَا النِّعَمُ ، وَتُؤَلِّفُ
بِهَا الْأَسْبَابَ وَتَجْعَلُ بَيْنَهُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ؛ بَيْعَةُ تَجْرِي بِهَا الرِّفَاقُ ، وَتَتَرَاخَمُ زَمَرُورُ

(١) كَذَا فِي تَارِيخِ أَبِي الْقَدَاءِ وَأَبْنِ إِبْرَاهِيمَ وَالْعَبْرَاءِ أَيْضًا وَوَقَعَ فِي ج ٣ ص ٢٦٥ مِنْ هَذَا الْمُؤَلَّفِ أَنْ لَقِبَهُ

الْمُسْتَعْمِ وَالصَّوَابَ مَا هُنَا .

(٢) أَيْ امْتِنَاعًا لِفِكْرِهِ .

الكواكب على حوض الحجرة للوفاق ؛ ببيعة سعيدة ميمونة ، ببيعة شريفة بها السلامة
في الدين والدنيا مضمونة ؛ ببيعة صحيحة شرعية ، ببيعة ملحوظة مرعية ؛ ببيعة تسابق
إليها كل نية وتطاول كل طوية ، وتجتمع عليها أشات البرية ؛ ببيعة يستهل بها العام ،
ويتهلل البدر التمام ؛ ببيعة متفق على الإجماع عليها ، والإجماع لبسط الأيدي إليها ؛
أنعقد عليها الإجماع ، وأنعقدت صحتها بمن سمع لله وأطاع ، وبذل في تمامها كل
أمرئ ما استطاع ، وحصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحق إلى
مستحقه وأقر الخضم وأقطع النزاع ؛ وتضمنها كتاب كريم يشهده المقرّبون ،
ويتلقاه الأئمة الأقربون .

﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ : (ذَلِكَ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ) . وإلينا والله الحمد وإلى بني العباس . أجمع على هذه
البيعة أرباب العقد والحل ، وأصحاب الكلام فيما قلّ وجلّ ؛ وولاه الأمور
والأحكام ، وأرباب المناصب والحكام ؛ وحملته العلم والأعلام ، وحماة السيوف
والأفلام ، وأكابر بني عبد مناف ، ومن آنحضرة قدره وأناف ؛ وسروات قریش
ووجوه بني هاشم والبقية الطاهرة من بني العباس ، وخاصة الأئمة وعامة الناس ؛
بيعة ترسى بالحرمين^(١) خيامها ، وتحقق على المازمين أعلامها ، وتعرف عرفات
بركاتها وتعرف بمنى أيامها ؛ ويومنها عليها يوم الحج الأكبر ، وتؤمن ما بين الركن والمقام
والميزب ؛ ولا يتنغي بها إلا وجه الله الكريم ، وفضله العيم ؛ لم يبق صاحب سنجي^(٢)
ولا علم ، ولا ضارب بسيف ولا كاتب بقلم ؛ ولا رب حكم ولا قضاء ، ولا من
يرجع إليه في اتفاق ولا إمضاء ؛ ولا إمام مسجد ولا خطيب ، ولا ذو فتيا يسأل

(١) لعله ترى بالحرمين تأمل .

(٢) في الأصل سيف وهي تصحيف .

فُجِيبَ ، وَلَا مَنْ بَيْنَ جَنَّتِي الْمَسَاجِدَ وَلَا مَنْ تَضُمُّهُمْ اجْنِحَةُ الْحَارِيبِ ، وَلَا مَنْ
يَمْتَدُّ فِي رَأْيٍ فُيُخْطِئُ أَوْ يُصِيبُ ، وَلَا مَتَحَدُّتٌ بِحَدِيثٍ ، وَلَا مَتَكَلَّمٌ بِقَدِيمٍ وَحَدِيثٍ ؛
وَلَا مَعْرُوفٌ بِدَيْنٍ وَصَلَاحٍ ، وَلَا فُوسَانُ حَرْبٍ وَكِفَاحٍ ؛ وَلَا رَاشِقٌ بِسَهَامٍ وَلَا طَاعِنٌ
بِرِمَاحٍ ، وَلَا ضَارِبٌ بِصَفَاحٍ ، وَلَا سَاجِعٌ عَلَى قَدَمٍ وَلَا طَائِرٌ بِغَيْرِ جَنَاحٍ ؛ وَلَا مُخَالِطٌ
لِلنَّاسِ وَلَا قَاعِدٌ فِي عُزْلَةٍ ، وَلَا جَمْعُ كَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ ؛ وَلَا مَنْ يَسْتَقِيلُ بِالْحَوْزَاءِ لِوَأْوِهِ ،
وَلَا يَقِلُّ فَوْقَ الْفِرْقَدِ ثَوَاوُهُ ؛ وَلَا بَادٍ وَلَا حَاضِرٌ ، وَلَا مُقِيمٌ وَلَا سَائِرٌ ؛ وَلَا أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ،
وَلَا مُسِرٌّ فِي بَاطِنٍ وَلَا مُعْلِنٌ فِي ظَاهِرٍ ؛ وَلَا عَرَبٌ وَلَا عَجَمٌ ، وَلَا رَاعِي لِبَلٍ وَلَا غَنَمٌ ؛
وَلَا صَاحِبُ أَنَاةٍ وَلَا إِبْدَارٍ ، وَلَا سَاكِنٌ فِي حَضَرٍ وَبَادِيَةٍ بِدَارٍ ؛ وَلَا صَاحِبُ عَمَدٍ
وَلَا جِدَارٍ ، وَلَا مَلْجَأٌ فِي الْبَحَارِ الزَّاحِرَةِ وَالْبَرَارِيِّ الْقِفَارِ ؛ وَلَا مَنْ يَتَوَقَّلُ صَهَوَاتِ
الْخَلِيلِ ، وَلَا مَنْ يُسِيلُ عَلَى الْعَجَاجَةِ الذَّلِيلِ ، وَلَا مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِ شَمْسُ النَّهَارِ وَتُجُومُ
الْلَّيْلِ ؛ وَلَا مَنْ تُظِلُّهُ السَّمَاءُ وَتُقِلُّهُ الْأَرْضُ ، وَلَا مَنْ تُدَلُّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ عَلَى اخْتِلَافِهَا
وَتَرْتَفِعُ دَرَجَاتُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ حَتَّى آمَنَ بِهِذِهِ الْبَيْعَةُ وَأَتَمَّنَ عَلَيْهَا ، وَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَهْدَاهُ إِلَيْهَا ؛ وَأَقْرَبَهَا وَصَدَّقَ ، وَغَضَّ لَهَا بَصَرَهُ خَاشِعًا وَأَطْرَقَ ؛ وَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ
بِالْمُبَايَعَةِ ، وَمُعْتَقَدَهُ بِالْمُتَابَعَةِ ؛ رَضِيَ بِهَا وَأَرْضَاهَا ، وَأَجَازَ حُكْمَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْضَاهَا ؛
وَدَخَلَ تَحْتَ طَاعَتِهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

والحمد لله الذي نصب الحاكم ليحكم بين عبادِهِ وهو أحكم الحاكمين ، والحمد لله
الذي أَخَذَ حَقَّ آلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ مِنْ أَيْدِي الظَّالِمِينَ ؛ والحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، والحمد لله رب العالمين .

وإنه لما آستأثر الله بعبيده سُلَيْمَانَ أَبِي الرَّبِيعِ الْإِمَامِ الْمُسْتَكْفَى بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
- كَرَّمَ اللَّهُ مَنَوَاهُ - وَعَوَّضَهُ عَنْ دَارِ السَّلَامِ بِدَارِ السَّلَامِ ، وَنَقَلَهُ فَرَاشِكِي بَدَنَهُ عَنْ

شهادة السلام بشهادة الإسلام؛ حيث آثره ربه بقربه، ومهد لجنبه وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه، وخارله في جواره رفيقا، وجعل له على صالح سلفه طريقا، وأنزله ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. الله أكبر ليومه لولا خلفه كادت تضيق الأرض بما رحبت، وتجزى كل نفس بما كسبت؛ وتثنى كل سريرة بما أدخرت وما خبت؛ لقد اضطرب سعي، إلا أنه في الجوانح، لقد اضطرب منبر وسري، لولا خلفه الصالح، لقد اضطرب مأمور وأمير، لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح؛ لقد غاضت البحار، لقد غابت الأنوار، لقد غالب البدور ما يلحق الأهلة من المحاق ويذكر البدر من السرار؛ نسفت الجبال تسفا، وخبت مصابيح النجوم وكادت تطفى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. لقد جمعت الدنيا أطرافها وأزمنت على المسير، وجمعت الأمة لهول المصير، وزاغت يوم موته الأبصار: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾. وبقيت الأبواب حيارى، ووقفت تارة تصدق وتارة تئمر؛ لا تعرف قرارا، ولا على الأرض استقرا: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾.

ولم يكن في النسب العباسي ولا في جميع من في الوجود، لافي البيت المسترشدي ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء لهم وجود، ولا من تلده أخرى الليالي وهي عاقر غير ولود؛ من تسلم إليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم عقد نياتها، وسر طوياتها؛ إلا واحد وأين ذلك الواحد؟ هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آباءه الأطهار، وراث أجداده ولا شيء هو إلا ما أشتمل عليه رداء الليل والنهار؛ وهو ابن المتقل إلى ربه، وولد الإمام الذاهب لصلبه؛ المجمع على أنه في الأنام،

فَرُدَّ الْأَيَّامَ ، وَوَاحِدٌ وَهَكَذَا فِي الْوُجُودِ الْإِمَامِ ؛ وَأَنَّهُ الْحَاضِرُ لِمَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُ
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَالْفَائِزُ بِمِلْكِ مَا بَيْنَ الشَّارِقِ وَالْغَارِبِ ؛ الرَّاقِي فِي صَفِيحِ السَّمَاءِ
هَذِهِ الذَّرْوَةُ الْمُنِيفَةُ ، الْبَاقِي بَعْدَ الْأَئِمَّةِ الْمَاضِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ؛ الْمَجْتَمِعُ
فِيهِ شُرُوطُ الْإِمَامَةِ ، الْمُتَضَعُ لِلَّهِ وَهُوَ مَنْ يَدِي لَا يَزَالُ الْمُلْكُ فِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛
الَّذِي تَصَفَّحَ السَّحَابَ نَائِلُهُ ، وَالَّذِي لَا يُغَرُّ عَازِرُهُ وَلَا يُغَيِّرُهُ عَاذِلُهُ ؛ وَالَّذِي :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * شَآهَا لَقَبِضَ لَمْ تُطْفِعْهُ أَنَامِلُهُ

وَالَّذِي :

لَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيْعٌ نَصِيْبُهُ * وَلَا وَرَقٌ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاذِلُهُ

وَالَّذِي مَا أَرْتَقَى صَمَوَاتِ الْمُنْتَبَرِ بِحُضْرَةِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ إِلَّا قَالَ نَاصِرُهُ وَقَامَ قَائِمُهُ ؛
وَلَا قَعَدَ عَلَى سِرِّيرِ الْخِلَافَةِ إِلَّا وَعُرِفَ بِأَنَّهُ مَا خَابَ مُسْتَكْفِيهِ وَلَا غَابَ حَاكِمُهُ ؛
نَائِبُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالْقَائِمُ بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلِيفَتُهُ وَأَبْنِ عَمِّهِ ،
وَتَابِعُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَوَارِثُ عِلْمِهِ ، سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ « أَحْمَدُ أَبُو الْعَبَّاسِ »
الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِبِقَائِهِ الدِّينَ ، وَطُوقُ بَسِيْفِهِ [رِقَابِ]
الْمُلْحِدِينَ ، وَكَبَتَتْ تَحْتَ لَوَائِهِ الْمُعْتَدِينَ ؛ وَكُتِبَ لَهُ النُّصْرَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَكَفَّ
بِجِهَادِهِ طَوَائِفَ الْمُفْسِدِينَ ، وَأَعَادَ بِهِ الْأَرْضَ مَمْنًى لَا يَدِينَ بِدِينِ ؛ وَأَعَادَ بَعْدَهُ أَيَّامَ
آبَائِهِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ؛ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ،
وَعَلَيْهِ كَانُوا يَعْمَلُونَ ؛ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ ، وَقَدَّرَ اقْتِدَارَهُ ؛ وَأَسْكَنَ فِي قُلُوبِ الرِّعْيَةِ سِكِينَتَهُ
وَوَقَّارَهُ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْوُجُودِ وَجَعَ لَهُ أَفْطَارَهُ .

وَلَمَّا آتَقَلَّ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ السَّيِّدُ وَلَحِقَ بِدَارِ الْحَقِّ أَسْلَافَهُ ، وَنُقِلَ إِلَى سِرِّيرِ الْجَنَّةِ
عَنِ سِرِّيرِ الْخِلَافَةِ ؛ وَخَلَا الْعَصْرُ مِنْ إِمَامٍ يُمَسِّكُ مَا بَقِيَ مِنْ نَهَارِهِ ، وَخَلِيفَةً يُغَالِبُ

مُرَبَّدٌ اللَّيْلُ بِأَنْوَارِهِ ، وَوَارِثٌ بَنَى بِمَثَلِهِ وَمِثْلُ أَبِيهِ أَسْتَغْنَى الْوُجُودَ بَعْدَ ابْنِ عَمِّهِ خَاتَمِ
الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَبِيِّ مَقْتَفٍ عَلَى آثَارِهِ ؛ وَنَسِيَ وَلَمْ يَعْتَدِ فَلَمْ يَبْقَ إِذْ لَمْ
يُوجَدِ النَّصُّ إِلَّا الْإِجْمَاعُ ، وَعَلَيْهِ كَانَتِ الْخِلَافَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِلَا نِزَاعٍ ، أَقْتَضَتِ الْمَصْلَحَةُ الْجَامِعَةُ عَقْدَ مَجْلِسٍ كُلِّ طَرَفٍ بِهِ مَعْقُودٌ ، وَعَقْدَ بَيْعَةٍ
عَلَيْهَا اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ شُهُودٌ ، وَجُمِعَ النَّاسُ لَهُ ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ
يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ . فَخَضَرَ مَنْ لَمْ يُعْبَأْ بَعْدَهُ بِنَ تَخَلَّفَ ، وَلَمْ يُرَبَّأْ^(١) مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ طَائِفًا
بِمَنْ مَدَّهَا وَقَدْ تَكَلَّفَ ؛ وَاجْتَمَعُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ وَاسْتَخَارُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ نَحَارًا ،
وَنَاهِيكَ بِذَلِكَ مِنْ مُنْخَارٍ ؛ وَأَخَذَتْ يَمِينُ مُمَدِّ إِلَيْهَا الْإِيمَانَ ، وَبَشَّدَتْ بِهَا الْإِيمَانَ ؛
وَتَعَطَّى عَلَيْهَا الْمَوَاقِفَ ، وَتُعْرَضُ أَمَانَتُهَا عَلَى كُلِّ فَرِيقٍ ؛ حَتَّى تَقْلُدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ
فِي عُقْبَةِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ ، وَحَطَّ يَدَهُ عَلَى الْمَصْحَفِ الْكَرِيمِ وَحَلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَأَتَمَّ
أَيْمَانَهُ ؛ وَلَمْ يَقْطَعْ وَلَمْ يَسْتَنْ وَلَمْ يَتَرَدَّدْ ، وَمَنْ قَطَعَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ أَعَادَ وَجَدَّ ؛ وَقَدْ
نَوَى كُلُّ مَنْ حَلَفَ أَنَّ النِّيَّةَ فِي يَمِينِهِ نِيَّةٌ مِنْ عُقْدَتِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ لَهُ وَنِيَّةٌ مِنْ حَلْفٍ لَهُ ،
وَتَزَمَّ بِالْوَفَاءِ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْفَلَهُ ؛ عَلَى عَادَةِ أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ بِشُرُوطِهَا وَأَحْكَامِهَا الْمُرَدَّدَةِ ؛
وَأَقْسَامِهَا الْمُؤَكَّدَةِ ؛ بَأَنَ يَبْدُلَ لِهَذَا الْإِمَامِ الْمَفْتَرِضَةَ طَاعَتَهُ الطَّاعَةَ ، وَلَا يُفَارِقَ الْجُمْهُورَ
وَلَا يُظْهِرَ عَنِ الْجَمَاعَةِ انْجِمَاعَهُ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ تُسَخُّ الْإِيمَانَ الْمَكْتُبُ
فِيهَا أَسْمَاءُ مَنْ حَلَفَ عَلَيْهَا مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ بِخُطُوطٍ مِنْ يَكْتُبُ مِنْهُمْ ، وَخُطُوطِ
الْعُدُولِ الثَّقَاتِ عَمَّنْ لَمْ يَكْتُبْ وَأَذْنُوا لِمَنْ يَكْتُبُ عَنْهُمْ ؛ حَسَبَ مَا يَشْهَدُ بِهِ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ ، وَيَتَصَادَقُ عَلَيْهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ بَيْعَةً تَمَّ بِشَيْئَةِ اللَّهِ تَمَامُهَا ،
وَعَمَّ بِالْصَّوْبِ الْعَدَقِ نَحْمَاهَا ؛ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ . وَوَهَبَ
لَنَا الْحَسَنَ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي عَبْدَهُ ، الْوَاقِفِ وَعَدَهُ ، الْمُوَافِقِ لِمَنْ يُضَاعِفُ عَلَى كُلِّ

(١) أَيْ لَمْ يَبَالِ بِهِ وَلَمْ يَكْثُرْ . انْظُرِ الْلسَانَ وَالْقَامُوسَ .

مَوْهَبَةً حَمْدَهُ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمٍ يَرْغَبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَزْدِيادِهَا ، وَيَرْهَبُ إِلَّا أَنْ يَقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِأَمْدَادِهَا ؛ وَيَرَأْبُ بِهَا مَا أَثْرَفِيَا أَثْرَمَالِيكَه (؟) مَا بَانَ مِنْ مُبَايَنَةٍ أَضْدَادِهَا .

نَحْمَدُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةً لَا تَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهَا ، وَلَا تَبْغَلُ بِمَا يُفَوِّقُ السَّهَامَ مِنْ سَدَادِهَا ؛ وَلَا نَظْلُ إِلَّا عَلَى مَا يُوْجِبُ كَثْرَةَ أَعْدَادِهَا ، وَتَيْسِيرَ إِقْرَارِ عَلَى أَوْرَادِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَقَايَسُ دَمُ الشَّهَدَاءِ وَمَدُّ مِدَادِهَا ، وَتَتَنَافَسُ طُرُرُ الشَّيَابِ وَغُرُرُ السَّحَابِ عَلَى أَسْتِمْدَادِهَا ؛ وَتُجَانَسُ رُقُومُهَا الْمَدْيِيسَةُ وَمَا تَلْبَسُهُ الدَّوْلَةُ الْعَبَاسِيَّةُ مِنْ شِعَارِهَا ، وَاللَّيَالَى مِنْ دَنَارِهَا ، وَالْأَعْدَاءُ مِنْ حِدَادِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمَاعَةِ آلِهِ مِنْ سَقَلٍ مِنْ أَبْنَائِهَا وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَجْدَادِهَا ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَكْسَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ مَا كَانَ لِحَدِّهِ ، وَوَهَبَهُ مِنَ الْمُلْكِ السُّلَيْمَانِيَّ عَنْ أَبِيهِ مَا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلَّمَهُ مَنَطِقَ الطَّيْرِ بِمَا تَحْمَلُهُ جَاحِثُ الْبَطَاقِ مِنْ بَدَائِعِ الْبَيَانِ ، وَسَخَّرَ لَهُ مِنَ الْبَرِّ يَدَ عَلَى مِثْوَنِ الْخَيْلِ مَا سَخَّرَ مِنَ الرَّيْحِ لِسُلَيْمَانَ ؛ وَأَتَاهُ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مَا أَمَدَّهُ بِهِ أَبُوهُ سُلَيْمَانُ وَتَصَرَّفَ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْفَخَّارِ مَا أَطَاعَهُ بِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ ؛ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ لِبَاسِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا يَقْضِي لَهُ سَوَادُهُ بِسُودَدِ الْأَجْدَادِ ، وَيَنْقُضُ عَلَى كَلِّ الْهَذَبِ مَا فَضَّلَ عَنْ سُودَاءِ الْقَلْبِ وَسَوَادِ الْبَصَرِ مِنَ السَّوَادِ ؛ وَيَمُدُّ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَلَّ دَارُ مُلْكٍ وَكُلُّ مَدِينَةٍ بَغْدَادُ ؛ وَهُوَ فِي لَيْلِهِ السَّجَّادُ ، وَفِي نَهَارِهِ الْعَسْكَرِيُّ وَفِي كَرَمِهِ جَعْفَرُ الْجَوَادِ يُدِيمُ الْإِبْتِهَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِ ، وَالْإِبْتِهَاجَ بِمَا يُغْنِي كُلَّ عُدُوٍّ بِرِيقِهِ ؛ وَيَبْدَأُ يَوْمَ هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ مِنْ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ ، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ مِمَّا يَتَحَلَّى

به الإمام ، ويُقدِّم التقوى أمامه ، ويُقرن عليها أحكامه ، ويتبع الشرع الشريف
ويقف عنده ويوقف الناس ، ومن لا يجمل أمره طائعاً على العين حمله بالسيف
غضباً على الرأس ، ويعجل أمير المؤمنين بما يشفي به النفوس ، ويُريل به كيد
الشیطان إنه يسوس ، يأخذ بقلوب الرعايا وهو غنى عن هذا ولكن يسوس ،
وأمير المؤمنين يُشهد الله وخليقته عليه أنه أقر كل أمرئ من ولاة الأمور الإسلامية
على حاله ، واستمر به في مقيله تحت كنف ظلاله ، على اختلاف طبقات ولاة
الأمر ، وتفرقهم في الممالك والشعور ، براً وبحراً ، سهلاً ووعراً ، شرقاً وغرباً ،
وبعداً وقرباً ، وكل جليل وحقير ، وقليل وكثير ، وصغير وكبير ، ومليك ومملوك
وأمير ، وجندى يبرق له سيف شهير ، وروح طير ، ومن مع هؤلاء من وزراء وقضاة
وكتّاب ، ومن له يد تبق في إنشاء وتحقيق حساب ، ومن يتحدث في بريد وخراج ،
ومن يحتاج إليه ومن لا يحتاج ، ومن في الدروس والمدارس والربط والزوايا
والخواق ، ومن له أعظم التعلقات وأدنى العلائق ، وسائر أرباب المراتب ،
وأصحاب الرواتب ، ومن له في مال الله رزق مقسوم ، وحق مجهول أو معلوم ،
واستمرار كل أمر على ما هو عليه ، حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه ، فما زاد
تأهيله ، زاد تفضيله ، وإلا فأمير المؤمنين لا يريد سوى وجه الله ، ولا يحايي أحداً
في دين ، ولا يحايي [عن] أحد في حق ، فإن المحاماة في الحق مداواة على المسلمين ،
وكل ما هو مستمر إلى الآن ، مستقر على حكم الله مما فهمه الله له وفهمه سليمان ،
لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه ، معتبر مستمر بما شكر الله على نعمه
وهكذا يجازئ من شكر ، ولا يكدر على أحد مؤرداً نزه الله به نعمه الصافية عن
الكدر ، ولا يتأول في ذلك متأول ولا من بحر النعمة أو كفر ، ولا يتعلل متعلل فإن
أمير المؤمنين يعود بالله ويُعبد أيامه من الغير ، وأمر أمير المؤمنين - أعلى الله أمره -

أَنْ يُعْلَنَ الْخُطْبَاءُ بِذِكْرِهِ وَذِكْرِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْآفَاقِ ، وَأَنْ تُضْرَبَ
بِاسْمِهِمَا الْبُقُودُ الْمُتَعَامَلُ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَيُنْتَهَجَ بِالْبَدْعَاءِ لَهَا عَطْفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَيُصْرَحَ مِنْهُ بِمَا يُشْرِقُ بِهِ وَجْهُ الدَّرْهِمِ وَالْدِّينَارِ ؛ وَتُبَاهَى بِهِ الْمَنَابِرُ وَدَوْرُ الضَّرْبِ :
هَاتِيكَ تَرْفَعُ أَسْمَهُمَا عَلَى أَسْرَةِ مُهَوِّدَهَا ، وَهَذِهِ عَلَى أَسَارِيرِ نُقُودِهَا ؛ وَهَذِهِ تَقَامُ بِسَبَبِهَا
الصَّلَاةُ ، وَتَلْكَ تُدَامُ بِهَا الصَّلَاتُ ؛ وَكِلَاهُمَا تُسْتَأَلُ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَلَا يُلَامُ عَلَى مَا تَعِيهِ
الْآذَانُ وَتُوعِيهِ الْجُيُوبُ ؛ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ تَحْدَقُ بِجَوَارِهِ الْأَحْدَاقُ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ
الْأَعْنَاقُ ؛ وَتُبْلَغُ بِهِ الْمَقَاصِدُ ، وَيَقْوَى بِهِمَا الْمُعَاوِدُ ؛ وَكِلَاهُمَا أَمْرُهُ مَطَاعٌ ، مِنْ غَيْرِ
نَزَاعٍ ، وَإِذَا لَمَعَتْ أَرْزِمَةُ الْخُطْبِ طَارَ لِلذَّهَبِ سُعَاعٌ ؛ وَلَوْلَاهُمَا مَا اجْتَمَعَ جَمْعٌ
وَلَا آفَضَ ، وَلَا عَرَفَ الْأَنَامُ مِنْ تَأْتَمٍّ ؛ فَالْخُطْبُ وَالذَّهَبُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ ، وَبِهِمَا
يَذْكُرُ اللَّهُ قِيَاءَ^(١) الْمَسَاجِدِ ؛ وَلَوْلَا الْأَعْمَالُ ، مَا بُذِلَتِ الْأَمْوَالُ ، وَلَوْلَا الْأَمْوَالُ ، مَا وُلِّيتِ
الْأَعْمَالُ ؛ وَلَاجَلُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ النَّسْبَةِ ، قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ لَهُ السَّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ ؛ وَقَدْ
أَسْمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْجَمْعِ الْمُشْهُودُ مَا يَتَنَاقَلُهُ كُلُّ خَطِيبٍ ، وَيَتَدَاوَلُهُ كُلُّ بَعِيدٍ
وَقَرِيبٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِأَوَامِرٍ وَنَهَى عَنْ نَوَاهٍ وَهُوَ رَقِيبٌ ؛ وَتَسْتَفْزَعُ الْأَوْلِيَاءُ لَهَا
السَّجَايَا ، وَتَتَضَرَّعُ الْخُطْبَاءُ فِيهَا بِنُعُوتِ الْوَصَايَا ؛ وَتَكْتَلُ بِهَا الْمَزَايَا ، وَيَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاعِظُ
وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَشَايخِ الْخَبَايَا مِنَ الزَّوَايَا ؛ وَتَسْمُرُ بِهَا الشُّمَارُ وَيَتَرَنَّمُ الْحَادِي وَالْمَلَّاحُ ،
وَيُرُوقُ شَجْوُهَا فِي اللَّيْلِ الْمُقْمِرِ وَيُرْقَمُ عَلَى جَنْبِ الصَّبَاحِ ؛ وَتُعْطَرُ بِهَا مَكَّةُ بَطْحَاءَهَا
وَتَحْيَا بِحَدِيثِهَا قُبَاهُ ، وَيَلْقَنَهَا كُلُّ أَبٍ فَهَمَّ آئِنُهُ وَيَسْأَلُ كُلُّ أَبْنٍ أَنْ يُجِيبَ أَبَاهُ ؛ وَهُوَ
لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رُشْدٌ وَعَلَيْكُمْ بَيْنُهُ ، وَإِلَيْكُمْ مَا دَنَاكُمْ بِهِ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَلَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ وَلَوْلَا قِيَامُ الرَّعَايَا بِهَا
مَا قِيلَ اللَّهُ أَعْمَالُهَا ، وَلَا أَمْسَكَ بِهَا الْبَحْرُ وَدَحَا الْأَرْضُ وَأَرْسَى جِبَالُهَا ؛ وَلَا آفَضَتْ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي بَعْضِ النُّسخِ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ قِيَامٌ ، أَوْ قَوَامٌ . تَامَلَ .

الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجرأذيالها ، وأخذها دون بني أبيه
ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ؛ وقد كفأكم أمير المؤمنين السؤال بما
فتح لكم من أبواب الأرزاق ، وأسباب الإرتفاق ؛ وأحسن لكم على وفائكم وعلمكم
مكارم الأخلاق ، وأجركم على عوائدكم ولم يمسك خشية الإملاق ؛ ولم يبق على
أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل
بما ينتفع به من يحيى - أطل الله بقاء أمير المؤمنين - من بعده ، ويزيد على كل
من تقدم ، ويقيم فروض الحج والجهاد ، ويقيم الرعايا بعذله الشامل في مهاد ؛
وأمير المؤمنين يقيم على عباده موسم الحج في كل عام ، ويشمل سكان الحرمين
الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ؛ ويجهز السبيل على عايتيه ويرجو أن يعود إلى
حاله الأول في سالف الأيام ، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الراخر ويُرسل إلى
ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام ؛ ويقوم بقومة قبور الأنبياء - صلوات الله
عليهم - أين كانوا وأكثرهم في الشام ؛ والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سنتها ،
وقويم سنتها ؛ وستزيد في أيام أمير المؤمنين بمن أنضم إليه ، وبما يتسلمه من بلاد
الكفار ويسلم على يديه .

وأما الجهاد ، فيكتفى بأجتهد القائم عن أمير المؤمنين بأموره ، المقلد عنه جميع
ما وراء سريره ؛ وأمير المؤمنين قد وكل إليه - خلد الله سلطانه - غناء الأيام ، وقلده
سيفه الرابع بوارقه ليسله واجده على الأعداء [وإلا] سل خياله عليهم في الأحلام ؛
ويؤكد أمير المؤمنين في أرتجاع ماغلب عليه العدا ، وأنتراج [مابا] يديهم من بلاد
الإسلام لأنه حقه وإن طال عليه المدى ؛ وقد قدم الوصية بأن يوالى غزو العدو
المخذول برا وبحرا ، ولا يكف عمن يظفر به منهم قتلا وأسرا ، ولا يفك أغلالا
ولا إصرأ ؛ ولا ينفك يرسل عليهم في البحر غمرانا ، وفي البر من الخيل عقباناً ؛ يحمل

فيهما كل فارس صقرا، ويمحي الممالك ممن يحوز أطرافها بإقدام، ويتخول أكنافها الأقدام؛ وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور، وما يحتاج إليه من آلات القتال، وما يحتاج به الأعداء ويعجز عنه المحتال؛ وأمّهات الممالك التي هي مرابط البؤد، ومرابض الأسود، والجنّاح المدود؛ ويتفقد أحوالهم بالعرض، بما لهم من خيل تعقد [بالعجاج] ما بين السماء والأرض؛ وما لهم من زرد مصون، وبيض مسها ذاتب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون؛ وسيوف قواضب، ورماح لكثرة طعنها من الدماء خواضب، وسهام توأصل القسي وتفارقها فتح حين مفارق وتزجر القوس زجرة مغاضب.

وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها تطيب قلوبكم، وإطالة ذيل التطويل على مطلوبكم؛ وماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حماية إلا ما أباح الشرع المطهر، ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر.

وأما جريئات الأمور، فقد علمتم بأن فيمن تقلد عن أمير المؤمنين غنى عن مثل هذه الذكري، وفتى حق لا يتسغل بطلب شيء فكرا؛ وفي ولادة الأمور، ورعاة الجمهور؛ ومن هو سداد عمله، ومداد أمله، ومراد من هو منكم معشر الرعايا من قبله؛ وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ومن خولكم وأنتم وهم فما منكم إلا من أسترعف أمير المؤمنين وتمشى في مرضى الله على خلقه، وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى في طاعة الله في خلقه؛ وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداء النصيحة، وإبداء الطاعة بسيرة صحيحة؛ وقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رافته، ولزم حكم بيعته؛ وألزم طائره في عنقه، ويستعمل كل منكم في الوفاء ما أصبح به عليا: ((ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)).

هذا قول أمير المؤمنين، وعلى هذا عهد إليه وبه يعهد، وما سوى هذا فهو جُور لا يشهد به عليه ولا يشهد؛ وهو يعمل في ذلك كله ما تُحمد عاقبته من الأعمال، ويحجل منه ما يصلح به الحال والمال؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال، ويستعيد بالله من الإهمال؛ ويختتم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان، ويحمد الله وهو من الخلق «أحمد» وقد آتاه الله مُلك سليمان؛ والله تعالى يمتع أمير المؤمنين بما وهبه، ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر الطويل عقبه؛ ولا يزال على أسرة العلياء قعوده، ولباس الخلافة به أبهة الجلالة كأنه مامات منصوره ولا ردى مهديه ولا ذهب رشيده^(١).

المقصود السادس

(فيما يكتب في آخر البيعة)

إذا آتتهى إلى آخر البيعة، شرع في كتابة الخواتم على ما تقدم، فيكتب :
 «إن شاء الله تعالى» ثم يكتب التاريخ . ثم الذى يقتضيه قياس العهود أنه يكتب
 المستند عن الخليفة فيكتب «بالإذن العالى المولوى الإمامى النبوى المتوكلى -
 مثلاً - أعلاه الله تعالى» وكأن الخليفة الذى عقدت له البيعة هو الذى أذن
 فى كتابتها .

قلت : ولو أسقط المستند فى البيعات فلا حرج بخلاف العهود : لأنها صادرة
 عن مؤل وهو العاهد، فحسن إضافة المستند إليه، بخلاف البيعة فإنها إنما تصدر
 عن أهل الحل والعقد كما تقدم . ويكتفى فى المستند عنهم بكتابة خطوطهم فى آخر

(١) هذه المعاهدة من قلم القاضى الفاضل ليست لابسـة حلل بلاغته ولا متسرلة جلايب فصاحته فهى
 تجربة لم تنفع ومسودة لم تصحح كما أشار إليه ابن ناظر الجيوش فليتبـه .

البيعة كما سيأتي ، ثم بعد كتابة المستند - إن كُتِبَ - تُكْتَبُ الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة ، على ما تقدم في الكلام على القَوَائِمِ والخَوَاتِمِ في مقدمة الكتاب .

ثم يَكْتُبُ مَنْ بَايَعَ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ والعقد والشهود على البيعة .

فأما مَنْ تَوَلَّى عَقْدَ البيعة مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ والعقد فيكتب : « بَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكُتِبَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ » ويدعو في خلال ذلك قبل آسمه بما يناسب : مثل أَنْ يَقَالَ « بَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ قَدَسَ اللَّهُ خِلَافَتَهُ » أو « زَادَ اللَّهُ فِي شَرَفِهِ » أو « زَادَ اللَّهُ فِي أَعْتَلائِهِ » وما أشبه ذلك .

وأما الشهود على البيعة فالواجب أَنْ يَكْتُبَ كُلُّ مَنْهُمْ : « حَضَرْتُ جَرِيَانِ عَقْدَ البيعة المذكورة ، وَكُتِبَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ » كما يكتب الشاهد بِجَرِيَانِ عَقْدِ النكاح ونحوه ، ولا بأس أَنْ يَدْعُوَ فِي رِسْمِ شهادته قبل كتابة آسمه بما يناسب : مثل « قَرَنَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِثْمَنِ أَوْ بِالسَّدَادِ » أو « عَرَّفَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِرَكَّتِهَا » وما أشبه ذلك .

المقصود السابع

(فِي قَطْعِ الْوَرَقِ الَّذِي تُكْتَبُ فِيهِ الْبَيْعَةُ ، وَالْقِلَمِ الَّذِي تُكْتَبُ بِهِ ،

وَكَيْفِيَّةِ كِتَابَتِهَا ، وَصُورَةِ وَضْعِهَا)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْعَاتِ لَمْ تَكُنْ مَتَدَاوِلَةً الْإِسْتِعْمَالِ لِقَلَّةِ وَقُوعِهَا ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا قَطْعُ وَرَقٍ ، وَلَا تَصَوِيرٌ مُتَعَارَفٌ فَيَتَّبَعُ ، وَلَكِنَّهُ يُؤْخَذُ فِيهَا بِالْقِيَاسِ وَعُمُومِ الْأَلْفَاظِ .

فَأَمَّا قَطْعُ وَرَقِهَا ، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَقَادِيرِ قَطْعِ الْوَرَقِ تَقْلًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ فِي كِتَابِ « الْقَلَمِ وَالْدَّوَاةِ » أَنَّ قَطْعَ الْبَغْدَادِيِّ الْكَامِلِ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَمُقْتَضَى

ذلك أن البيعات تُكتب فيه ، وهو قياس ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" من أن للعهود قطع البغدادى الكامل على ماسياتى ذكره .

قلت : لكن سياتى فى الكلام على عهود الخلفاء أنها الآن قد صارت تُكتب فى قطع الشامى الكامل ، وبينهما فى العرض والطول بون كبير على ما تقدم بيانه فى الكلام على قطع الورق ؛ وحينئذ فينبغى أن تكون كتابة البيعات فى قطع الشامى مناسبة لما تُكتب فيه عهود الخلفاء الآن .

وأما القلم الذى يكتب به فبحسب الورق الذى يكتب فيه : فإن كُتبت البيعة فى قطع البغدادى ، كانت الكتابة بقلم مختصر الطوار ، إذ هو المناسب له ؛ وإن كُتبت فى قطع الشامى ، كانت الكتابة بقلم الثلث الثقيل إذ هو المناسب له .

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها ، فقياس ما هو متداول فى كتابة العهود وغيرها ، أنه يتبدأ بكتابة الطرة فى أول الدرج بالقلم الذى تُكتب به البيعة سطورا متلاصقة لا خلوا بينها ، ممتدة فى عرض الدرج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابة فى قطع البغدادى الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة فى عهود الملوك عن الخلفاء على ماسياتى ذكره ؛ ويترك بعد الوصل الذى فيه الطرة ستة أوصال بياضا من غير كتابة : لتصير بوصل الطرة سبعة أوصال ؛ ثم يكتب البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاته تكاد تلحق الوصل الذى فوقه بهامش عريض عن يمينه قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوقه ؛ ثم يكتب تحت البسملة سطرا من أول البيعة ملاصقا لها ؛ ثم يخلى مكان بيت العلامة قدر شبر جريا على قاعدة العهود وإن لم تكن علامة تُكتب ، كما يخلى بيت العلامة فى بعض المكاتبات ولا يكتب فيه شيء ؛ ثم يكتب السطر الثانى تحت بيت العلامة على

سَمَتَ السَّطْرَ الَّذِي تَحْتَ الْبِسْمَةِ فِي بَقِيَّةِ الْوَصْلِ الَّذِي فِيهِ الْبِسْمَةُ ؛ وَيُحَرِّصُ
 أَنْ تَكُونَ نِهَايَةُ السَّجْعَةِ الْأَوَّلِي فِي أَثْنَاءِ السَّطْرِ الْأَوَّلِ أَوِ الثَّانِي ؛ ثُمَّ يَسْتَرْسِلُ فِي كِتَابَةِ
 بَقِيَّةِ الْبَيْعَةِ وَيَجْعَلُ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ قَدْرَ رُبْعِ ذِرَاعٍ بِذِرَاعِ الْقَمَاشِ كَمَا سَيَأْتِي
 فِي الْعُهودِ ؛ وَيَسْتَضِحِبُ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْبَيْعَةِ ، فَإِذَا آتَتْهُ إِلَى آخِرِهَا كَتَبَ
 ”إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى“ ثُمَّ التَّارِيخَ ، ثُمَّ الْمُسْتَنْدَ ، ثُمَّ الْحَمْدَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْحَسْبَةَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الْفَوَاتِحِ وَالْخَوَاتِمِ فِي مَقْدَمَةِ الْكُتَابِ ؛
 ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ بَايَعٍ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ خُطُوطَهُمْ ، ثُمَّ الشُّهُودَ عَلَى الْبَيْعَةِ بَعْدَهُمْ .
 وَإِنْ كَانَتِ الْكِتَابَةُ فِي الْقَطْعِ الشَّامِي ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْقُصَ عَدْدُ أَوْصَالِ الْبَيَاضِ
 الَّذِي بَيْنَ الطَّرَةِ وَالْبِسْمَةِ وَصَلَيْنِ فَتَكُونَ خَمْسَةً ، وَيَنْقُصُ الْهَامِشُ فَيَكُونُ قَدْرَ ثَلَاثَةِ
 أَصَابِعٍ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ قَانُونُ الْكِتَابَةِ .

وهذه صورة وضعه في الورق ممثلاً لها بالطرّة التي أنشأها لذلك ، والبيعة الثانية
 من البيعتين اللتين أنشأتهما

بِياض بأعلى الدرج بقدر أصبع

هذه بَيْعَةٌ مَيُونَةٌ ، بِالْيَمْنِ مَبْتَدَأَةٌ بِالسَّعْدِ مَقْرُونَةٌ ؛ لِمَوْلَانَا السَّيِّدِ الْجَلِيلِ الْإِمَامِ
 النَّبِيِّ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ابْنِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ
 أَبِي الْفَتْحِ أَبِي بَكْرٍ الْعَبَّاسِي : زَادَ اللَّهُ تَعَالَى شَرْفَهُ عَلَوًا ، وَفَخَارَهُ شُمُوعًا . قَامَ بِعَقْدِهَا
 السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَعْظَمُ ، وَالشَّاهَنْشَاهُ الْمُعْظَمُ ، الْمَلِكُ الظَّاهِرُ أَبُو سَعِيدٍ بَرْقُوقَ ،
 خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانَهُ ، وَنَصَرَ جُيُوشَهُ وَأَعْوَانَهُ ؛ يَجْمَعُ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ ،
 وَالْإِعْتِبَارِ وَالنَّقْدِ : مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ ، وَوُجُوهِ النَّاسِ وَالْوُزَرَاءِ وَالصُّلَحَاءِ
 وَالنَّصَحَاءِ ؛ وَإِمَاضَائِهَا عَلَى السَّبَادِ ، وَالتَّجْحُّجِ وَالرِّشَادِ .
 عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ

بياض ستة أوصال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هاش الحمد لله الذي جعلَ بيتَ الخلافةِ مَنَابَهُ للناسِ وأَمَنًا . وأقام

بيت العلامة

تقدير شبر

سُورَ الإمامةِ وَقَايَةً لِلْأَنَامِ وَحِصْنًا ؛ وَشَدَّ مِنْهَا بِالْعَصَابَةِ

تقدير ربع ذراع

الْقُرْشِيَّةَ أَزْرًا وَشَادَ مِنْهَا بِالْعُصْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ رُكْنًا . وَأَغَاثَ

تقدير ربع ذراع

الْخَلْقَ بِإِمَامٍ هُدًى حَسَنٍ سِيرَةٍ وَصَفًا سَرِيرَةٍ فَرَاقَ صُورَةً وَرَقًّا مَعْنَى .

ثم يأتى على الكلام إلى آخر البيعة على هذا النمط إلى أن ينتهى إلى

قوله : والله تعالى يجعلُ أُنْتَقالهم من أدنى إلى أعلى ومن يُسرى إلى يميني ،

ويحقق لهم بمن أستخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ هاش

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا .

إن شاء الله تعالى

كتب في الثاني من جمادى الأولى شلا

سنة إحدى وتسعين وسبعائة

بالإذن العالی المولوی الإمامی النبوی المتوکل شلا

أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

بايعته على ذلك	بايعته على ذلك	بايعته على ذلك
زاد الله تعالى في أعنائه	زاد الله تعالى في شرفه	قدس الله تعالى خلافته
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

صورة خط المايين
للخليفة من أهل الحل والمقد

حضرت	حضرت	حضرت
جریان عقد	جریان عقد	جریان عقد
البيعة المذكورة	البيعة المذكورة	البيعة المذكورة
عَرَفَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ	قَرَنَهَا اللهُ تَعَالَى	قَرَنَهَا اللهُ تَعَالَى
بَرَكْتَهَا	بِالسَّادَاتِ	بِالْأَيْمَنِ وَالْبَرَكَةِ
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

ورد
في
الخط
الذي
هو

النوع الثاني

(من البيعات ، بيعات الملوك)

وأعلم أن المقرَّ الشَّهابيَّ بنَ فضل الله قد ذكر في "التعريف" : أَنَّ مَنْ قام من الملوك بغير عهد من قبله لم تجر العادةُ بأن تُكتبَ لهم مبايعةٌ ؛ وكأنَّه يريد اصطلاحَ بلاد المَشْرِقِ والديارِ المِصْرية ؛ أما بلادُ المغرب فقد جرت عادةُ مصطلحهم بكتابة البيعات للملوكهم ، وذلك أنه ليس عندهم خليفةٌ يَدِينُونَ له ، يتقلَّدون المُلْكَ بالعهد منه . بل جُلُهم أو كلُّهم يدَّعي الخلافةَ فهم يكتبون البيعات لهذا المعنى .

وهذه نسخةُ بيعةٍ من هذا النوع ، كُتِبَ بها للسلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي الحجاج بن نصر بن الأحمر الأنصاري ، صاحب حمراء غرناطة من الأندلس ، مفتحةٌ بخطبةٍ على قاعدتهم في بيعات الخلفاء على ما تقدَّم ذكره ؛ وربما تكرر الحمد فيها دلالةً على عِظَمِ النعمة . من إنشاء الوزير أبي عبد الله محمد بن الخطيب صاحب ديوان إنشائه ، على ما رأيته في ديوان ترسله ، وهي :

الحمد لله الذى جلّ شأنه ، وعزّ سلطاناً ، وأقام على ربوبيّته الواجبة فى كلّ شيء خلقه برهاناً ، الواجب الوجود ضرورةً إذ كان وجود ماسواه إمكاناً ؛ الحى القيوم حياةً أبديةً سرمديّةً منزّهة عن الابتداء وال انتهاء [فلا تعرّف وقتاً ولا تستدعى زماناً ؛ العليم الذى يعلم السرّ وأخفى ^(١)] فلا يعزّب عن علمه مثقال ذرّة فى الأرض ولا فى السماء إلّا أحاط بها علماً وأدركها عياناً ؛ القدير الذى ألقت الموجودات كلّها إلى عظّمته يد الخضوع استسلاماً له وإذعاناً . المرید الذى بمشيئته تصرف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، فإن منع منع عدلاً وإن منع منح إحساناً ؛ شهيد تداوّل الملوك بدوام ملكه ودلّ حدوث ماسواه على قدمه ، وأنتت ألسنة الحى والجماد على مواهبه وقسمه ، وفاض على عوالم السماء والأرض بحر جوده العميم النوال من قبل السؤال وكرمه ، وإن من شيء إلّا يسبح بحمده ويثنى على نعمه سرا وإعلاناً . فهو الله الذى لا إله إلّا هو ليس فى الوجود إلّا فعله ، إلّا له الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر كلّهُ ، وسع الأكوان على تباينها فضله ، وقدر المواهب والمقاسم عدله ، منعا ومنحا وزيادة ونقصانا .

والحمد لله الذى بيده الإختراع والإنشاء ، مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، سبق فى مكنون غيبه القضاء ، وخفيت عن خلقه الأسباب وعميت عليهم الأنباء ، وعجزت عقولهم أن تدرك منها كنهها أو تكشف منها بَياناً .

والحمد لله الذى رفع قبة السماء ما اتّخذ لها عمّاداً ، وجعل الأرض فراشاً ومهاداً ، وخلق الجبال الراسية أوتاداً ؛ وربّ أوضاعها أجناساً متفاضلة ، وأنواعاً متباينة متقابلة : حيواناً ونباتاً وجماداً ؛ وأقام فيها على حكمة الإبداع دلائل باهرة الشعاع

(١) الزيادة من ربحانة الخطاب لأبن الخطيب (ص ٤٨ ج ١) .

وأشهادا ، وجعل الليل والنهار خِلْفَةً والشمس والقمر حُسبانا . وقدّر السياسة
سياجا لعالم الإنسان يَضُمُّ منه ما اَنْتَشَرَ ، وَيَطْوِي من تعدّيه ما نشر ، ويَحْمِلُهُ على
الآداب التي تُرِشِدُهُ إذا ضَلَّ وتُقيمه إذا عَثَرَ ، وتجبرُهُ على أن يلتزم السنن ويتَّبِعَ
الأثر ، لُطْفًا منه شَمِلَ البَشَر وَحَنَانًا .

ولما عَمَرَ الأرض بهذا الجنس الذي فضّله وشرّفه ، وهبَ له العقل الذي تفكّر
به في حكمته حتّى عرّفه ، وبما يجبُ لرؤيائه الواجبة وصفه ، جعلهم درجاتٍ
بعضها فوق بعض فقرا وغنى وطاعة وعصيانا . واختار منهم سَفَرَةَ الوحي وحَمَلَةَ
الآيات ، وأرسل فيهم الرُّسل بالمعجزات ، وعرّفهم بما كَفَّفَهم من الأعمال
المفترضات : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .
يومَ اعتبار الأعمالِ وأَعتبار الحَسَنات ، ونَصَبَ العدلَ والمُجازاةَ في يومِ العَرْضِ عليه
قِسْطًا ومِيزَانًا .

نَحْمَدُهُ وله الحمدُ في الأولى والآخرة ، ونُثْنِي على مَوَاهِبِهِ الجَمَّةِ وآلائِهِ الوافرة ،
ونُتَمِّدُ يدَ الصُّراعة ، في مَوْقِفِ الرِّجاء والطَّاعة ، إلى المَزِيدِ من مِنَّتهِ الهامِيَةِ الهامِرَةِ ،
ونسأله دَوَامَ لُطْفِهِ الخَافِيَةِ وعِصْمَةِ الظَّاهِرَةِ ، وأَتَصَالُ نِعْمِهِ التي لا تَزَالُ تَتَعَرَّفُهَا
مُتْنِي وُوحْدَانًا . ونشهدُ أَنَّهُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ . [شَهِادَةُ
نِجْدُهَا في المَعَادِ عُدَّةٌ وَاقِيه ، ووسيلةٌ للأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِليه رَاقِيه ، وذخيرةٌ صَالِحَةٌ
بَاقِيه ، ونُورًا يَسْعَى بين أَيْدِينَا وَيَكُونُ على الرِّضَا والقَبُولِ فينا عُنْوَانًا ^(١)] . ونشهدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا النَّبِيَّ الْعَرَبِيَّ الْقُرْشِيَّ الْهَاشِمِيَّ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَصْطَفَاهُ
وَأَخْتَارَهُ ، وَرَفَعَ بين النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ مِقْدَارَهُ ، وَطَهَّرَ قَلْبَهُ وَقَدَّسَ أَسْرَارَهُ ، وَبَلَّغَهُ

من رِضاهُ أَخْيَارَهُ ، وأَعْطاهُ لِيَوَاءِ الشَّفَاعَةِ يَقْفُو آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ
 آثَارَهُ ، وجَعَلَهُ أَقْرَبَ الرُّسُلِ مَكَانَةً وَأَرْفَعَهُمْ مَكَانًا . رَسُولُ الرَّحْمَةِ ، وَنُورُ الظُّلُمَةِ ،
 وَإِمَامُ الرُّسُلِ الْأَيُّمِّه ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَرْيَةِ السَّبْقِ وَمَرْيَةِ التَّيَمِّه ؛ وجَعَلَ طَاعَتَهُ
 مِنَ الْعَذَابِ الْمُقِيمِ أَمَانًا . صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي تَوْمَلُ ، وَالْوَسِيلَةِ الَّتِي إِلَى اللَّهِ بِهَا
 يُتَوَسَّلُ ، وَالدرَجَةِ الَّتِي لَمْ يُؤْتَهَا الْمَلَكُ الْمُقَرَّبُ وَلَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، وَالرَّبِّيَّةُ الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا
 اللَّهُ سِوَاهُ إِنْسَانًا . انْتَجَبَهُ مِنْ أَشْرَفِ الْعَرَبِ أُمًّا وَأَبَا ، وَأَزَكَى الْبَرِيَّةِ طِينَةً وَأَرْفَعَهَا
 نَسَبًا ، وَابْتَعَنَهُ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ عَجْمًا وَعَرَبًا ، وَمَلَأَ بُنُورَ دَعْوَتِهِ الْبَسِيطَةَ جَنُوبًا وَشَمَالًا
 وَمَشْرِقًا وَمَغْرِبًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الَّذِي آمَنْتَ بِهِ الْخُنَّ لِمَا سَمِعْتَهُ وَقَالُوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا
 قُرْآنًا عَجَبًا ۝ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَبَيَّنَا ۝ فَصَدَعَ صَلَى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ مِنْ آخِثَارِ ذَاتِهِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْطَفَاهَا ، وَأَدَّى أَمَانَةَ اللَّهِ وَوَفَّاهَا ،
 وَرَأَى الْخَلَائِقَ عَلَى شَفَى الْمَتَأَلِّفِ فَتَلَّاهَا ، وَتَبَعَ أَدْوَاءَ الضَّلَالِ فَشَفَّاهَا ، وَحَمَّ مَعَالِمَ
 الْجَهْلِ وَعَقَّاهَا ، وَشَادَ لِلْخَلْقِ فِي الْحَقِّ بُنْيَانًا . مُؤَيِّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي حُجِّجُهَا تُقْبَلُ
 وَتُسَلَّمُ : فَمَنْ جَدَّعَ لِفِرَاقِهِ يَتَأَلَّمُ ، وَجَمَادٍ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ يَتَكَلَّمُ ، وَجَبِشَ شَكَا الظُّمَأِ
 فَفَجَّرَ لَدَيْهِ الْمَعِينِ مِنْهُ بَنَانًا . وَأَيُّ مُعْجِزَةٍ كَكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ ،
 فَهُوَ أَلِيمٌ وَالْعُلُومُ النَّافِعَةُ كُلُّهَا مَذَانُهُ ، وَأَفْقُ الْحَقِّ الَّذِي تَهْدِي فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 كَوَاكِبُهُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فُرْقَانًا . فَاشْرَقَتْ الْأَرْضُ
 بِنُورِ رَبِّهَا وَآيَاتِهِ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا يُبَدَّلُ لِكَلِمَاتِهِ ، وَبَلَغَ مُلْكُ أُمَّتِهِ
 مَا زَوَى لَهُ مِنْ أَقْطَارِ الْمَعْمُورِ وَجِهَاتِهِ ، حَتَّى عَمَرَ مِنْ أَكْثَافِ الْبَسِيطَةِ ، وَأَرِيفِ
 الْبَحَارِ الْمَحِيطَةِ ، وَهَادَا وَكُنْثَانًا . وَنَقَلَتْ كُنُوزَ كَسْرَى بِعِزِّ دَعْوَتِهِ الْغَالِبَةِ ، وَظَفِرَتْ
 بِفَلَجِ الْخِصَامِ أَيْدَى عِزَائِمِهَا الْمُطَالِبَةِ ، وَأَصْبَحَ إِيوَانُ فَارَسَ مَجَرِّ رِمَاحِ الْعَرَبِ
 الْعَارِبَةِ ، وَقَدَفَتْ جُنُودَ قَيْصَرَ مِنْ ذَوَائِلِهَا بِالشُّهْبِ الثَّاقِبَةِ ، حَتَّى قَرَعَ عَنْ مَدَرَتِهِ الطَّيْبَةِ

أُتِيَ بالصفقة الخائبة، وخلصت إلى فسطاط مصر بكائبها المتعاقبه، فلا تسمع
الآذانب في إقامتهم إلا إقامة وأذانا. ولا دليل أظهر من هذا القطر الأندلسي
للغريب الذي خلصت إليه سيوفها أثباح البحار، على بُعد المراحل ونزوح الديار،
وتكاثف العمالات واختلاف الأمصار، ومُنْقَطَعِ العِمارة بأقصى الشمال ومحط السفار،
طلعت عليه كلمة الله طُلُوعَ النهار، وأستوطنته قبائل العرب الأحرار، وأرغمت فيه
أنوف الكفار، ضراباً في سبيل الله وطعانا.

ولما استقام الدين، وتم معالم الإيمان الرسول الأمين، وظهر الحق المبين،
وراق من وجه الملة الخفيفة السمحة الجين، وأخذ المسالك والمآخذ الإفصاح
والتبيين، وتقررت المستندات المعتمدات سنة وقرآنا، أشعره الوحي بالرحلة
عن هذه الدار، والانتقال إلى محل الكرامة ودار القرار، وخيره الملك فاختار الرفيق
الأعلى موقفاً إلى كرم الاختيار، [و] وجد صحبه رضى الله عنهم في الاستخلاف بعده
والإيثار مجباً مشرقة الأنوار، أطلقت بالحق يداً وأنطقت بالصدق لسانا.
صلى الله عليه وعلى آله وصحابه، وأسرته الطاهرة وعصابته، وأنصاره وأصهاره
وقرآته، الذين كانوا في معاضدته إخوانا، وعلى إعلاء إمرة الحق أعوانا. نجوم
الملة وأقمارها، وغيوثها الهامية وبحارها، وسيوف الله التي لا تنبوشقارها، وأعلام
الهدى التي لا تبلى آثارها، ودعائم الدين التي رفعت منه على البر والتقوى أركاناً.

وحيا الله وجوه حتى الأنصار بالنعيم والنضرة، أولى البأس عند الحفيظة والعفو
عند القدره، الراضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ويذهبوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فنعمت المنقبة والأثره، الحائزون ببيعة الرضوان فضلاً من الله ورضوانا.
ووزارؤه وظهراؤه في كل أمر، وخالصته يوم أحد وبدر، لم يزالوا صيدراً في كل

قَلْبَ وَقَلْبًا فِي كُلِّ صَدْرٍ ، يَصَلُّونَ دُونَهُ كُلِّ جَمْرٍ ، وَيَفْدُونَهُ بِنُفُوسِهِمْ فِي كُلِّ سِرٍّ
وَجَهْرٍ ، وَيَعْمَلُونَ فِي إِعْلَاءِ دِينِهِ بِيَضًا عِضَابًا وَشُمْرًا لِدَانَا . صَلَاةٌ لَا تَزَالُ سَحَائِبُهَا
تُرَاهُ ، وَنَحِيَّةٌ دَائِمَةٌ مُسْتِمِرَّةٌ ، مَا لَهَجَتْ الْأَلْسُنُ بِثَنَائِهِمْ ، وَوَقَفَتْ الْمَفَاحِرُ عَلَى عِلْيَانِهِمْ ،
وَتَعَلَّمَتِ الْمَوَاهِبُ مِنْ آلَائِهِمْ ، وَقَصُرَتِ الْحَمَامِدُ عَلَى مُسَمِّيَاتِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ ، وَكَانَ
حُبُّهُمْ عَلَى الْفُوزِ بِالْجَنَّةِ صَمَانًا .

وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ لِهَذَا الْأَمْرِ النَّصِيرِي الَّذِي سَبَبَهُ بِسَبَبِهِمْ مُؤْصُولٌ ، وَهُمْ لِقُرُوعِهِ
السَّامِيَةِ أَصُولٌ ، فَيَا هَذَا مِنْ نُصُولِ خَلْقَتِهَا نُصُولٌ ، أَنْجَزَتْ وَعْدَ النُّصْرَةِ وَهُوَ نَمَطُولٌ ،
وَأَحْيَتْ رُبُوعَ الْإِيمَانِ وَهِيَ طُلُولٌ ، نَصْرًا عَزِيزًا وَقَتَحًا مَبِينًا ، وَتَأْيِيدًا عَلَى أَعْدَائِكَ
وَتَمَكِينًا ، وَمُلْكًا يَبْقَى فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ وَسُلْطَانًا . وَأَعِنَّا اللَّهُمَّ عَلَى
مَا أَوْجِبَتْ لَهُ مِنْ مَفْرُوضِ الطَّاعَةِ ، وَتَادِيَةِ الْحَقِّ بِجَهْدِ الْإِسْتِطَاعَةِ ، وَأَعِصْمْنَا
بِلِيَالَتِهِ الْعَادِلَةِ مِنَ الْإِضَاعَةِ ، وَآحِلْنَا مِنْ مَرْضَاتِهِ عَلَى سَنَنِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَاجْعَلْهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَآخِزْنَا وَآرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ .

أَمَّا بَعْدَ مَا أَفْتَتَحَ بِهِ مِنْ تَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ ، وَالشَّاءِ الَّذِي تَتَعَطَّرُ الْأَنْدِيَّةُ بِتَرْيْدِهِ ؛
فَإِنَّ مِنَ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْوُجُودُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَالْمَعْلُومِ الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ ضَلَّ
مِنْ يُنْكِرُهُ أَوْ يَنْجَحِدُهُ ، وَالذَّائِعِ بِكُلِّ قُطْرٍ تَرْوِيهِ رُؤَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُسْنِدُهُ ؛ مَا عَلَيْهِ هَذَا
الْمُلْكُ النَّصِيرِيُّ الْحَمِيُّ ، الْأَنْصَارِيُّ الْمُتَمَتِّعُ ؛ الَّذِي يُصِيبُ شَاكِلَةَ الْحَقِّ إِذَا رَمَى ،
وَيَعْمُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ غَيْثُهُ مَهْمَا هَمَى ؛ مِنْ أَصَالَةِ الْأَعْرَاقِ ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ؛
وَالْفَضْلِ الْبَاهِرِ الْإِشْرَاقِ ، وَالْجِهَادِ الَّذِي هُوَ سَمَرُ الرُّكْبِ وَحَدِيثُ الرَّفَاقِ ؛ وَأَنَّ قَوْمَهُ
الْمُلُوكَ الْكَرَامَ إِنْ قُوِّحُوا بِنَسَبٍ ذَكَرُوا سَعْدَ بَنِ عُبَادَةَ وَمَجْدَهُ ، أَوْ كُوِّثُوا بِعَدَدٍ غَلَبُوا
بِاللَّهِ وَحَدَهُ ، أَوْ اسْتَنْصَرُوا فَتَجَّوَّا كُلَّ شِدَّةٍ ، وَاسْتَظْهَرُوا مِنْ [عِزِّهِمْ] ^(١) الْمَوْهُوبِ ،

وَصَبَرَهُمْ عَلَى الْخُطُوبِ ، بِكُلِّ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ ؛ دَارَهُمُ النَّغْرُ الْأَقْصَى وَنِعْمَتِ الدَّارِ ،
وَشِعَارُهُمْ « لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ » وَنِعَمَ الشَّعَارِ ؛ زُهَادٌ إِذَا ذُكِرَ الدِّينُ ، أَسْوَدٌ إِذَا حَمِيَتْ
الْمَيَادِينُ ؛ جَبَالٌ إِذَا زَحَفَتِ الصُّفُوفُ ، بُدُورٌ إِذَا أَظْلَمَتِ الرُّجُوفُ ؛ غِيُوثٌ إِذَا
مُنِعَ الْمَعْرُوفُ ، أَفْرَادٌ إِذَا ذُكِرَتِ الْأُلُوفُ ؛ إِنْ بُوِيَعُوا فَلَمْلَاكَةٌ وَفُودٌ [وَحَمَلَةُ الْعِلْمِ]^(١)
وَحَمَلَةُ السَّلَاحِ شُهُودٌ ؛ وَإِنْ وَلَدُوا فَالْسُيُوفُ تَمَاضٍ وَالسُّرُجُ مُهُودٌ ، وَإِنْ أَفْخَرُوا
لِلْعُدُوِّ فَالظُّلَالُ بُنُودٌ ، وَجُنُودُ السَّبْعِ الطَّبَاقِ جُنُودٌ ، وَإِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَسْهَرُوا جُفُوفَهُمْ
فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْجُفُوفُ رُقُودٌ .

وإِنَّ هَذَا الْقَطَرَ الَّذِي آتَيْتُهُ سَيْلُ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ إِلَى نَاحِيَّتِهِ ، وَأُجِيلَتْ قِدَاحُ
الْفُوزِ بِالْدَّعْوَةِ الْخَفِيفَةِ عَلَى الْأَفْطَارِ فَأَخَذَ الْإِسْلَامُ بِنَاصِيَّتِهِ ؛ كَانَ مِنْ فَتْحِهِ الْأَوَّلِ
مَا قَدْ عَلِمَ ، حَسَبَ مَا سَطَّرَ وَرَسَمَ ؛ وَإِنَّ مُوسَى بْنَ نَصِيرٍ وَقَتَاهُ ، حَلَّ مِنْ فُرْضَةٍ بِمَجَازِهِ
مَحَلَّ مُوسَى وَقَتَاهُ ؛ وَحَلَّ الْإِسْلَامُ مِنْهُ دَارَ قَرَارٍ ، وَخِطَّةَ خَلِيقَةٍ بَارْتِيَادٍ وَأَخْتِيَارٍ ؛
وَبَلَدًا لَا يُحْصَى خَيْرُهُ ، وَلَا يَفْضُلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمِزْيَةِ مَا عَادَا الْحَرَمَيْنِ غَيْرُهُ ؛ وَأَمْتَدَّتْ
الْأَيَّامُ حَتَّى تَأْتِيَ الْعُدُوُّ لِرَوْعَتِهِ ، وَخَفَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ صَرَعَتِهِ ؛ وَقَدَحَ فَاوُورِي ،
وَأَعْضَلَ دَاوَاهُ وَأَسْتَشْرَى ، وَصَارَتِ الصُّغُرَى الَّتِي كَانَتْ الْكُبْرَى ؛ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَمَدَ
الدِّينِ مِنْهُمْ بِالْعُمْدَةِ الْوَثِيقَةِ ، حُمَاةَ الْحَقِيقَةِ ، وَأُئِمَّةَ الْخَلِيقَةِ ، وَسُلَالَةَ مَفْتِيحِ الْيَمَامَةِ
وَمَفْتِيحِ الْحَدِيقَةِ ، لِأَجْهَازِ النَّصْلِ ، وَأَجْنُثَ مِنَ الدِّينِ الْفَرْعُ وَالْأَصْلُ ؛ لَكُنْهُمْ
أَتَدْبُوا إِلَى إِمْسَاكِ الدِّينِ بِهَا أَيْتِدَابًا ، وَوَصَلُوا لِلْإِسْلَامِ أَسْبَابًا ؛ وَتَنَاقَلَهَا مِنْهُمْ صَقَرُ
قَيْسِلِ الْخَزَرْجِ ، ذُو الْحُسَامِ الْمُضَرَّجِ ، وَالنَّاءِ الْمَوْجَّجِ ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَالِبُ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ
أَبْنِ يُوسُفَ بْنِ نَصْرٍ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، الْمُنْتَدَبُ لِإِقَامَةِ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، قُدُوةُ الْمُلُوكِ
الْمُجَاهِدِينَ : نَصَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَتَقَبَّلَ جِهَادَهُ ، وَشَكَرَ دِفَاعَهُ عَنْ حُوزَةِ الْإِسْلَامِ

[وَجَلَادَهُ ؛ فَاقْشَعَتِ الظُّلُمَةُ ، وَتَمَسَّكَتِ الْأُمَّةُ ؛ وَكَفَّ الْعَدُوُّ وَأَقْصَرَ ، وَرَأَى
الإِسْلَامُ بَيْنَ أَسْتَنْصَرٍ ، وَأَسْتَبْصَرَ فِي الطَّاعَةِ ^(١) مِنْ أَسْتَبْصَرَ ؛ وَهَبَّتْ بَنَصِرُ اللَّهِ
الْعَزَائِمَ ، وَكَثُرَتْ عَلَى الْعَدُوِّ الْمَهْزَائِمَ ؛ وَتَوَارَتْ مُدَّكُمَا وَلَدَا عَنْ أَبِ ، مُسْتَنْدِينَ
إِلَى عَدْلٍ وَبَذَلٍ وَبَسَالَةٍ وَجَلَالَةٍ وَحَسَبٍ ؛ تَتَضَحَّى فِي أَفْقِ الْجَلَالِ نَجُومُ سِيرِهِمْ هَادِيَةً
لِلسَّائِرِينَ ، وَتَفَرِّقُ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ فِي اللَّهِ أَسْوَدُ الْعَرِينِ ؛ إِلَى أَنْ قَامَ بِالْأَمْرِ وَسْطَى
سِلْكِهِمْ ، وَبَرَكَتُهُ مُلْكُهُمْ ؛ الْخَلِيفَةُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةُ بِالْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ ، الشَّهِيرُ
الْجَلَالَةُ وَالْبَسَالَةُ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ بِوَاجِبِ الْحَقِّ ؛ سَاحِبُ أَذْيَالِ
الْعَقَافِ وَالطَّهَارَةِ ، السَّعِيدُ الْإِيَالَةَ وَالْإِمَارَةَ ، الْبَعِيدُ الْغَارَةَ ؛ مَنْ دُعِيَ الْعَدُوُّ لِبَاسِ
حُسَامِهِ ، وَذُخِرَ الْفَتْحُ الْهَنِيءُ لِأَيَّامِهِ ؛ صَدْرُ الْمُلُوكِ الْمَجَاهِدِينَ ، وَكَبِيرُ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ ،
الْبَعِيدُ الْمَدَى فِي حِمَايَةِ الدِّينِ ؛ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ ، أَبُو الْوَلِيدِ ، ابْنُ الْمُؤَلَّى الْهَامِ الْأَوْحَدِ ،
الرَّفِيعُ الْمَجْدُ ؛ الظَّاهِرُ الظَّاهِرِ الْأَعْلَى ، الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ الْجَلِيلُ الْمُقَدَّسُ الْأَرْضِي ؛
« أَبِي سَعِيدٍ » بَنُ أَبِي الْوَلِيدِ ، بَنُ نَصْرٍ . فَأَحْيَا رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَالِمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ،
وَجَلَّى بُنُورَ عَدْلِهِ غِيَاظَ الدُّجْنَةِ ؛ وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَحَمَاهُ ، وَرَمَى ثَغْرَةَ الْكُفْرِ فَأَضْمَاهُ ؛
قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ الطَّيِّبَ ، وَسَقَى لِحَدَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الْغَمَامَ الصَّيِّبَ ؛ وَأَوْرَثَ الْمُلُوكَ
الْجِهَادِيَّ مِنْ وَلَدِهِ خَيْرَ مَلِكٍ قُبِلَتْ مِنْهُ كَفِّ ، وَأَسْتَدَارَ بِهِ مَوْكِبُ الْجِهَادِ مُلْتَفٍّ ؛
وَشَمَخَ بِخِدْمَتِهِ أَنْفَ ، وَسَمَا إِلَى مَشَاهِدَتِهِ طَرْفَ ؛ وَتَأَرَّجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَرَفَ ، وَجَرَى
إِلَى بَابِهِ حَرْفَ ؛ مَوْلَانَا الْمَلِكُ الْهَامُ ، الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ ؛ مِنْ أَشْرَقَ بُنُورُ إِيَالَتِهِ الْإِسْلَامَ ،
وَتَشَرَّفَتْ بِوُجُودِهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ؛ بِدُرِّ الْمُلُوكِ وَشَمْسِهِ ، وَسِرِّ الزَّمَانِ الَّذِي قَصُرَ عَنْ
يَوْمِهِ أَمْسُهُ ؛ الَّذِي أَشْتَهَرَ عَدْلُهُ ، وَبَهَرَ فَضْلُهُ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِنَايَةُ رَبِّهِ ، وَكَانَ
الْخُضُوعُ لَهُ فِي سَلْمِهِ وَحَرْبِهِ ؛ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُدُوةُ الْمُلُوكِ الْمَجَاهِدِينَ وَالْأُمَّةِ

العارفين ؛ السعيد ، الشهيد ، الطاهر ، الظاهر ؛ الأوحى الهمام ، الخليفة الإمام
(أبو المجاج) رفع الله درجته في أوليائه ، وحشره مع الذين أنعم عليهم من أنبيائه
وشهادته ؛ فوضعت المسالك وبانت ، وأشرق المعاهد وأزدانت ؛ وشمل الصنع
الإلهي واللطف الخفي أقطار هذه الأمة حيث كانت . ولما اختار الله له
ما عنده ، وبلغ الأمد الذي قدره سبحانه حياته وحده ؛ وقبضه إليه مستغفرا لذنبه ،
مطمئنا في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه ؛ كانما تأهب للشهادة
[فاختار] مكانها وزمانها ، وطهر بالصوم نفسه التي كرم الله شأنها ، وطيب روحها
وريحانها ؛ ف وقعت آراء أرباب الشورى التي تصح الإمامة باتفاقها ، وتتعدد بعقد
ميثاقها : من أعلام العلم بقاعدة [ملكه] غرناطة حرمها الله تعالى التي غيرها لها تبع ،
ومحاة الإسلام الذين في آرائهم للدين والدنيا متفع ؛ وخلصان الثقات ، ووجوه
الطبقات ، على مبايعة وارث ملكه بحقه ، الحائز في ميدان الكمال وإحراز مال الإمامة
من الشروط وإللال خصل سبقه ؛ كبير ولده ، وسابق أمده ؛ ووارث ملكه ،
ووسطى سلوكه ؛ وعماد قسطاطه ، وبذر الهالة من بساطه ؛ مولانا قمر العلياء ، ودرة
الخلفاء ، وفرع الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ؛ الذي ظهرت عليه مخايل
الملك ناشئا ووليدا ، واستشعرت الأقطار به وهو في المهد أمانا وتمهيدا ؛ واستشرف
الدين الحنيف فأطلع جيدا ، واستأنف شبابا جديدا ؛ ناصر الحق ، وغياث الخلق ؛
الذي تميز بالسكينة والوقار ، والحياء المنسدل الأستار ، والبسالة المرهوبة الشفار ؛
والجود المنسكب الأمطار ، والعدل المشرق الأنوار ؛ وجمع الله فيه شروط الملك
والإختيار ، مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ؛ السلطان الفاضل ، والإمام العادل ؛ والهمام
الباسل ، الكريم الشامل ؛ شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ؛ أمير المسلمين ،
وقوة أعين المؤمنين ، أبو عبد الله : وصل الله أسباب سعده ، كما حلّ أجياد

المنابر بالدعاء تجده ؛ وجعل جنود السماء من جنده ، ونصره بنصره العزيز في النصر
إلا من عنده ؛ ورأوا أن قد ظفرت بالعروة الوثقى أيديهم ، وأمن في ظل الله
رائحهم وغاديتهم ، ودلت على حسن الخواص مباديتهم ؛ فتبادروا وآثالوا ، وتبخثوا
في ملايس الأمن واختالوا ؛ وهبوا إلى بيعته تطيرهم أجنحة السرور ، ويعلن
انطلاق وجوههم بانسراح الصدور ؛ واجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور :
ما بين الشريف والمشروف ، والرؤساء أولى المنصب المعروف ؛ وحمة العلم وحمة
السيف ، والأمناء ومن لديهم من الألوف ، وسائر الكافة أولى البدار لمثلها
والخفوف ؛ ففقدوا له البيعة الوثيقة الأساس ، السعيدة بفضل الله على الناس ،
البرى عهدا من الارتياح والائتياس ؛ الحائرة شروط الكمال ، الماحية بنور البيان
ظلم الإشكال ؛ الضميمة حسن العقبى ونجح المال ، على ما يوسع عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن له من الصحابة والآل ؛ وعلى السمع والطاعة ، وملازمة
السنة والجماعة ؛ فايدهم في السلم والحرب ردة ليد ، وطاعتهم إليه خالصة في يومه
وعده ؛ وأهواؤهم متفقة في حالي الشدة والرخاء ، وعقودهم محفوظة على تدابير السراء
والضراء ؛ أشهدوا عليها الله وكفى بالله شهيدا ، وأعطوا صفقات أيمانهم تثبيتا للوفاء
بها وتأكيذا ، وجعلوا منها في أغناقهم ميثاقا وثيقا وعهدا شديدا ؛ والله عز وجل
يقول : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . ومن أصدق من الله وعدا أو وعيدا . وهم قد بسطوا أيديهم
يستزكون رحمة الله بالإخلاص والإتابة ، وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالدعاء
ووعدهم بالإجابة ؛ يسألونه خير ما يقضيه ، والسير على ما يرضيه .

اللهم بآبك عند تقلب الأحوال عرفنا ، ومن بحر نعمك العميمة آغترفنا ،
وعفوك ستر من عيوبنا كل ما آجرتنا وأقترنا ؛ ومن فضلك أغثتنا ، وبعينك التي

لَا تَأْتُمْ حَرَسَتْنَا وَحَمَيْتَنَا [فَانْصُرْ حَيَّنَا وَآرَحِمْ مَيَّتَنَا^(١)] وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَنَا؛ وَاجْعَلْ لَنَا الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِيمَا إِلَيْهِ هَدَيْتَنَا .

اللَّهُمَّ إِنْ قَطَرْنَا مِنْ مَادَّةِ الْإِسْلَامِ بَعِيدَ ، وَقَدْ أَحْدَقَ بِنَا بِحَرْزِ زَاخِرٍ وَتَدْوٍ شَدِيدٍ ، وَفِينَا أَيْمٌ وَضَعِيفٌ وَهَرِمٌ وَوَيْدٌ [وَأَنْتَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عَبِيدُ .

اللَّهُمَّ مَنْ بَايَعْنَا فِي هَذَا الْعَقْدِ^(١) فَأَسْعِدْنَا بِمُبَايَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَكَنْ لَهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ اسْتِنْفَادِ جُهِدِهِ فِي التَّحْقِظِ وَاسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَكُفِّ عَنْهُ كَفٌّ عَدُوِّكَ وَعَدُوَّهُ كُلُّهَا هَبَّتْ بِهِ رِيَّاحُ طَاعَتِهِ ؛ يَا مَنْ يُفَرِّدُ الْعَبْدَ بِضِرَاعَتِهِ ، وَيُعَوِّذُ بِحِفْظِهِ مِنْ إِضَاعَتِهِ .

اللَّهُمَّ أَدْعِنَا حَقَّهُ فَإِنَّا لَا نَقْوَى عَلَى إِدَائِهِ ، وَتَوَلَّ عَنَّا شُكْرَ مَا حَمَدَنَاهُ مِنْ سِيرَتِهِ وَسِيرَةِ آبَائِهِ ، وَاحْلِلْهُ مِنْ تَوْفِيقِكَ عَلَى سَوَائِهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا إِلَيْهِ نَاطِرُونَ ، وَعَنْ أَمْرِهِ صَادِرُونَ ، وَلَا نَجَازُ وَعْدَكَ فِي نَصْرِ مَنْ يَنْصُرُكَ مَتَّظِرُونَ ؛ فَاعِنَهُ عَلَى مَا قَلَّدْتَهُ ، وَأَنْجِزْ لَدِينَنَا عَلَى يَدَيْهِ مَا وَعَدْتَهُ ؛ فَمَا فَقَدَ شَيْئًا مِنْ وَجَدِكَ ، وَلَا خَابَ مِنْ قَصْدِكَ ، وَلَا ضَلَّ مِنْ اعْتِمَادِكَ ، آمِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وَكُتِبَ الْمَلَأُ الْمَذْكُورُونَ أَسْمَاءُهُمْ بِخُطُوطِ أَيْدِيهِمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِمَا آلَتَرَمَوْهُ دُنْيَا وَدِينًا ، وَسَلُّوكُوا [مِنْهُ] سَبِيلًا مُبِينًا ؛ وَذَلِكَ فِي الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ لَشَوَّالٍ مِنْ عَامِ خَمِيسٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

قلت : وقد أخبر آخر هذه البيعة بأن المبايعين للسلطان تُؤْخَذُ خُطُوطُ أَيْدِيهِمْ فِي كِتَابِ الْبَيْعَةِ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِمَا بَايَعُوا عَلَيْهِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ كِتَابَةَ الْبَيْعَةِ عِنْدَهُمْ كَمَا فِي مَكَاتِبَتِهِمْ فِي طُومَارٍ وَاحِدٍ كَبِيرٍ مُتَضَائِقٍ السُّطُورِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ طَرَّةٌ بِأَعْلَاهُ كَمَا فِي كِتَابَةِ الْمَصْرِيِّينَ .

الباب الثالث

من المقالة الخامسة في العهود، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معنى العهد)

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معانٍ :

أحدها — الأمان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ .

الثاني — اليمين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ .

الثالث — الحفظ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ” حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ “ .

الرابع — الذمة . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ” لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ “ .

الخامس — الزمان . ومنه قولهم : ” كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ عَهْدِ فُلَانٍ “ .

السادس — الوصية . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ ﴾ وهو المراد هنا .

قال الجوهري : ومنه اشتق العهد الذي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ ^(١) .

(١) بهامش الاصل هنا حاشية نصها «ولم سابع» وهو قولهم في الدعاء للكل بعد موته : سقى الله عهده

برحمته أى مكانه المدفون فيه يسقى بالرحمة . فصح أن يطلق على الزمان والمكان .

الفصل الثاني

(في بيان أنواع العهود ، وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من ثمانية أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعيتها)

والأصل في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قيل لعمر عند موته " ألا تعهد؟ " فقال : ألتحمل أمركم حياً وميتاً؟ إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، [يعني أبا بكر] ^(١) : وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأثبت استخلاف أبي بكر رضي الله عنه بذلك ، مشيراً إلى ما روى : " أنه لما أشتد بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الوجع ، أرسل إلى علي وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار ، فقال : قد حضر ماترون ، ولا بد من قائم بأمركم ، فإن شئتم استخروتم لأنفسكم ، وإن شئتم استخرتكم لكم . قالوا : بن اختر لنا ، فأمر عثمان فكتب عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (على ماسياتي ذكره) فقال عمر : لا أطيق القيام بأمر الناس . فقال أبو بكر هاتوا سيئي ! وتهده فانقاد عمر ، ثم دخل عليه طلحة فعاتبه على استخلاف عمر . فقال : إن عمر والله خير لكم وأنتم شر له ، والله لو وليتكم لجلت أنفك في فقاك ، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها . أتيتني وقد وكفت عينك ، تريد أن تفتني عن ديني

وَرَدَّنِي عَنْ رَأْيِي، قُمْ لَا أَقَامَ اللَّهُ رَجْلَكَ، وَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ عَمَصْتَهُ وَذَكَرْتَهُ بِسُوءٍ
لَأُحِقَّنَكَ بِحَمَضَاتٍ قُنَّةٍ حَيْثُ كُنْتُمْ تُسْقَوْنَ وَلَا تَرَوْنَ، وَتَرَعُونَ وَلَا تَشْبَعُونَ، وَأَنْتُمْ
بِذَلِكَ يَجْحُونَ رَاضُونَ، فَقَامَ طَلْحَةُ نَخْرَجَ .

قال العسكري : الحَمَضَات جمع حَمْضَةٍ ضَرْبٌ مِنَ التَّبْتِ ، وَالْقُنَّةُ أَعْلَى الْجَبَلِ .

قال الماوردي : وَكَانَ اسْتِخْلَافُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُمَرَ بَاتِّفَاقٍ مِنَ الصَّحَابَةِ
مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ فَكَانَ إِجْمَاعًا .

وَقَدْ عَهَدَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى سِتَّةٍ ، وَهُمْ عُمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَتَرَكَهَا شُورَى بَيْنَهُمْ ، فَدَخَلُوا فِيهَا
وَهُمْ أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَشْرَافُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

الوجه الثاني

(فِي مَعْنَى الْإِسْتِخْلَافِ)

قال البغوي رحمه الله في كتابه " التهذيب " في الفقه : الْإِسْتِخْلَافُ أَنْ يُجْعَلَ
خَلِيفَةً فِي حَيَاتِهِ ثُمَّ يُخْلَفُهُ بَعْدَهُ . قال : وَلَوْ أَوْصَى بِالْإِمَامَةِ فَوْجَهَانِ : لِأَنَّهُ يُخْرَجُ^(١)
بِالْمَوْتِ عَنِ الْوِلَايَةِ فَلَا يَصِحُّ مِنْهُ تَوَلِيَةُ الْغَيْرِ . وَأَسْتَشْكَلُ الرَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا
التَّوْجِيهَ بِكُلِّ وَصِيَّةٍ ؛ وَبِأَنَّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ جَعْلِهِ خَلِيفَةً بَعْدَهُ : إِنْ أُريدَ بِهِ اسْتِنَابَتُهُ
فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَهْدًا إِلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ . وَإِنْ أُريدَ جَعْلُهُ إِمَامًا فِي الْحَالِ ، فَهُوَ :
إِمَامًا خَلَعَ نَفْسَ الْعَاهِدِ ، وَإِمَامًا اجْتَمَعَ إِمَامِينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ أُريدَ جَعْلُهُ خَلِيفَةً
أَوْ إِمَامًا بَعْدَ مَوْتِهِ فَهُوَ الْوَصِيَّةُ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ .

(١) أى وأصحهما عنده عدم الجواز . بدليل التعليل .

قلت : وهذا جُنُوحٌ من الرافعي رحمه الله إلى صِحَّةِ الخِلافةِ بالوصيةِ أيضا ،
(١) كما تصح بالإسْتِخلاف .

الوجه الثالث

(فيما يجبُ على الكاتب مراعاته)

وأعلم أنه يجبُ على الكاتب أن يرَاعِيَ في كتابة العهد بالخِلافةِ أموراً :

منها — بَرَاءَةُ الإِسْتِهْلالِ بذكر ما يَتَّفِقُ له : من معنى الخِلافةِ والإمامةِ
وأشتقاقيهما ، وحالِ الولاية ، ولقبِ العاهِدِ والمعهُودِ إليه ، ولقبِ الخِلافةِ ، إلى غير
ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات .

ومنها — أن يُنَبِّهَ على شَرَفِ رُتْبَةِ الخِلافةِ ، وعُلُوِّ قدرها ، ورفعة شأنها ، ومسيس
الحاجةِ إلى الإمام ، ودعايةِ الضرورةِ إليه ، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا .

ومنها — أن يُنَبِّهَ على اجتماعِ شروطِ الإمامةِ في المعهُودِ إليه من حين صدور
العهد بها من العاهِدِ ، فقد قال الماوردي : إنه تُعْتَبَرُ شروطُ الإمامةِ في المعهُودِ
إليه من وقتِ العهد ، حتى لو كان المعهُودُ إليه صغيراً أو فاسقاً وقتَ العهدِ وبالغاً
[عَدَلاً] عند الموت ، لم تَصَحَّ خلافتُهُ حتى يستأنَفَ أهلُ الاختيارِ بيعته . قال
الرافعي رحمه الله : وقد يُتَوَقَّفُ في هذا . قال النووي رحمه الله في "الروضة" :
لا تُتَوَقَّفُ . والصواب ما قاله الماوردي .

ومنها — أن يُنَبِّهَ على آجتهادِ العاهِدِ وتروى نظره في حَقِّيةِ المعهُودِ إليه : فقد
قال الماوردي : وإذا أراد الإمام أن يعهَدَ بالإمامةِ ، فعليه أن يُجْهِدَ رأيَهُ في الأحقِّ
بها ، والأقومُ بشروطها ، فإذا تعيَّن له الاجتهادُ في أحد ، عَهِدَ إليه .

(١) في الأصول كما لا تصح الخ والظاهر أن « لا » زائدة من النسخ تأمل .

ومنها — أن يُشِير إلى تقدُّم الاستخارة على العهد ، وأنَّ استخارته أدته إلى المعهود إليه ؛ فإنَّ الاستخارة أمرٌ مطلوب في كل أمر ، خصوصاً أمر المسلمين وعموم الولاية عليهم ، فإنَّ اختيار الله للخلق خيرٌ من اختيارهم لأنفسهم ، والله يقول الحق وهو يهْدِي السَّبِيل .

ومنها — أن يَنْبَئَ على أنَّ عهده إليه بعد مشورة أهل الاختيار ومراجعتهم في ذلك ، وتصويرهم له ، خروجاً من الخلاف . فقد حكى الرافعي رحمه الله وجهين فيما إذا كان المعهود إليه أجنبياً من العاهد ليس بولَد ولا والد : هل يجوز أن ينفرد بعقد البيعة له وتفويض العهد إليه ولا يستشير فيه أحداً؟ أحسُّهما الجواز: لأنَّ العهد إلى عمر رضى الله عنه لم يُوقَف على رضا الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأنَّ الإمام أحقُّ بها ، فكان اختياره فيها أمضى ، وقوله فيها أنفذ .

وحكى الماوردي في جواز انفرد العاهد بالبيعة فيما إذا كان المعهود إليه والدًا أو ولدا ثلاثة مذاهب :

أحدها — ما اقتصر الرافعي رحمه الله على نسبته إلى الماوردي ، ومقتضى كلامه ترجيحه : أنه يجوز الانفرد بعقدها للولَد والوالد جميعاً : لأنه أمير للأمة نافذ الأمر لهم وعليهم ؛ فغلب حكم المنصب على حكم النسب ؛ ولم يجعل للثمة طريقاً على أمانته ، ولا سبيلاً إلى معارضته .

والثاني — أنه لا يجوز انفرداه بها لولَد ولا والد حتى يُساوَرَ فيه أهل الاختيار فيرونه أهلاً لها ، فيصح منه حينئذ عقد البيعة : لأن ذلك [منه] تركية [له] تجرى بجرى الشهادة ، وتقليده على الأمة يجري بجرى الحكم ؛ والشهادة والحكم ممنعان من الولد والوالد للثمة ، لما جُبل عليه من الميل إليهما .

والثالث — أنه يجوز أن ينفرد بعقد البيعة لوالده دُون وَلَدِهِ : لأنَّ الطبع إلى الولد أميل ؛ فأما عقدها لأخيه وغيره من الأقارب والمناسيين فكمقدها للأجانب في جواز الأفراد بها .

ومنها — أن يَنْبَغَ على العلم بحياة المعهود إليه وجوده إن كان غائبا . فقد قال الماوردي : إنه لو عهد إلى غائب مجهول الحياة لم يَصِحَّ عهده ، وإن كان معلوم الحياة صح ، ويكون موقوفا على قُدُومه .

ومنها — أن يَنْبَغَ على أن المعهود إليه منصوص عليه بمفرده ، أو وقع العهد شورى في جماعة وأفضيت الخلافة إلى واحد منهم بإخراج الباقيين أنفسهم منها ، أو اختيار أهل الحل والعقد أحدهم : إذ يجوز للخليفة أن يعهد إلى اثنين فأكثر من غير تقديم البعض على البعض ؛ ويختار أهل الاختيار بعد موته واحداً من عهد إليه : فإنَّ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه جعلها شورى في ستة ، فقال : الأمر إلى علي وبازائه الزبير بن العوام ؛ وإلى عثمان وبازائه عبد الرحمن بن عوف ؛ وإلى طلحة وبازائه سعد بن أبي وقاص . فلما توفى عمر رضى الله عنه ، جعل الزبير أمره إلى علي ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف ؛ فخرج منها ثلاثة ، وبقيت شورى في عثمان وعلي ؛ ثم بايع علي عثمان . والمعنى في الشورى أنه لا يجوز أن يجعل الإمامة بعد العاهد في غير المعهود إليهم .

ومنها — أن يَنْبَغَ على عدد المعهود إليهم وترتيبهم إن كان قد رتب الخلافة في أكثر من واحد ، إذ يجوز أن يعهد إلى اثنين فأكثر على الترتيب . فلورتب

(١) أى بعد أن أخرج عبد الرحمن منها نفسه . وفي كتاب الأحكام السلطانية للواردى فصارت الشورى بعد الستة في هؤلاء الثلاثة ونرج منها أولئك الثلاثة ثم بعد الثلاثة في اثنين علي وعثمان .

الخِلافةَ في ثلاثة مثلاً - فقال : الخليفةُ بعدى فلان ، فإذا مات ، فالخليفةُ بعده فلان ؛
 [فإذا مات فالخليفةُ بعده فلان] ^(١) كانت الخِلافةُ منتقلةً إليهم على ما رتبها . ففي صحيح
 البخارى من رواية ابنِ عمر رضى الله عنهما ” أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 اسْتَخْلَفَ عَلَى جَيْشِ مُؤَتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ - وقال : إِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
 فَإِنْ أُصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَإِنْ أُصِيبَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ رَجُلًا ، فَتَقَدَّمَ زَيْدٌ
 فَقُتِلَ ، فَاتَّخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ، فَاتَّخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ،
 فَاتَّخَذَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ” . قال الماوردى : وإذا جاز ذلك
 في الإمارة جاز مثله في الخِلافة . قال : وقد عمل بذلك في الدولتين مَنْ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ
 أَحَدٌ من علماء العصر :

فعهد سليمانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إلى عمر بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثم بعده إلى يَزِيدَ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، وأقره عليه مَنْ عاصره من الناس ، وَمَنْ لَانَاخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً .
 ورتبها الرشيدُ في ثلاثة من بنيهِ : الأمين ، ثم المأمون ، ثم المؤمن ، من غير
 مشورة من عاصره من فضلاء العلماء . ^(٢)

ولو قال العاهد : عهدتُ إلى فلان ، فإن مات فلانُ بعد إفضاء الخِلافةِ إليه ،
 فالخليفةُ بعده فلان ، لم تصحَّ خلافةُ الثانى ، ولم ينعقدَ عهدهُ بها : لأنه لم يعهدْ إليه
 في الحال ، وإنما جعله وليَّ عهده بعد إفضاء الخِلافةِ إلى الأول ، وقد يموت قبل
 إفضائها إليه فلا يكون عهدُ الثانى بها مُتَبَرِّمًا .

ومنها — أن يُنَبَّهَ على أن صدور العهد في حال نُقُوضِ أمرِ العاهد وجوازِ تصرُّفه ،
 فإنه لو أراد وليُّ العهد قبل موت العاهد أن يُردَّ ما إليه من ولاية العهد إلى غيره

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٠ ويظهر أنها سقطت من قلم الناسخ .

(٢) في ” الأحكام السلطانية ” عن مشورة الخ حرر .

لم يُجَزَ : لأنَّ الخلافة لا تستقرُّ إلا بعد موت المستخلف . وكذا لو قال : جعلته ولىَّ عهدٍ إذا أفضتِ الخلافةُ إلىَّ لم يُجَزَ : لأنه ليس في الحال بخليفة ، فلم يصحَّ عهده بالخلافة .

ومنها — أن يُنبّه على قبول المعهود إليه العهدَ ، فإنه إذا عهد الإمام بالخلافة إلى مَنْ يصحُّ العهدُ إليه على الشروط المعتبرة فيه ، كان العهدُ موقوفاً على قبول المعهود إليه : فإن قيل صحَّ العهدُ وإلا فلا ، حتى لو امتنع من القبول بوسع غيره . والعبرة في زمن القبول بما بين عهد العاهد وموته على الأصح ، لتنتقل عنه الإمامة إلى المعهود إليه مستقرةً بالقبول المتقدم . وقيل : إنما يكون القبول بعد موت العاهد : لأنه الوقت الذي يصحُّ فيه نظرُ المعهود إليه .

ومنها — أن يُورد من وصايا العاهد للمعهود إليه ما يليق به . وقد ذكر الماورديُّ أن الذي يلزمه من أمور الأئمة عشرة أشياء :

أحدها — حفظُ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأئمة ، وأنه إن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه ، أوضح له الحجّة ، وبين له الصواب ، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود : ليكون الدين محروساً من الخلل ، والأئمة ممنوعة من الزلل .

الثاني — تنفيذُ الأحكام ، بين المتشاجرين ، وقطعُ الخصام ، بين المتنازعين ، حتى تُمَّ النصفةُ فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

الثالث — حمايةُ البيضة ، والدّبُّ عن الحرم : ليتصرف الناس في المعاش ، وينتشرُوا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال .

الرابع — إقامة الحدود لتُصان محارمُ الله تعالى عن الإِتهام ، وتُحفظَ حقوقُ عباده من الإِتلاف والاستهلاك .

الخامس — تحصين الثُّغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا يظفر الأعداءُ بغيرَةٍ ينتهكون بها محرماً ، أو يَسفِكُون فيها لمسلمٍ أو معاهدٍ دماً .

السادس — جهادٌ من عائد الإسلام بعد الدعوة حتى يُسلم أو يدخل في الذمة : ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

السابع — جبايةُ الفِئء والصَّدقاتِ على ما أوجبه الشرعُ نصّاً واجتهاداً من غير حيف ولا عسف .

الثامن — تقدير العطاء وما يُستحقُّ في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ، ودفعه في وقت لا تقدّم فيه ولا تأخّر .

التاسع — استِكفاءُ الأمناء ، وتقليدُ النُصحاء ، فيما يفوضه [إليهم من الأعمال]^(٢) ويكلّه إليهم من الأموال : لتكون الأعمالُ بالكفاة مضبوطة ، والأموالُ بالأمناء محفوظة .

العاشر — أن يُباشِرَ بنفسه مُشارفةُ الأمور وتصفّح الأحوال : لينهضَ بسياسة الأمة ، وحراسةِ الملّة ؛ ولا يُعَوّل على التفويض تشاغلاً بلذّة أو عبادة ، قد يخون الأمين ويغشّ الناصح . وقد قال تعالى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . فلم يقتصر الله

(١) يطلق الفى على الغنيمة والخراج والمراد هنا الثانى .

(٢) الزيادة من "الأحكام" .

تعالى على التفويض دون المباشرة ، بل أمره بمباشرة الحكم بين الخلق بنفسه .
وقد قال صلى الله عليه وسلم : ” كُلُّكُمْ رَايَ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ “ ولله در
محمد بن يزيد وزير المأمون ، حيث قال مخاطباً له :

مَنْ كَانَ حَارِسَ دُنْيَا لِهِنَّ قِنَّ * أَنْ لَا يَنَامَ وَكُلَّ النَّاسِ تُؤَامُ !

وَكَيفَ تَرْقُدُ عَيْنَا مَنْ تَضَيِّفُهُ * هَمَّانِ مِنْ أَمْرِهِ : حَلٌّ وَلَا بَرَامُ !

وحينئذ فيجب على الكاتب أن يضمّن هذه الأمور العشرة في وصايا المعهود إليه . وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في ” التعريف ” في وصية ولي العهد بالخلافة ومن في معناه من الملوك وولاة عهدهم هذه الأمور ممتزجة بأمور أخرى من مهمات الملك وحسن تديره وسياسته .

قلت : إنما يحسن إيراد هذا كله في وصايا ولاة العهد إذا كان الأمر على ما كانت الخلافة عليه أولاً من عموم التصرف ، أما الآن فالواجب أن يقتصر في وصاياهم على حسن التأني في العهد بالسلطنة لمن يقوم بأعبائها ، وأن يكون ماتقدّم مختصاً بوصايا الملوك في المعهود عن الخلفاء .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يتضمنه العهد)

وهذه نسخة طرة أنشأتها لينسج على منوالها ، وهي :

هذا عهد إمامي قد علّت جدوده ، وزاد في الارتقاء في العلياء صعوده ، وفصلت
بالجواهر قلائده ونظمت بنفس الدّر عقوده . من عبد الله ووليه الإمام المتوكل

على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، بالخلافة المقدسة، لولده السيد الجليل ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين، أبي الفضل العباس : بلغه الله فيه غاية الأمل ، وأقربه عين الأمة كما أقربه عين أمير المؤمنين وقد فعل على ما شرح فيه .

الوجه الخامس

(فيما يكتب لأولياء العهد من الألقاب)

[وهو] كما سيأتي في الطريقة الثانية من المذهب الأول مما يكتب في متن العهد من كلام المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " أنه يقال فيه : الأمير السيد الجليل ، ذخيرة الدين ، وولي عهد المسلمين ، أبي فلان فلان . وفي المذهب الثالث فيما كتب به للمستوفى بن المستفى ما يوافق ، وقد تقدم أنه لا يقع في ألقابهم إطناب ، ولا تعدد ألقاب ، فليقتصر على ذلك أو ما يشابهه .

الوجه السادس

(فيما يكتب في متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا »)

مثل : « هذا ما عهد به فلان لفلان » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا كتاب آكتبه فلان لفلان » ونحو ذلك .
وللكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدمين)

وهي أن لا يأتي بحُطبة في أثناء العهد، ولا يتعرّض إلى ذكر أوصاف المعهود إليه والثناء عليه، أو يتعرّض لذلك باختصار؛ ثم يأتي بالوصايا؛ ثم يختتمه بالسلام أو بالدعاء أو بغير ذلك مما يُناسب. وعلى ذلك كانت جهود السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، أتباعاً للصديق رضي الله عنه فيما كتب به لعمر بن الخطاب، كما تقدمت الإشارة إليه في الاستشهاد.

ونسخته فيما رواه البيهقي في "السنن" وأقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل".

«هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن برّ وعدل فذلك ظني به، وإن بدل أو غير فلا علم لي بالغيب، والخير أردت بكم، ولكل أمرئ ما آكتسب من الإثم: (وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون)».

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" عن المدائني أنه حين دعا عثمان ابن عفان رضي الله عنه لكتابة العهد بالخلافة بعده قال: آكتب «هذا ما عهد أبو بكر بن أبي حنيفة في آخر عهده بالدنيا [نازحاً عنها] وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يتوب الفاجر، ويؤمن الكافر، ويصدق الكاذب؛ وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وقد استخلف» - ثم دهمته غشية فكتب عثمان: «عمر بن الخطاب». فلما أفاق، قال: أكتبته شيئاً؟ قال نعم عمر

ابن الخطاب . قال : « رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ كَذَبْتَ نَفْسَكَ لَكُنْتَ أَهْلًا لَهَا ، أَكْتُبُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَضِيَهُ لَكُمْ ، فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ ، وَإِنْ بَدَلَ فَلِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ ، وَالْخَيْرُ أَرَدْتُ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) » .

وعلى هذه الطريقة كُتِبَ عهدُ عمرَ بنِ عبد العزيز بالخلافة عن سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
وهذه نسخته فيما ذكره أَبُو قَتِيبة في تاريخ الخلفاء :

هذا ما عهد به عبدُ الله سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخليفةُ الْمُسْلِمِينَ .
عَهِدَ أَنَّهُ يَشْهَدُ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ؛ وَأَنْ يَعْجِدَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعَثَهُ إِلَى مُحْسِنِي عِبَادِهِ بِشِيرَا ، وَإِلَى مُذْنِبِيهِمْ نَذِيرَا . وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ حَقًّا : خَلَقَ الْجَنَّةَ رَحْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَالنَّارَ نِقْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ عَصَاهُ ؛ وَأَوْجَبَ الْعَفْوَ جُودًا وَكَرَمًا لِمَنْ عَفَا عَنْهُ . وَأَنَّ سُلَيْمَانَ مُقَرَّرٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَبِمَا تَعَلَّمَهُ نَفْسُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ؛ مُوجِبًا عَلَى نَفْسِهِ اسْتِحْقَاقَ مَا خَلَقَ مِنَ النِّقْمَةِ ، رَاجِيًا لِنَفْسِهِ مَا خَلَقَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَوَعْدَ مِنَ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَأَنَّ الْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا مَقْدُورَةٌ بِإِرَادَتِهِ ، مَكُونَةٌ بِتَكْوِينِهِ ؛ وَأَنَّهُ الْهَادِي فَلَا مُغْوِي وَلَا مُضِلٌّ لِمَنْ هَدَاهُ وَخَلَقَهُ لِرَحْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ يُفْتَنُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ بِالسُّؤَالِ عَنْ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أُمَّتِهِ ، لَا مُنْجِيَ لِمَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا لِمَنْ اسْتَنْثَاهُ عِزَّ وَجَلَّ فِي عِلْمِهِ . وَسُلَيْمَانُ يُسْأَلُ اللَّهُ الْكَرِيمَ بِوَاسِعِ فَضْلِهِ ، وَعَظِيمِ مَنِّهِ ، الثَّبَاتَ عَلَى مَا سَرَّ وَأَعْلَنَ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِّهِ وَحَقِّ نَبِيِّهِ عِنْدَ

(١) كذا في الأصول بالنصب وكذلك وقع في كتاب الإمامة والسياسة لأبن قتيبة .

(٢) في كتاب الإمامة والسياسة لأبن قتيبة «خيرها وشَرُّها من الله وأنه هو الهادي الخ» .

مَسْأَلَةُ رُسُلِهِ ؛ وَالنَّجَاةَ مِنْ هَوْلِ فِتْنَةٍ قَتَانِيَةٍ . وَيَشْهَدُ أَنَّ الْمِيزَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ يَقِينٌ ، يَزِنُ سِيِّئَاتِ الْمُسِيئِينَ ، وَحَسَنَاتِ الْمُحْسِنِينَ : لِيُرَى عِبَادَهُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا أَرَادَهُ مِنْ [الْخَيْرِ] لِعِبَادِهِ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ؛ وَأَنَّ مِنْ ثَقَلَتِ مَوَازِينِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَئِذٍ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنَّ حَوْضَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمَوْقِفِ لِلْعَرْضِ حَقٌّ ، وَأَنَّ عِدَدَ آيَاتِهِ كُنُجُومِ السَّمَاءِ ، مِنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَسُلَيْمَانُ يَسْأَلُ اللَّهَ بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ أَنْ لَا يُرَدَّهُ عَنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ عَطْشَانٌ . وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بَعْدَهُمَا حَيْثُ الْخَيْرُ وَفِيهِمَنْ الْخَيْرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . وَأَنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةُ كُلُّهَا الْمَذْكُورَةُ فِي عَهْدِهِ هَذَا يَعْلَمُهَا اللَّهُ مِنْ سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ وَعَقْدِ ضَمِيرِهِ ، وَأَنَّهُ بِهَا عَبْدٌ رَبِّهِ فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَمَاضِي عُمْرِهِ ، وَعَلَيْهَا أَمَّا يَقِينٌ رَبِّهِ ، وَتَوَقَّاهُ أَجَلُهُ ، وَعَلَيْهَا يُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَتْ لَهُ بَيْنَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ بَلَايَا وَسَيِّئَاتٌ ^(١) لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْهَا تَحِييدٌ وَلَا بَدٌّ ، جَرَى بِهَا الْمَقْدُورُ مِنَ الرَّبِّ النَّافِذُ إِلَى إِمْتَامِ مَا حَدَّثَ ؛ فَإِنْ يَعْفُ وَيَصْفَحُ فَذَاكَ مَا عُرِفَ مِنْهُ قَدِيمًا وَنُسِبَ إِلَيْهِ حَدِيثًا ، وَتِلْكَ صِفَتُهُ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ ، وَكَلَامِهِ النَّاطِقِ ؛ وَإِنْ يُعَاقَبُ وَيَذَقُّ فَمَا قَدِمَتْ يَدَاهُ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَأَنَّ سُلَيْمَانَ يُخْرِجُ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَهْدَهُ هَذَا وَسَمِعَ مَا فِيهِ مِنْ حِكْمَةٍ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَمُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنْ يَدَعَ الْإِحْنَ الْمُضْغَنَةَ ، وَيَأْخُذَ بِالْمَكَارِمِ الْمُدْجَنَةِ ؛ وَيَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ بِالضَّمِيرِ النَّصُوحِ وَالْإِدْعَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالصَّفْحِ الصَّرِيحِ ؛ يَسْأَلُهُ الْعَفْوَ عَنِّي ، وَالْمَغْفِرَةَ لِي ، وَالنَّجَاةَ مِنْ فَرَجِي وَالْمَسْأَلَةَ فِي قَبْرِي ، لَعَلَّ الْوُدُودَ ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْكُمْ مُجَابَ الدَّعْوَةِ بِمَا مِنَ اللَّهِ عَلَى

(١) فِي كِتَابِ الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ « لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْهَا مَحِيصٌ وَلَا دُونُهَا مَقْصَرٌ بِالْقَدْرِ السَّابِقِ وَالْعِلْمِ النَّافِذِ فِي مُحْكَمِ الْوَحْيِ فَإِنْ يَعْفُ » الخ .

من صفحه يعود؛ إن شاء الله. وأنّ وليّ عهد سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين، وصاحب أمره بعد موته، في جُنده ورعيته وخاصته وعامته؛ وكلّ من استخلفني الله عليه، واسترطاني النظر فيه، الرجل الصالح «عمر بن عبد العزيز» بن مروان ابن عمي، لما بلوت من باطن أمره وظاهره، ورجوت الله بذلك [وأردت] رضاه ورحمته إن شاء الله. ثم من بعده تُسلم إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان إن بقي بعده، فإني مارأيت منه إلّا خيرا ولا أطلعت له على مكروه. وصغار ولدي و كبارهم إلى عمر، إذ رجوت أن لا يألوهم رشدا وصلاحا؛ والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين وهو أرحم الراحمين؛ وأقرءوا عهدي عليكم السلام ورحمة الله. ومن أبي أمرى هذا أو خالف عهدي هذا - وأرجو أن لا يخالفه أحد من أمة محمد - فهو ضالّ مضلّ يُستعَب؛ فإنّ أعتَبَ وإلّا فإني لمن صاحب^(١) (?) عهدي فيهم بالسيف السيف والقتل القتل، فانهم مستوجبون لهم، وهم لهيته ملقحون، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان.

تم ذلك والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله.



وعلى نحو من ذلك كتب المأمون العباسي عهد على بن موسى العلوي (المعروف بالرّضي) بالخلافة بعده.

وهذه نسخته فيما ذكر صاحب العقد :

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده، لعلّ بن موسى بن جعفر وليّ عهده.

(١) في كتاب الامامة والسياسة « والا فالسيف والله المستعان » وهي واضحة.

أما بعد، فإن الله عز وجل أَصْطَفَى الإسلامَ ديناً، وَأَصْطَفَى له من عباده رُسلًا دالِّينَ عليه، وهادين إليه، يَبَشِّرُ أَوْلَهُمْ بِأَحْرَمٍ، وَيَصَدِّقُ تَالِيَهُمْ بِمَاضِيهِمْ؛ حَتَّى أَتَتْهُ نَبُوءَةُ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَفَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَدُرُوسٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَأَنْتُقَطَاعِ مِنَ الْوَحْيِ، وَأَقْتِرَابٍ مِنَ السَّاعَةِ؛ نَخْتَمُ اللَّهُ بِهِ النَّبِيِّينَ وَجَعَلَهُ شَاهِدًا لَهُمْ، وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِمْ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتَرَبَّلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. فَاحْلَ وَحَرَّمْ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ؛ وَحَدَّرَ وَأَنْذَرَ، وَأَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ: لَتَكُونَ لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى خَلْقِهِ: وَ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فَبَلَغَ عَنْ اللَّهِ رِسَالَتَهُ، وَدَعَا إِلَى سَبِيلِهِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْمُجَادَلَةِ بِالنِّبْيِ هِيَ أَحْسَنُ، ثُمَّ بِالْجِهَادِ وَالْعِلَظَةِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَآخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا أَنْقَضَتِ النَّبُوءَةُ وَخَتَمَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ وَالرِّسَالََةَ، جَعَلَ قِيَامَ الدِّينِ، وَنِظَامَ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، بِالْخِلَافَةِ وَإِتِمَامِهَا وَعِزِّهَا، وَالْقِيَامَ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا بِالطَّاعَةِ الَّتِي تُقَامُ بِهَا فَرَائِضُ اللَّهِ وَحُدُودُهُ، وَشَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَسُنَنُهُ، وَيُجَاهَدُ بِهَا عُدُوُّهُ. فَعَلَى خُلَفَاءِ اللَّهِ طَاعَتُهُ فِيمَا اسْتَحْفَظَهُمْ وَاسْتَرْعَاهُمْ مِنْ دِينِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ طَاعَةُ خُلَفَائِهِمْ وَمُعَاوَتُهُمْ عَلَى إِقَامَةِ حَقِّ اللَّهِ وَعَدْلِهِ، وَأَمْنِ السَّبِيلِ وَحَقْنِ الدِّمَاءِ، وَصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيِّنِ، وَجَمْعِ الْأَلْفَةِ؛ وَفِي إِخْلَالِ ذَلِكَ أَضْطِرَابُ حَبْلِ الْمُسْلِمِينَ وَأَخْتِلَافُهُمْ، وَأَخْتِلَافُ مِلَّتِهِمْ، وَقَهْرُ دِينِهِمْ، وَاسْتِعْلَاءُ عُدُوِّهِمْ، وَتَفَرُّقُ الْكَلِمَةِ، وَخُسْرَانُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَحَقٌّ عَلَى مَنْ اسْتَخْلَفَهُ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ، وَأَثَمَةٌ عَلَى خَلْقِهِ [أَنْ] يُؤَثِّرَ مَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ وَطَاعَتُهُ وَيُعَدَّ [لِ] فِيمَا اللَّهُ وَأَقْفَهُ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ عَنْهُ، وَيُحْكَمَ بِالْحَقِّ وَيَعْمَلَ بِالْعَدْلِ فِيمَا حَمَلَهُ اللَّهُ وَقَلَدَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿يَادَاؤُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ . وقال عز وجل : ﴿قَوْرَبَكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .
وبلغنا أن عمر بن الخطَّاب قال : « لوضاعت سَخْلَةٌ بِجَانِبِ الْفُرَاتِ لَتَخَوْفُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهَا » . وأيم الله إنَّ المسئول عن خاصية نفسه ، الموقوف على عمله ، فيما بين الله وبينه ، لمتعرض لأمر كبير ، وعلى خطر عظيم ، فكيف بالمسئول عن رعاية الأُمَّة ؛ وبالله الثقة ، وإليه المَفْزَع والرَّغْبَة في التوفيق مع العِصْمة ، والتَّسْديد والهداية إلى ما فيه ثُبُوتُ الْحُجَّة ، والفوز من الله بِالرَّضْوَانِ والرحمة . وأنظرُ الأئمة لنفسه ، وأنصحهم في دينه وعباده وخلافته في أرضه ، مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَكُتِبَ لَهُ وَسَنَةٌ نَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدَّةِ أَيَّامِهِ ؛ وَاجْتَهَدَ وَاجْتَهَدَ رَأْيُهُ وَنَظَرَهُ فِيمَنْ يُؤَلِّيه عَهْدَهُ ، وَبِخْتَارِهِ لِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَرِدَائِهِمْ بَعْدَهُ ؛ وَيَنْصِبُهُ عَلَمًا لَهُمْ ، وَمَقَرَّعًا فِي جَمْعِ أَقْتَمِهِمْ ، وَلَمْ شَعْنِهِمْ ، وَحَقَّنْ دِمَائِهِمْ ، وَالْأَمْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ فُرْقَتِهِمْ ، وَفَسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ ، وَرَفَعَ نَزْغَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْعَهْدَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ تَمَامِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَكِمَالِهِ وَعِزِّهِ وَصَلَاحِ أَهْلِهِ ؛ وَأَلْهِمُ خُلَفَاءَهُ مِنْ تَوْسِيدِهِ لِمَنْ يَخَارُونَهُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَظُمَتْ بِهِ الْعَمَّةُ ، وَشَبِلَتْ مِنْهُ الْعَافِيَّةُ ، وَتَقَضَّى اللَّهُ بِذَلِكَ مَرَّةً^(١) أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالْعَدَاوَةِ وَالسَّعْيِ فِي الْفُرْقَةِ وَالرَّفْضِ لِلْفِتْنَةِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ أَفْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ فَاخْتَبَرَتْ بَشَاعَةَ مَذَاقِهَا ، وَتَقَلَّ تَحْمِلُهَا وَشِدَّةَ مَثْوِيَّتِهَا ؛ وَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ تَقَلَّدَهَا مِنْ أَرْتِبَاطِ طَاعَةِ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ فِيمَا حَمَّلَهُ مِنْهَا ؛ فَأَنْصَبَ

(١) في اللسان ج ٧ ص ١٥ « المرفطح الميم الحبل » .

(٢) أى تركها تسير في الناس ، ففي اللسان الرفض أن يطرد الرجل عنه وابله إلى حيث هوى فإذا بلغت لها عنها وتركها .

(٣) لعله ناظرا فيها بما يقتضيه منصبها وما يجب الخ وبه يستقيم الكلام بعد تأمل .

بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ عَيْنَهُ، وَأَطَالَ فِكْرَهُ فَيَا فِيهِ عِزُّ الدِّينِ، وَقَعُ الْمُشْرِكِينَ، وَصَلَاحُ
الْأُمَّةِ، وَنُشْرُ الْعَدْلِ، وَإِقَامَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْعُهُ ذَلِكَ مِنْ اخْتِفَاضِ الدُّعَاةِ بَنِي
الْعِيْشِ: عَلَمًا بِمَا اللَّهُ سَأَلَهُ عَنْهُ، وَمُحِبَّةً أَنْ يَلْقَى اللَّهَ مُتَابِعًا فِي دِينِهِ وَعِبَادِهِ، وَمُخْتَارًا
لِوَلَايَةِ عَهْدِهِ، وَرِعَايَةِ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، أَفْضَلَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَوَرَعَهُ وَعِلْمَهُ،
وَأَرْجَاهُمْ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَحَقِّهِ، وَمُنَاجِيًا لِلَّهِ بِالْإِسْتِخَارَةِ فِي ذَلِكَ، وَيَسْأَلُهُ الْإِلَهَامُ مَا فِيهِ
رِضَاهُ وَطَاعَتُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَمُعْمِلًا فِي طَلَبِهِ وَالتَّمَسُّكِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ
أَبْنِ الْعَبَّاسِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِكْرَهُ وَنَظَرَهُ، وَمُقْتَصِرًا فِيهِ مِنْ عِلْمِ حَالِهِ وَمَذْهَبِهِ مِنْهُمْ عَلَى
عِلْمِهِ، وَبَالِغًا فِي الْمَسْأَلَةِ عَمَّنْ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ جُهْدَهُ وَطَاعَتَهُ، حَتَّى آسَتْقُضَى أُمُورُهُمْ
بِمَعْرِفَتِهِ، وَأَبْتُلَى أَخْبَارُهُمْ مَشَاهِدَةً، وَكُشِفَ مَا عِنْدَهُمْ مُسْأَلَةً، فَكَانَتْ خَيْرَتُهُ بَعْدَ
إِسْتِخَارَتِهِ لِلَّهِ وَإِجْهَادِهِ نَفْسَهُ فِي قِضَاءِ حَقِّهِ وَبِلَادِهِ، مِنَ الْبَيْتَيْنِ جَمِيعًا «عَلِيَّ بْنَ
مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ» بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: لِمَا رَأَى
[مِنْ] فَضْلِهِ الْبَارِعِ، وَعِلْمِهِ النَّاصِعِ، وَوَرَعِهِ الظَّاهِرِ، وَزُهْدِهِ الْخَالِصِ، وَتَحَنُّنِهِ مِنَ
الدُّنْيَا، وَتَسَامُهِ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ آسْتَبَانَ لَهُ مَا لَمْ تَرَى الْأَخْبَارُ عَلَيْهِ مَتَوَاطِئَهُ، وَالْأَلْسُنُ
عَلَيْهِ مُتَّفَقَةً وَالْكَلِمَةُ فِيهِ جَامِعَةً، وَلَمَّا لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُهُ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ يَافِعًا وَنَاشِئًا،
وَحَدَّثَنَا وَمُكْتَهِلًا، فَعَقَدَ لَهُ بِالْعَقْدِ وَالْخِلَافَةِ إِثَارًا لِلَّهِ وَالِدِّينِ، وَنَظَرًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَطَلَبًا
لِلسَّلَامَةِ وَثَبَاتِ الْحُجَّةِ وَالنَّجَاةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَدَعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَدَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَخَاصَّتَهُ، وَقُرَّادَهُ، وَخَدَمَهُ، فَبَايَعُوهُ
مُسْرِعِينَ مُسْرُورِينَ، عَالِمِينَ بِإِثَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ طَاعَةَ اللَّهِ عَلَى الْهَوَى فِي وَلَدِهِ وَغَيْرِهِمْ
مِمَّنْ هُوَ أَشْبَهُكَ بِهِ رَحِمًا وَأَقْرَبُ قَرَابَةً، وَسَمَّاهُ «الرِّضَى» إِذْ كَانَ رَضِيًّا عِنْدَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فبايعوا معشَرَ بَيْتِ أمير المؤمنين وَمَنْ بالمدينة المحروسة من قُوَّاده وجُنَّده، وعامة المسلمين « الرضى » من بعده ، على اسم الله وبركته وحُسن قضائِهِ لدينه وعبادِهِ ؛ بيعةً مبسوطةً إليها أيديكم ، منخرجةً لها صدُورُكم ، عالِمين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وآثر طاعة الله والنظرَ لنفسه ولكم فيها ، شاكرينَ لله على ما ألهم أمير المؤمنين من نصائحِهِ في رعايتكم ، وحرصه على رُشدكم وصَلاحكم ، راجينَ عائِدَه في ذلك في جمع ألفتكم ، وحُسن دِمَائكم ، ولمَّ شَعْبكم ، وسدَّ نُغُوركم ، وقوَّة دينكم ، ورَغَم عدوكم ، وأستقامة أموركم . وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فإنه الأمرُ إن سارعتمُ إليه ، وحِدثتمُ الله عليه ؛ عَرَفْتُم الحَظَّ فيه . إن شاء الله تعالى .



وعلى هذه الطريقة كتب الوزير أبو حفص بن بُرد عهدَ الناصر لدين الله عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر العاصرى ، عن المؤيد بالله هشام بن الحكم الأموى ، الخليفة بالأندلس . وهذه نسخته :

هذا ما عهدَ هشامُ المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامه ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة وأعطى به صَفقةً يمينه بيعةً تامَّةً ؛ بعد أن أنعمَ النظرَ وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله إليه من الإمامة ؛ وعَصَبَ به من أمر المؤمنين ، وأتقَى حُلُولَ القَدَرِ بما لا يؤمن ، وخافَ نُزُولَ القضاء بما لا يُصَرَفُ ، وخَشِيَ أنْ يَحمَ محتومُ ذلك عليه ، ونزلَ مقدُورُه به ، ولم يرفعْ لهذه الأمة علماً تأوى إليه ، وملجأً تنعطف عليه ، أن يكونَ يلقى ربه تبارك وتعالى مفترطاً ساهياً عن أداء الحق إليها ؛ ويُغَمَصَ عند ذلك من أحياء قُرَيش وغيرها من يستحق أن يُسندَ هذا الأمرُ إليه ، ويُعوَّلَ في القيام به عليه ؛ ويستوجبُه بدينه وأمانته ، وهُدْيَه وصِيانته ؛

بعد أطراح الهوى والتحرى للحق ، والتلّف إلى الله جلّ جلاله بما يرضيه .
وبعد أن قطع الأواصر ، وأنخط الأقارب ؛ فلم يجد أحداً أجدر أن يولّيه عهدَه ،
وفوض إليه الخلافة بعده : لفضل نفسه ، وكرم خيمه ، وشرف مرتبته ، وعلوّ
منصبه ؛ مع ثقاه وعفاه ، ومعرفته وحزمه وتقواته ؛ من المأمون العيب ، الناصح
الحبيب «أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور» أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه
الله ؛ إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله - أثلاه واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ؛
فراه مسارعاً في الخيرات ، سابقاً في الحلبات ؛ مستولياً على الغايات ، جامعاً للمأثرات ؛
ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ؛ فلا غرو أن يبلغ من سبيل البر مداه ،
ويجوى من خلال الخير ماحواه ؛ مع أن أمير المؤمنين - أيده الله - بما طالعه من
مكتون العلم ، ووعاه من مخزون الأثر ؛ يرى أن يكون وليّ عهده القحطانيّ الذي
حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة : «أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من خطان يسوق الناس بعصاه " فلما
استوى له الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ؛ [و] لم يجد عنه مذهباً ، ولا إلى غيره
معدلاً ، صرح إليه في تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ؛ طائعا
راضياً مجتهداً ، وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازاه وأنفذه ، ولم يشترط فيه مشيئة
ولا خياراً ؛ وأعطى على الوفاء به في سرّه وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه ،
وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء الراشدين من آبائه ؛ وذمة نفسه :
أن لا يبدل ، ولا يغير ، ولا يحول ، ولا يزول ؛ وأشهد الله على ذلك والملائكة
(وكفى بالله شهيدا) . وأشهد من أوقع اسمه في هذا ، وهو جائز الأمر ، ماضى
القول والفعل ، محضّر من وليّ عهده المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور
وفقّه الله ، وقبوله ما علّده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ؛ وذلك في شهر ربيع الأول

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم بذلك .

الطريقة الثانية

(طريقة المتأخرين من الكتاب)

أن يأتي بالتحديد في أثناء العهد، ويأتي من ألقاب ولي العهد بما يناسب على الاختصار؛ وعليها أقصر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" قال : وأعلم أن عهود الخلفاء عن الخلفاء لم تجر عادة من سلف من الكتاب أن يستفتحها إلا بما يذكر، وهو :

«هذا ما عهد [به] عبد الله ووليه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، عهد إلى ولده، أو [إلى] أخيه الأمير السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين أبي فلان فلان، أيده الله بالتمكين، وأمدّه بالنصر المبين، وأقرّبه عين أمير المؤمنين» . ثم يتفق كل كاتب بعد هذا على قدر سعته، ثم يقول :

«أما بعد، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم» ويخطب في ذلك خطبة يكثر فيها التحميد وينتهي فيه إلى سبعة؛ ثم يأتي بعد ذلك بما يناسب من القول : يصف فكر الذي يعهد فيمن بعده؛ ويصف المعهود إليه بما يليق من الصفات الجليلة . ثم يقول : «عهد إليه وولده بعده جميع ما هو مقلده، لما رآه من صلاح الأمة، أو صلاح الخلق، بعد أن استحار الله تعالى في ذلك، ومكث مدة يتدبر ذلك ويروى فيه فكره وخاطره، ويستشير أهل الرأي والنظر، فلم يرقوم منه بأمور الأمة ومصلح

الدنيا والدين» ومن هذا ومثله ؛ ثم يقال : «إنَّ المعهودَ إليه قِيلَ ذلك منه» ويأتى في ذلك بما يليق من محاسن العبارة وأحاسن الكلام .

قلت : ولم أظفر بنسخة عهدٍ على هذا الأسلوب الذى ذكره المقرُّ الشهابي ؛ وقد أنشأت عهداً على الطريقة التى أشار إليها ، امتحاناً للخاطر : لأنَّ يكونَ عن الإمام المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد أبى الفتح أبى بكر ، خليفة العصر ، لولده العباس : ليكونَ أُمُودَجا يُنسَج على مِنواله .

ومن غريب الاتفاق أنى أنشأته في شُهور سنةٍ إحدى وثمانمائة امتحاناً للخاطر كما تقدّم ، وضمّته هذا الكتابَ وتمادى الحالُّ على ذلك إلى أن قبَضَ اللهُ تعالى الإمامَ المتوكل - قدس الله تعالى رُوحه - في سنة ثمان وثمانمائة ؛ فأجمع أهلُ الحلِّ والعقد على مبايعته بالخلافة ؛ فبايعوه وحقق الله تعالى ما أجراه على اللسان من إنشاء العهد باسمه في الزمن السابق ؛ ثم دعَتْنِي داعيةٌ إلى التمثل بين يديه الشريفتين في مستهلِّ شهرِ ذى القعدة الحرام سنة تسع وثمانمائة ، فقرأته عليه من أوله إلى آخره ، وهو مُضغ له مظهرُ الابتهاج به ؛ وأجاز عليه الجائزة السنية . ثم أنشأت له رسالةً وضمّنته إياها وأوَّعت بخزانته العالية عمرها الله بطول بقائه .

وهذه نسخته :

هذا عهدٌ سعيدُ الطالع ميمونُ الطائر ، مباركُ الأوّل جميلُ الأوسط حميدُ الآخر ؛ تشهد به حضراتُ الأملاك ، وترقُّه كَفُّ الثرَيَّا بأقلام القبول في صحائف الأفلاك ؛ وتُبَاهِي به مُلُوكُ الأرض ملائكةَ السما ، وتَسِرِي بنشره القبولُ إلى الأقطار فتُنشِرُله بكلِّ ناحيةٍ علما ، وتُطْلِعُ به سعادةُ الجَدِّ من مُلُوكِ العَدَلِّ في كُلِّ أَفُقٍ نَجْمًا ، وترُقُصُ من فرحها الأنهار فتَنقُطُها شمسُ النَّهارِ بذهبِ الأصيل على صَفَحَاتِ المِائِ ؛ عهدٌ به

عبدُ الله وولِيه أبو عبد الله محمدُ المتوَكِّلُ على الله أميرُ المؤمنين إلى ولده السيد
الجليل عُدَّة الدِّين وذَخِيرته ، وصَنِيَّ أمير المؤمنين من ولده وخِيرته ؛ المستعين بالله
أبي الفضل العباس بلغ الله فيه أمير المؤمنين غاية الأمل ، وأقرب به عين الخلافة
العباسية كما أقرب به عين أبيه وقد فعل .

أما بعدُ ، فالحمدُ لله حافظِ نظام الإسلام وواصلِ سببه ، ورافعِ بيتِ الخلافة
ومادِّ طُنبه ، وناظِمِ عَقْد الإمامة المعظَّمة في سِلْك بني العباس وجاعِلِها كلمةً باقيةً
في عَقْبِهِ .

والحمدُ لله الذي عَدَّقَ أَمْرَ الأُمة منهم بأعظَمِهم خطراً ، وأرفعَهم قَدْرًا ؛
وأرجَحَهم عقلاً وأوسَعَهم صَدْرًا ، وأجزَلَهم رأياً وأسلمَهم فِكْراً .

والحمدُ لله الذي أقَرَّ عَيْنَ أمير المؤمنين بخيرِ وَلِيٍّ وأفضَلِ وَلَدٍ ، وشَدَّ أزره بأكرم
سيد وأعزَّ سَنَدٍ ، وصَرَفَ اختيَّاره إلى مَنْ إذا قام بالأمر بعده قيل هذا الشَّيْلُ
من ذاك الأسد .

والحمدُ لله الذي جمعَ الآراءَ على اختيارِ العاهد فما قَلَّوه ولا رَفَضُوه ، وجَبَلَ
القلوبَ على حُبِّ المعهود إليه فلم يَرَوْا العُدُولَ عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمدُ لله الذي جَدَّدَ للرعيَّةِ نعمةً مع بقاء النِّعمة الأولى ، وأقامَ لأمرِ الأُمة من
بني عمِّ نبيِّه المصطفى الأولى بذلك فالأولى ، واختارَ لعهد المسلمين مَنْ سَبَقَتْ إليه
في الأزلِ إرادته فأصبح في النفوس معظماً وفي القلوب مقبُولاً .

والحمدُ لله الذي أضْحَكَ الخلافةَ العباسية بوجودِ عباسها ، وأطابَ بِذِكْرِه رِياها
فتعَطَّرَ الوجودُ بطيبِ أنفاسِها ؛ ورفعَ قَدْرَه بالعهدِ إليه إلى أعلى رُتَبه مُنيفه ،

(١) وَخَصَّهُ بِمِشَارَكَةِ جَدِّهِ الْعَبَّاسِ فِي الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ فَفَازَ بِمَا لَمْ يَفُزْ بِهِ قَبْلَهُ مِنْهُمْ سِتُّ وَأَرْبَعُونَ خَلِيفَةً .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى الْكَافَّةِ طَاعَةَ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنَ الْأَثَمَةِ ، وَأَرْزَمِهِمُ الدُّخُولَ فِي بَيْعَةِ الْإِمَامِ وَالْإِتْقَادَ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ فَكَيْفَ بَيْنَ أَجْمَعٍ عَلَى سُودَدَةِ الْأَثَمَةِ ، وَأَوْصَحَ السَّبِيلَ فِي التَّعْرِيفِ بِمَقَامِ الْآلِ وَالْعِتْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ﴿فَلَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ .

يَعْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا مَنَحَهُ مِنْ طِيبِ أَرْوَمِيَّةٍ سَمَّتْ أَصْلًا وَزَكَتْ فَرْعًا ، وَحَبَاهُ مِنْ شَرَفٍ مَحْتَدٍ رَاقٍ نَظَرًا وَشَاقٍ سَمْعًا ، وَوَصَلَهُ بِهِ مِنْ نِعَمٍ آثَرَتْ نَفَاقًا وَأَثَرَتْ نَفْعًا ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَوَارَثُونَهَا كَالْخِلَافَةِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَيُوصَى بِهَا أَبَدًا الْأَوَّلُ مِنْهُمْ الْآخِرُ ، وَيُؤْذِنُ قِيَامُهُمْ بِنُصْرَتِهَا أَنَّهُمْ مَعْدَنُ جَوْهَرِهَا النَّفِيسِ وَنِظَامُ عَقْدِهَا الْفَاسِحِ ، وَيَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الَّذِي خَصَّ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ بِكَرِيمِ الْحَبَاءِ وَشَرِيفِ الْإِنَاقَةِ ، وَنَبَّهَ عَلَى بَقَاءِ الْأَمْرِ فِي بَيْتِهِ بِقَوِيٍّ ضَلَّ مَنْ أَظْهَرَ عِنَادَهُ أَوْ أَضْمَرَ خِلَافَهُ ، حَيْثُ أَسْرَّ إِلَيْهِ : ” أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ بِي خُتْمِ النَّبُوَّةِ وَبَوْلَدِكَ تُخْتَمُ الْخِلَافَةُ “ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَوةً تَعْمُ بَرَكَتُهَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، وَيَشْمَلُ مَعْرُوفُهَا الْمَعْهُودَ إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ شَرَفُهَا الْعَاهِدَ ، وَيَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا الْمُقَرُّ وَلَا يَسَعُ إِنْكَارُهَا الْجَاهِدُ ، مَانُوَّةٌ بِذِكْرِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَائِرِ ، وَخَفَقَتِ الرَايَاتُ السُّودُ عَلَى عَسَاكِرِ الْمَوَاكِبِ وَمَوَاكِبِ الْعَسَاكِرِ ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(١) ذَكَرَ اسْمَ الْعَدَدِ عَلَى حَدِّ مَا أَتَاهُ الْفَرَاءُ .

أَبُوكَ خَلِيفَةً وَلَدَتْهُ أُخْرَى * وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَلِكَ الْكَمَالِ

هذا وكل راجع مشغول عن رعيته ، وكل أمرئ مجبول على نيته ، مخبر بظاهرة
عن جميل ما أكنه في صدره وما أسرّه في طويته ؛ والإمام منصوب للقيام بأمر الله
تعالى في عبادته ، مأمور بالنصيحة لهم جهده طاقته وطاقة اجتهاده ، مطلوب بالنظر
في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبدء أمرهم ومعاده ؛ ومن ثم اختلفت آراء
الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت مقاصدُهم ، وتوَعَتِ اختياراتُهم بحسب
الاجتهاد واختلفت موارِدُهم ؛ فعهد الصديق إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
متبثنا ، وتركها عمر شورى في سنة وقال : « أتحمّل أمركم حيا وميتا ! » وأتى
رضى الله عنه لكل من المذهبين بما أذن له انلخص وسلم ، فقال : « إن أعهد فقد
عهد من هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى
الله عليه وسلم » فأخذ الخلفاء في ذلك بستئهما ، ومشوا فيه على طريقتهما ؛ فن
راغب عن العهد وراغب فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أو أخيه ؛ كل
منهم بحسب ما يؤدى إليه اجتهاده ، وتقوى عليه عزيمته ويترجح لديه أعماده .

ولما كان أمير المؤمنين - أحسن الله مآبه - قد نور الله عين بصيرته ، وخصه
بطهارة سِرّه وصفاء سيرته ؛ وآناه الله الملك والحكمه ، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح
أمر الأمة ؛ وعلمه مما يشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم ، وأصطفاه على
أهل عصره وزاده بسطة في العلم والجسم ؛ فلا يعزم أمرا إلا كان رشادا ، ولا يعتمد
فعلا إلا ظهر سدادا ؛ ولا يتقي رأيا إلا ألغى صوابا ، ولا يشير بشيء إلا أحدث
آثاره بداية ونهاية واستصحبها ؛ ومع ذلك فقد بلا الناس وخبرهم ، وعلم بالتجربة
حالمهم وخبرهم ، وأطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم ، وما به مصلحة خاصتهم
وجمهورهم ؛ وترجح عنده جانب العهد على جانب الإهمال ، ورأى المبادرة إليه أولى
من الإهمال ؛ ولم يزل يروى فكرته ، ويعمل رويته ؛ فيمن يصلح لهذا الأمر

بعده ، وبنهض بأعبائه الثقيلة وحده ، ويتبع فيه سبله ويسلك طرائقه ، ويقضى في السيرة الحسنة أثره ويشيم في العدل بوارقه ، ويقبل على الأمر بكنيته ويقطع النظر عما سواه ، ويتفرغ له من كل شاغل فلا يخلطه بما عداه .

وقد علم أن الأحق بأن يكون لها حليفاً من كان بها خليفاً ، والأولى بأن يكون لها قريناً من كان بوصلها حقيقاً ، والأجدر أن يكون لديها مكيماً من آتخذ معها يداً وإلى مرضاتها طريقاً ، والأليق بمنصبها الشريف من كان بمطلوبها ملياً ، والأخري بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وفيّاً ، والأوفق لمقامها العالي من كان خيراً مقاماً وأحسن ندباً ، وكان ولده السيد الأجل أبو الفضل المشار إليه هو الذي وجهت الخلافة وجهها إلى قبلته ، وبالفت في طلبه وألحت في خطبته ؛ على أنه قد أرضع بلبانها وربى في حجرها ، وانتسب إليها بالبنوة فضمته إلى صدرها ، وكيف لا تنتسب بجباله ، وتتعلق بأذياله ، وتطمع في قربه ، وتتغالى في حبه ، وتميل إلى أنسه ، وتراوده عن نفسه ، وهو كفؤها المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتها ، ونسيبها السامى إلى أعاليها الراقى على شرفاتها ، إذ هو شبلها الناشئ في آجامها ، بل أسدها الحامى لحماها ، ومجيرها الوافى بذمامها ، وفارسها المقدم في حلبة سباقها ووارثها الخائر لجميع سهامها ، وحاكمها الطائع لأمرها ، ورشيدها المأمون على سرها ، وناصرها القائم بواجبها ، ومهديها الهادى إلى أفضل مآزيرها ؟ قد ألتحف من الخلافة بردائها ، وسكن من القلوب في سويدائها ، وتوسمت الآفاق تفويض الأمر إليه بعد أبيه فظهر الخلق في أرجائها ، وأتبع سيرة أبيه في المعروف وأقتفى أثره في الكرم ، وتشبه به في المفارح (ومن يشابه أبه فما ظلم) وتقبل الله دعاء أبيه فوهب له من لدنه ولياً ، وأجاب نداءه فيه فكان له في الأرض وآتاه الحكم صبيّاً ، فاستوجب أن يكون حينئذٍ للمسلمين ولياً عندهم ، والياً على أمورهم في حلهم وعقدهم ، متكفلاً بالأمر في قربه وبعده ،

مُعِينًا لِأَيِّهِ فِي حَيَاتِهِ خَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَأَنْ يَصْرِّحَ لَهُ بِالِاسْتِخْلَافِ وَيُوضِّحَ ،
وَيَتَلَوَّ عَلَيْهِ بِلِسَانِ التَّفْوِيضِ ﴿ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾ .

وَأَقْتَضَتْ شَفَقَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْفَتُهُ ، وَرِفْقُهُ بِالْأُمَّةِ وَرَحْمَتُهُ ؛ أَنْ يَنْتَسِبَ لَهُمْ
وَلِيٌّ عَهْدٍ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مُتَّصِفًا ، وَمِنْ بَحْرِهِ الْكَرِيمِ مُغْتَرِفًا ، وَمِنْ ثِمَارِ مَعْرُوفِهِ
الْمَعْرُوفِ مُقْتَضِفًا ؛ وَلِتَهْلِكَ الْعَذْبُ وَإِرْدَاؤُهُ . وَعَلَى بَيْتِهِ الشَّرِيفِ وَسَائِرِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
عَائِدًا ؛ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ هُوَ مُسْتَكْمَلٌ لْجَمِيعِهَا ، مُسْتَوْعِبٌ لِأَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا ؛ وَهُوَ بِمَطْلُوبِهَا
أَمْلِيٌّ ، وَعَلَى قُلُوبِ الرِّعْيَةِ أَحْلَى ؛ وَلِلْغَلِيلِ أَشْفَى ؛ وَبِالْعَهْدِ الْجَمِيلِ أَوفَى ؛ مِنْ وَلَدِهِ
الْمُشَارِ إِلَيْهِ . فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ، وَأَمْرَائِهِ
وَوُزَرَائِهِ ، وَخَاصَّتِهِ وَذَوِيهِ ، وَأَقَارِبِهِ وَبَنِيهِ ، وَأَعْيَانِ أَهْلِ الْعَصْرِ وَعَامَّتِهِ ، وَجُمْهُورِهِ
وَكَافَّةً ، فَرَأَوْهُ صَوَابًا ، وَلَمْ يَعْرِهُمْ فِيهِ ظَنَّةٌ وَلَا مُسْتَرَابًا ، وَلَا وَجَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى بَابِ
غَيْرِهِ طَرِيقًا وَلَا إِلَى طَرِيقِ غَيْرِهِ بَابًا ؛ فَاسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَأَقْبَلَ خَاطِرُهُ الشَّرِيفُ
عَلَيْهِ ، وَكَرَّرَ الِاسْتِخَارَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَحِيدًا إِلَّا إِلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ أُنْعَقِدَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَعُدِمَ فِيهِ الْمَخَالَفُ
بَلْ لَمْ يَكُنْ أَصْلًا ؛ حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَسَأَلَ التَّوْفِيقَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ ؛ وَجَدَّ
الِاسْتِخَارَةَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَقَلَّدَهُ مَا هُوَ مُنْقَلَدُهُ مِنْ اخْتِلَافِ الْمُقَدَّسَةِ بَعْدَهُ
عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ ، وَقَاعِدَةٍ مِنْ سَلَفِ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ؛
وَفَوْضَ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا ، وَأَصُولِهَا وَمَعَالِمِهَا : مِنْ عَهْدٍ وَوَصَايَا ،
وَعَزْلِ وَوَلَايَا ؛ وَتَفْوِيضٍ وَتَقْلِيدٍ ، وَاتِّزَاعٍ وَتَحْلِيدٍ ؛ وَتَفْرِيقٍ وَجَمْعٍ ، وَإِعْطَاءٍ
وَمَنْعٍ ، وَوَصْلٍ وَقَطْعٍ ؛ وَصِلَةَ وَإِذْرَارٍ ، وَتَقْلِيلٍ وَإِثْكَارٍ ؛ جُزْئِيًّا وَكُلِّيًّا ، وَخَفِيًّا

وجليها ؛ ودانها وقاصيها ، وطائعا وعاصيها ؛ تفويضا شرعيا ، تاما مرضيا ؛ جامعا
لأحكام الولاية جمعا يعم كل نطاق ، ويسرى حكمه في جميع الآفاق ، ويدخل تحته
سائر الأقاليم والأمصار على الإطلاق ؛ لا يغير حكمه ، ولا يغيّر رسمه ؛ ولا يطيّش
سهمه ، ولا يافل نجه .

قبل المعهود إليه - أعلى الله مقامه - ذلك بمحض من القضاة والحكام ، والعلماء
الأعلام ؛ ولزم حكمه وأثرهم ، وكتب في سجلات الأفلاك وأرسم ، وحملت رسائله
مع برد السحاب فطافت به على سائر الأمم ؛ وهو - أبقاء الله - مع ما طبع عليه
طباعه السليمه ، وجلبت عليه سجاياه الشريفة وأخلاقه الكريمة ؛ قد تلقى عن
أمير المؤمنين من شريف الآداب ما عُدّ به في مهده ، وتلقف منه من حسن
الأدوات ما يرويه بالسند عن أبيه وجده ؛ مما أنطبع في صفاء ذهنه الصّقل
وأنقش في فهمه ، واختلط من حال طفولته بدمه ولحمه وعظمه ؛ حتى صار طبعا
ثانيا ، وخلقا على ممر الزمان باقيا ؛ واجتمع لديه الغريزى فكان أصلا ثابتا ، وقرعا
على ذلك الأصل القوى ثابتا ؛ لكن أمير المؤمنين يوصيه تبركا ، ويشرح له ما يكون
به - إن شاء الله - متمسكا ؛ والمرء إلى الأمر بالخير مندوب ، ووصية الرجل لبينه
مطلوبة فقد قال تعالى : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ .

فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجح ، و [اجعل] التقوى رأس مالك :
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ والجا إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لحا ؛ وكتب الله
هو الحبل المتين ، والكتاب المبين ؛ والمنهج القويم ، والسبيل الواضح والصراط
المستقيم ؛ فتمسك منه بالعروة الوثقى ، وأسلك طريقته المثلى وأهتد بهديه فلا تضل
ولا تسقى ؛ وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالإقتداء بأفعالها الواضحة ،
والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة ؛ عالما بأن الكتاب والسنة أخوان لا يفترقان ،

وَمُتَلَا زِمَانٍ بِجَبَلِ التَّبَايُنِ لَا يَعْتَا قَانُ ، وَالْإِلَادَ وَالرَّعَايَا خُطُوهَا بَنَظْرَكَ مَا اسْتَطَعْتَ ،
وَتَشَبَّتَ فِي كُلِّ قَطْعٍ وَوَصَلَ فَأَنْتَ مُسْتَوِلٌ عَنْ كُلِّ مَا وَصَلَتْ وَقَطَعْتَ ، وَالْآلَ
وَالْعِتْرَةَ النَّبَوِيَّةَ فَفِيهِمَا حَقُّ الْقَرَابَةِ مِنْكَ وَمَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
أَشْرَقَتْ بِهِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا أَكْرَمْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنَّمَا أَكْرَمْتَهُ بِسَبِيهِ ، وَأَتَّبَعَ فِي السَّيْرِ
سَيْرَ آبَائِكَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَا تَتَرَفَّغْ عَنْهَا ، وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا بِهَا وَبِمَا هُوَ - إِنْ
اسْتَطَعْتَ - خَيْرٌ مِنْهَا ، وَأَقِفْ فِي الْمَعْرُوفِ أَنَا رَهُمُ الْمُقَدَّسَةِ لِنَحْوِي مِنَ الْمَأْثَرِ مَاحَوْوًا ،
وَأَحْذِ حَذْوَهُمْ فِي طَرِيقِهِمُ الْمُبَارَكَةِ وَأَبْنِ الْمَجْدَ كَمَا بَنَوْا ، وَأَحْزِي مِنَ الْعَمَلِ سَنَةَ سَلَفِكَ
الْمُصْطَفِيِّ الْأَخْيَارِ ، وَأَحْرِضْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأُتَمَّةِ الَّذِينَ يُظَاهِمُ اللَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ :
﴿ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .
وَأَسْلَفَ خَيْرًا تُذَكِّرُهُ بِهِ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي ، وَيَنْتَظِمُ ذِكْرُهُ فِي عُقُودِ الْأَيَّامِ كَمَا تَنْتَظِمُ فِي السَّلَكِ
الْأَلَا لِي ، وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ وَجْهَ اللَّهِ لِيَكُونَ فِي نُصْرَتِكَ فَإِنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نُصْرَتِهِ
لَا يُبَالِي ، وَلِتَعْلَمَ حَقَّ الْيَقِينِ أَنَّ حَسَنَةَ الْإِمَامِ تُضَاعَفُ بِحَسَبِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ
الْمَصَالِحِ أَوْ يَتَجَدَّدُ بِسَبَبِهَا ، وَسَيِّئَتُهُ كَذَلِكَ فَمَنْ سَنَّ سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ لِمُئْتَمَرِهَا وَإِثْمٌ مِنْ
عَمَلِهَا ، وَدُرٌّ مَعَ الْحَقِّ كَيْفَ دَارَ وَمِلٌّ مَعَهُ حَيْثُ مَالٌ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا يَقُومُ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَأْنَفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَالٍ ، وَلَا تُحْطَرُ بِبَالِكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَتَمَّ إِلَيْكَ بِقُوَّةٍ ، أَوْ يُغْرَكَ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ
النَّاءِ عَلَيْكَ فَالْثَّأْرُ بِالْمَدْحِ يُحِلُّ بِالْمُرُوءَةِ ، وَلَا تَكِلْ عَلَى نَسَبِكَ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَدْخَلَهُ
الْجَنَّةَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبِشِيًّا ، وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ وَلَوْ كَانَ هَاشِمِيًّا قُرَشِيًّا ، وَاسْتَنْصِرَ
اللَّهُ يَنْصُرَكَ وَاسْتَعِينَ بِهِ يَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَظَهِيرًا ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا
وَنَصِيرًا ﴾ وَكُنْ [مِنْ] اللَّهِ حَافِظًا وَمِنْ مَكْرِهِ مِنَ الْمُشْفِقِينَ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينَ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ووصيته ثملى عليك ؛ (وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَّمَ
تَنَفَّعَ الْمُؤْمِنِينَ) والله تعالى يبلغه منك أملاً ، ويحقق فيك علماً ويزكي بك عملاً ؛
والاعتماد على الخط المقدس الإمامي المتوكلى - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، حجة فيه
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ « من فلان إلى فلان » كما يكتب في المكاتبات
ثم يأتي بالعبدية ويأتي بما يناسبه مما يقتضيه الحال من ذكر الولاية ،
ووصف المتولى ، واختيار المولى له ونحو ذلك)
ثم قاعدة كتابهم أنهم يأتون بعد ذلك بالتحميد في أثناء العهد .

وهذه نسخة عهد من ذلك ، كتبت بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي ، ولده
حيدرة بأن يكون ولي عهد الخلافة بعده ؛ وليس فيها تعرض لتحميد أصلاً ، وهو .
من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى ولده وتجله ، وسلالته الطاهرة ونسله ، وأجمع على شرفه والعامل بمرضاة
الله في قوله وفعله ، وعقده وحله ؛ الأمين أبي تراب حيدرة ، ولي عهد
أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلّي على جدّه محمّد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ،
الأئمة المهديين ؛ وسلم تسليماً .

أما بعد ، فإن الله تعالى ليدبّر حكيمه ، ووسيع رحمته ، استودع خلفاءه من خلقه
وبرآه ، وأستغنى أئمّاه من صوره وذراه ؛ وربّهم مرتبة النفوس من الأجساد ،

وَنَزَّلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَاءِ مِنَ الْأَزْنَادِ ؛ وَجَعَلَهُمْ مُسْتَخْدِمِينَ لِأَفْكَارِهِمْ فِي مَصَالِحِ الْبَرِيَّةِ
الَّتِي غَدَّتْ فِي أَمَانِهِمْ ، وَحَصَلَتْ فِي ضَمَانِهِمْ ؛ فَظَلَّتْ فِي ذِمَامِهِمْ ، وَسَعِدَتْ فِي عِزِّ
مَقَامِهِمْ وَظَلَّ أَيَّامُهُمْ : لِأَنَّهُمْ نَصَبُوا لِلنَّظَرِ فِيمَا جَلَّ وَدَقَّ ، وَتَعَبُوا لِرَاحَةِ الْكَافَّةِ تَعَبًا
صَعُبَ وَعَظُمَ وَشَقَّ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ الْحِكْمَةِ ، وَضَرْبًا مِنْ أَفْضَلِ تَذْيِيرِ
الْأُتَمَّةِ ؛ إِذْ لَوْ سَاوَى بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْئُوسِ ، وَالسَّائِسِ وَالْمُسَّوسِ ؛ لَأَخْتَلَطَ
الْخُصُوصُ بِالْعُمُومِ ، وَلَمْ يَبْقَ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ .

وَقَدْ اسْتَخْلَصَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَشْرَفِ أُسْرَةٍ وَأَكْرَمِ عِصَابَةٍ ، وَأَيَّدَهُ فِي جَمِيعِ
آرَائِهِ بِالْحَرَامَةِ وَالْجَزَالَةِ وَالْأَصَالَةِ وَالْإِصَابَةِ ؛ وَقَضَى لِأَغْرَاضِهِ أَنْ يَكُونَ السَّعْدُ لَهَا
خَادِمًا ، وَحَمَّ لِمَقَاصِدِهِ أَنْ يُصَاحِبَهَا التَّوْفِيقُ وَلَا يَنْفَكَّ لَهَا مُلَازِمًا ؛ وَجَمَعَ لَهُ مَا تَفَرَّقَ
فِي الْخَلِيقَةِ مِنَ الْمَفَاحِرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَأَهْلَمَهُ النَّظَرَ فِي حُسْنِ الْخَوَاتِمِ وَحَمِيدِ الْعَوَاقِبِ .

وَلَمَّا كَانَ وَلِيُّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَرَ أَبْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمُنْتَهَى لِأَشْرَفِ
الْمَرَاتِبِ مِنْ تَقَادُمِ السِّنِّينَ ؛ وَقَدْ آسَتَوْا عَلَى الْفَخْرِ بِاكتِسَابِهِ وَآتَنَسَابِهِ ، وَتَصَدَّتْ لَهُ
مَخْطُوبَاتُ الرُّتَبِ لِيُحَوِّزَهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ وَاسْتِجَابَةِ ؛ وَلَهُ مِنْ فَضِيلَةِ ذَاتِهِ مَا يُدِلُّ عَلَى
النَّبَا الْعَظِيمِ ، وَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ مَا يَهْتَدِي بِهِ السَّارِي فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ؛ وَحِينَ حَوَى
تَالِدَ الْفَخْرِ وَطَارِفَهُ وَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالْقَدِيمِ عَنِ الْحَدِيثِ وَلَا بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقَدِيمِ ؛
وَالصِّفَاتُ إِذَا اخْتَلَفَتْ أَرْبَابُهَا لَا تَقَعُ إِلَّا دُونَهُ ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ
لِلَّذِينَ يُخْلِصُونَ فِيهِ وَيَتَوَلَّوْنَهُ ؛ وَلِيَفْخَرَ بِأَنْ خُصَّ مِنَ الْعِنَايَةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ بِالْحِظِّ الْأَجْزَلِ ،
وَلِيَتَسَمَّحَ عَلَى الْبَرَايَا لِيَكُونَ مَدْمُوحًا بِالْكَتَابِ الْمُنَزَّلِ ؛ وَلِيُدْخَلَ فِيهِ وَصْفَهُ لَا تُبْلَغُ غَايَتُهُ
وَإِنْ اسْتَخْدِمَتْ فِيهِ الْفِكْرُ ، وَلِيَجْجَحَ فَإِنْ فَضَلَهُ لَا يُدْرِكُ حَقِيقَةً إِلَّا إِذَا تُبْلِغَتْ السُّورُ ،
فَأَمْتَعَهُ اللَّهُ بِمَوَاهِبِهِ لَدَيْهِ وَأَمْتَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَأَجْرَى أُمُورَهُ عَاجِلًا وَأَجَلًا بِسَبَبِهِ .

(١) رأى أمير المؤمنين أن يختصه بولاية عهد أمير المؤمنين تميزاً له بهذا النعت الشريف، وسموا به إلى ما يجب لحجده الشاخص وعمله المنيف؛ وأقنداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يشرفون به أبناءهم الأكرمين، وتخصيصاً له بما يبقى نخره على متجدد الأزمان ومتداول السنين. وأمر أمير المؤمنين أن يتخير من رجال دولته، ووجوه أجناده وشيعته؛ طائفة يكون إليه أنتماءؤها، وإلى شرف هذا النعت أنسابها واعتراؤها؛ فتوسم بالطائفة العهدية، وتحظى إذا أخلصت في الولاية بالسعادة الدائمة الأبدية؛ وتظل موقوفة على خدمته، متصرفة على أوامره وأمثله؛ منتبهة في طاعته إلى أغراضه ومآربه، ملازمة للأزم المتعين من ملازمة الخدمة في مواضعه؛ والله تعالى يجعل ما رآه أمير المؤمنين من ذلك كافلاً بالخيرات، ضامناً لشمول المنافع وعموم البركات؛ إن شاء الله تعالى: والسلام على ولي عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.



وهذه نسخة بولاية العهد من خليفة لولده بالخلافة على هذه الطريقة، من إنشاء القاضي الفاضل؛ أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاث مرات، وهي:

من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في العهد قبله.

(٢) أما بعد، فالحمد لله الذي آستحق الحمد بفضلِهِ، وأجرى القضاء [على ما أراده] ووسّع الجرائم بعفوهِ وعدله؛ وصرف المراحم بين قوله وفعله، وأعلى منار الحق

(١) لعل هذا جواب الشرط في أول الفقرة قبل ويكون العامل في حين بعده محذوفاً دل هذا عليه. تأمل.

(٢) بياض في الأصل والتصحيح من المقام.

وَأَرْشَدَ إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَاخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِينًا وَعَصَمَ الْمُعْتَلِقِينَ بِحَبْلِهِ ، وَأَوْضَحَ سُبُلَ النِّجَاةِ بِمَا أَوْضَحَ لِسَالِكِيهِ مِنْ سُبُلِهِ ؛ وَتَعَالَى عُلَاهُ إِلَى الصِّفَاتِ ، فَلَمْ يُوصَفْ بِمِثْلِ قَوْلِهِ :
 ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ﴾ وَتَنَزَّهَ عَنْ أَشْتَرَكَ التَّشْبِيهَاتِ ، فِي كُلِّ جَلِيلٍ الْوَصْفِ مُسْتَقَلَّةً وَغَيْرِ
 مُسْتَقَلَّةً ؛ عِلْمَ مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ خَطَرَاتُ الْأَسْرَارِ ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ نَظَرَاتُ الْأَبْصَارِ ،
 وَأَتَفَرَّجَتْ عَنْهُ غَمَرَاتُ الْأَخْطَارِ ، وَأَخَفَّتْهُ سَرَاتُ الظُّلُمَاءِ وَبَاحَتْ بِهِ جَهَرَاتُ
 الْأَنْوَارِ : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ
 وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ عِنْدَهُ الْإِسْلَامَ ، فَهَنْ أَبْتَغَى غَيْرَهُ ضَلَّ الْمَنْهَجَ ، وَأَبْعَدَ
 الْمَرْجَ ، وَأَسْتَلْقَحَ الْمُخْدَجَ ، وَغَلَطَ الْمَخْرَجَ ، وَفَارَقَ النُّورَ الْأَبْلَجَ ، وَرَكِبَ الطَّرِيقَ
 الْأَعْوَجَ ، وَأَتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاللِّسَانِ الْمُلْجَلَجِ ؛ وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ فَازَ بِالسَّعْيِ
 النَّجِيجِ ، وَحَازَ الْمَتَجَرَ الرَّيِيجَ ؛ وَوَرَدَ الْمَوْرِدَ الْأَخْمَدَ ، وَيَمُّ الْقَصْدِ الْأَقْصَدَ ، وَوَجَدَ
 الْجَدَّ الْأَسْعَدَ ، وَسَلَكَ الْمَنْهَجَ الْأَرْشَدَ ؛ فَهُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى ،
 وَالدرَجَةُ الْعُلْيَا ؛ وَأَمَرَ بِهِ خَيْرُ الْمَرْسَايْنِ ، الْمَنْعَوْتُ فِي سَيْرِ الْأَوَّلَيْنِ ، الْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ
 الْمُبِينِ ، وَالْقَائِمُ رَسُولًا فِي الْأُمِّيْنِ ، وَالْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ ؛
 وَالدَّاعِي الَّذِي مَنْ أَجَابَهُ وَآمَنَ بِهِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأُجِيرَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ ،
 وَالْمُسْتَقِلُّ [بِالْعِبَادَةِ] الْعَظِيمِ ، بِفَضْلِ مَا مُنِحَ مِنْ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ، وَالْمُدْوَحُ بِقَوْلِهِ :
 ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَصَلَ النُّبُوَّةَ بِالْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
 وَخَصَّهَا بِالْخَصَائِصِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِنَاثِمِ الْكَرَامَةِ ، وَأَجَارَهَا بِخَلْقِهِ مِنْ مِتَالِفِ

الطامة وبوادي الندامة ، وهدى بشرف مقامه إلى دار المقامه ؛ وأستردّ بأنوار تدبيره
من ظلام الباطل الظلامه ، وأحسن بما أجراه من نظره النظر للخاصة والعامة ،
(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) .

يمجده أمير المؤمنين أن رفعه إلى ذلك المحلّ المنيف ، وأستعمر به المقام الشريف ،
وأظهر كلمة الدين الحنيف ، ونفى عنه تعالى التعمق وتجديف التحريف ،
وبين بموافقة توفيق هديه طريق التكليف ، وأمدّه بمواد إلهية تشتهر فتستغني عن
التعريف ، وتصل فتقطع مواد التكليف .

ويسأله أن يصلّى على جدّه محمد الذي نسّخ بشريعته الشرائع ، وهذب بهدياته
المشارع ، وأيده بالحجج القواطع ، والأنوار السواطع ، وجعل من ذريته جبال الله .
القوارع ، ومن مشكاته نجوم الهدى الطوالع ، وعُدّت صنائعه بالله إذا آفخت
المنعمون بالصنائع ؛ وعلى أخيه وأبنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب المخصوص
بأخوته ، وأبي الثقلين من عترته ، والسابق إلى الإسلام فهو بعده أبو عذريته ؛
وإلى تفرج الكرب عن وجهه في الحرب فهو ابنُ بجدته . وعلى الأئمة من ذريتهما
مصايح الظلمات ، ومفاتيح الشكوك المبهمات ، والمنوحين من شرف السمات ،
ماجلّ عن المسامات ، والمدوحين بفضل الجاه في الأرضين والسّموات .

وإن الله بحكمته البديعه ، ورحمته الوسيعة ، أقام الخلفاء لخلقهِ قواماً وبحقّه
قواماً ، وجعل نار الحوادث بنورهم برداً وسلاماً ، وجعل لهم الهداية بأمره لزاماً ،
وأستصرف بهم عن الخلق عذاب جهنّم (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) ؛ فهم أرواح
والخلائق أجسام ، وصباح والمساءل أظلام ، وثمرات والوجود أحكام ، وحكام
والحقائق أحكام ، يسهرون في منافع الأنام وهم نيام ، وينفردون بوصب النصيب

وَيُقِرُّونَهُمْ بِلَذَاتِ الْجَمَامِ ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدَايَاتِهِمْ إِلَى مَا تَدُقُّ عَنْهُ حَوَائِطُ الْأَفْهَامِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بَوَاسِطِ إِلْهَامٍ . وقد أَصْطَفَى اللهُ الْأَمِيرَ مِنْ تِلْكَ الْأُسْرَةِ ، وَرَقَّاهُ شَرَفَ تِلْكَ الْمَنَاسِرِ وَمُلْكَ تِلْكَ الْأُسْرَةِ ، وَأَنَارَ بِمَقَامِهِ نُجُومَ السَّعَادَةِ الْمُسْتَسْرَةِ ؛ وَأَسْتَحْدَمَ الْعَالَمَ لِأَغْرَاضِهِ ، وَسَدَّدَ كُلَّ سَهْمٍ فِي رَمِيهِ إِلَى أَغْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَهُوَ وَاثِقٌ بِحُسْنِ عَوَاقِبِ إِقْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ طَاعَتَهُ فِي خَلْقِهِ فَالْسَّعِيدُ مِنْ تَلَقُّ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَقْرَاضِهِ ، وَأَمْضَى أَوْامِرُهُ عَلَى الْأَيَّامِ فَمَا يَقَالُهَا صَرْفٌ مِنْ صُرُوفِهَا بِأَعْتِرَاضِهِ ، وَأَدَارَ الْحَقِّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ ، وَكَشَفَ لَهُ مَا أَسْتَجَنَّ تَحْتَ أَسْتَارِ الْأَقْدَارِ ، وَوَقَفَ الْخَيْرَ وَالنُّصْرَةَ عَلَى آرَائِهِ وَرَايَاتِهِ فَهُوَ الْمُسْتَشَارُ وَالْمُسْتَخَارُ ؛ وَأَهْلَمَهُ أَنْ يَحْفَظَ لِلْأُمَّةِ غَدَهَا كَمَا حَفِظَ لَهَا يَوْمَهَا ، وَأَنْ يُجَرِّىَ لَهَا مَوَارِدَ تَوْفِيقِ الْإِرْتِيَادِ وَلَا يُطِيلَ حَوْمَهَا ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ الْمُؤْمِنَ عَلَى تَلَجٍّ مِنَ الصُّدُورِ ، وَفَلَجٍّ مِنَ الظُّهُورِ ، وَيُودِعَ عِنْدَهَا بَرْدَ الْيَقِينِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى مُسْتَوْدَعِ الثُّورِ ؛ وَيَجْعَلَهَا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَتَتَّبِعَهَا ، وَيُجِلِّهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُصْبِ فَتَرْتَبِعَهَا ؛ وَيُعَلِّمُ نَدَى خَيْرِهِ لِيَكُونَ غَايَتَهَا وَمَقَرَّعَهَا ، وَيُعَرِّفَهَا مِنْ تَنْظَرِهِ فَتَنْتَظِرَهُ مَا لَهَا وَمَرَجِعُهَا ؛ وَيَقْتَدِي فِي ذَلِكَ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ ، وَيُشِيرُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ الْمَشِيرُ مَقَامَ الْبَشِيرِ .

وَمَا كُنْتُ حَافِظَ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يُتَوَجَّعَ بِهِ السَّرِيرُ ، وَالنَّجْمِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ نَسْتَطِيلَ إِلَى أَنْوَارِهِ وَنَسْتَطِيرَ ، وَالذَّخِيرَةِ الَّتِي ادَّخَرَهَا اللهُ لِنَيْلِ كُلِّ خَطَرٍ وَدَفْعِ كُلِّ خَطِيرٍ ، وَالسَّحَابِ الَّذِي فِيهِ الثَّجُّ الْمَطِيرُ ، وَالنَّجْمُ الْمُنِيرُ ، وَالرَّجْمُ الْمُبِيرُ ، وَقَدْ تَجَلَّتْ لَكَ أَوْجُهُ الْكَرَامَاتِ وَتَبَدَّتْ ، وَتَبَرَّجَتْ لَكَ مَخْطُوبَاتُ الْمَقَامَاتِ وَتَصَدَّتْ ، وَطَلَبَتْكَ كُفًّا لِنَيْلِ عَقِيلَتِهَا وَسُكْنَى مَعْقِلِهَا فَمَا تَعَدَّتْ ، وَأَدَّتْ إِلَيْكَ لَطَائِفَ فَهْمِكَ مِنْ أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ مَا أَدَّتْ ؛ وَعَرَفْتَ مِنْ سِيَمَاكَ هَدَى النُّبُوَّةِ ، وَاجْتَمَعَ لَكَ مَرْيَةُ الشَّرَفَيْنِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْأَبُوءِ وَالْبُنُوءِ ، وَأَخَذْتَ كِتَابَ الْحِكْمَةِ

وَمَصُونِ الْعِصْمَةِ بِقُوَّةٍ ، وَأَجْرَتِ الْقُلُوبَ الَّتِي بِعَوَارِضِ الشَّكِّ مَمْنُونَةٌ ، وَآثَرَتِ الْعَقَائِدَ
الَّتِي بِنَوَاقِصِ الْعَقْدِ مَمْلُوءَةٌ ، وَغَدَّتْ وَجُوهَ الْأَنَامِ بِأَيَّامِكَ مَجْلُوءَةٌ ، وَتَوَافَقَتِ الْأَلْسُنُ عَلَى
مَدْحِكَ وَلَا مِثْلَ مَا مُدِحَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمَثْلُوءَةِ ، وَكَنتَ بِحَيْثُ تَذْهَبُ بِالْأَهْوَالِ
الْمُسْلُوءَةِ ، وَتُقْبِلُ بِالْأَمَالِ الْمَرْجُوءَةِ ؛ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا ضَلَّ لَهْدَاهُ نُورُكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ،
وَلَوْ أَنَّ ذِكْرَكَ شَدَّ تَبَدُّدِي فِي الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَوْ أَنَّكَ طَلَعْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ
لَمَا تَسَاءَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا فِي النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ قَدِيمًا عَلَا فَوْقَ كُلِّ حَدِيثٍ لَقَامَ لَكَ
الْحَدِيثُ مَقَامَ الْقَدِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنَامِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لَصَعِدَتْ دُونَهُمُ الْمَقَامُ
الْكَرِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ يَدَكَ الْبَيْضَاءُ تَجَسَّمَتْ لِلنَّاطِرِينَ لِأَعَدَّتْ آيَةَ مُوسَى الْكَلِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ
هِدَايَتِكَ الْغُرَاءَ تَسَمَّتْ لِلذَّاكِرِينَ لِأَحْيَيْتَ بِهَا الْعِظَامَ وَهِيَ رَعِيمٌ ، وَلَوْ أَنَّ عُلُومَكَ
أَنْتَشَرَتْ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَتَلَوُا : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ) وَلَوْ أَنَّ لَيْلَةَ وِلَادَتِكَ رَصَدَتْهَا
الْبَصَائِرُ ، رَأَتْ كَيْفَ يُفَرِّقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، وَالصِّفَاتُ إِذَا أَحْتَفَلُ أَرْبَابُهَا وَقَفَتْ
لَكَ عِيْدًا ، وَالْأَيَّامُ إِذَا كَانَتْ طُرُوقًا لِفَضَائِلِكَ كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا لِلْعِيْدِ عِيْدًا ،
وَالْأَنْسَابُ إِذَا عَدَدَتْهَا كَانَ الْجَدُّ سَعِيدًا ؛ فَلْتَفَخَّرْ قَبْلَ السَّيْرِ بِأَنْ أَمْلَيْتَ عَلَيْهَا السُّورَ ،
وَأَبَشِّرْ بِأَنْ الْمُنْتَظَرُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لَكَ فَوْقَ مَا تَعَجَّلُهُ النَّظَرُ ، وَاشْمَعْ بِأَنْ سَادَةَ الْقِبَائِلِ
مُضَرُّ وَأَنْكَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدُ مُضَرَ ، وَابْدَعْ بِأَنْكَ عِوَضُ مِنْ كُلِّ مَنْ غَابَ
وَمَاعِنَكَ عِوَضُ فِي كُلِّ مَنْ حَضَرَ ، وَابْجَعْ بِأَنْكَ قَدْ أَهْلَتْ لِأَمْرِ أَبِي اللَّهِ لَهُ إِلَّا أَوْلَى
الْعَزْمِ وَالْخَطَرِ ، وَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ خَلْقِكَ لَهَا بِقَدَرٍ ، وَمَزِيَّةٍ لِأَبَوَيْ حَقِّهَا مِنْ أَضْمَرِ
فَأَغْرَقَ أَوْ نَطَقَ فَشَكَرَ : وَقِيلَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ
هَدَانَا اللَّهُ) : (وَقُلْ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) .

فإليك هذا الأمرُ بصير، وأنت له والله لك نعم المولى ونعم النصير، وتأهب له في درجته التي لا ينالها باعٌ قصير، ولا يمتطيها إلا من اختاره الله على علم من أهل الثقلين ولو أن بعضهم لبعض ظهير، ولا نرى لها أهلاً إلا من أراه الله من آياته أنه هو السميع البصير، وفاوض أمير المؤمنين في مشكلات الأمر ولا ينبتك مثل خير، وأقند منه بمن هو [في] أهل دهره وصي الوصي ونظير النذير، وأهد بنوره الذي هو بالنور البائن دون الخلق بشير، وسر إذا استعملك الله فيهم بما رأيت أمير المؤمنين به فيهم يسير، وأدع الله بأن يسر على يدك مناجهم إن ذلك على الله يسير، وأعرف ما أترك الله به من أنه لم يجعل ليدك كفوًا إلا ذا الفقار ولا لقدمك كفوًا إلا المنبر والسرير، وتحدث بنعمة الله وإجرائها فأمير المؤمنين اليوم عليك أمير وأنت غداً على المؤمنين أمير: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإني يسر نفسه﴾.

وأما العدل وإفاضته، والجور وإغاضته، والصعب ورياضته، والجذب وترويضه، والخطب وتقويضه، والجهاد ورفع علمه، والذب عن دين الله وحفظ حرمه، والأمر بالمعروف ونشر دائه، والنهي عن المنكر وطى اعتدائه، وإقامة الحد بالصفح والحد، والمساواة في الحق بين المولى والعبد، وبث دعوة الله في كل غور من البلاد وتجد، وأمر عباد الله إن عباد الله في زمنك الرغد، فذلك عهد الأئمة الراشدين، وهو إليك من أمير المؤمنين، عهد مؤكد العقد: وهو سنة فضل الخلفاء التي لا تجد لها تحويلاً، ومعنى العهد الذي أمر الله بالوفاء به فقال: ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾.

وهل يوصى البحر بتلاطم أمواجه؟ وتدافع أفواجه؟ وبترأخ عجاجه؟ وهل يحض البدر المنير على أن ينير سراجَه، ويطلع ليتضح للسالك منهاجَه؟ أو ينبه على هدايته

إذا تهادته أبرأجه ؟ عليك من سرائر أنوار الله ما يُغْنِيكَ أن تُوصى ، ولديك من
ظواهر لطائف الله ما يُمَيِّزُ به عن الخلق إذ أُخْصِيَتْ به مخصوصا ، ومن شواهد اختيار
الله ما تظاهرت عليك آياته نصوصا ، فيسَلِّمُ الله يَحْيِيكَ المؤمنون ، وبالإعتلاق
بعضمة ولائك في يوم الفزع الأكبر يَأْمُنُونَ ، والله مُجِزُّكَ وعدة كما أنجزه لمن
جعلهم أئمة لما صَبَرُوا وكانوا بآياتنا يُوْقِنُونَ ، والله سبحانه يُهْدِي إِيْلَيْكَ تَحِيَّةً من
عنده مباركة طيبة ، ويُسِدي إلى مقام شرفك سحابة رحمة غدقة صبيبه ، ويجعل
ماراه أمير المؤمنين من ولايتك عهدا ، وكفالتك للأمة بعده ، للسرات ناظما ،
ولساعات حاسما ، وللبركات جامعا ، وللباطل خافضا وللحق رافعا . وأمر أمير المؤمنين
أن يعين على رجال من أولياء دولته ، ووجوه شيعته ، وأنصار سريته ، عِدَّةٌ يكون
إليك اعتراؤها ولك اعتراؤها ، وببائك العالی إقامتها وإلى جنابك أنحيارها ، فتكون
موسومة بالعبودية ، ومتعرضة بالولاء للسعادة الأبدية ، فتُمَثِّلُ على ما مثله من
المراسم ، وتتصرف على ما تصرفها عليه من العزائم ، وتكون أبدا لما ينفذ عنك من
أحكام الهبات والمكارم ، وتقوم من ملازمة الخدمة في موايك بما هول كل خادم
فرس لازم ، وتُسارع في مطالبك إلى ما يسارع إليه الخازم ، وتُجود باسماء الإنعام
بالغدق الساجم . وتقدر لها من الواجبات والزيادات ما تقتضيه همم المكارم ، تبدل
في الخدمة الاجتهاد ، وتنافس فيما تستمد [به] الخطوة بحضرته والإححاد ، وعرضها
من الإحسان الجم للآزدياد ، وبلغها المراد بما تبلغ بها من المراد : لتتشرف بأن تكون
تحت ركابه العالی متصرفه ، وتفتخر بأن تكون أنسابها باسمه العالی مشرفة ،
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثالث

(أن يَفْتَحَ العهد بعد البسملة بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» ثم يَأْتِي بالبعدية،

ويأتى بما يُناسبُ الحال على نحو ما تقدم، وعليه عمل أهل زماننا

مع الاختصار على تجميد واحدة، والاختصار في القول)

وهذه نسخة أوردتها على بن خُلف من إنشائه في كتابه "مواد البيان" لترتيب

الكتابة في زمن الفاطميين، وهي :

الحمد لله مُعَزِّدِ دِينِهِ بِخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَمُرْتَبِّ حَقِّهِ بِأَوْلِيَائِهِ الْهَادِينَ؛ الَّذِي اخْتَارَ
دِينَ الْإِسْلَامَ لَصَفْوَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَخَصَّ بِهِ مَنْ اسْتَخْلَصَهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ؛ وَجَعَلَ
حَبْلَهُ الْمَتِينَ، وَدِينَهُ الَّذِي أَظْهَرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ؛ وَسَبِيلَهُ الْأَفْسَحَ، وَطَرِيقَهُ الْأَوْضَحَ؛
وَأَتَّبَعَتْ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَأَعْلَنَ بِذِكْرِهِ؛ وَالنَّاسُ فِي فِتْرَةِ
الضَّلَالَةِ، وَعَمْرَةُ الْجَهَالَةِ؛ فَلَمَّا أَنْجَزَ فِي نُصْرَةِ حَقِّهِ، وَتَأْيِيدِهِ لِسُعْدَاءِ خَلْقِهِ [قبضه]^(١)
إِلَيْهِ مُحَمَّدَ الْأَثَرِ، طَيَّبَ الْخَبَرَ [وقام]^(١) بِخِلَافَتِهِ، مَنْ آتَخَبَهُ مِنْ طَهْرَةِ عِثْرَتِهِ؛ وَأَوْدَعَهُمْ
حِكْمَتَهُ، وَكَفَّلَهُمْ شَرِيعَتَهُ؛ فَاقْتَفَوْا سَبِيلَهُ، وَاتَّبَعُوا دَلِيلَهُ؛ كُلُّمَا قَبَضَ مِنْهُمْ سَلَفًا إِلَى
مَقَرِّ مَجْدِهِ، أَصْطَفَى خَلَفًا لِلْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

يُحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَقْضَى إِلَيْهِ بُتْرَاثَ الْإِمَامَةِ وَالرَّسَالَةِ، وَهَدَى بِهِ كَمَا هَدَى
يُحْمَدُهُ مِنَ الرِّبْعِ وَالضَّلَالَةِ؛ وَأَخْتَصَمَ بِمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ، وَنَصَبَهُ رَحْمَةً لِلْكَافَةِ؛ وَأَتَمَّ
نِعْمَتَهُ [عليه] كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى آبَائِهِ، وَأَجَزَلَ حَقَّهُ مِنْ حُسْنِ بَلَانِهِ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا اسْتَرْعَاهُ،
وَوَفَّقَهُ فِيمَا وُلَّاهُ؛ وَأَنْهَضَهُ بِإِعْزَازِ الْمَلَّةِ، وَإِكْرَامِ الْأُمَّةِ؛ وَإِمَامَةِ الْبِدْعِ، وَإِبْطَالِ

(١) يبايض بالأصل، والتصحيح مما يقتضيه المقام .

الْمَذْهَبِ الْمُخْتَرَعِ ؛ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ ، وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَى لَاحِبِ السُّنَنِ ؛ وَوَهَبَهُ مِنْ بَيْنِهِ
وَذُرِّيَّتِهِ ، مُوَازِرِينَ عَلَى مَا حَمَلَهُ مِنْ أَعْبَاءِ خِلَافَتِهِ ، وَمُظَاهِرِينَ عَلَى مَا كَلَّفَهُ مِنْ إِمَاعَانِ
النَّظَرِ فِي بَرِيَّتِهِ .

وَيَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى عَجْدِ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَالْخَيْرَةِ مِنْ خُلَصَائِهِ ؛ الَّذِي شَرَّفَهُ بِخِتَامِ
رُسُلِهِ ، وَإِقْرَارِ نِيَابَتِهِ فِي أَهْلِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ وَبَابِ حِكْمَتِهِ ،
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَصِيِّهِ فِي أُمَّتِهِ ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، مَنَاهِجِ رَحْمَتِهِ ،
وَسُرُجِ هِدَايَتِهِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وَيَا اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْخِلَافَةَ لِلْكَافَّةِ عِصْمَهُ ، وَلَأَهْلَ الْإِيمَانِ رَحْمَهُ ، تَجَمُّعَ
كَلِمَتِهِمْ ، وَتَحْفِظَ أَقْلَتِهِمْ ؛ وَتُصْلِحَ عَامَّتِهِمْ ، وَتُقِيمَ فَرَائِضَهُ وَسُنَنَهُ فِيهِمْ ، وَتَمُدَّ رُوقَ
الْعَدْلِ وَالْأَمْنَةِ عَلَيْهِمْ ؛ وَتَحْسِمَ أَسْبَابَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ ، وَتَقْتَمَعَ أَهْلَ الْغِنَادِ
وَالشَّقَاقِ ؛ وَلِذَلِكَ وَصَلَ اللَّهُ حَبْلَ الْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقَبِ أَوْلِيَائِهِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَلَمَّا نَظَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعِينَ الْيَقِينِ ، وَأَقْبَسَ مِنَ الْحَقِيقَةِ قَبَسَ [الْحَقِّ] الْمُبِينِ ،
عَرَفَ مَا بُنِيَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا مِنْ سُرْعَةِ الزَّوَالِ ، وَوَشَكَ التَّحَوُّلَ وَالْإِنْتِقَالَ ؛ وَأَنَّ
مَا قَوَّضَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ خِلَافَتِهِ لَا بَدَّ أَنْ يَتَّقِلَ عَنْهُ إِلَى أَبْنَائِهِ الْمَيَامِينِ ، كَمَا أَنْتَقَلَ إِلَيْهِ
عَنْ آبَائِهِ الرَّاشِدِينَ ؛ فَلَمْ يَغْتَرَّ بِمَوَاعِيدِهَا الْمَحَالِ ، وَأَصْرَبَ عَمَّا تَخَدَّعَ بِهِ مِنَ الْأَمَانِيِّ
وَالْأَمَالِ ؛ وَأَشْفَقَ عَلَى مَنْ كَفَّلَهُ اللَّهُ بِسِيَاسَتِهِ ، وَحَمَلَهُ رِعَايَتَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
الْمُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِ دَعْوَتِهِ ؛ الْمُسْتَمِلِينَ بِظِلِّ بَيْعَتِهِ ، عِنْدَ تَقْضَى مُدَّتِهِ وَزُرُوعِهِ إِلَى آخِرَتِهِ ؛
فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ، بِالْأَجْلِ الْمَحْتُومِ : مِنْ أَنْتِشَارِ الْكَلِمَةِ ، وَأَنْبِيَاءِ الْعِصْمَةِ ؛
وَأَنْشِقَاقِ الْعَصَا ، وَإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ ؛ وَاسْتِيلَاءِ الْفَتَنِ ، وَتَعْطِيلِ الْقُرُوضِ وَالسُّنَنِ ؛ فَنَظَرَ

لهم بما ينظم شملهم ، ويصل حبلهم ، ويزجر ظلمتهم ، ويجمع كلمتهم ، ويؤلف
أفئدتهم ، ورأى أن يعهد إلى فلان ولده : لأنه قريبه في عليه وقبيله ، وعقبه
في إنصافه وعدله ، والمأموح من بعده ، والمرجوئ ليوه وغده ، ولما جمع الله له
من شروط الإمامه ، وكله له من أدوات الخلافه ، وجبله عليه من الرحمة والرفه ،
وخصه به من الرصانه والرجاحه ، والشجاعة والسماحه ، وآتاه من فضل الخطاب ،
وجوامع الصواب ومحاسن الآداب ، ووقاية الدين ، والغلظة على الظالمين ، واللطف
بالمؤمنين ، بعد أن قدم أستخارة الله تعالى فيه ، وسأله توفيقه لما يرضيه ، ووقف
فكره على اختياره ، ولم يكن باختياره مع إيثاره ، ويلوح في شمائله ، ويستوضح
في مخايله ، أنه الولي المجتبي ، والخليفة المصطفى ، الذي يحى الله به ذمار الحق ،
ويعلى بسلطانه شعار الصدق ، وأنه - سبحانه - قد أفضى إليه بما أفضى به إلى
الخلفاء من قبله ، وأفاض عليه من الكامينات ما أفاضه على أهله ، وبعد أن عاقده
وعاهدته على مثل ما عاهدته عليه آبائوه : من تقوى الله تعالى وطاعته ، وأستشعار
خيفته ومراقبته والعمل بكتابه وسنته ، وإقامة حدود الله التي حدتها ، بفروضة التي
وكدها ، والاعتداء بسلفه الراشدين ، في المكافئة عن الدين ، والمساحة عن أوزار
المسلمين ، وبسبط العدل على الرعية ، والحكم بينهم بالسوية ، وإنصاف المظلوم
من الظلوم ، وكف يد المغتصب الغشوم ، وصرف ولادة الجور عن أهل الإسلام ،
وتخير من ينظر بينهم في المظالم والأحكام ، وأن لا يؤلى عليهم إلا من يثق بعدالته ،
ويسكن إلى دينه وأمانته ، ولا يفسح لشريف في التعدي على مشرؤف ، ولا يقوى
في التسلط على مضعوف ، وأن ينجل الناس في الحقوق على التساوى ، ويخبرهم
في دولته على التناصف والتكافى ، ويأمر مجابه وتوابعه بإيصال الخاصة والعامة إليه ،
وتمكينهم من عرض حوائجهم ومظالمهم عليه : ليعلموا : الولاء والعمال ، أن رعيته

على ذكر منه وبأل ، فِتَحَامُوا التَّحِيلَ عَلَيْهِمُ وَالْإِضْرَارَ بِهِمْ . وَأَشْهَدُ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَا شَرَطَهُ وَحَدَّدَهُ ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَحْدُ إِلَيْهِ فِيمَا تَقَلَّدَهُ . عَلَى أَنَّهُ غَفَى عَنْ وَصِيَّةٍ وَتَبْصِيرٍ ، وَتَنْبِيهِ وَتَذَكِيرٍ ؛ إِلَّا أَنَّ مُحَمَّدًا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ يَقُولُ لَعَلَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا " أُرْسِلَ عَاقِلًا ^(١) الْإِفَاوَصَهُ " .

فَبَايَعُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى طَائِعِينَ غَيْرِ مُكْرَهِينَ ، بِرَغْبَةٍ لَا بِرَهْبَةٍ ، وَبِإِخْلَاصٍ لَا بِمُدَاهَنَةٍ ، بَيْعَةَ رِضَا وَآخْتِيَارٍ ، وَأَنْقِيَادٍ وَإِثَارٍ ؛ بِصَحَّةٍ مِنْ نِيَّاتِكُمْ ، وَسَلَامَةٍ مِنْ صُدُورِكُمْ ؛ وَصَفَاءٍ مِنْ عَقَائِدِكُمْ ، وَوَفَاءٍ وَاسْتِقَامَةٍ فِيمَا تَضَعُونَ عَلَيْهِ أَيْمَانَكُمْ : لِيُعَرِّفَكُمُ اللَّهُ [مِنْ] سُبُوغِ النِّعَمَةِ ، وَثُمُولِ الْحَبْرِ ؛ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ ، وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ ؛ مَا يُقَرُّ نَوَاطِرَكُمْ ، وَيُرَدِّدُ ضَمَائِرَكُمْ ؛ وَيَذْهَبُ غَلُّ صُدُورِكُمْ وَيُعَزِّزُ جَانِبَكُمْ ، وَيُذِلُّ مُجَانِبَكُمْ ؛ فَاعْمَلُوا هَذَا وَاعْمَلُوا بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَقَدْ يُغْنِي هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مَعْنَى الْعَهْدِ ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى عَهْدٍ : وَعَلَى ذَلِكَ كُتِبَ عَنِ الْإِمَامِ الْمُسْتَكْفَى بِاللَّهِ أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ ، ابْنَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْمَدَ ، عَهْدُ وَلَدِهِ الْمُسْتَوْتِقِ بِاللَّهِ « بَرَكَةٌ » بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ . وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَيْدَى الْخِلَافَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ بِأَجَلٍ وَالِدٍ وَأَبْرَ وَلَدٍ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ وَالسَّنْدَ كَالسَّنَدِ ، وَأَوَاهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ فَالْكَهْفِ وَإِنْ تَنَاهَى الْعَدَدُ ؛ وَزَانَ عِظْفَهَا بِسُودَدِ سَوَادِ شِعَارِهِمُ الْمَسْجِلَةِ أَنْوَارَهُمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ النُّورَ فِي السَّوَادِ ، وَعَدَقَ بِصَوْلَتِهِمُ النَّبِيُّ مُعْجِزَهَا كُلِّ مُنَادٍ . ^(٢)

(١) كذا في الأصول مضبها عليه وحرر .

(٢) لعله وقْدَع . أى كَفَّ . تأمل .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ فِيهِمْ ، وَزُورِ الْرَحْمَةِ بِتَوَافِيهِمْ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مَحْضَةً الْإِخْلَاصِ ، كَافِلًا مَحْضُهَا بِالْفِكَاكِ مِنْ أَسْرِ الشِّرْكِ وَالْخَلَاصِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِمَا أَوْصَحَ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَقَعَ أَهْلَ الْعِنَادِ ، وَالشَّفِيعُ الْمَشْفَعُ يَوْمَ التَّنَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا أَنْقِضَاءَ لَهَا وَلَا تَفَادٍ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (وَيَذْكُرُ اسْمَهُ) يَتَعَصَّمُ بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ مَا جَعَلَ اللَّهُ [لَهُ] مِنَ التَّفْوِيضِ ، وَيُشِيرُ إِلَى الصَّوَابِ فِي كُلِّ تَصْرِيحٍ مِنْهُ وَتَعْرِيزٍ ، وَإِنَّهُ شَدَّ اللَّهُ أَرْزَهُ ، وَعَظَّمَ قُدْرَهُ ، أَسْتَخَارَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْوَصِيَّةِ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ الْمُفَخَّخَةِ الْمُوَرَّثَةِ عَنِ الْآبَاءِ وَالْجُدُودِ ، الْمُلقَاةِ إِلَيْهِ مَقَالِيدُهَا كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوَالِدِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْمَوْلُودِ ، وَلَوْلَدِهِ السَّيِّدِ ، الْأَجَلِّ ، الْمَعْظَمِ ، الْمَكْرَمِ ، فَلَانٍ ، سَلِيلِ الْخِلَافَةِ وَشَيْبِلِ غَايِبِهَا ، وَنُجْبَةِ أَحْسَابِهَا وَأَنْسَابِهَا ، أَجَلَهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ ، وَجَمَّلَ بِهِ عِطْفَ الْأَمَانَةِ وَقَوَّهَ : لِمَا تَلَمَّحَ فِيهِ مِنَ النَّجَابَةِ اللَّائِحَةِ عَلَى شِمَائِلِهِ ، وَظَهَرَ مِنْ مَسْتَوْتِيقِ إِبْدَاءِ سِرِّهِ فِيهِ بَدَائِلُ بُرْهَانِهِ وَبُرْهَانِ دَلَالَتِهِ ، وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ - صَانِعِهَا اللَّهُ تَعَالَى - مَوْلَانَا أَوْ سَيِّدُنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ حَضَرَ مِنْ حُكَّامِ الْمَسَامِينِ : قُضَاةَ قُضَايَاهُمْ ، وَعِلْمَائِهِمْ ، وَعُدُولِهِمْ ، يَجْلِسُ الشَّرِيفُ ، أَنَّهُ رَضِيَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ الْآنَ لَوْلَدِهِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ فَلَانٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَسَّحَ اللَّهُ فِي أَجَلِهِ ، وَعَهْدَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَعَقُولَ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدُهَا ، وَجَعَلَ بِيَدِهِ زِمَامَ مُبْدئِهَا وَمُعِيدِهَا ، وَصَّى لَهُ بِذَلِكَ جَزَائِهِ وَكُلِّيَّهِ ، وَغَامِضِهِ وَجَلِّيَّهِ ، وَصِيَّةً شَرْعِيَّةً بِشُرُوطِهَا الْإِلَازِمَةِ الْمَعْتَبَرَةِ ، وَقَوَاعِدِهَا الْمَحْرُورَةِ ، أَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي تَارِيخِ كَذَا .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد ولى الخلافة عن الخليفة ، وما يكتبه
الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته
من قبول المعهود إليه ، وشهادة الشهود على العهد)

أما ما يكتب في المستند ، فينبغى أن يكون كما يكتب في عهود الملوك عن الخلفاء ،
على نحو ما تقدم في البيعات ؛ وهو أن يكتب : « بالإذن العالى ، المولوى ، الإمامى ،
النبوى ، الفلانى (بقلب الخلافة) أعلاه الله تعالى » أو نحو ذلك من الدعاء .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فينبغى أن يكتب : « عهدي إليه
بذلك » : لأنه اللفظ الذى ينعقد به العهد . ولو كتب : « فوضت إليه ذلك »
كما يكتب الخليفة في عهد السلطان الآن على ماسياتى ، كفى ذلك . والأليق بالمقام
الأول .

وأما ما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته ، فالمقول فيه عن المتقدمين
ما كتب به « على الرضى » تحت عهد المأمون إليه بالخلافة ، وهو :

الحمد لله الفعال لما يشاء ، لأمعق لحكمه ، ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة
الاعين وما تخفى الصدور ؛ وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين ، وآله الطيبين
الطاهرين . أقول وأنا على بن موسى بن جعفر : إن أمير المؤمنين عضده الله
بالسداد ، ووفقه للرشاد ؛ عرف من حقنا ما جهله غيره : فوصل أرحاما قطعت ،
وأمن أنفسا فرغت ، بل أحيها وقد تلفت ، وأغناها إذ أفقرت ؛ متبعا رضا رب
العالمين ، لا يريد جزاء من غيره وسيجزى الله الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ؛

ولأنه جعل إلى عَهْدِهِ، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده؛ فمن حلَّ عُقْدَةَ أمر الله
بَسَدَهَا، أو قَصَمَ عُرْوَةَ أَحَبِّ الله إِيثَاقَهَا، فقد أباح حَرِيمَهُ وأَحْلَلَ مُحَرَّمَهُ؛ إذ كان
بذلك زارياً على الإمام، منتهكاً حرمة الإسلام؛ بذلك جرى السالفُ فصبر منهم
على القتلِ، ولم يُعْتَرَضْ بعدها على العزَمَاتِ؛ خوفاً على شَتَاتِ الدين، وأضطراب
حبل المسلمين؛ ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تُنتَهَزُ، وباقية تُتَدَرَّبُ؛ وقد جعلتُ
لله تعالى على نفسي إن استرعى على المسلمين، وقلدني خلافتَه، العملَ فيهم عامةً
وفي بنى العباس بن عبد المطلب خاصةً بطاعته وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن لا أسفك دمًا حراماً، ولا أبيعَ فرجاً ولا مالاً؛ إلا ماسفكته حدوده، وأباحته
فرائضه؛ وأن أتخيرَ الكفافة جهدى وطاقتي. جعلتُ بذلك على نفسي عهداً مؤكداً
يسألني [الله] عنه، فإنه عز وجل يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾.
فإن أحدثت أو غيرت أو بدلتُ، كنتُ للغير مستحقاً، وللنكال متعرضاً؛ وأعوذُ بالله
من سخطه، وإليه أَرْغَبُ في التوفيق لطاعته، والحوّل بيني وبين مَعْصِيَتِهِ، (في عامة
المسلمين؛ والخاصة والحزب لانب على ضد ذلك) : ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي
وَلَا بِكُمْ﴾ : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾. لكنني آمنتُ
أمرَ أمير المؤمنين وآثرتُ رضاه، والله يعصمني وإياه؛ واشهدتُ الله على نفسي
بذلك وكفى بالله شهيداً. وكتبتُ بخطي بحضرة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكرم، وإشير بن المعتز، وحماد
ابن العُمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

ثم كتب فيه من حضر من هؤلاء، وهذه صورة كتابتهم.

فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ماضوته :

(١) ثبتت هذه العبارة في الاصل وعليها علامة التوقف . ولم نثر عليها في غير هذا الكتاب . تأمل .

”رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب: ظهره وبطنه، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد، ومرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق، بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع المسلمين، وأبطال الشبهة التي كانت أعترضت آراء الجاهلين: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾. وكتب ”الفصل بن سهل“ في التاريخ المعين فيه“.

وكتب عبد الله بن طاهر ما صورته « أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر بن الحسين ».

وكتب يحيى بن أكرم القاضي ما صورته: « شهد يحيى بن أكرم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها، وكتب بخطه بالتاريخ ».

وكتب حماد بن النعمان ما صورته: « شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه، وكتب بيده بتاريخه ».

وكتب بشر بن المعتمر ما صورته: « شهد بذلك بشر بن المعتمر، وكتب بخطه بالتاريخ ».

قلت: وعلى نحو ما تقدم من كتابة المعهود إليه بالقبول وشهادة الشهود على العهد ينبغي أن يكون العمل أيضا في زماننا: ليجتمع خط العاهد بالتفويض على ما تقدم، وشهادة الشهود. ولو اقتصر المعهود إليه في الكتابة على قوله: « قِلْتُ ذلك » كان كافيا، وإن كان أميا أكتفى بشهادة الشهود.

الوجه الثامن

(في قطع الورق الذي تُكْتَب فيه عهودُ الخلفاء، والقلم الذي يُكْتَب به،
وكيفية كتابتها وصورة وضعها)

أما قطعُ الورق فمقتضى قول المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" أن للعهود قطعَ البغدادى الكامل، وأن عهودَ الخلفاء تُكْتَب في البغدادى كما هو مستعمل في عهود الملوك عن الخلفاء، على ما سياتى في موضعه إن شاء الله تعالى. وهو مقتضى ما تقدم في الكلام على قطع الورق في مقدمة الكتاب نقلاً عن محمد بن عمر المدائنى في كتاب "القلم والدواة" أن القطع الكامل للخلفاء.

قلت : وقد أخبرنى من يُوثَّق به أنه وقف على عهد المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر، وألِد المتوكل على الله : أبى عبد الله محمد خليفة العصر، وهو مكتوب في قطع الشامى الكامل، وأنه كُتِب عهد المتوكل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء. وكأنهم لما تفهقرت الخلافة وضعف شأنها، وصار الأمر إلى الملوك المتغلبين على الخلفاء، تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع كامل البغدادى إلى قطع الشامى. وهذا هو المناسب للحال في زماننا.

وأما القلم الذى يُكْتَب به، فالحكم فيه ما تقدم في البيعات، وهو إن كُتِب العهد في قطع البغدادى، كُتِب بقلم مختصر الطومار. وإن كُتِب في قطع الشامى، كُتِب بقلم الثلاثين الثقيل.

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها، فعلى ما تقدم في كتابة البيعات، وهو أن يبدأ بكتابة الطرة في أول الدرج بالقلم الذى يُكْتَب به العهد سطوراً متلاصقة ممتدة

في عَرْض الدَّرَج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكُتَابَةُ في قَطْع
 البَغْدَادِيَّ الكَامِل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عُهُود المُلُوك عن الخلفاء ؛ فَيَتْرُكُ
 بعد الوصل الذي فيه الطَّرَة سِتَّةَ أوصال بياضًا من غير كُتَابَة ، ثم يَكْتُبُ البِسْمَلَةَ
 في أول الوصل الثامن بحيث يُلْحَقُ أَعَالِي أَلِفَاتِهِ بالوصل الذي فوقه ، بهامش قَدَرِ
 أربعة أصابع أو خمسة ؛ ثم يَكْتُبُ تحت البِسْمَلَةَ سَطْرًا من أول العهد ملاصقًا لها ؛
 ثم يَخْلِي مكان بيت العلامة قَدَرِ شبر كما في عُهُود المُلُوك ؛ ثم يَكْتُبُ السطر الثاني
 تحت بيت العلامة على سَمْتِ السطر الذي تحت البِسْمَلَةَ . ويَحْرُسُ أن تكونَ نهاية
 السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني ؛ ثم يَسْتَرْسِلُ في كُتَابَةِ بقية العهد إلى آخره ،
 ويجعل بين كل سطرين قَدَرِ رُبْعِ ذراع بذراع القماش . فإذا أَتَتْهُ إلى آخر العهد ،
 كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المَسْتَنَدَ ، ثم الحمدلة ، والصلاة على النبي صلى الله
 عليه وسلم والحسبلة ، على ما تقدم في الفواتح والخواتم . ثم يَكْتُبُ المعهود إليه
 والشهود بعد ذلك . وإن كُتِبَ في قطع الشامي ، فعلى ما تقدم في البيعات : من
 أنه ينبغي أن يُقْتَصَرَ في أوصال البياض على خمسة أوصال ، ويكون الهامش قَدَرِ
 ثلاثة أصابع .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلاً فيها بالطَّرَة التي أنشأتها ، على ما تقدم ذكره
 في العهد الذي أنشأته على لسان الإمام المتوكل على الله خليفة العصر لولده العباس .
 وهو العهد الأخير من المذهب الأول من عُهُود الخلفاء عن الخلفاء

هذا عهدٌ إماميٌّ قد علتْ جدُّودُهُ ، وزاد في الارتقاء في العلياء صُعودُهُ ، وفُصِّلَتْ
بالجواهر قلائدُهُ ونُظِّمَتْ بنفيس الدرِّ عُقُودُهُ ، من عبدِ الله وولِيهِ الإمامِ المتوكِّلِ
على الله أبي عبدِ الله محمد ابنِ الإمامِ المعتضدِ بالله أبي الفتح أبي بكر ، بالخلافة
المقدَّسة لولده السيد الجليل ، ذَخِيرَةِ الدِّين ، وولِيَّ عهدِ المسلمين ، أبي الفضل
العبَّاس ، بَلَّغَهُ الله تعالى فيهِ غايةَ الأمل ، وأَقَرَّ بِهِ عَيْنَ الأُمَّةِ كما أَقَرَّ بِهِ عَيْنَ أَبِيهِ
وقد فَعَلَ على ما شرح فيهِ

بياض ستة أوصال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا عَهْدُ سَعِيدُ الطَّالِعِ مَيُّونَ الطَّائِرِ مَبَارَكُ الْأَوَّلِ

عهدت إليه بذلك

وكتب فلان بن فلان

جمیلُ الأَوْسَطِ حمیدُ الآخرِ تشهد به حضراتُ الأملاكِ

وَتَرْفُؤُهُ كَفُّ الثَّرِيَّا بِأَقْلَامِ الْقَبُولِ فِي صَحَائِفِ الْأَفْلَاكِ وَتُبَاهِي

بِهِ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ وَمَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، وَتَسْرِي بِنَشْرِهِ الْقُبُورُ إِلَى الْأَقْطَارِ

هـامش
فتنشرله بكل ناحية علما، وتطلع به سعادة الجسد من ملوك العدل
في كل أفق نجما .

ثم يأتي على الكلام إلى آخر العهد على هذا النمط إلى أن ينتهي إلى
قوله فيه «والله تعالى يبلغه منك أملا، ويحقق فيك علما ويزكي بك عملا»

إن شاء الله تعالى

كتب في اليوم الأول من المحرم
سنة إحدى وثمانمائة

بالإذن العالي ، المولوي ، الإمامي ، النبوي ، التوكلية ،

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

شهد على العاهد والمعهود إليه
فيه زادهما الله شرفا
وكتب فلان بن فلان
وكذا بقية الشهود

بسم الله الرحمن الرحيم

قبلت ذلك
وكتب فلان ولي
عهد أمير المؤمنين

صورة خط المعهود

النوع الثاني

(عهود الخلفاء للوك ، ويتعلق النظر به من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعتها)

والأصل فيها ما رواه ابن إسحاق وغيره : أنه لما رجع وفد بني الحريث بن كعب إلى قومهم باليمن بعد وفود [هم] على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأربعة أشهر ، بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ولي وفدهم عمرو بن حزم ، يفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم . وكتب له كتاباً عهد فيه عهده ، وأمره فيه أمره ، على ماسياتي ذكره في أول نسخ العهود الواردة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمره إلى عمر بن حزم رضي الله عنه . وذلك أصرح دليل وأقوم شاهد لما نحن فيه .

الوجه الثاني

(في بيان [معنى] الملك والسلطنة اللتين يقع العهد بهما)

قد تقدم في الكلام على الألقاب نقلاً عن " الفروق " في اللغة العسكرية أن الملك أخص من السلطنة : لأن الملك لا يطلق إلا على الولاية العامة ، والسلطنة تُطلق على أنواع الولايات ؛ حتى إن الفقهاء يعبرون عن القاضي ووالي البلد في أبواب الفقه بالسلطان .

ثم تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يدبرها ويقوم بأعبائها على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — وهو أعلاها وزارة التفويض ، وهو أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على آجتهاده ، وينظر فيها على العموم . وعلى ذلك كانت السلطنة في زمن الخلفاء الفاطميين بمصر على ماسياتى ذكره . قال الماوردى في " الأحكام السلطانية " : ولا يمتنع جواز مثل ذلك : لأن كل ما وكل إلى الإمام من تدبير [الأمة] لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستئابة ، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور ، [من تفرده بها] ليستظهر به على نفسه ولنفسه ، فيكون أبعد من الزلل ، وأمنع من الخلل . قال : وتعتبر في [تقليد] هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده . وقد تقدم بيان شروط الإمامة في الكلام على البيعات . ثم قال : وكل ما صح من الإمام صح من وزير التفويض إلا في ثلاثة أشياء :

أحدها — ولاية العهد . فإن للإمام أن يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

الثاني — أن للإمام أن يستعفى الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير .

الثالث — أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام .

وتفارق هذه الوزارة الخلافة في عموم النظر فيما عدا ذلك من وجهين :

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

(٢) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

أحدهما — مختص بالإمام وهو أن يتصفح أفعال الوزير وتدير الأمور : ليقتر منها ماوافق الصواب ، ويستدرك ماخالفه : لأن تدير الأمة إليه موكل ، وعلى أجهاده محمول .

والثاني — مختص بالوزير . وهو مطالعة الإمام بما أمضاه من تدبير ، وأنفذه من ولاية وتقليد : لئلا يصير بالاستبداد كالإمام .

أما وزارة التنفيذ فسيأتي الكلام عليها في تقليد الوزارة إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني — إماره الاستكفاء .

وهي التي تتعقد عن اختيار من الخليفة . وتشتمل على عمل محدود ونظر معهود ، بأن يفوض الخليفة إليه إمارة بلد أو إقليم ولاية على جميع أهله ، ونظراً في المعهود من سائر أعماله ، فيصير عام النظر فيما كان محدوداً من عمل ، ومعهوداً من نظر . قال الماوردي : فينظر فيما إليه في تدبير الجيش ، وترتيبه في النواحي ، وتقدير أرزاقهم إن لم يكن الإمام قد قدرها ، وإدارتها عليهم إن كان الإمام قد قدرها ، وكذلك [النظر في] الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام ، وجباية الخراج ، وقبض الصدقات والعمل فيهما ، وتفريق ما يستحق منهما ، وحماية الحرم ، والدب عن البيضة ، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل ، وإقامة الحدود في حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين ، والإمامة في الجمع والجماعات بالقيام بها ، والاستخلاف عليها ، وتسيير الحجيج من عمله ومن يتر عليه من غير عمله ، وجهاد من يليه من العدو ، وقسم الغنائم في المقاتلة ، وأخذ خمسها لاهل الخمس . وله أن يتخذ وزير تنفيذ لا وزير تفويض .

وعلى هذا كانت الأمراء والمُال في الأقاليم والأمصار من ابتداء الإسلام إلى أن تغلب المتغلبون على الأمر واستضعف جانب الخلفاء .

قال الماوردي : ويعتبر في هذه الإمارة ما يعتبر في وزارة التفويض من الشروط : إذ ليس بين عموم الولاية وخصوصها فرق في الشروط المعبرة فيها .

القسم الثالث - إمارة الاستيلاء .

وهي أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويفوض إليه تديرها، فيستولى عليها بالقوة ، فيكون [الأمير] باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدير ، والخليفة بإذنه ينفذ أحكام الدين : لتخرج عن الفساد إلى الصحة ، ومن الخطر إلى الإباحة ؛ نافذ التصرف في حقوق الملة وأحكام الأمة . وهذا ما صار إليه الأمر بعد التغلب على الخلفاء ، والاستبداد بالأمر بالعلبة والقوة .

قال الماوردي : وهذا وإن خرج عن عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه ، ففيه [من] حفظ قوانين الشرع وحراسة الأحكام الدينية مالا يجوز أن يترك مختلاً مدخولاً ، ولا فاسداً معلولاً ؛ فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ، ما امتنع في تقليد الاستكفاء والإختيار : لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز .^(٢) قال : والذي يُحفظ بتقليد المستولي من قوانين الشريعة سبعة أشياء ، يشترك في التزامها الخليفة المولى والأمير المستولى ، ووجوبها في جهة المستولى أغلظ .

(١) عبارة "الأحكام السلطانية" وإمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطراب فهي أن يستولى بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه الخ وهي أوضح وأصرح .

(٢) في المصباح . وله مكنة أى قوة وشدة .

أحدها - حِفْظ مَنْصِب الإمامة في خلافة النبوة، وتدير أمور الأمة : ليكون ما أوجبه الشرع من إقامتها محفوظا، وما تفرع عنها من الحقوق محروسا .

والثاني - ظهور الطاعة الدينية التي يزول معها حكم العناد في الدين ، وينتفى بها مأثم المبائة له .

والثالث - اجتماع الكلمة على الألفة والتناصر : ليكون المسلمون يدا على من سواهم .

والرابع - أن تكون عقود الولايات الدينية جائزة، والأحكام والأفضية [فيها] نافذة؛ لا تبطل بفساد عقودها، ولا تسقط بحلل عهودها .

الخامس - أن يكون استيفاء الأموال الشرعية بحق تبرأ به ذمة مؤديها ، ويستطيعه أخذها ومُعطيها .

السادس - أن تكون الحدود مستوفاة بحق ، وقائمة على مستحق ؛ فإن جنب المؤمن حمي إلا من حقوق الله تعالى وحدوده .

السابع - أن يكون للأمة في حفظ الدين وإزعج عن محارم الله تعالى، يأمر بحقه إن أطيع ، ويدعو إلى طاعته إن عُصى . ثم قال : فإن كُلت فيه شروط الاختيار المتقدمه، كان تقليده حتما استدعاء لطاعته ، ودفعاً لمشاقته ومخالفته ؛ وجرى على من استوزره أو استنابه أحكام من استوزره الخليفة أو استنابه . وإن لم تكمل [فيه] شروط الاختيار ، جاز له إظهار تقليده استدعاء لطاعته وحسباً لمخالفته ومماندته ؛ وكان نفوذ تصرفاته في الحقوق والأحكام موقوفاً على أن يستيب الخليفة

له من تكاملت فيه الشروط . قال : وجاز مثل هذا وإن شذَّ عن الأصول : لأن
الضرورة تُسقط ما أعوز من شروط المكنة .

قلت : ومملكة الديار المصرية من حين الفتح الإسلامى وهلمَّ جرًّا إلى زماننا
دائرة بين هذه الأقسام الثلاثة ، لا تكاد تُخْرُج عنها : فكانت في بداية الأمر « إمارة
أستكفاء » يولَّى عليها الخليفة في كلِّ زمن من يقوم بأعبائها ، ويتصرَّف في أمورها ،
قاصرُ الولاية عليها ، واقفٌ عند حدٍّ ما يردُّ عليه من الخليفة من الأوامر والنواهي ،
إلا ما كان في أيام بني طولون من الخروج عن طاعة الخلفاء في بعض الأحيان .
فلما استولوا عليها الفاطميون واستوزروا أرباب السيف في أواخر دولتهم ،
وعظمت كلمتهم عندهم ، صارت سلطنتها « وزارة تفويض » . وكان الخليفة يُختبِ
والوزير هو المتصرَّف في المملكة كالمُلوِّك الآن أو قريب منهم . وكانوا يُلقَّبون باللقاب
المُلوِّك الآن : كالمُلك الأفضل رِضوان وزير الحافظ ، وهو أوَّل من لُقِّب بالمُلك
منهم فيما ذكره المؤيِّد صاحبُ حماة في تاريخه . والمُلك الصالح طلائع بن رُزيك
وزير الفاتر ثم العاضد . والمُلك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى وزير العاضد ،
وأبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وزير العاضد أيضا ، قبل أن يستقلَّ
بالمُلك ويخطب بالديار المصرية لبني العباس ببقداد . ولا تُكرِّف تسمية الوزير مُلكا ،
فقد قيل في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ
أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ إنَّ المراد بالمُلك الوزير لا المُلك نفسه . ولما اتَّزعت من
الفاطمين وصارت إلى بني أيوب ، وكانوا يُلَوِّنها عن خلفاء بني العباس ،
صارت « إمارة أستلاء » لأستيلائهم عليها بالقوة ، وأستبداهم بالأمر والتدبير
مع أصلِ إذن الخليفة وتقليده . وكان الرشيد قد لُقِّب « جعفر بن يحيى البرمكي »

في زمن وزارته له بالسلطان ، ولم يأخذ الناس في التلقيب به . فلما تغلب
 الملوك بالشرق على الخلفاء وأسبّدوا عليهم ، صار لقب السلطان سمة لهم ، مع
 ما يختصهم به الخليفة من ألقاب التشريف : كَشَرَف الدّولة ، وعَضُد الدّولة ،
 ورُكْن الدّولة ، ومُعِزّ الدّولة ، وعِزّ الدّولة ، ونحو ذلك . وشاركهم في لقب السلطنة
 غيرهم من ملوك النواحي ، فلقب بذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتلقب
 بالملك الناصر عند استبداده بالملك على العاضد الفاطمي بعد وزارته له ، ونقل
 ما كان من وزارة التفويض والعهد بها إلى السلطنة ، وصارت الوزارة عن السلطان
 معدومة بقدر مخصوص من التصرف . وبقى الأمر على ما هو عليه من الاستيلاء
 والاستبداد بالملك ، مع أصل إذن الخليفة وكتابة العهد بالملك ، وهي على ذلك إلى
 زماننا ، إلا ما كان في زمن تعطيل جيد الخلافة من الخلفاء ، من حين قتل التتار
 « المستعصم » آخر خلفاء بني العباس ببغداد إلى حين إقامة الخليفة بمصر
 في الدولة الظاهرية ببرس . على أن في السلطنة الآن شها من وزارة التفويض ،
 فإن الخليفة يفوض إليه في تقليده تدير جميع الممالك الإسلامية بالتفويض العام
 لا يستثنى منها شيئا . وغير هذه المملكة وإن كان خارجا عن يده فهو داخل في عموم
 ولايته ، حتى لو غلب على شيء منها أو فتحه لم يحتج فيه إلى تولية جديدة من
 الخليفة . ولا مانع لذلك : فسيأتي في الكلام على المناشير أنه يجوز للإمام أن يقطع
 أرض الكفر قبل أن تفتح ، وإذا جاز ذلك في الإقطاع ففي هذا أولى . وحينئذ
 فتكون سلطنة الديار المصرية الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء .

الوجه الثالث

(فما يجب على الكاتب مراعاته فيه)

وأعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور :

منها — براعة الاستهلال بما يتبهاؤه من اسم السلطان أو لقبه الخاص : مثل فلان الدين ، أو لقبه بالسلطنة : مثل الناصر ، والظاهر ، ونحوهما ؛ أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيعات وعهود الخلفاء .

ومنها — التنبيه على شرف السلطنة وعزوتها ، ووجوب القيام بأمر الرعية ، وتحمل ذلك عن الخليفة .

ومنها — الإشارة إلى اجتهد الخليفة وإعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة ، وأنه لم يجد بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه ، فيصفه بالصفات الجميلة ، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك .

ومنها — الإشارة إلى جريان لفظ تنعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض ، وقبول ذلك ، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد .

ومنها — إيراد ما يليق بالمقام من الوصية ، بحسب ما يقتضيه الحال : من عزوتة الخلافة وانخفاضها ، مبينا لما يلزمه القيام به : من حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وتنفيذ الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وحماية البيضة ، والدب عن الحرم ، وإقامة الحدود ، وتحصين الثغور ، وجهاد أعداء الله وغزوهم ، وجباية الفى والصدقات على ما أوجبه الشرع من غير حيف ولا عسف ،

وتقدير العطاء، وصرف ما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، في وقت الحاجة إليه، واستكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء للأعمال والأموال، ومباشرة الأمور بنفسه وتصفّح الأحوال ؛ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة : من إقامة مؤسّم الحج، وتأمين الحرم الشريف وإكرام ضرائح الأنبياء وبيت المقدس، وتحرير مقادير المعاملات، وغير ذلك مما يقتضيه أمر المملكة .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرّة، وهو نمطان)

النمط الأول — ما كان يُكتب في وزارة التفويض في دولة الفاطميين .

وكان الخليفة هو الذي يكتب بيده . وهذا أمر وإن كان قد تُرك فالمعرفة به خير من الجهل ، خصوصاً وقد أثبت المقرّ الشهابي بن فضل الله عهدئ أسد الدين شيركوه وابن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد، في جملة عهود الملوك على ما سيأتي ذكره . وسنوردُهما في جملة عهود الملوك عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما كتب به العاضد في طرّة عهد أسد الدين شيركوه المتقدم ذكره، وهو :

« هذا عهد لا عهد لوزيرٍ بمثله ، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لحمله، والحجة عليك عند الله بما أوصحه لك من مرّاشد سُبُلِه ، فخذ كتاب أمير المؤمنين

يُقُوهُ، وَاتَّجَبَ ذَيْلَ الْفَخَّارِ بِأَنْ أَعْتَرَتْ خِدْمَتُكَ إِلَى بُنْوَةِ النُّبُوَّةِ، وَاتَّخَذَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْفَوْزِ سَبِيلًا ﴿وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ .



ومن ذلك ما كتب به العاضدُ أيضا في طُرَّةِ العهد المكتتب عنه بالوزارة
للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قبل استيلائه بالسلطنة، وهو :

« هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وَحُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، فَأَوْفِ بِمَهْدِكَ
وَرَيْمِيْنِكَ، وَخُذْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَمِينِكَ، وَلِمَنْ مَضَى بِحَدِّنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنُ أَسْوَاهُ، وَلِمَنْ بَقِيَ بَقْرَبْنَا أَعْظَمُ سَلَوِهِ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّاتِقِينَ﴾ . »

النمط الثاني — ما يُكْتَبُ فِي طُرَّةِ عُهُودِ الْمُلُوكِ الْآنَ .

وهو قريب مما كان يُكْتَبُ أَوَّلًا مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، إِلَّا أَنَّهُ يُبَدَّلُ فِيهِ لَفْظُ الْوِزَارَةِ
بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانَةِ، وَيَكُونُ الَّذِي يَكْتُبُهُ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ الْعَهْدَ دُونَ الْخَلِيفَةِ . ثم هو
بحسب ما يُؤَثِّرُهُ الْكَاتِبُ مِمَّا يُدُلُّ عَلَى صَدْرِ الْعَهْدِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ .

وهذه نسخة طُرَّةِ عهدٍ، كَتَبَ بِهَا الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ،
فِي نَسْخَةِ عَهْدِ أَنْشَاءِ لِلْسُلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ
وَسَبْعِمِائَةٍ، وَهُوَ :

« هذا عهدٌ شَرِيفٌ تَجَدَّدَتْ مَسَرَّاتُ الْإِسْلَامِ بِتَجْدِيدِهِ، وَتَأَكَّدَتْ أَسْبَابُ
الْإِيمَانِ بِتَأْكِيدِهِ، وَوُجِدَ النَّصْرُ الْعَزِيزُ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ بِوُجُودِهِ، وَوَفَدَ الْيَمْنُ وَالْإِقْبَالُ

على الخليفة بوفوده، وورد الأناضول بؤروده . من عبد الله ووليه الإمام
المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس
أحمد . عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد ، خلد الله سلطانه ،
ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه » .

تم الجزء التاسع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العاشر

وأوله الوجه الخامس

(فيما يكتب فى القباب الملوك عن الخلفاء ، وهو نمطان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء التاسع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

القسم الثانى - من مقاصد المكاتبات الإخوانيات ... ،

وهى على سبعة عشر نوعا ٥

النوع الأول - التهانى، وهى على أحد عشر ضربا ٥

الضرب الأول - التهنية بالولايات ٦

» الثانى - » بكرامة السلطان، وأجوبته ٢٥

» الثالث - » بالعود من الحج ٣١

» الرابع - » بالقدوم من السفر ٣٣

» الخامس - » بالشهور والمواسم والأعياد ٣٩

» السادس - » بالزواج والتسرى ٥٤

» السابع - » بالأولاد ٥٦

» الثامن - » بالإبلال من المرض والعافية من السقم ... ٦٣

» التاسع - » بقرب المزار ٧٠

» العاشر - » بتزول المنازل المستجدة ٧١

» الحادى عشر - نواذر التهانى ٧٣

النوع الثانى - من مقاصد المكاتبات التعازى، وهى على أضرى ٨٠

الضرب الأول - التعزية بالأبن ٨٠

» الثانى - » بالبنت ٨٥

» الثالث - » بالأب ٨٦

» الرابع - » بالأم ٨٧

» الخامس - » بالأخ ٨٨

» السادس - » بالزوجة ٩٠

» السابع - التعازى المطلقة ٩٢

صفحة

النوع الثالث - من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة ...	١٠٠
» الرابع - الشفاعات والعنايات ...	١٢٤
» الخامس - التشوق ...	١٤٢
» السادس - فى الأستراحة ...	١٥٠
» السابع - فى آختاب المودّة وأفتاح المكاتبه ...	١٥٥
» الثامن - فى خطبة النساء ...	١٥٩
» التاسع - فى الأسترضاء والأستعطاف والأعتذار ...	١٦٥
» العاشر - فى الشكوى ...	١٧٣
» الحادى عشر - فى آستماحة الحوائج ...	١٧٦
» الثانى عشر - فى الشكر ...	١٨٣
» الثالث عشر - فى العتاب ...	١٨٩
» الرابع عشر - فى العيادة والسؤال عن حال المريض ...	٢٠٣
» الخامس عشر - فى الذم ...	٢١٧
» السادس عشر - فى الأخبار ...	٢١٩
» السابع عشر - فى المداعبة ...	٢٢٥
الفصل الثامن - فى إخفاء ما فى الكتب من السر، وهو على نوعين	٢٢٩
النوع الأول - ما يتعلق بالكتابة ، وهو على ضربين ...	٢٢٩
الضرب الأول - ما يتعلق بالمكتوب به ...	٢٢٩
» الثانى - ما يتعلق بالخط المكتوب ...	٢٣٠
النوع الثانى - الرموز والإشارات التى لاتعلق لها بالخط والكتابة	٢٤٩
المقالة الخامسة - فى الولايات، وفيها أربعة أبواب ...	٢٥٢
الباب الأول - فى بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه	
ثلاثة فصول ...	٢٥٢

صفحة

الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات ... ٢٥٢

الطبقة الأولى - الخلافة ... ٢٥٢

» الثانية - السلطنة ... ٢٥٢

» الثالثة - الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن

السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر

والشام والحجاز، وهي على خمسة أنواع ... ٢٥٢

النوع الأول - ولايات أرباب السيوف ... ٢٥٣

» الثاني - ولاية أرباب الأقلام ... ٢٥٥

» الثالث - ولاية أرباب الوظائف الصناعية ... ٢٥٩

» الرابع - ولايات زعماء أهل الذمة ... ٢٥٩

» الخامس - ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع ... ٢٦٠

الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان

ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات

على سبيل الإجمال ... ٢٦١

الفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان

ما يقع به التفاوت في رتب الولايات . وذلك

من سبعة أوجه ... ٢٦٣

الوجه الأول - الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع ... ٢٦٣

النوع الأول - ألقاب الخلفاء ... ٢٦٣

» الثاني - » الملوك ... ٢٦٣

» الثالث - ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان ٢٦٤

الوجه الثاني - ألقاب إسناد الولايات إلى صاحب الوظيفة ... ٢٦٦

» الثالث - الأفتاحات ... ٢٦٨

» الرابع - تعدد التعميد في الخطبة أوفى أثناء الكلام

وأتحاده ... ٢٦٩

صفحة

- الوجه الخامس - الدعاء ٢٦٩
- » السادس - طول الكلام وقصره ٢٧٠
- » السابع - قطع الورق ٢٧١
- الباب الثانى - من المقالة الخامسة فى البيعات، وفيه فصلان ٢٧٣
- الفصل الأول - فى معناها... .. ٢٧٣
- » الثانى - فى ذكر تنويع البيعات، وهى نوعان ٢٧٤
- النوع الأول - بيعات الخلفاء، وفيها سبعة مقاصد... .. ٢٧٤
- المقصد الأول - فى أصل مشروعيتهما ٢٧٤
- » الثانى - فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية ٢٧٥
- » الثالث - فى بيان ما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة البيعة... .. ٢٧٦
- » الرابع - فى بيان مواضع الخلافة التى تستدعى الحال ٢٧٩
- كتابة المبايعات فيها ٢٧٩
- » الخامس - فى بيان صورة ما يكتب فى بيعات الخلفاء، وفيه أربعة مذاهب ٢٨٠
- المذهب الأول - أن تفتح المبايعه بلفظ «تبايع فلانا أمير المؤمنين» خطابا لمن تؤخذ عليه البيعة ٢٨٠
- » الثانى - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتح المبايعه بلفظ «من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الامام الفلانى» إلى أهل دولته ٢٨٦
- » الثالث - أن تفتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتحة بالحمد لله الخ ٢٩٨
- » الرابع - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتح البيعة بلفظ «هذه بيعة الخ ٣٢٠